موسوعة
الليالي والأيام
(٢)

موسوعة
الليالي والأيام

الجزء الثاني

في رحاب ليالي شهر رمضان المبارك

الشيخ
أيوب الحائري

الفهرس الإجمالي للموضوعات

مقدمة الناشر

مقدمة المؤلف

الخطبة النبوية الشعبانية

الليلة الاولى: شهر الضيافة الالهية

الليلة الثانية: إِدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

الليلة الثالثة: طهارة القلب وصدق النية

الليلة الرابعة: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ

الليلة الخامسة: ربيع القرآن شهر رمضان

الليلة السادسة: الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

الليلة السابعة: مفهوم العبادة وحقيقة العبودية

الليلة الثامنة: التكافل الإجتماعي في الإسلام

الليلة التاسعة: مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام

الليلة العاشرة: خديجة وأين مثل خديجة عليها السلام

الليلة الحادية عشر: الإسلام والحياة الزوجية

الليلة الثانيةعشر: الصداقة والأخوة في الإسلام
الليلة الثالثةعشر: أبو طالب كافل الر سول صلى الله عليه وآله وسلم وناصره
الليلة الرابعةعشر: قيمة العمل ومكانة العامل في الإسلام
الليلة الخامسةعشر: قبسات من سيرة الإمام الحسن عليه السلام
الليلة السادسةعشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
الليلة السابعةعشر: الإمام علي عليه السلام وغزوة بدر الكبرى
الليلة الثامنةعشر: قبسات من نهج البلاغة
الليلة التاسعةعشر: في رحاب ليالي القدر المباركة
الليلة العشرون: أدوار الإمام علي عليه السلام في الإسلام
الليلة الواحدةو العشرون: وصيِّ النَّبي في محراب الشهادة
الليلة الثانية والعشرون: التوبة أو الرجوع إلى الله
الليلة الثالثة والعشرون: المهدي الموعود، والمصلح المنتظر
الليلة الرابعة والعشرون: حقوق الطفل في الإسلام
الليلة الخامسة والعشرون: مكانة الشباب في الإسلام
الليلة السادسة والعشرون: نظرة الي الحياة الابدية
الليلة السابعة والعشرون: مكانة العلم والعلماءفي الاسلام
الليلة الثامنة والعشرون: الأخلاق والآداب الاسلامية
الليلة التاسعة والعشرون: معرفة الله تعالى وحبِّه
الليلة الثلاثون: صوموا....لعلكم تتقون

الملحق الأول: يوم القدس العالمي

الملحق الثاني: مفهوم العيد في الإسلام

كلمة الختام

فهرس مصادر الموسوعة

الفهرس التفصيلي للموضوعات

صدر للمؤلف

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه المنتجبين.

إنّ من أهمّ مواسم الدعوة الى الله وتبليغ الدين وارشاد المسلمين هو شهرا محرم الحرام وصفر، حيث ان دماء سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام واصحابه، قد جعلت الطريق ممهداً لحضور الناس في المجالس الحسينية واستماع المواعظ الدينية ثم يليهما، شهر رمضان المبارك ثم تأتي بعدها مواسم الأشهر الأخرى، حيث فيها مجموعة من المناسبات الدينية والوطنية أو العالمية، طوال السنة، من ليالي وأيام مفرحة أو محزنة، حيث يحتفل فيها الناس ويستمعون للخطيب والمحاضر.

ولهذا فمن المهم جدّاً أن نستغل هذه الفرص بإفراغ أكبر قدر ممكن من المعارف الدينية وبالأخص الأخلاقية والقرآنية، وتاريخ الإسلام الصحيح من أجل تأصيل الارتباط بين العبد وربّه، الموصل إلى مرضاته، والتعريف بسفرائه في هذا الكون محمد وأهل بيته (عليهم أفضل صلوات المصلين)، وكذلك تثقيف الناس بثقافة عصرية إنسانية، حتى يتجهز العبد، بهذا المستوى من القابلية والاستعداد لمواصلة الطريق في ما تبقّى من عمره، بحياة شريفة طاهرة.

ومن هنا تكون مسؤولية المبلغين العاملين عن إيصال الناس إلى ربهم، الّذين نصبوا أنفسهم في مقام الوصل بين العباد وخالقهم، أكبر وأعظم وآكد، إذ عليهم أن يهيئوا أنفسهم للعمل الدؤوب على جعل هذه المواسم والمناسبات برنامجاً تربوياً، وميقاتاً إلهياً،، يقرّبون به العباد من ربهم، ويهذّبون نفوسهم على الإخلاص والطاعة، والتخلق بالأخلاق الإيمانية العالية حتى يكتبوا عند الله من المبلغين الرساليين.

ومن دافع الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا أحببنا المساهمة في هذا المشروع الرسالي وإعانة المبلغين في جهادهم ورسالتهم الإلهية، وقد بحثنا عن كتاب يشتمل على محاضرات وبحوث مركزة وهادفة، ليكون معيناً لهم في هذا المجال، فرأينا أنّ موسوعة الليالي والايام الّذي ألّفهُ ودوّنه فضلية الشيخ أيوب الحائري هو في إطار هذا الهدف المنشود، فقمنا بطباعته، فخرج بهذه الحلّة، ونحن إذ نقدّمه بين يدي مبلغينا الأعزاء نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومن المؤلف، هذا الجهد، وأن يوفق إخواننا المبلغين إلى أداء واجبهم، وأن يشركونا في دعائهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وصلى الله على نبيه محمد وآله الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

الناشر

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

خلال العمل التبليغي في سنوات متمادية، خصوصاً في شهر رمضان المبارك وجدت أنَّ المجتمع الإسلامي وبالأخص الشباب بحاجة ماسة إلى التَّعرف على الفضائل الأخلاقية والتحلي بها، والمعارف الإلهية والاعتقاد بها، سيَّما التَّعرف على علوم ومعارف النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) ورأيت أنَّ أفضل الأوقات لإستماع هذه الأبحاث، والتأثر بها، شهر رمضان المبارك، ذلك لإنكسار الشهوات واستعداد النفوس بفضل الصيام والقيام، ونزول البركة والتوفيق الإلهي من رب الأنام، لعلَّه يسموا الناس نحو الصواب والرشاد.

وأيضاً ومن خلال محاوراتي مع الخطباء والمبلغين، ومراجعاتي للمكتبات أحسست بأنَّ المكتبة الإسلامية بحاجة ماسَّة إلى كتاب من هذا القبيل بأسلوب جديد في التدوين والترتيب بحيث يكون جامعاً ومختصراً مفيداً، يسهل فهمه

وأداؤه، ويستفيد منه الجميع بالأخص المبلّغ والخطيب.

ومن هذا المنطلق توكلت على الله واستعنت به وتوسلت برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ليوفقني لتأليف هذا الكتاب، فاخترت الخطبة الشعبانية للرسول الأعظم التي خطبها في استقبال شهر رمضان الأكرم، لما فيها من المعاني الأخلاقية العالية، والمعارف الإلهية السامية، وجعلتها محوراً لأبحاث هذا الكتاب فشرعت بتأليفه على ضوء ما تتضمنه هذه الخطبة الشريفة مشتملاً على آيات من الكتاب العزيز، وأحاديث من السنة النبوية، وأخبار أهل البيت عليهم السلام، وقصص الأنبياء وأقوال العلماء، وبعض الحكايات الطريفة، وكذا تطرقت إلى مواضيع مهمة حسبما تقتضيه المناسبات الرمضانية من أحزان وأفراح، ومواضيع ينبغي أن تطرح ويتعرف عليها الانسان المسلم في هذه الليالي المباركة، من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، أو بحوث فكرية وثقافية واجتماعية، فكان هذا الكتاب الذي بين يديك أيّها القارئ الكريم وهو الجزءالأول من موسوعة الليالي والايام الذي يختص بشهررمضان المبارك، ولقد رتَّبته على ثلاثين مجلساً في ثلاثين ليلة، بما يناسب ليالي شهر رمضان المبارك، والحقت به حديثًا حول المسجد الأقصي وقضية فلسطين بما يناسب يوم القدس العالمي، وختمته بالحديث عن معني العيد وانواعه لمناسبة عيد الفطرالمبارك، وأرجو أن أكون ممن وفِّق في المساهمة في نشر المعارف الإلهية والعلوم الأخلاقية، والدعوة إلى الله وإرشاد الأمة الإسلامية، آملاً أن ينتفع به طلاب المعرفة بشكل عام، والخطباء والمبلغون بشكل خاص.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفعني به في يوم لقائه، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]، وماتوفيقي إلاَّ بالله العلي العظيم.

وختاماً أسال المولى القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبَّل مني هذا الجهد المتواضع، ويوصل ثوابه إلى سيدنا الأعظم النَّبي الأكرم وإلى مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، ومولاتي السيدة فاطمة الزهراء وأولادهما الأئمة المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين، عسى الله أن يرزقني في الدنيا زيارتهم ويرحمني في العقبى بشفاعتهم، والله تعالى ولي السداد والتوفيق.

٢١ شهر رمضان المبارك سنة ١٤٣١ هـ

ذكرى شهادة مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام

قم المقدسة ــ أيوب الحائري

(١) الشعراء: ٨٨، ٨٩.

الخطبة النبوية الشعبانية

روى الشيخ الصَّدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام عن أبى الحسن علي بن موسى الرِّضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر محمد بن علي عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقال: «**أيّها الناس إنَّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشُهور، وأيَّامه أفضل الأيام ولياليه أفضل اللَّيالي، وساعاته أفضل الساعات، وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعائكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربَّكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفِّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه؛ فإنَّ الشَّقى من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم.**

واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقِّروا كباركم، وارحموا صغاركم وصِلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس يُتحنّن

على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنَّها أفضل الساعات، ينظر الله عزَّ وجل فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيَّها الناس إنَّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنَّ الله تعالى ذكره أقسم بعزَّته أن لا يعذِّب المصلين والساجدين، وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أيَّها الناس! من فطَّر منكم صائماً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عز وجل عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه، فقيل له: يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك فقال عليه السلام: **اتقوا النار ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء.**

أيَّها الناس من حسَّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جوازاً على الصِراط يوم تزِّل فيه الأقدام، ومن خفَّف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفَّف الله عليه حسابه ومن كفَّ فيه شرّه كفَّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدَّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليَّ ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيَّها الناس إنَّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتَّحة فاسألوا ربَّكم أن لا

يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربَّكم أن لا يفتحها عليكم والشياطين مغلولة فاسألوا ربَّكم أن لا يسلِّطها عليكم».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمتُ، فقلتُ: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال عليه السلام: **يا أبا الحسن! أفضلُ الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل.**

ثمَّ بكى فقلت يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال يا علي أبكي لما يستحلّ منك في هذا الشهر كأنِّي بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة، ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت يا رسول الله؟ وذلك في سلامة من ديني؟ فقال عليه السلام: في سلامة من دينك.

ثم قال: **يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبَّك فقد سبَّني لأنَّك منى كنفسي، روحك من روحي وطينتك من طينتي، إنَّ الله تبارك وتعالى خلقني وإياك، واصطفاني وإياك، واختارني للنبوة واختارك للإمامة فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي.**

يا علي أنت وصيي، وأبو ولدي وزوج ابنتي، وخليفتي على أمتي في حياتي، وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي، أقسم بالذي بعثني بالنبوة، وجعلني خير البرية، إنَّك لحجة على خلقه، وأمينه على سره، وخليفته على عباده[1].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٥، ب٢٨ح٥٣، الامالي للشيخ الصدوق، وعنهما في بحار الأنوار ٩٦: ٣٥٦، ب٣٦،باب وجوب صوم شهر رمضان وفضله.

الليلة الأولى

شهر الضيافة الإلهية

قال تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]

ومّما جاء في خطبته ﷺ: «أيَّها الناس إنَّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيَّامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل السَّاعات، وهو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله،.....»

***

(١) البقرة: ١٨٥

شهر رمضان المبارك

كلمة «رمضان» مشتقة من «الرمض» وهي بمعنى الهاجرة وشدة الحر[١]، ولعلَّه إشارة إلى ما يعانيه الصائم من الجوع والعطش، وقد ورد ما يدل على كراهة إفراد «رمضان» بالذكر، دون إضافة الشهر إليه،حيث أنَّ الناس لا يفقهون ما رمضان، كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لا تقولوا رمضان فإنكم لا تدرون ما رمضان، ولكن قولوا كما قال الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾**[٢]، وقد علل هذا في بعض الأخبار بأنَّ «رمضان» اسم من أسماء الله.

إذن إنَّ لشهر رمضان المبارك منزلة خاصة عندالله ورسوله وأهل بيته فهو أفضل الشهور، وكثرة أسمائه ومعانيها تعكس فضله وشرفه وعظمته، فقد أطلق عليه شهر الله وشهر البركة والرحمة والمغفرة وشهرالتوبةو الإنابة وغيرها من الاسماء، وإليك توضيحاً موجزاً لبعض تلك الأسماء:

***

شهر الله المبارك

وإن كان كل شيء لله تعالى، فهو عزَّ اسمه مالك الملك، إلاَّ أنَّه اختار بعض الأزمنة والبقاع ونسبها إلى نفسه للتدليل على عظمتها ورفعة شأنها، ومنها شهر رمضان حيث نسب اللهُ إلى نفسه هذا الشهر تعظيماً لحرمته وتقديساً لمكانته، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ لله خياراً من كل كما خلقه، فله من البقاع خيار، وله من الليالي والأيام خيار، وله من الشهور خيار، وله من عباده خيار، وله من خيارهم خيار، وأمَّا خياره من البقاع فمكة والمدينة وبيت المقدس..**

(١) المعجم الوسيط ١: ٣٧٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ٣٢ ب ١٩، والآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة.

وأمَّا خياره من الأيام فأيام الجُمَع والأعياد، وأمَّا خياره من الشهور فرجب وشعبان وشهر رمضان، . . . . .»[١].

شهر البركة: ومن أسماء شهر رمضان المبارك شهر البركة، والبركة بمعنى الزيادة التي فيها سعادة، حيث يتضاعف في هذا الشهر الثواب أضعافه في غيره، «**فمَن تطوَّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدَّى سبعين فريضةً فيما سواه من الشهور، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل من ختم القرآن في غيره من الشهور**»[٢]، ويكفي أنّ فيه ليلة القدر التي هى خير من ألف شهر.

***

شهر الرحمة والمغفرة

إنَّ رحمة الله تعالى وفيضه وإحسانه تتجلى في هذا الشهر بأعظم مظاهرها، حتى يصبح النوم فيه عبادة، والعمل فيه مقبولاً، والدعاء فيه مستجاباً، كما أنَّ مغفرته سبحانه تنبسط لعباده فيه فيقبل وفوداً من العاصين الراجعين إليه ويغفر ذنوبهم، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «**شهر رمضان فرض الله صيامه، وسنَّ قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه**»[٣]، وقال أيضاً: «**من صام شهر رمضان فحفظ فرجه ولسانه، وكفَّ أذاه عن الناس غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وأعتقه من النار، وأحلَّه دار القرار، . . .**»[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٣٧: ٥٢ ح٢٧.

(٢) فقرات من الخطبة الشعبانية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) بحار الأنوار ٩٦: ٣٤٩ ح١٧.

(٤) بحار الأنوار ٩٦: ٢٥٦ ح٢٤.

شهر التوبة والإنابة: سمي بهذا الاسم، لأنَّه شهرالتوفيق للتوبة وشهر قبول التوبة والرجوع إلى الله تبارك وتعالى، ولذا دعانا رسول الله ﷺ في خطبته إلى التوبة في هذا الشهر بقوله: **وتُوبوا إلى الله من ذنوبكم**[1].

***

التهيؤ لإستقبال شهر الله تعالى

إنَّ شهر رمضان باعتبار إقباله إلينا كما قال رسول الله ﷺ: «**قد أقبل عليكم شهر الله**»، ينبغي أن نتهيأ لاستقباله على أحسن ما يكون قبل قدومه، بالتوبة إلى الله عن الذنوب، وترك كبائرها وصغائرها، والعزم على الإستفادة من هذه الضيافة العظمى، ليأتي شهر رمضان المبارك ونحن طاهرون من درن الذنوب والخطايا، وقد نفضنا عن قلوبنا وأنفسنا وعقولنا غبار التعلق بغير الله تعالى، وباعتبار أنَّه يقبل علينا كضيف يجب علينا إكرامه، بأن نستقبله أحسن ما يستقبل الضيف، ونرحِّب به بالتكبير والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة ما ورد من الأدعية في استقباله، وبالأخص دعاء الإمام زين العابدين، ونودِّعه أيضاً بالدعاء الوارد عنه عليه السلام في وداع شهر رمضان.

وينبغي أيضاً ردِّ الحقوق إلى أصحابها ودفع المظالم قبل دخول شهررمضان، والتسامح مع المؤمنين حتى لا يبقى ما يمنع من استجابة الدعاء، والقرب من الله تعالى، وفي الحقيقة كما نحن ضيوف عند الله تعالى وقد كتب ربنا على نفسه إكرامنا، كذلك شهر رمضان المبارك هو ضيف عندنا، وينبغي علينا إكرامه وتعظيمه.

---

(١) سنبحث موضوع التوبة وشروطها وآدابها في الليالي القادمة إن شاء الله تعالى.

ثلاثون ليلة في ضيافة الرحمن

مع دخول شهر رمضان المبارك تبدأ دعوة الله تعالى عباده إلى ضيافته، وما أعظم هذه الضيافة التي تعد بحق كرامة وسعادة للصائمين، وهي ضيافة خاصة واستثنائية يمنحها ويتفضل بها الباري عزَّ وجل على عباده، وهي ضيافة ودعوة لعموم المسلمين، بل وللكافرين لأنَّهم جميعاً مكلَّفون بتكاليف ربِّهم، ومسؤولون عن إنجاز أحكامه، وإنَّما خصَّ الكريم دعوته بالمؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[1] لأنَّهم الأولى بقبول دعوته، والأسرع إلى تنفيذ حكمه وهذه الدعوة العظيمة تحمل معناً عميقاً، وفهماً خاصاً، حيث أنَّ بداهة الفطرة تنادي بلزوم تأدِّب الضيف عند مضيفه، وترك ما ينفره ويمنعه من دعوته، وسلوك كل ما يؤنسه ويسعده، كما أنَّ على المضيف إكرام ضيفه، وإسعاده، والمضيّف هنا هو الله، وقد كتب على نفسه إكرام ضيوفه المدعوين، فأجزل لهم الثواب، وتعطَّف عليهم بغفران ذنوبهم، وعتق رقابهم من النار، وبعد هذا فينبغي علينا نحن الضيوف أن نتأدَّب بحضرة المضيِّف بترك الذنوب، وإلاّ حرمنا من هذه الضيافة الكريمة والمنحة العظيمة الّتي تفضل بها علينا.

ومن مظاهر كرم الله في هذا الشهر المبارك، أنَّ الضيافة فيه لم تجعل ليوم أو أيام قلائل، بل دعا الله عباده على مائدة رحمته ولطفه وكرمه ثلاثين يوماً، وقد لوَّن ونوَّع ضيافته بكل ما يحتاجه الإنسان، ويتزود به، وما ينفعه ليوم لقائه.

***

(١) البقرة: ١٨٣.

انواع الضيافة الإلهية

إنَّ الله تعالى بواسع كرمه دعانا إلى ضيافته الرمضانية، وعلى مائدته الروحانية التي فيها ألوان وأصناف كثيرة من الغذاء المعنوي، فحري بنا أن نستثمر هذا الظرف الاستثنائي لصقل أرواحنا، وتربية أنفسنا، وإليك بعض ألوان هذه المأدبة والضيافة الإلهية المباركة:

١ــ «أنفاسكم فيه تسبيح»: وهذا غيض من فيض عطائه بحيث جعل أنفاس الصائم فيه تسبيحاً،أي:ثوابه ثواب من سبّح الله تعالى في كل نهاره وليله، فإذا كان الإنسان ـ علي ما قيل ـ يتنفس في كل يوم وليلة، واحداً وعشرين ألف وستمائة مرة، فيكتب الله له بعدده تسبيحاً، ويثيبه عليه كمن سبح الله تعالى هذا العدد، وقد تفاوتت الأخبار ببيان فضل التسبيح وثوابه، لقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: من قال: **سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، كتب الله له ثلاثة آلاف حسنة، ومحا عنه ثلاثة آلاف سيئة، ورفع له ثلاثة آلاف درجة، وخلق منها طائراً في الجنة يسبح، وكان أجر تسبيحه له**[1].

٢ــ «ونومكم فيه عبادة»: وهذا من كرم الله على الصائمين،حيث أنَّ النوم الذي فيه راحة الإنسان واستقراره، ولا يبذل فيه أي جهد عبادي، يجعله تعالى عبادة، فالصائم النائم في عبادة مستمرة وطاعة دائمة.

٣ــ «وعملكم فيه مقبول»: وهذا لون ثالث من ألوان مائدة الرحمن، فإنَّ عمل العامل قد يقبل منه وقد يرد، ولكن في شهر رمضان، وفي ضيافة الرحمن العمل مهما صغر يقبل ولا يُرد، وهذا ضمان من الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) بحار الأنوار ٩٣: ١٨٢ ح١٧.

لقبول الأعمال، لا بل عمَّت بركاته إلى أن تتضاعفت ثواب الأعمال فيه بحيث يقول النبي ﷺ «**ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله لـه براءة من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان لـه ثواب من أدَّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليَّ ثقَّل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان لـه مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور**»[1]. ويكفي عمل ليلة واحدة في شهر رمضان، وهي ليلة القدر، فإنَّها خير من ألف شهر، أي ثلاثة آلاف يوم من غيرها، ويضاعف الله لمن يشاء.

٤ــ «ودعاؤكم فيه مستجاب»: يستجيب الله دعاء الإنسان في هذا الشهر حتماً، فإما أن يجعله لـه في الدنيا، أو يدَّخره للآخرة، وهذه فرصة استثنائية، ينبغي للصائم أن يستغلَّها، ليلجأ إلى بارئه، ويبوح لـه بحوائجه وطلباته[2].

٥ــ الحصول على التَّقوى: إنَّ أهمَّ مايحصل عليه الصائم من الله في هذا الشهر هو التقوى، إذ أنَّ شهر رمضان ميقات العبد مع ربه ليصلح ما خرَّبته الأيام، ويعالج ما أفسدته الذنوب من روحه ونفسه وعقله، فيسترجع ما فقده من كمالاته، ويدنو من ربه، ويعود إلى خالقه، فيحصل على التقوى التي هي الغاية من الصيام في هذاالشهرفي قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ** ﴾[3] ولا تحصل هذه إلا إذا أذاق نفسه ألم الطاعة، كما التَّذت بوهم سعادة المعصية، فكان الصيام بالجوع والعطش، وبالعبادة والطاعة والذِّكر، يستعيد بذلك نشاطه الروحي، ويشعر بلذة المناجاة مع ربِّه.

---

(١) فقرات من الخطبة الشعبانية.

(٢) سنبحث موضوع الدُّعاء وشروطه وآدابه في الليلة القادمة.

(٣) البقرة: ١٨٣.

أهل البيت عليهم السلام وشهر رمضان

لقد ضرب لنا أهل البيت عليهم السلام أروع وأعظم أمثلة الاستفادة من شهر رمضان المبارك، فهذا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقبل بعثته المباركة كان لا يلتقي في شهر رمضان مع أحد، بل كان يستغرق في جمال الله وعظيم مناجاته، ولذيذ خلوته به في غار حراء، كل ذلك حتى لا ينشغل بسواه ولا يتكلم فيه مع غيره، وكذا كانت سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا يعتبرون شهر رمضان المبارك الوقت الاستثنائي للتقرب إلى الله تعالى حيث كانوا عليهم السلام يستقبلون هذا الشهر بأحسن إستقبال وكانوا يحثون أتباعهم على الاعتكاف فيه، وخصوصاً في العشر الأواخر منه، فهذا الإمام السجاد كان يستقبل هذا الشهر بدعائه المعروف عند دخول شهر رمضان المبارك،كما كان يوَّدع شهررمضان بدعائه المعروف ويبكي لفراقه، وحيث يستحب قراءَة دعاء الإمام السجاد ٨عند دخول شهر رمضان المبارك في الليلة الأولى من هذا الشهر الفضيل،نقتطف منه فقرات نختم به موضوع بحثنا.

***

الدعاء عند دخول شهر رمضان

... اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي حَبانا بِدينِهِ، وَاخْتَصَّنا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنا في سُبُلِ إِحْسانِهِ، لِنَسْلُكَها بِمَنِّهِ إِلى رِضْوانِهِ، حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنّا، وَيَرْضى بِهِ عَنّا، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ، شَهْرَ رَمَضانَ، شَهْرَ الصِّيامِ، وَشَهْرَ الاِْسْلامِ، وَشَهْرَ الطَّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمْحيصِ، وَشَهْرَ الْقِيامِ .... الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَبَيِّنات مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ.... ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَياليهِ عَلى لَيالي أَلْفِ شَهْر، وَسَمّاها لَيْلَةَ الْقَدْرِ .... نَزَّلُ

الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْر. . . . سَلامٌ دائِمُ الْبَرَكَةِ إِلى طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ بِما أَحْكَمَ مِنْ قَضائِهِ.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَلْهِمْنا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ، وَإِجْلالَ حُرْمَتِهِ، وَالتَّحَفُّظَ مِمّا حَظَرْتَ فيهِ، وَأَعِنّا عَلى صِيامِهِ بِكَفِّ الْجَوارِحِ عَنْ مَعاصيكَ، وَاسْتِعْمالِها فيهِ بِما يُرْضيكَ، . . . . . أَللّهُمَّ اشْحَنْهُ بِعِبادَتِنا إِيّاكَ، وَزَيِّنْ أَوْقاتَهُ بِطاعَتِنا لَكَ، وَأَعِنّا في نَهارِهِ عَلى صِيامِهِ، وَفي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلاةِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، . . .[1].

(١) الصحيفة السَّجادية:الدعاء رقم ٤٤.

الليلة الثانية

إدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]

ومما جاءَ في خطبته ﷺ: «**ودعاؤكم فيه مستجاب.... وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنَّها أفضل الساعات، ينظر الله عزَّ وجل فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه...**».

إنَّ الدعاء من أهمِّ الأعمال في شهر رمضان المبارك، حتى عُدَّ من أحد أسمائه، وما ذلك إلا لإهتمام الشارع المقدَّس بالدعاء في هذا الشهر العظيم، إذ أنَّ شهر رمضان موسم الدعاء، ووقت إثماره، ولهذا فلا بدَّ أن يتعرف المسلم الدَّاعي على حقيقته وشرائطه وموانع استجابته، كما لابدَّ وأن يتعرف على كيفية الطلب والدعاء وآدابه، ليكون دعاؤه عن علم ومعرفة.

---

(١) البقرة:١٨٦.

حقيقة الدعاء وفوائده

إنَّ الدعاء هو نداء العبد ربَّه، وإقباله عليه، وهو روح العبادة وجوهرها فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدُّعاء مخ العبادة**»[١]، والعبادة هي الغاية من الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، ولولا الدعاء فإنَّ الله تعالى لا يعبأ بالعباد،حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾[٣] وقد جعل الدعاء من أعظم ما يتقرب العبد به إلى ربه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**عليكم بالدعاء فإنَّكم لا تتقربون بمثله**»[٤].

والدعاء يطهِّر النفس من دَرَن الذنوب والآثام، ويدفع البلاء ويحلّ القضاء المبرم اي: الحتمي، وهو سلاح المؤمن عند الشدائد والمصائب، وبه شفاء المريض ونزول البركة، وسعة الأرزاق.

ولعلّ من أعظم فوائدالدعاء فهم وإدراك الكثير من المعارف الإسلامية على الصعيد العقائدي والأخلاقي والتربوي،ثمَّ توطيد العلاقة والارتباط مع الله وهو ما تحمله أدعية أهل البيت عليهم السلام من المعارف الإلهية صاغوها في قوالب الدعاء، ويكفي للإذعان بهذه الفائدة العظيمة قراءة أدعية الصحيفة السجادية.

***

شروط استجابة الدعاء

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٣٠٠.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) الفرقان: ٧٧.

(٤) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٣.

﴿دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[١]، تحدد هذه الآية المباركة شروطاً ثلاثة خاصة لاستجابة الدعاء:

أولاً ــ الإقبال بالدعاء والصدق في الطلب: وقد أكَّده بقوله ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي إذا دعا الله لا غيره، وإذا كانت نيته صادقة في الطَّلب من الله تعالى، ومن هنا قال: ﷺ: «**فاسألوا الله بنيات صادقة وقلوب طاهرة**».

ثانياً ــ الإستجابة لأمر الله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ فمن يستجيب لله فيما دعا إليه، استجاب له فيما دعاه، وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ فما بالنا ندعوا فلا نجاب؟ قال عليه السلام: «**لأن قلوبكم خانت بثمان خصال، أولها: أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه كما عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً...**»[٢].

ثالثاً ــ الإيمان بقدرة الله على إستجابة الدعاء:..﴿وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾.

وهناك شروط أخري ذكرتها الروايات: منها:لزوم معرفة الله وذلك من خلال أسمائه وصفاته ومخلوقاته، وقد سئل الصادق عليه السلام لماذا ندعو فلا يستجاب لنا؟! قال عليه السلام: **لأنَّكم تدعون من لا تعرفونه**»[٣].

ومنها: حضور القلب: فعن رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله دعاء قلب لاه»[٤]، وعنه ﷺ: «إعلموا أنَّ الله لا يقبل دعاء عن قلب غافل»[٥].

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٣٧٦.

(٣) بحار الأنوار ٩٣: ٣٦٨.

(٤) الكافي ٢: ٣٧٢.

(٥) بحار الأنوار ٧٣: ٣٢٩.

ومنها:طيب المكسب: فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**من أحبَّ أن يستجاب دعاؤه فليطيب مطعمه ومكسبه**»[١]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لرجل قال: أحب أن يستجاب دعائي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طهِّر مأكلك ولا تدخل بطنَك الحرام**»[٢].

***

موانع إستجابة الدعاء

هناك مجموعة من الموانع ينبغي للداعي إزالتها ليتحقق مطلوبهُ ويستجاب دعاؤه، ومن أهمِّ تلك العوامل الذنب فعن الإمام الباقر ٨: «إنَّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب، أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقضِ حاجته واحرمه إيّاها، فإنَّه تعرَّض لسخطي واستوجب الحرمان مني[٣].

وجاء في دعاء كميل: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء**».

***

دعاء برخ في حق بني إسرائيل

روي أنَّ بني إسرائيل كانوا قد قحطوا سبع سنين فخرج موسى يستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله تعالى إليه، كيف أستجيب لهم وقد أظلت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة، يدعونني على غير شيء، ويأمنون مكري، إرجع إلى عبد من عبادي يقال له (برخ) يخرج حتّى أستجيب له، فسأل

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٣٧٢.

(٢) عدة الداعي: ١٢٨.

(٣) بحار الأنوار ٧٣: ٣٢٩،ح ١١.

عنه موسى فلم يعرف له مسمى، وبينما موسى يمشي في طريق إذ بعبد أسود بين عينيه تراب من أثر السُّجود في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى بنور الله تعالى، فسلَّم عليه فقال: ما اسمك؟

قال: برخ.

قال: أنت طلبتنا منذ حين، اخرج واستسق لنا. فخرج وقال مخاطباً ربَّه: ما هذا من فعالك وما هذا من حلمك، وما الذي بدا لك، انقضت عليك عيونك، أم عاندت الرّياح عن طاعتك، أم نفد ما عندك، أم اشتدَّ غضبك على المذنبين، ألست كنت غفّاراً قبل خلقك الخاطئين، خلقت الرَّحمة وأمرت بالعطف، أفتكون لما أمرت من المخالفين، أم ترينا أنّك ممتنع، أم تخشى الفوت، وتعجل بالعقوبة؟ فما برح برخ حتّى خاضت بنو إسرائيل بالمطر، فلمّا رجع برخ استقبل موسى فقال: أرأيت حين خاصمت ربّي كيف أنصفني [1].

***

موانع استجابة الدعاء عند أمير البلغاء

قد جاء رجلٌ لأمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فما بالنا ندعو فلا نجاب؟ قال عليه السلام: **إنَّ قلوبكم خانت بثمان خصال:**

أولها: أنَّكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقَّه كما أوجب عليكم فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً.

والثانية: أنَّكم آمنتم برسوله ثمَّ خالفتم سنته، وأمتّم شريعته فأين ثمرة إيمانكم.

---

(١) من شواهد المبلغين: ٣١١، الشاهد رقم ٦٨.

والثالثة: أنَّكم قرأتم كتابه المنزل عليكم فلم تعملوا به، وقلتم سمعنا وأطعنا ثم خالفتم.

والرابعة: أنَّكم قلتم تخافون من النار، وأنتم في كل وقت تقدّمون إليها معاصيكم فأين خوفكم؟!

والخامسة: قلتم أنَّكم ترغبون في الجنة، وأنتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم منها فأين رغبتكم فيها؟!

والسادسة: أنَّكم أكلتم نعمة المولى ولم تشكروا عليها.

والسابعة: إنَّ الله أمركم بعداوة الشيطان وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، فعاديتموه بلا قول، ووليتموه بلا مخالفة.

والثامنة: أنَّكم جعلتم عيوب الناس نصب عيونكم، وعيوبكم وراء ظهوركم تلومون من أنتم أحق باللوم منه.

فأيّ دعاء يستجاب لكم مع هذا، وقد سددتم أبوابه وطرقه، فاتقوا الله وأصلحوا أعمالكم وأخلصوا سرائركم، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فيستجيب الله لكم دعاءكم.[1].

***

ملاحظات حول الدعاء

١ـ الدعاء لا يعوِّض عن العمل

فإذا كان بالإمكان تحقيق أمر من الأمور بالعمل، فلا يجوز الاكتفاء بالدعاء، ولابدَّ من حرث الأرض ونشر البذور وسقيها ثم بعد ذلك الدعاء،

(١) بحار الأنوار٩٣: ٣٧٦،ح١٧.

قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[١]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الدَّاعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»[٢]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا يستجاب لهم دعاء: رجل جالس في بيته يقول: يا ربِّ ارزقني، فيقول له: ألم آمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك؟ ورجل كان له مال فأفسده، فيقول: يا ربِّ ارزقني، فيقول له: ألم آمرك بالاقتصاد؟ ألم آمرك بالإصلاح؟ ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٣]، ورجل كان له مال فأدانه بغير بيّنة فيقول: «ألم آمرك بالشهادة»[٤].

٢ـ لا مصلحة في الإستجابة

قد تتوفَّر في نظرنا كل شروط الدعاء لكن استجابته ليست من مصلحتنا ولا من مصلحة الآخرين، لأننا لا نحيط بما يضرنا وما ينفعنا على الصعيد الفردي والاجتماعي، فقد نصرّ على تحقيق أمر، لو انكشفت لنا عواقبه ما طلبناه قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾[٦]. وما أجمل ما قيل: لو استجيب للعبد في كل ما سأل لخرج من حد العبودية، وإنما أمر بالدعاء ليكون عبداً، والله يفعل ما يشاء.

---

(١) النجم: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٣١٢.

(٣) الفرقان: ٦٧.

(٤) بحار الأنوار ٩٣: ٣٦٠.

(٥) البقرة: ٢١٦.

(٦) الإسراء: ١١.

٣ـ تناقض دعوتين

قد نطلب شيئاً ونسأل الله تحققه، ويتضرع آخر إلى الله طالباً عدم تحقيقه، فماذا يفعل الله تجاه هاتين الدعوتين المتناقضتين؟ لقد جاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام كان في بني إسرائيل رجل له ابنتان، فزوَّج إحداهما من رجل زراع، وزوج الأخرى من رجل فخار، ثم زارهما فبدأ بإمرأة الزراع فقال لها: كيف حالكم؟ فقالت: زرع زوجي زرعاً كثيراً، فإن أرسل الله السماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، ثم مضى إلى امرأة الفخار فقال لها: كيف حالكم، فقالت قد عمل زوجي فخاراً كثيراً، فإن أمسكت السماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: «اللهم أنت لهما، وكذلك نحن»[1]

٤ـ قد يستجاب الدعاء متأخراً

قد يستجاب الدعاءولكن تحققه في الواقع الخارجي يتأخر لمصلحة من المصالح، خلافاً لرغبتنا في الاستعجال، وقد يحدث هذا للأنبياء كما في قصة موسى وهارون إذ تضرعا إلى الله، وقال موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[2] فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المدة بين هذه الاستجابة وغرق فرعون أربعون عاماً!» وفي بعض الروايات أنَّ المدة تستغرق عشرين عاماً أو أكثر أو أقل[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **إنَّ العبد الولي لله يدعو الله عزَّ وجل في الأمر**

---

(١) روضة الكافي ١: ١٢١.

(٢) يونس: ٨٩.

(٣) راجع بحار الأنوار ٩٣: ٣٧٥.

ينوبه فيقول الله للملك الموكَّل به: اقض لعبدي حاجته، ولا تعجلها، فإني أشتهي أن أسمع نداءَه وصوته، وإنَّ العبد العدو لله ليدعو الله عزَّ وجل في الأمر ينوبه فيقول للملك الموكل به: اقض حاجته وعجِّلها فإني اكره أن أسمع نداءه وصوته، قال: «فيقول الناس: ما أعطي هذا إلا لكرامته، وما منع هذه إلا لهوانه»[1].

٥ـ مناقضة الدعاء للحكمة

ينبغي أن لا يكون دعاء الداعي مناقضاً لحكمة الله في خلقه، فلا يصلح أن يدعو لطلوع الشمس من المغرب، وما شاكل ذلك، فعن الإمام على ٨: إنَّ كرم الله سبحانه لا ينقض حكمته، فلذلك لا تقع الإجابة في كل دعوة[2].

***

مستحبات وآداب الدعاء

هناك آداب كثيرة للدعاء نذكر أهمّها:

١ـ مراعاة النظافة والطهارة واستقبال القبلة.

٢ـ حسن الظن بالله في الإجابة: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[3]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وإذا دعوت فاقبل بقلبك وظن حاجتك بالباب»[4].

٣ـ البسملة والتمجيد والصلاة على محمد وآله: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) الكافي ٤: ٢٤٦.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ١٦،ح ٩.

(٣) بحار الأنوار ٧٧: ١٧٥،ح ٨.

(٤) بحار الأنوار٩٣: ٣٠٥،ح ١.

لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم[١]، وعن الصادق عليه السلام: **إنَّ كل دعاء لا يكون قبله تمجيد فهو أبتر**[٢]، وقال الصادق عليه السلام: **لا يزال الدعاء محجوباً عن السماء حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد**[٣].

٤ـ رفع اليدين حين الدعاء والمسح بهما على الوجه في آخره: فعن الإمام الصادق عليه السلام: **ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبّار عزَّ وجلّ إلا استحيا الله عز اسمه أن يردَّها صفراً حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتى يمسح على رأسه ووجه»**[٤].

٥ـ إختيار الأوقات الشريفة والأماكن المقدسة: كيو م عرفة وشهر رمضان، وليلة القدر، وليلة النصف من شهري رجب وشعبان وليلة الجمعة ويومها ووقت السحر وغيرها من الليالي والايام، قيل: إنَّ يعقوب إنَّما قال ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾ ليدعو في وقت السحر، فقام وقت السحر يدعو وأولاده يؤمّنون خلفه.

ومن الأماكن المقدسة التي ينبغي اختيارها للدعاء المساجد والمراقد المشرفة فإنَّها أسرع للإجابة، بالأخص المساجد الأربعة مسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسجد السهلة ومسجد الكوفة، ومراقدالنبي والأئمة المعصومين عليهم السلام بالأخص مرقد الإمام الحسين عليه السلام. وهكذا سائر الأماكن كصحراءعرفات ومنى وغيرها...

---

(١) بحار الأنوار٩٣: ٣١٣،ح١٧.
(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٣١٧،ح ٢١.
(٣) بحار الأنوار ٩٣: ٣١٢،ح ٢٦.
(٤) الكافي ٢: ٣٤٢،ح٢.

٦ـ إغتنام الأحوال الشريفة للدعاء: هناك أوقات وحالات كثيرة مرجوة لإجابة الدعاء منها أنَّ أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة المكتوبة، والدعاء بين الأذان والإقامة، والدعاء حالة السجود لأنَّه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ودعاء الصائم، فإنَّه لا يُرد، لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ للصائم عند إفطاره دعوة لا تُرد**»[١].

٧ـ الخضوع والخشوع والتضرع والبكاء حالة الدعاء: العمدة في آداب الدعاء الإقبال بالقلب بالخشوع والانكسار والترقيق والتفكر والتدبر في الدعاء، فعلى الداعي أن يكون خاضعاً ومتضرعاً وخاشعاً وباكياً على حاله معترفاً بذنبه يدعو الله رغبةً في ثوابه، وطمعاً في جنته ورهبة من عذابه وخوفاًمن عقابه وناره، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، وكذلك قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢].

٨ـ الإلحاح في الدعاء وبث الحاجات بين يدي الله: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ الله يحب الملحين في الدعاء**»[٣] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ الله يحب السائل اللحوح**»[٤]. وعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله تعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكن يحب أن يبث إليه الحوائج، فإذا دعوت فسمِّ حاجاتك**»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٢٥٥.

(٢) الأعراف: ٥.

(٣) بحار الأنوار ٩٣: ٣٠٠.

(٤) بحار الأنوار ٩٣: ٣٧٤.

(٥) وسائل الشيعة ٤: ح٨٦٤٢.

٩ـ البدء بالدعاء للآخرين بالتعميم أو التخصيص: الدعاء لعموم المؤمنين الحاضرين والذين سبقونا بالإيمان يربطنا بالله تعالى، ويربطنا بالأمَّة المسلمة ممن آمن بالله تعالى في أعماق التاريخ وعلى وجه الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا دعا أحدكم فليعمِّم، فإنَّه أوجب للدعاء»**[١].

وهناك شواهد كثيرة من القرآن نذكر بعضها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]، وأجمل من ذلك كله أن في هذه الأدعية القرآنية ما يجب أن يرفعها كل مسلم إلى الله تعالى في كل يوم مرات عديدة في سورة الحمد بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فإنَّ جميع المسلمين يمثل الجميع في الدعاء، وهو من عجائب الدعاء في حساب الرياضيات.

وكما ورد التعميم في الدعاء كذلك ورد التخصيص في الدعاء للمؤمنين وتسميتهم بالدعاء بأسمائهم، وإنَّ هذا النوع من الدعاء يربط صاحب الدعاء بالله تعالى وبإخوانه ومعارفه وأرحامه فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قدَّم أربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له**»[٣]، وعن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمِّي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة، ساجدة، حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها أماه: لم لا تدعين لنفسك، كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بُني الجار ثمَّ الدار**[٤].

---

(١) ثواب الأعمال: ١٤٧.

(٢) البقرة: ٢٠١.

(٣) الكافي ٢: ٣٦٩،ح٥.

(٤) علل الشرائع: ٧١.

وينبغي للإنسان أن يخص الوالدين أحياءً وأمواتاً بدعائه كما أمر القرآن بذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[1]، وهو من مصاديق بر الوالدين وهو دعاء مستجاب في حقهما فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**كان أبي يقول: خمس دعوات لا يحجبن عن الرب تبارك وتعالى: دعوة الإمام المقسط، ودعوة المظلوم، ودعوة الولد الصالح لوالديه ودعوة الوالد الصالح لولده ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب**»[2].

١٠ـ الدعاء الجماعي: هناك أسلوب آخر للدعاء من أشهر أساليب الدعاء في القرآن والروايات والأدعية، وهو دعاء الجميع للجميع وطلب التأمين من المؤمنين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان أبي إذا حزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمّنوا**»[3]، وعنه عليه السلام: «**ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عزَّ وجل في أمر إلاّ استجاب الله لهم فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عزَّ وجل عشر مرات....**»[4].

١١ـ مداومة الدعاء في الشدة والرخاء: ينبغي للإنسان المسلم المؤمن بالدعاء أن يدعو الله في السراء والضراء والشدة والرخاء، لأنَّه لم يُسَّن الدعاء لمواقع الشدة والضنك كما يتبادر إلى أذهان الناس فلا يكون كالذين ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[5]،

(١) الإسراء: ٢٤.
(٢) وسائل الشيعة ٤: ح٨٨٩٥.
(٣) الكافي ٢: ٤٨٧،ح٣.
(٤) الكافي ٢: ٤٨٧،ح٣.
(٥) يونس: ١٢.

وهذا المعنى ورد أيضاً في آيات أخر من سورة يونس، والروم ولقمان، والروايات أيضاً تؤكد على استحباب الدعاء في الشدة والرخاء لأنَّ الدعاء كما قلنا هو عبادة، والإنسان دائماً يحتاج إلى التقرب إلى الله بالعبادة، فعن الإمام الصادق عليه السلام «**من سرَّه أن يُستجاب له في الشدة فليكثر الدعاء في الرخاء**»[1].

١٢ـ التوسل برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في الدعاء: إنَّ الله تعالى يدعونا أن نبتغي إليه الوسيلة بقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ** ﴾[3] وقد جعل الله تعالى هذه الوسائل لعباده الذين تعجز أعمالهم وأدعيتهم عن الصعود إليه رحمة بهم ولولا هذه الوسائل لم يتمكن الإنسان من أن يرفع دعاءه وتضرعه إلى الله ومن هذه الوسائل دعاء الرسول صلى الله عليه وآله واستغفاره لأمته في حياته صلى الله عليه وآله وبعد وفاته صلى الله عليه وآله، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيٌّ يرزق عند الله، يقول تعالى: ﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا** ﴾[4].

ومن خلال تفسير الوسيلة في الآيات التي مرَّت والنصوص من الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته يتَّضح لنا أنَّ من أهمِّ الوسائل التي عناها القرآن هو التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لمكانتهم عند الله وقربهم إليه فلا يخيب من توسل بهم، ونكتفي بحديث رواه داود البرقي حيث قال: «إني

(١) الكافي ٢: ٣٦٨.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٣) الإسراء: ٥٧.

(٤) النساء: ٦٤.

كنت أسمع أبا عبد الله عليه السلام أكثر ما يلح في الدعاء على الله بحق الخمسة، يعني رسول الله، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام »[1].

وذكر ابن حجر الهيثمي هذين البيتين من الشعر للإمام الشافعي:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي أرجو بهم أعطى غداً بيد اليمين صحيفتي[2]

***

أهل البيت عليهم السلام والدعاء

نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام قد أبدوا مزيداً من الاهتمام بالدعاء، وكانوا يقبلون بقلبهم وجوارحهم على الله، فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقدم على عمل أو غزوة أو سفر الا ويستقبله بدعاء، ولم يكن أنيسه في أحزانه غير الدعاء، وهكذا أئمة أهل البيت، فعلي ٨ كان يرتقب الليل وسدوله ليخلو بربه بالدعاء والمناجاة، ومن أشهر أدعيته دعاء كميل، وهذا حفيده الإمام علي بن الحسين قدترك لنا تراثاً غنياً وعظيماً في هذا المجال، تجلّت في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق تحتوي علي أمَّهات المعارف الاسلامية من المناهج التربوية والتثقيفية والطرق التعليمية، يمكن ان يستفيد منها جميع البشر علي مرِّ العصور.

وهذا ولده الإمام الحسين عليه السلام قد ورد عنه بعض الأدعية التي حفلت بالدروس التربوية الهادفة، وحوت أصول الأخلاق وقواعد السلوك

(١) وسائل الشيعة ٤: ١١٣٩،ح٨٨٤٤.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧١.

والآداب، كما ألَّمت بفلسفة التوحيد ومعالم الرسالة الإسلامية ومن بين تلك الادعية قد اشتهر دعاءه يوم عرفة الذي دعا به الامام٨ ربَّه في صحراء عرفات فهو السفر الخالد في عالم الروح، فإذا كانت ثورة الطف الخالدة تستهدف قلع الفساد الظاهر يأتي دعاؤه عليه السلام ليستهدف طغيان النفس، وبهذا شكَّل هذا الدعاء عند الإمام الحسين عليه السلام ممارسة لا تنفكّ عنه، فنجده لم يتركه حتى في أحرج ساعات واقعة الطف، فقد دعا بدعاء جده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد والأحزاب، وقد طلب من جيش عمر بن سعد أن يؤجل القتال الى صباح يوم العاشر من المحرم ليقضي ليلته بالصلاة والدعاء هو وأهل بيته وأصحابه، حتى كان يُسمع لهم دوي كدوي النحل، واستمر الإمام عليه السلام لا يفتر في الدعاء حتى الرمق الأخير الذي كان يقول فيه: «اللهم إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير وأبقى»[1]، ولا يخلو موقف من مواقفه في كربلاء إلاّ ويشخص بنظره إلى السماء، ويدعو الله ليدلل على حقيقة مهمة، وهي أنَّه كما أنَّ الإنسان لا يغفل لحظة عن سلاحه، لأنَّه يرى به بقاءه وحياته، كذلك ينبغي أن لا يغفل عن الدعاء ومناجاة الله تعالى، ونسب إليه الأبيات التالية في مناجات ربِّه في يوم عاشوراء:

إلهي تركت الخلق طُرَّاً في هواك ... وأيتمت العيال لكي أراك

فلو قطَّعتني بالحبِّ إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواك

(١) الإرشاد٢: ١٠٨، بحار الأنوار ٤٥: ٤٧،ب٣٧.

الليلة الثالثة

طهارة القلب وصدق النية[1]

قال تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

ومما جاءَ في خطبته ﷺ: «ودعائكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربَّكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه؛ فإنَّ الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم...».

***

انواع القلوب وحالاتها

لقد اهتمَّ العلماء قديماً وحديثاً بالقلب فهو موضع اهتمام الأنبياء والأوصياء والحكماء والأدباء وغيرهم، ولكن هل القلب الذي اهتمَّ به هؤلاء هو نفسه الذي اهتم به الأطباء؟، وبعبارة أخرى هل المضخة الدموية هي موطن الآمال والآلام والهدى والضلال والحب والبغض، والأمن والخوف، والفرح

(١) نركِّز الحديث في هذه الليلة حول القلب وسنبحث موضوع النية ودورها في العمل في الليلة الرابعة عشر إن شاءالله.

(٢) الشعراء: ٨٨،٨٩.

والحزن، والرقة والقوة إلى غير ذلك من الأحاسيس والمشاعر؟ أم لابدَّ لهذه الأحاسيس من موطن آخر، ولكي ندرك هذا المعنى لابدَّ من بيان خصائص تركيب الإنسان.

لقدخلق الله الإنسان من بعدين، مادي متألف من المادة الحيوانية اللحم والعظم والعروق والدماء وغير ذلك من الخصائص البدنية، وبعد معنوي، والجانب المعنوي في الإنسان يحتوي على قوى متعددة الكيفيات والوظائف وهي الروح والنفس والعقل والإرادة والضمير والقلب، فمن بين هذه القوى قوّتان تتنازعان دائماً في وجود الإنسان وهما العقل والنفس، فالعقل يريد أن يحكم الإنسان، وغرضه إيصاله إلى الطاعة والقرب الإلهي، والنفس تريد حكومة الإنسان لغرض جعله حيواناً همه علفه وفرجه، وأما سائر القوى فهي تنتظر الغالب، فالقوتان المتصارعتان وهما العقل والنفس، لكل منهما جند ذكرتها الروايات، ويطول المقام بذكرها، ونكتفي بتوضيح وتعريف تلك القوى المعنوية في داخل الإنسان حسب ماجاء في النصوص من الآيات والروايات:

***

العقل في الإنسان

العقل هو الذي تميّز الإنسان به عن سائر الحيوانات، ودور العقل في مملكة الإنسان هو الإدراك لما ينبغي فعله وما لا ينبغي فعله، وللخير والشر، وبهذا الجانب صار الإنسان موضعاً للاحترام والتقدير والإكرام، ومن هنا ورد عن الباقر عليه السلام قال: «**لمَّا خلق الله العقل استنطقه، ثمَّ قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبِر فأدبر، ثمَّ قال: وعزَّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو**

أحب إليَّ منك، ولا أكملتك إلاّ فيمن أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب[١].

وينشعب من قوة العقل الإرادة: وهي جهة الاختيار في الإنسان، فقد أذن الله تعالى للإنسان بأن جعله مريداً حرَّاً مختاراً يتصرف كيف ما بدا له، فلم يقهره على فعل، ولا أكرهه على ترك، وإنَّما أمره ونهاه فإذا أطاع فبمحض اختياره وإن انتهى فبكامل إرادته، ذلك أن الكمالات الّتي ينبغي أن يصل إليها قائمة على سلوكه طريق الحق باختياره، وهذا ما أكَّده القرآن بقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢].

وأيضاً ينشعب من قوة العقل الضمير: وهو جهة المحكمة الّتي أودعها الله تعالى في الإنسان، ليحاكم بين تصرفاته، فيوبخه على تقصيره، وكل فرد منا يسمع نداء الضمير ـ إذا كان حيَّاً ـ عندما يزاول الإنسان المعاصي، وقد يطلق عليه في بعض الأخبار «الواعظ»، كماورد: «من لم يكن له واعظاً من نفسه فلا تنفعه المواعظ»[٣].

***

الروح والنفس في الإنسان

النفس هي الّتي بها حياة الإنسان وقوامه، وهي النفخة الّتي جعلت الإنسان حيَّاً، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٤]

(١) الكافي ١: ١٠ح١.
(٢) الإنسان: ٣.
(٣) بحار الأنوار: ٧٠: ٧٠،ح١٧.
(٤) الحجر: ٢٩.

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[١] وهذه الروح والنفس هي مصدر الأحاسيس والمشاعر، ومركز الرغبات والملَّذات والمشتهيات والأهواء والحب والكُره.

وينشعب من قوةالنفسالقلب: وهو جهة التقلب والتَّغير والتلّون في روح الإنسان ونفسه، ولذلك يمكننا القول بأنَّ القلب هو موقع التأثر في الإنسان، حيث أن جميع المشاعر والأحاسيس المرتبطة بالعقل تظهر آثارها على القلب، ولأجل هذا التقلب والتغير وصفه القرآن تارة بالسليم، كما في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢]، وتارة بالقلب المريض، كما في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٣]، وثالثة بالقلب المقفل الفاقد للشعور والأحاسيس، كما في قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤]، إلى غير ذلك من التعابير.

ولقد جاء وصف التقلب والتغيرللقب في الروايات أيضاً كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**القلب على ثلاثة أنواع: قلب مشغول بالدنيا وقلب مشغول بالعقبى وقلب مشغول بالمولى: أمَّا القلب المشغول بالدنيا فله الشدة والبلاءوأمَّا القلب المشغول بالعقبى فله الدَّرجات العُلى وأمَّا القلب المشغول بالمولى فله الدنيا والعقبى والمولى**»[٥].

وقبل التطَّرق لمعرفة أنواع القلب وحالاته لابدَّ من معرفة معناه فنقول: إنَّ للقلب معنيين شائعين:

الأول: قطعة اللحم الصنوبرية الشكل، تلك المضخة الدموية الواقعة في

(١) الشمس: ٧.

(٢) الشعراء: ٨٩.

(٣) البقرة: ١٠.

(٤) محمد: ٢٤.

(٥) محاسبة النفس، لابن طاووس: ٣٥.

وسط يسار الصدر والتي هي الفؤاد كما أشار الى ذلك القرآن الكريم.

الثاني: الجوهرة الروحانية المتصلة والمتعلقة بهذا القلب ويقال لها: النفس والروح وهي العالمة وهي مورد التكليف الإلهي، أما كيفية تعلقها بالقلب الجسماني فهو أمر تحيَّر فيه الحكماء، ويتَّضح لنا من خلال الآيات والروايات وما ذكره الحكماء والمفسرون ومنهم العلامة الطباطبائي (ره) أنَّ المراد من القلب هو المعنى الثاني أي: الروح والنفس، وللنفس والقلب حالات نذكرها باختصار:

***

مراتب النفس ودرجاتها

إعتنى القرآن الكريم بأمر النفس كثيراً، وسلَّط في الكثير من الآيات الأضواء عليها، في بيان حالها، وتغيراتها، وما بيّنه من مراتبها وحالات استعدادها، وبالنظر إلى مجموع الآيات نجد أنَّ هناك أربعة مراتب لابدَّ وأن تمر بها كل نفس أراد صاحبها إصلاحها، وقد تقف على مرتبة محددة عندما يهمل الإصلاح، وهذه المراتب كالتالي:

المرتبة الأولى ــ النفس الملهمة: أوَّل ما خلق الله تعالى النفس، خلقها وجبلها على استعدادات وقابليات، فلا هي سائرة في طريق الهوى، ولا في طريق الهدى، غير أنَّها مستعدة لسلوك أحد الطريقين، وفقاً لما يسيّرها صاحبها، وفي هذا يقول تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾[1].

(١) الشمس: ٧ـ١٠.

المرتبة الثانية ــ النفس الأمَّارة: الدنيا فيها الفتن والأهواء ووساوس الشيطان وبوجود هذه المغريات النفس تميل إلى الفجور أكثر مما تميل إلى الهداية والتقوى، ولذا قال تعالى على لسان زليخا زوجة عزيز مصر: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[1]، وهنا دقّة بيان بالغ، إذ يؤكد المولى تبارك وتعالى على أن النفس من طبعها الميل إلى السوء وذلك بالإتيان بمؤكدات، وهي (إن) والجملة الاسمية (النفس لأمارة...) ولام التأكيد «لأمارة»، والإتيان بصيغة المبالغة (أمّارة).

المرتبة الثالثة ــ النفس اللوامة: هي المرتبة الّتي تبدأ فيها النفس في الميل إلى الحق، وتبدأ تلوم الإنسان على تقصيره ومعاصيه، وهذه المرتبة لا تحصل إلاّ بالمجاهدة وبتحكيم العقل على النفس، وقد امتدح القرآن الكريم هذه المرتبة وأقسم بها، مما يكشف عن جلالة قدرها وعظمة مكانتها، قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[2]، ومعنى (لا أقسم) أي: أقسم.

المرتبة الرابعة ــ النفس المطمئنة: وهي أعلى مراتب النفس وأشرفها وأنفسها، وبها يستكمل الإنسان مراحل المجاهدة، وبها تصبح النفس جوهرة ثمينة، تقبل الحق، وتتوجه إليه وتصبح خاضعة لأوامره وزواجره، ومعنى الاطمئنان: الهدوء والسكون، فبعد أن تكون النفس مضطربة في ميولها وتوجهاتها، وبعد أن ينتصر العقل عليها تهدأ وتسكن وتنقاد لأوامر العقل تمام الإنقياد، ولا تبقى تشكل ذلك الخطر الكبير على الإنسان، لأنَّها أصبحت أسيرة العقل، ولمّا يأسر العقل قوة من قوى الإنسان يجريها في مرضاة الله وطاعته،

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) القيامة: ١،٢.

وقد امتدح القرآن هذه النفس فقال: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

***

القلوب المريضة وعلاجها

كما أنَّ لبدن الإنسان سلامةً ومرضاً، فكذلك قلبه له سلامة ومرض وسلامة الجسم أن تكون تمام أجزائه صحيحة تؤدي دورها، ومرضه ذهاب عضو منه أو ذهاب خاصيته ونتيجة ذلك الألم وصعوبة الحياة، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**للجسم ستة أحوال الصحة والمرض والموت والحياة والنوم واليقظة، وكذلك الروح، فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضها شكها، وصحتها يقينها، ونومها غفلتها ويقظتها حفظها**»[2]، وعنه عليه السلام: «**ألا وإنَّ من البلاء الفاقة(الفقر) وأشدُّ من الفاقة مرض البدن واشدُّ من مرض البدن مرض القلب، ألا وإنَّ من النِّعم سعة الحال وصحة البدن وأفضل من صحة البدن تقوى القلب**»[3] أي: الطهارة من أنواع الأوساخ والذنوب، وعندما يكون القلب مطهراً من أنواع الذنوب فهو القلب السليم الذي أشار إليه القرآن الكريم: بقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4].

وعندما يكون القلب مملوءاً بالذنوب فهو القلب المريض الذي أشار

(١) الفجر: ٢٧-٣٠.

(٢) بحار الأنوار ١٤: ٣٩٨.

(٣) بحار الأنوار ٧: ٥١.

(٤) الشعراء: ٨٨،٨٩.

إليه القرآن المجيد بقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[١]، وعلاج جميع هذه الذنوب والأمراض النفسية بيد الأنبياء والأولياء ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طبيباً دوّاراً بطبه ليعالج هؤلاء المرضى كما وصفه الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأفضل نسخة كتبها لعلاج هؤلاء المرضى هو ذكر الموت وتلاوة القرآن فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها؟ قال: ذكر الموت وتلاوةالقرآن**»[٢]، وقال الإمام علي عليه السلام: «**إنَّ للقلوب إقبالاً وادباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض**»[٣].

***

مِن أجل إصلاح القلوب

يقول آية الله الملكي التبريزي[٤]: «كان لي شيخ جليل عارف قدّس الله تربته (يقصد آية الله الشيخ حسين قلي الهمداني) وما رأيتُ له نظيراً، سألته عن عمل مجرَّب يؤثر في إصلاح القلب وجلب المعارف الإلهيّة؟ فقال: ما رأيت عملاً مؤثراً في ذلك مثل المداومة على سجدة طويلة في كل يوم وليلة مرة واحدة، يقال فيها: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥]، ثم بالإضافة الى هذه السجدة والاذكار يداوم على قراءة سورة القدر في ليلة الجمعة وفي عصرها مائة مرّة».

(١) البقرة: ١٠.

(٢) شرح نهج البلاغة١٠: ١٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة١٩:٢١٩، غررالحكم:٦٦.

(٤) توفى سنة ١٣٤٣ هـ، وكان من أساتذة الإمام الخميني عليه السلام في الأخلاق.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

القلوب القاسية

إنَّ الأمراض القلبية المذكورة في القرآن والأحاديث كثيرة أعظمها قسوة القلب، إذ بالإضافة إلى كونه مرضاً بحد ذاته، كذلك تنتج عنه أمراض أخرى روحية وبدنية، ومعنى قسوة القلب: غلظ القلب وصلابته وعدم تأثّره بالمواعظ والعِبَر في مقابل رقّة القلب وخشيته وتأثّره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2].

وهناك أسباب عديدة تؤثر في قسوة القلب منها طول الأمل والحرص وكثرة الكلام والنوم، ولكن أهم هذه الأسباب على الإطلاق ارتكاب الذنوب، قال أمير المؤمنين عليه السلام «ما قست القلوب إلاَّ بكثرة الذنوب»[3] وقال عليه السلام: «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب»[4] ولقسوة القلوب آثار وخيمة فهي تسبب الحرمان من الدعاء ولذة العبادة والمناجاة، فعن الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله عزَّ وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب قاس**»[5]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ أبعد الناس من الله القاسي القلب**»[6].

---

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) الحديد: ١٦.

(٣) بحار الأنوار ٧٠: ٥٥.

(٤) بحار الأنوار ٧٣: ٤٤٢.

(٥) أصول الكافي٢: ٤٧٤، كتاب الدعاء.

(٦) مستدرك الوسائل: كتاب الجهاد ب ٧٣.

القلوب القاسية في كربلاء

ومن القلوب المريضة والقاسية تلك القلوب التي وقف أصحابها في يوم عاشورا بأرض كربلاء وحاربوا ابن بنت رسول الله ﷺ، ولو درسنا حياة هؤلاء، كعمر بن سعد وشَمِر وشبث بن ربعي، لوجدنا أنَّهم من كثرة ذنوبهم قست قلوبهم حتى وصلوا إلى درجة ما كانوا يفقهون ما يخاطبهم به الحسين عليه السلام مما فيه هدايتهم ونجاتهم، فيقف الحسين عليه السلام في يوم العاشر من المحرم، ويقول لهم: ((**ألست ابن بنت نبيكم؟ والله لا يوجد في شرق الأرض وغربها ابن بنت نبي غيري. . . . يا عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون إني أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. .**))، فنادوا يا حسين إنّا لا نفهم ما تقول.

نعم لم يفهموا ما يقول ما دام على قلوبهم أقفالها، حتى أقدموا على ارتكاب أفجع وأبشع جريمة عرفها التاريخ، وهي قتل ابن بنت رسول الله ﷺ لامام الحسين ٨وأهل بيته وأصحابه في كربلاء يوم العاشر من محرم الحرام سنة (٦١) للهجرة.

الليلة الرابعة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله، وعفَّ بطنه وفرجه، وكفَّ لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من هذا الشهر فقال جابر: يا رسول الله ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جابر ما أشد هذه الشروط»[2].

الصوم في المصطلح الإسلامي عبادة تعني الامتناع عن تناول المفطرات كالأكل والشرب وغيرهما من طلوع الفجر إلى الغروب بنية التقرب إلى الله تعالى؛ وقد أوجبه الله على المسلمين كما أوجبه على غيرهم من الأمم السابقة، فكان مورد اهتمام الأنبياء والأولياء، وهو من أركان الدين ودعائم الإسلام وجُنّة من النار، وباب عبادة الله، كما ورد في الأحاديث الشريفة المروية عن

(١) البقرة: ١٨٣

(٢) بحار الأنوار ٩٦: ٣٧١

النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار.

وقد فرض الله الصيام في أواخر السنة الثانية من الهجرة وقبيل شهر رمضان المبارك ونزلت الآيات تشرِّع الصوم على المسلمين جميعاً، ولكن خاطب الله المؤمنين لأنَّهم أولى بقبول هذا التشريع والحكم الجديد، ولأنّ العبادة لا تصح إلاّ منهم، كما ذكر أصحاب التَّفاسير.

وتكمن أهمية الصوم في أنَّ المولى جل وعلا قد نسبه لنفسه، كما ورد ذلك في حديث قدسي في قوله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي عليه»،[1] وقال العلماء إنَّما كان الصوم لله مع أن سائر العبادات له أيضاً لأنَّها عبادة سرية لا يعلمها إلاَّ الله فلا يمكن الرياء فيها ما لم يبح بها الصائم، إذ ليس فيه عمل يُشاهَد.

***

علة تشريع الصوم

من أهمِّ أسباب تشريع الصوم هو الحصول على التقوى،يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[2]، حيث أنَّ الصوم هو الطريق الأفضل والأسرع للحصول على التقوى، لأنَّ أساس تسلط الشيطان على الإنسان هوطغيان الشهوات الحيوانية والصائم الذي يكف نفسه عن الشهوات والمشتهيات المباحة كالأكل والشرب وغيرها طوال شهر رمضان فهو يتدرب على إتّقاء المحرمات واجتنابها، ومن أجاب الله وأطاعه في المباحات فهو في المحرمات والمعاصي أسمع وأطوع،

(١) الكافي٤: ٦٣، وسائل الشيعة١٠: ٤٠،ب١.

(٢) البقرة: ١٨٣

وبذلك تحصل له ملكة التقوى.

ومن أسباب وعلل تشريع الصوم هو تذكار الناس بأحوال ومواقف يوم القيامة، من الجوع والعطش، وغيره من الأحوال كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته الشريفة: «**واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه**»، وإذا تذكَّر الصائم يوم الظمأ الأكبر خاف الله واتَّقاه على فقره، يقول الإمام الرضا عليه السلام: «**إنَّما أمروا بالصوم لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدِّلوا على فقر الآخرة**»[1].

ومن أسباب الإجتماعية لتشريع الصوم هو تحسيس الأغنياء بما يعانيه الفقراء، وهو الذي أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**إنَّما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير**»[2]، وقد يمكن تحسيس الأغنياء بما يعانيه الفقراء عن طريق الكلام ولكنَّ الصوم يعطي هذه المسألة الاجتماعية المهمّة لوناً حسيَّاً، فالصائم يشعر بنفسه ألم الفقر والجوع، بل ويعيشه في جوارحه فيرقَّ قلبه على الضعيف ويؤدي إلى الفقير ما افترض الله له في أمواله، ويرحم الجائع المسكين.

ولاشك أنَّه لا يمكننا أن نعرف جميع علل تشريع الصوم، ولعل هناك عوامل وأسباباً لم تُبيّن لنا ولكن يمكننا أن نستلهم بعض العلل والأسباب الأخرى من خلال ذكر بعض فوائد الصوم وآثاره الدنيوية والأخروية، في الأمور التالية.

---

(١) علل الشرائع١: ٢٧٠، وعنه في بحارالأنوار٩٣: ٣٦٩، ب ٤٦.

(٢) علل الشرائع٢: ٣٧١،ب ١٠٨، وعنه في بحارالأنوار٩٣: ٣٧١، ب ٤٦.

فوائد الصوم وآثاره

أولاً ـ الفوائد الصحية للصوم

إنَّ أهمية الإمساك عن الطعام والشراب لفترة من الزمن في علاج أنواع الأمراض شائعة في الطب القديم والحديث، لأنَّ العامل في كثير من الأمراض الجسمية هو الإسراف في تناول الأطعمة المختلفة وامتلاء المعدة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء**»[١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**صوموا تصحوا**»[٢]، وبديهي أنَّ الصائم ينبغي له أن لا يكثر من الطعام عند الإفطار والسحور كي تتحقق الآثار الصحية لهذه العبادة المهمة.

والصوم يحرق الفضلات المتراكمة على شكل مواد دهنية وهي في الواقع عملية تطهير شاملة للبدن، إضافة إلى أنَّه استراحة مناسبة لجهاز الهضم وتنظيفه، وهذه الإستراحة ضرورية لهذا الجهاز المنهمك في العمل طوال السنة،حيث أنَّ كثرة الطعام والشَّراب يسبب التثقيل على الدماغ فيقلل من قدرة الفكر والحافظة، ولذا قال لقمان لابنه: «**يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة**»،[٣] والصوم بعكس ذلك فإنَّه يزيد في الفكر والحافظة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثلاث يذهبن البلغم ويزدن في الحفظ، السِّواك والصوم وقراءة القرآن**»[٤].

ثانياً ـ الفوائد المعنوية للصوم

الحصول على القرب الإلهي والوصول إلى التقوى هو من أهمِّ الفوائد

---

(١) علل الشرائع١: ٩٨، وفي بحارالأنوار٥٨: ٣٠٨، ب ٤٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١: ٥٩.

(٣) مجموعة ورَّام١: ١٠٢،باب تهذيب الأخلاق.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٢٩٢.

المعنوية للصوم وأسباب تشريعه كما مر بيان ذلك، فالصائم يحصل على صفاء القلب والطمأنينة والسكينة، فيورث الحكمة والله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[1]، وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله ربَّه في ليلة المعراج: «**يا ربِّ ما ميراث الصوم؟ فقال تعالى: يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم بيسر**»[2].

ومن الفوائد المعنوية للصوم تقوية الإرادة والصبر وهما مهمَّان في تحمل الكثير من المصائب والتَّغلب على المشاكل، ولذا فسر الصبرفي الآية بالصوم، فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**واستعينوا بالصبر والصلاة**» قال: «**الصبر هو الصوم**»[3]. ووصف الرسول الأكرم شهر رمضان المبارك بأنَّه «شهر الصبر».

ومن الفوائد المعنوية للصوم هو التمرين والممارسة على الاستيقاظ في السَّحر والإستفادة من بركاته والتوفيق لأداء صلاة الليل وقراءة القرآن والأدعية الواردة والمناجاة مع قاضي الحاجات سبحانه وتعالى.

وأخيراً من الفوائد المعنوية للصوم التذكير بالنعم الإلهية، فإنَّ الصوم يعتبر أروع مذكِّر للإنسان بما أنعم الله عليه من خيرات، وإنَّ حرمان الصائم عن الطعام اللذيذ وبقية المشتهيات يجعله يشعر بالنعم المادية أولاً، ومن ثم يشعر بنعم الله الكثيرة الأخرى غير المادية كنعمة الإيمان والإسلام والقرآن ومحبة أهل البيت وموالاتهم وغيرها من النعم.

---

(١) البقرة: ٢٦٩.

(٢) مستدرك الوسائل ١: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار ٩٦: ٢٥٤.

ثالثاً ـ الفوائد التربوية والاجتماعية للصوم

يُعلّم الصوم الانتظام والانضباط في الأمور، فإن الصائم الذي يمسك عن أشياء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طوال شهر رمضان يستطيع أن ينظِّم برامج حياته اليومية حسب ما يريد طوال السنة، وكذلك ومن فوائد الصوم، المواساة بين أفراد المجتمع، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**وإنَّما فرض الله الصيام ليستوي به الفقير والغني وذلك إنَّ الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير، وإنَّ الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله تعالى أن يسوي بين خلقه، وأن يذيق الغني مسَّ الجوع والألم، ليرقَّ على الضعيف ويرحم الجائع**»[1].

رابعاً ـ الفوائد الأخروية للصوم

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الصوم حجاب من عذاب الآخرة**»[2] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ للجنة باباً يدعى الرَّيان لايدخل منه إلا الصائمون**»[3]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**لمَّا أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر، يرى باطنه من ظاهره لضيائه ونوره وفيه قبَّتان من درٍّ وزبرجدٍ فقلت: يا جبرائيل لمَن هذا القصر؟ قال: «هو لمن أطاب الكلام، وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وتهجَّد بالليل والناس نيام**»[4] وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه**»[5].

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ٣.

(٢) مصباح الشريعة: ١٣٥.

(٣) بحار الأنوار ٨: ١٩٤،ب٢٣،عن معاني الأخبار: ٤٠٩.

(٤) بحار الأنوار ٩٦: ٣٦٧.

(٥) وسائل الشيعة ٧: ٢٩٠.

درجات الصوم والصائمين

إنَّ للصوم والصائمين ثلاث درجات:

١ــ صوم العموم من الناس: وهو كفُّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وهو الصوم الذي يصومه أكثر الناس باجتناب المفطرات ويتحقق الإفطار بفعل أحدها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ أيسر ما افترض الله على الصائم في صيامه ترك الطعام والشَّراب»[١].

٢ــ صوم الخصوص من الناس: وهو كفُّ السَّمع والبصر واللِّسان واليد والرِجل وسائر الجوارح عن الآثام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وفرجك ولسانك»[٢]، وخير شاهد لهذا النوع من الصوم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر بن عبد الله الذي مرّ ذكره.

٣ــ صوم الخواص من الناس: وهو صوم القلب عن الهمم الدَّنية، والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله والانقطاع إليه، وهذا من كمال الصوم وهو رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين، قال الإمام علي عليه السلام: «صيام القلب عن الفكر من الآثام أفضل من صيام البطن عن الطعام»[٣].

***

أنواع الصوم

الصوم الواجب: وهوصوم شهر رمضان المبارك، وصوم القضاء، وصوم الكفارة في قتل العمد والإفطار العمد، وكذلك في كفارة اليمين ثلاثة

(١) وسائل الشيعة ٧: ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ٩٦: ٢٩٥.

(٣) غرر الحكم ١: ٤٥٨.

أيام، وغيرها من الكفارات التي يجب فيها الصوم، وصوم الحاج الذي لا يجد الهدي وهو عشرة ايام ثلاثة في الحج وسبعة عند رجوعه، وصوم النَّذر والعهد واليمين والنيابة عن الميت، وصوم المعتكف الذي امضى يومين من اعتكافه فعليه أن يتم اليوم الثالث.

الصوم المحرّم: وهو يومي العيدين (الفطر والأضحي)، وصوم يوم آخر من شعبان بنية أنّه من شهر رمضان، وصوم أيّام التشريق بمنى وصوم الوفاء بنذر المعصية، وصوم السكوت، وصوم يوم العاشر من محرم الحرام بعنوان التبرك، وكذلك يحرم صوم الوِصال بأن يصل يوم الصوم باليوم الآخر من دون إفطار وبنية واحدة.

الصوم المكروه: وهو صوم الضيف نافلة من دون إذن مضيِّفه، وكذا مع نهيه، وصوم الولد من دون إذن والده، والأولي ترك صوم يوم عرفة لمن يضعِّفه الصوم عن الدعاء.

وتفصيل احكام الصوم مذكورة في الرسائل العملية فليراجع.

***

صوم المستحب وعلة تشريعه

للعبادة المستحبة على العموم وللصلاة والصوم المستحب بالخصوص التأثير الإيجابي على روح الإنسان أفضل من العبادات الواجبة، لأنَّ في العبادات الواجبة يحسُّ الإنسان بالجبر والتكليف، وعليه أن يؤدِّي هذا التكليف تجاه معبوده كرهاً أو رغبة، أمَّا العبادة المستحبة فيأتي بها الإنسان عن الحب والرغبة والعشق.

والصوم المستحب طوال السنة كثير، وآكده شهري رجب وشعبان وصوم الأيام الأربعة التي خصَّت بالصيام بين أيَّام السنة، وهي السابع عشر من ربيع الأول ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وآله والسابع والعشرون من رجب ذكرى المبعث النبوي الشريف، والخامس والعشرين من ذي القعدة، يوم دحو الأرض من تحت الكعبة، وصوم يوم الغدير، وهو الثامن عشر من ذي الحجة، وبعد هذه الأيام الأربعة يتأكَّد إستحباب صوم ثلاثة أيَّام من كل شهر ويعادل صوم الدهر، وأفضل كيفياته هو أن يصوم أول خميس من الشهر وآخر خميس منه وأول أربعاء في العشر الوسطى، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**صيام شهر الصبر «رمضان» وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن ببلابل الصدر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر إن الله عز وجل يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾**»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لأصحابه: «أيُّكم يصوم الدهر؟» فقال سلمان: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فأيّكم يحيي الليل؟» قال سلمان: أنا يا رسول الله، فقال عليه السلام: «فأيّكم يختم القرآن في كل يوم»؟ فقال سلمان: أنا يا رسول الله، فغضب بعض أصحابه فقال: يا رسول الله إنَّ سلمان رجل من الفرس يريد أن يفخر علينا معاشر قريش، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «مه يا فلان أنَّى لك بمثل لقمان الحكيم، سله فإنَّه ينبئك»، فقال الرجل لسلمان: يا أبا عبد الله أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟ فقال: نعم، فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل! فقال: ليس حيث تذهب إني أصوم الثلاثة أشهر وقال الله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، وأصِل شهر شعبان بشهر رمضان فذلك

(١) بحار الأنوار ٩٤: ٩٤، ب ٥٩، وسائل الشيعة ١٠: ٤٢٤، ب٧.

صوم الدهر، فقال: أليس زعمت أنك تحيي الليل؟ فقال: نعم، فقال أنت أكثر ليلتك نائم، فقال: ليس حيث تذهب، ولكن سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «**مَن بات على طهر فكأنما أحيا الليل كله**» فأنا أبيت على طهر، فقال: أليس زعمت أنَّك تختم القرآن في كل يوم؟ قال نعم،قال فإنَّك أكثر أيامك صامت، فقال: ليس حيث تذهب ولكني سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول لعلي: «**يا أبا الحسن مثلك في أمتي مثل قل هو الله أحد فمن قرأها مرة قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، فمن أحبَّك بلسانه فقد كمل له ثلث الإيمان ومن أحبَّك بلسانه وقلبه كمل له ثلثا الإيمان، ومن أحبَّك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد استكمل الإيمان، والذي بعثني بالحق يا علي لو أحبَّك أهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذب أحداً بالنار، وأنا أقرأ قل هو الله أحد في كل يوم ثلاث مرات فقام الرجل وكأنه قد ألقم حجراً**»[1].

***

أهل البيت عليهم السلام والصيام

وينبغي أن نذكر هنا بالمناسبة ما جرى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأهل بيته عليهم السلام مع المسكين واليتيم والأسير في لياليهم الثلاث وهم صائمون، حتى نزلت فيهم سورة «هل أتى» تصفهم في قمة الإيثار والتقوى والمقام الرفيع، وتصفهم بالأبرار المبشَّرين بالجنة والموعودين بنعيمها، من الحرير والسندس والإستبرق والعين التي تسمى سلسبيلاً، والشراب الطهور وغيرها من نعم الجنة.

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٣١٧،ح ٢.

روى صاحب الكشاف «الزمخشرى» في تفسير قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]، عن ابن عباس (رض): أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما؛ إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما عندهم شيء، فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد ﷺ، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا ولم يذوقوا إلاّ الماء، وأصبحوا صياماً، فلمَّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في اليوم الثالث ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين عليهما السلام وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع: قال ﷺ «**ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم**»، **وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبرئيل، وقال: «خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة»**[2].

(١) الإنسان: ٧-٩.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ٤٠٢و ٦٢٤.

الليلة الخامسة

ربيع القرآن شهر رمضان

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1]

وممّا جاء في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور...**»، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان**»[2].

القرآن العزيز، هو كلام الله العظيم والمنزل على نبيه الكريم ومعجزته الخالدة إلى قيام يوم الدين، وهو الثقل الأكبر والحبل الإلهي الممدود من السماء إلى الأرض الذي ينجو من تمسك به، ويضلّ ويهلك من يزيغ عنه، وعظمة القرآن ليست إلاَّ مظهراً من عظمة الله تبارك وتعالى، والأشياء إنَّما تكتسب العظمة الحقيقية عندما تقترن بالقرآن، فشهر رمضان صار شهراً عظيماً لنزول القرآن فيه، فلذا إذا أردنا أن نعرف القرآن وعظمته فالأفضل أن نوكل بيان ذلك إلى القرآن نفسه وإلى من خوطب به القرآن ونزل عليه وهو الرَّسول

(١) البقرة: ١٨٥

(٢) بحار الأنوار ٩٢: ٢١٣

الأعظم ﷺ وإلى أهل بيته الكرام، نظراء القرآن وقرناءه في الفضل، والأدلاء عليه والعاملون به، فإنَّهم أعرف الناس بفضله ومنزلته، وسموقدره، وهم شركاؤه في الهداية كما صرَّح بذلك جدهم المصطفى ﷺ في حديثه الثقلين المعروف.

***

القرآن في القرآن

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

فقد خاض القرآن الكريم في فنون العلوم والمعارف من تاريخ البشر والأديان السماوية وقصص الأنبياء والعلوم الاجتماعية والسياسية والفلسفية والعقائدية والأخلاقية والعرفانية وأخبار الغيب، ولم يعثر على تناقض فيه واختلاف ولا وهن اضطراب ولا سقوط حجة ولا فساد مضمون ولا سخافة بيان، وها هو بارز في جميع هذه العلوم والمعارف لكل من يريد الهدى والتعلم، فهل يمكن في العادة أن يكون كل هذا من بشر؟! ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[3].

بينما نرى العهدين اللذين يفخر بهما الرهبان والأحبار وينسبونهما إلى كرامة الوحي، فكم وكم يوجد فيها من الوهن والإختلاف والتناقض، وكم

(١) الحشر: ٢١.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) النساء: ٨٢.

وقع الإختلاف والتناقض بين العهد الجديد وبين العهد القديم، كل هذا بسبب التحريف من قبل علماء هذه الأديان أو أصحاب المصالح الدنيوية.

***

لا تحريف في القرآن

إنَّ القرآن المضمون حفظه من قبل الرحمن، هو مصون من التحريف إلى آخر الزمان، وإنَّ الله هو خير حافظ لكتابه العزيز حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، ويقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

وأمَّا ما ينسب إلى بعض علماء المسلمين من القول بالتحريف بالزيادة أو النقصان أو النسخ في تلاوة القرآن فلا عبرة فيه، فإنَّ هذه الأقوال ضعيفة والروايات المعتمد عليها في هذا الباب مطعون بها غير مقبولة فيجب ردّها أو تأويلها كما صرح بذلك الكثير من علماء المسلمين، فالقرآن محفوظ من أيِّ زيادة ونقصان بحفظ الملك الدِّيان، كما دل عليه صريح القرآن وكثير من الأخبار وإجماع علماء الإسلام في كل زمان، ولولا ذلك لما صحَّ لرسول الإسلام أن يدعو للتمسك بالكتاب وبأهل بيته قرناء القرآن في حديث الثقلين المعروف.

واعتقاد الشيعة الإمامية بوجود مصحف أمير المؤمنين عليه السلام ووجود مصحف فاطمة الزهراء عليها السلام اللذين سيظهرهما صاحب الأمر والزمان # ليس معناهما الاعتقاد بالتحريف، بعد تصريح علماء الإمامية على سلامة

(١) الحجر: ٩.

(٢) فصلت: ٤١،٤٢.

القرآن، فمصحف أمير المؤمنين عليه السلام نفس القرآن الموجود إلا أنَّه فيه تفسير وتأويل وبيان من الإمام أمير البيان، ومصحف فاطمة الزهراء عليها السلام ليس بقرآن وإنَّما هو كتاب يشتمل على ما كان وما يكون من وقائع وأحداث وأسرار تلقتها الزهراء عليها السلام من الملك الذي كان يأتيها بعد وفاة أبيها ليؤنس وحشتها، وانتقل هذا الكتاب بعد رحيلها إلى أبنائها عليهم السلام كما صرح بذلك حفيدها الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «**إن عندي مصحف فاطمة ما أزعم أنَّ قرآناً، وفيه ما يحتاجه الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد**»[1].

***

القرآن المعجزة الخالدة

المعجزة هي التي يأتي بها مدعي النبوة بعناية الله الخاصة، خارقةً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعليم، لتكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة، وتختلف بسبب اختلاف الناس في أطوارهم ومعارفهم ومألوفاتهم، ففي عصر النبي موسى ٨ كان من الرائج بين المصريين السِّحر، ولأجل ذلك اقتضت الحكمة أن يحتج عليهم بمعجزة العصا التي ألقاها موسى عليه السلام أمام أعينهم فصارت ثعباناً تلقف ما يأفكون ويسحرون به الناس، ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالها الأول ولم يبق لسحرهم أثر، فإنَّهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن أمر العصا خارج عن صناعة السحر، وعن حدود القدرة البشرية، ولذا آمَن السحرة.

وكانت فلسطين وسوريا في عصر المسيح مستعمرة للرومان، فكان

(١) أصول الكافي ٢: ٢٤، كتاب فضل القرآن.

للطب فيها رواج ظاهر، فلأجل ذلك كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص والأكمه، مما يعرفون أنه خارج عن حدود الطب وقدرة البشر، ومن مخارق العادة التي لا تكون إلا بقدرة الله تعالى.

وأما العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام فقد كانت معارفهم نوعاً ما منحصر بالأدب العربي وبلاغة الكلام التي تقدموا فيها تقدماً باهراً، ولذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة لرسالة خاتم النبيين وصفوة المرسلين ﷺ فكان حجة عليهم بإعجازه مضافاً إلى أنَّه قد امتاز على غيره من المعجزات بأنَّه باق مدى السنين.

***

نزول القرآن في شهر رمضان

شهر رمضان ليس شهر نزول القرآن فحسب، بل هو شهر نزول الكتب المقدسة أجمع كما دلت عليه الروايات ففي الليلة السادسة منه نزلت التوراة على النبي موسى عليه السلام، وفي الليلة الثاني عشر منه نزل الإنجيل على النبي عيسى عليه السلام وهكذا نزلت بقية الكتب السماوية طوال شهر رمضان، وفي ليلة القدر نزل القرآن الكريم كله جملة ودفعة واحدة على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى الأمين ﷺ، وبهذا النوع من النزول صرحت الآيات التالية: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[3].

(١) القدر: ١.

(٢) الدخان: ٣.

(٣) البقرة: ١٨٥.

وللقرآن نزولٌ آخر تدريجي طوال ثلاث وعشرين سنة من بداية البعثة بنزول سورة العلق في غار حراء في مكة المكرَّمة حتى نزول آخر سورة من القرآن وهي سورة النصر، وهذا النوع من النزول الَّذي عبَّر عنه القرآن بالتنزيل وصرَّحت به الآيات التالية: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[1] قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾[2].

***

وظيفتنا تجاه القرآن الكريم

إنَّ واجبنا ووظيفتنا كمسلمين، في جميع العصور والأزمان، تجاه القرآن حسب ما يستفاد من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام كما يلي:

١ـ تعلم وتعليم القرآن (قراءة،ترتيلاً، وحفظاً).

٢ـ تلاوة القرآن الكريم والتدبر في آياته.

٣ـ التفقه في القرآن والعمل بأحكامه.

أولاً: تعلّم القرآن وتعليمه (القراءة، الترتيل، الحفظ)

إنَّ لطلب العلم وبالأخص العلوم الإلهية ومنها علوم القرآن خاصَّة في الإسلام، ولطلاب تلك العلوم درجة رفيعة تساوي درجة الشهداء، بل هي أفضل كما ورد في الحديث الشريف: «إذا كان يوم القيامة وزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجَّح مداد العلماء على دماء الشهداء»[3].

---

(١) الإسراء: ١٠٦.

(٢) الإنسان: ٢٣.

(٣) بحار الأنوار ٢: ١٦،ح ٣٥.

ثم إنَّ من أهمِّ تلك العلوم التي يجب على كل مسلم أن يتعلمها ويعلمها غيره هي العلوم القرآنية من القراءة والترتيل والتفسير، لأنَّها أشرف العلوم وأفضلها وأكملها وأنفعها للمسلمين، ولذا جاءت الروايات لتؤكّد هذا المعنى وتحثّ المسلمين على ضرورة تعلم القرآن وتعليمه للآخرين قراءة وترتيلاً وحفظاً، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خياركم من تعلم القرآن وعلمه**»[١] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من علَّم ولده القرآن فكأنَّما حجَّ بيت الله عشرة آلاف حجة واعتمر عشرة آلاف عمرة وأعتق عشرة آلاف رقبة من ولد إسماعيل**»[٢]، وعن الإمام علي عليه السلام قال: «**ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعلمه**»[٣].

ثانياً: تلاوة القرآن والتدبر في آياته

تلاوة القرآن مستحبة مؤكدة في حدِّ ذاتها في كل أوقات السنة، ولكن في شهر نزول القرآن يزداد هذا الإستحباب بحيث يصبح تلاوة آية منه تعدل أجر من ختم القرآن كله في غير شهر رمضان، وهذا الأمر يحثّنا على أن نتعرف على فضل تلاوة القرآن في كل زمان بالأخص في شهر رمضان.

وهناك آيات عديدة وأخبار كثيرة في فضل قراءة القرآن وتلاوته وآثارها المعنوية والروحية وفوائدها الدنيوية والأخروية، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل العبادة قراءة القرآن**»[٤] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**، قيل: فما جلاؤها قال صلى الله عليه وآله وسلم: **ذكر الموت وتلاوة القرآن**»[٥]، وعن أمير

(١) بحار الأنوار ٩٢: ١٨٦،ح ٢.
(٢) بحار الأنوار ٩٢: ١٨٨،ح١٢.
(٣) أصول الكافي ٢: ٦٠٧.
(٤) أصول الكافي ٢: ٥٩٨،كتاب فضل القرآن.
(٥) كنز العمال ١: ٥٤٥.

المؤمنين عليه السلام في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية قال: «**وعليك بتلاوة القرآن والعمل به ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتَّهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك، فإنَّه عهد من الله تعالى إلى خلقه، وواجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية، ودرجات الجنة على قدر آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وأرق، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه**»[1]، وعنه عليه السلام: «**البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض**»[2].

***

الآداب الظاهرية لتلاوة القرآن

إنَّ رعاية الطهارة والوضوء من قبل قارىء القرآن من الآداب المهمَّة للتلاوة، بل تجب إذا كانت تستلزم مسّ القران الكريم حيث يقول تعالى: ﴿ **لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ** ﴾[3].

واستقبال القبلة والطمأنينة والسِّواك والطيب وارتداءالملابس النظيفة والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة؛ والختم بصدق الله العلي العظيم، وتلاوة القرآن في المصحف بصوت حَسَن، وترتيله[4] من المستحبات المؤكدة التي تدلّ علي احترام القران وتعظيم شانه من قبل القارىء الكريم.

***

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٨٣.

(٢) أصول الكافي ٢: ٦١٠.

(٣) الواقعة: ٧٩.

(٤) الترتيل هو حفظ الوقوف وبيان الحروف.

بشر الحافي والقرآن

وينقل صاحب روضات الجنات أنَّ بشر الحافي الزاهد المعروف أصاب في الطريق ـ قبل توبته ـ قطعة كان مكتوباً فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) وقد وطأتها الأقدام، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه قارورة طيب غالية، فطيّب بها الورقة، وجعلها في شقّ حائط فرآى في النوم كأنَّ قائلاً يقول له: يا بشر طيّبت اسمي فلأ طيّبنِ اسمك في الدنيا والآخرة، فلمّا أصبح تاب[1].

***

الآداب الباطنية لتلاوة القرآن

الف ـ الخضوع والخشوع والحزن عند القراءة: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم يكتسِ حزناً ووجلاً في سره فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى**»[2].

ب ـ التدَّبر في معاني القرآن والتأثر به: قال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾[3] وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبُّر فيها**»[4]، وإذا لم يتمكن القارئ من التدبر إلا بالترديد فليردد قراءة الآيات، وإن كان هذا لا يفتى بجوازه بعض الفقهاء في صلوات الفريضة، ففي إحياء علوم الدين[5] عن أبي ذر «رض» قال: «قام بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام ليلة بآية يرددها: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ**

(١) شرح نهج البلاغة١٩: ٣٤٧، مجموعة ورَّام١: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٨٥: ٤٣،ح٣٠.

(٣) محمد: ٢٤.

(٤) تحف العقول: ١٤٤.

(٥) إحياء علوم الدين ١: ٣٤٩.

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

ومن الآداب الباطنية لتلاوة القرآن أن يتأثَّر القارئ للقرآن بآثار مختلفة بحسب إختلاف الآيات، فعند وصف النار والوعيد بها وتقييد المغفرة بالشروط يحزن ويخاف كأنَّه يكاد يموت وعند وصف الجنة والوعد بها، يستبشر كأنَّه يطير من الفرح، كما جاء في خطبة همام لأمير المؤمنين عليه السلام التي يصف بها المتقين، بقوله: «**وأمَّا الليل فصافُّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن، يُرتِّلونها ترتيلاً يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرُّوا بآية فيها تشويق ركَنوا إليها طمعاً وتطلَّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنُّوا أنَّها نصب أعينهم، وإذا مرُّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أصول أذانهم...**»[٢].

إذن لابدَّ لقارئ القرآن أن يستجلب هذه الأحوال إلى القلب، بتلاوة القرآن حق تلاوته بأن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظّ العقل التدبر وتفسير المعاني وحفظ القلب الاتعاظ والتأثر، فاللسان واعظ والعقل مترجم ومفسر والقلب متعظ.

ثالثاً: التفقه في القرآن والعمل بأحكامه

ينبغي التفقه في آيات القرآن والتَّعرف على أحكامه من خلال مراجعة كتب التفاسير، لأنَّ القرآن أصل إيمان المسلم ومنبع دينه وأساس فكره وعقيدته وأخلاقه وأحكام شريعته وعلاقاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإنَّه مقياس ومعيار لكل شيء، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**تعلموا القرآن فإنَّه**

(١) المائدة: ١١٨.

(٢) نهج البلاغة: من خطبة المتقين.

أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستعينوا بنوره فإنَّه شفاء الصدور»[١].

ثم بعد التفقه في القرآن يجب العمل به، لأنَّ القرآن إنَّما نزل لكي يتدبر في آياته ويعمل بأحكامه، وقد أكَّد الإمام علي عليه السلام بذلك في وصيته بقوله: «**... الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم...**»[٢]، ولم يقل الإمام لا يسبقكم بتلاوته أو حفظه غيركم، بل أكَّد على العمل، فإنَّ الهدف الحقيقي من نزول القرآن ليس التلاوة والقراءة والحفظ فحسب، بل العمل بمنهجه، والسير على نوره، ومن هنا نجد سيرة أهل البيت عليهم السلام هي الترجمة الحقيقية، والتفسير العملي والسليم للقرآن الكريم.

***

القرآن وأهل البيت عليهم السلام

لقد وردعن النبي وأهل بيته عليهم السلام في بيان عظمة القرآن الأحاديث العديدة نكتفي بذكر بعضها،فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**»[٣]، وروى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم...**»[٤]، وروى الإمام الصادق عليه السلام عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلِم فعليكم بالقرآن، فإنَّه شافع مشفع، وما**

(١) نهج البلاغة خطبة: ١١٠.
(٢) بحار الأنوار ٩٢: ١٨٥.
(٣) بحار الأنوار ٩٢: ١٩.
(٤) بحار الأنوار ٨٩: ٢٤.

حلَّ مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل الذي يدّل على خير سبيل»[١].

ولذا نرى بأنَّه ما من سلوك سلكه أهل بيت عليهم السلام إلاّ وأصله وبيانه في القرآن لأنَّهم عدل القرآن ونظرائه، ولهذا فيمكننا أن نقرأ تفسير كل آية من آيات الله عبر أقوالهم وأخلاقهم وسلوكهم.

ومن بين هؤلاء الأئمة العظام الإمام الحسين عليه السلام فلقد كان القرآن مخالطاً روحه كما خالط دم عروقه، فلا تجد حركة من حركاته إلاّ ويقدمها بآية من كتاب الله، وخصوصاً عند خروجه من المدينة لإعلان ثورته المباركة على الطاغية يزيد بن معاوية، فلما خرج من المدينة بعدما حيكت المؤامرات لقتله غيلة قال مستشهداً لخروجه بقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، كما أنَّه كان كثيراً ما يتلو آيات القرآن في ليلة عاشوراء، بل حتى بعد قطع رأسه الشريف، وحمله على رأس رمح طويل كان يردد الرأس المبارك في طريقه إلى الشام: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[٢]، فخرج زيد بن ارقم من روشنه وسمع ما تلاه فصاح يابن رسول الله رأسك والله أعجب وأعجب[٣].

(١) أصول الكافي ٢: ٥٩٨،كتاب فضل القرآن.

(٢) الكهف:٩.

(٣) الإرشاد: ١.

الليلة السادسة

الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وخطب الإمام الرضا عليه السلام بعد بيعته لولاية العهد فقال: «**إيَّها النَّاس إنَّ لنا حقَّاً برسول الله ولكم علينا حقَّاً به، فإذا أدَّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحقَّ لكم**»[2].

كانت البيعة للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد من قبل المأمون العباسى وأعوانه وسائر الناس، في اليوم السادس من شهر رمضان المبارك؛ سنة مئتين وواحد للهجرة النبوية «٢٠١ هـ»[3]، وبمناسبة هذه الذكرى الخالدة والحادثة

(١) الفتح: ١٠.

(٢) راجع مقاتل الطَّالبيين:٣٧٦، وعنه في الإرشاد:٤٥٧.

(٣) جاء ذلك في رواية الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام وذكره الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان وقال: ذكر السيد ابن طاووس أنه يستحب أن يصلى في هذا اليوم، ركعتان يقرأ في كل ركعة بعد الحمد سورة

المهمة التي وقعت في شهر رمضان المبارك ندرس باختصار حياة وشخصية الإمام عليه السلام ومسألة ولاية العهد واهدافها ودوافعها السياسية ونتائجها العملية[١].

***

قبس من شخصية الإمام الرضا عليه السلام

الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام[٢] ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولد في المدينة المنورة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة «١٤٨ هـ» على القول المشهور، وقيل سنة ١٥٣ هـ[٣] وأبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وأمه خيزران وقيل نجمة وتكنّى بأم البنين وقيل غير ذلك، استشهد بطوس متأثراً بسّم المأمون في نهاية صفر سنه «٢٠٣ هـ»، على المشهور، فكان عمره الشريف خمساً وخمسين سنه، قضى أكثر عمره في مدينة جده، إلى أن استدعاهُ المأمون سنة «٢٠٠ هـ» إلى خراسان، ليكون ولياً للعهد وخليفة من بعده، فعاش فيها ثلاث سنوات من عمره الشريف، إلى أن توفى ودفن فيها، وقيل لم يترك الإمام عليه السلام إلا ولداً واحداً هو الإمام الجواد عليه السلام، وعاش الإمام الرضا عليه السلام مع أبيه نحو ثلاثين عاماً أو تزيد، شاهد فيها أنواع المحن والبلايا

الاخلاص خمساً وعشرين مرة.

(١) ولمزيد الاطلاع على شخصية الإمام عليه السلام عليك بمراجعة كتاب لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام (للمؤلّف)، أو كتاب مزارات أهل البيت في إيران(للمؤلف أيضاً).

(٢) ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في وجه تسميته بهذا اللقب انه: «رضى به المخالف من أعدائه كما رضى به الموافقون من اوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من ابائه عليهم السلام فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام (عيون أخبار الرضا ١: ١٣)ويقال انّ المأمون هو الذي لقبّ الإمام بهذا اللقب.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨، ب٣، وراجع الحياة السياسية الإمام الرضا: عليه السلام ١٤٠.

التي أحاطت بأبيه الإمام موسى بن جعفر، من قبل الخلفاء العباسيين الثلاثة، المهدي والهادي، ثم هارون الرشيد الذي كان قد اعتقل الإمام عليه السلام، وضيق عليه في ظلمات سجونه المرعبة، مدة أربعة أعوام، أو أكثر من ذلك، إلى أن دسَّ إليه السَّم السندي بن شاهك بأمر من هارون، وقضى الإمام شهيداً.

وأقام الإمام الرضا عليه السلام بعد ابيه في امامة المسلمين عشرين سنة، قال الشيخ المفيد: كان الإمام بعد موسى بن جعفر: ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام لفضله على جماعة إخوته وأهل بيته وظهور علمه وحلمه، وورعه، واجتماع الخاصة والعامة على ذلك منه، ومعرفتهم به منه، ولنص أبيه عليه السلام على إمامته من بعده وأشار إليه بذلك دون إخوته وأهل بيته»[1] وبالإضافة إلى النصوص العامة على إمامة الأئمة الاثنى عشر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد كان كل إمام ينص على الإمام من بعده ويُبّينُه للمسلمين وشيعته، حتى لا يَّدعي الإمامة غيره.

ومع ذلك لقد ادَّعت بعض الفرق من الشيعة في بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام أنَّهم لم يموتوا، وإنّما رفعوا كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام، ومن الفرق التي نادت بذلك الواقفية، حيث وقفوا عند الإمام الكاظم عليه السلام، ولم يرجعوا إلى الإمام الرضا عليه السلام، وانكروا وفاة الإمام الكاظم عليه السلام بدعوى أنه القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه رفع كما رفع المسيح عليه السلام، وسوف يعود إلى الدنيا مرة أخرى.

ولقد روى أن أوَّ ل من أظهر الوقف على الإمام موسى بن جعفر وعمل على انتشاره جماعة من أعيان أصحابه المقربين إليه، وكان قد عهد إليهم بجباية الخمس من شيعته، وقد اجتمع لديهم مبلغ كبير من المال فلما استشهد الإمام

(١) الإرشاد للمفيد: ٣٠٤.

الكاظم عليه السلام طالبهم الإمام الرِّضا عليه السلام، بما عندهم من الأموال فغرتهم الدنيا، وأنكروا موت الإمام الكاظم عليه السلام، وكان الموقف الصارم من الإمام الرضا عليه السلام إزاء هذه الفرقة، وكذلك موقف سائر الأئمة عليهم السلام، وعلماء المذهب الإمامي قد سبّب ضعفها وانقراضها.

***

من خصائص الإمام الرِّضا عليه السلام وصفاته

لابدَّ وأن يكون الإمام المعصوم، جامعاً لجميع العلوم والمعارف الإلهية والطبيعية، والفضائل والمكارم الأخلاقية، ليكون مناراً يهتدى به، وأسوة لجميع الناس يقتدى به، لأنَّه حجة الله في أرضه على خلقه ولابدّ أن يكون في جميع هذه الخصائص والصفات أعلى من غيره لتتم الحجة.

والإمام الرضا عليه السلام كجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وآبائه الأئمة البررة، قد اتصف بجميع تلك الخصال والصفات الحميدة، ولم تكن صفة يسمو بها الإنسان نحو الكمال إلاّ وهي موجودة فيه.

أما أخلاقه: فيقول إبراهيم بن العباس الصولي: ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمة قط، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما ردَّ أحداً عن حاجة يقدر عليها ولا مد رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته يقهقه في ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم، وكان إذا خلا ونصب مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، ومواليه وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول ذلك صوم الدهر، وكان عليه السلام

كثير المعروف والصدقة في السّر وأكثر ذلك منه في الليالي المظلمة، فمن زعم انه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه»[١].

وأما علمه: فقد أحاط الإمام بجميع العلوم، وكان اعلم أهل زمانه، وذلك مما اشتهر واتفق عليه المحدِّثون وهو الشيء البارز في شخصية الإمام عليه السلام لا يستطيع أن ينكره أحد، وقد لقّب بعالم آل محمد، وقد اعترف بذلك المأمون بنفسه وهو من العلماء البارزين أكثر من مرة وفي مناسبات عديدة ((أنّ، الإمام الرضا عليه السلام أعلم أهل الأرض)).

ومن مظاهر علم الإمام ومعرفته التامة؛ إخباره عن كثير من الملاحم والأحداث قبل وقوعها، ومن جملة ما أخبر به نكبة البرامكة وما يحلّ بهم، وقتل الأمين على يد أخيه المأمون، وقتل المأمون له، وقد تحقق كل ما اخبر به.

ومن مظاهر علم الإمام عليه السلام مناظراته في البصرة، وخراسان مع علماء اليهود والنصارى، والمسلمين، والتي اعترف له فيها جميع هؤلاء العلماء بالفضل والعلم والتفوق عليهم[٢].

***

الإمام الرضا عليه السلام في طريقه إلى مرو

استلم عبد الله المأمون زمام الحكم بعد حرب دامية استمرّت خمس سنين (١٩٣ ـ ١٩٨هـ)، وقتل فيها الآلاف من بينهم أخوه الأمين الّذي كان يحكم في بغداد بصفته خليفة للمسلمين بعد وفات أبيه هارون الرشيد،[٣] ولما فرغ المأمون

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٠.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٨٠ وبحار الأنوار ٤٩: ٩٥.

(٣) هارون الرشيد: توفّي في جمادى الأولى سنة١٩٣هـ، وكان معه الفضل بن الربيع فدفنه بطوس في دار حُميد بن

من حربه ضد أخيه الأمين واستولى على الخلافة، كان أول ما قام به هو حل مشكلة ثورات العلويين التي كانت تهدد السلطة العباسية، ومن دون شك فقد كان من اللازم عليه أن ينظر بجدية إلى خطر ثورة العلويين، وبعد سنتين من سيطرته على الحكم وبالتحديد في سنة ٢٠٠هـ كتب المأمون إلى الرضا عليه السلام يدعوه للقدوم إلى خراسان، ليعرض عليه ولاية العهد لعلل وأسباب سنذكرها فيما بعد، فاعتلّ الإمام بعلل كثيرة، واستمرّ المأمون يكاتبه ويراسله حتى علم الإمام عليه السلام أنّه لا يكفّ عنه، فاستجاب له، ولمّا أراد الخروج من المدينة إلى خراسان دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليودّع قبر جدّه، فودّعه مراراً وهو يبكي، ثم جمع عياله وأمرهم بالبكاء عليه، وفرَّق فيهم اثني عشر ألف ديناراً، واستحفظهم بالله وبرسوله، ثم أخذ بيد ابنه الإمام الجواد عليه السلام وأمر جميع أهله ووكلائه بالسمع والطاعة له وترك مخالفته، وعرّفهم أنّه الإمام المفترض الطاعة من بعده[1].

وكل ما قام به الإمام عليه السلام من البكاء والأمر بالبكاء عليه والوداع مع الأهل والأقرباء والوصية والسفر لوحده حيث لم يأخذ الأهل والأولاد، أراد أن يُعلم الناس أن هذا السفر ليس باختياره، بل أُجبر عليه، وأنّ هذا السفر سفرٌ لا رجوع فيه وسوف يموت في الغربة، وقد صرّح الإمام بذلك في جواب أحد أصحابه وهو مخوّل السجستاني عندما هنّأه بولاية العهد، فقال

قحطبة الطائي، ثمَّ أخذ البية للأمين ممَّن حضرمن العباسيين ورجع إلى بغداد وكان المأمون بمرو فكتب إلى الأمين بالطاعة انقياداً لعهد أبيه ولكن الأمين خلعه من ولاية العهد فشنَّت الحرب بين الجيشين في أطراف مدينة ري وكانت النتيجة انتصارجيش المأمون على جيش أخيه ثمَّ قتل الأمين في بغداد ونصب رأسه على دارالمأمون بمرو(راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٣٣، ومروج الذَّهب ٣: ٣٦٦).

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٣٥، ب ٤٧،ح٢٨.

له الإمام عليه السلام: «...زُرني فَإنّي أخرجُ من جِوارِ جَدّي صلى الله عليه وآله وسلم فَأموتُ في غُربة وأُدفَنُ في جَنبِ هارونَ»[١]

وأخيراً تهيّأ الإمام للسفر إلى مرو[٢] عاصمة خلافة المأمون وكان معه ابوالصلت عبدالسلام بن صالح الهروي حيث أرسله المأمون ليصحب الرِّضا عليه السلام في سفره، وأمر المأمون رجاء بن أبي ضحاك (ابن عم الفضل بن سهل) ومعه الجلودي والعالم المحدِّث أبوالصلت الهروي، أن لا يسيروا بالإمام عن طريق الكوفة وقم؛ لأنّ في هاتين المدينتين شيعة وموالين له عليه السلام، ففعلوا ذلك فساروا بالإمام عن طريق البصرة والأهواز وفارس (شيراز) وصحراء يزد ونيسابور[٣] وطوس ثم سرخس حتّى وصلوا إلى مرو عاصمة خلافة المأمون[٤].

وفي مسير هجرة الإمام عليه السلام من المدينة إلى مرو ومروره على بعض المدن والقرى وقعت حوادث ووردت أخبار، نكتفي بذكر أهمّها: لقدروى

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٣٤، ب ٤٧، ح٢٦.

(٢) مرو: كانت آنذاك من أهم مدن خراسان القديم وحالياً تقع في تركمنستان إحدى دول الاتحاد السوفيتي السابق، قريبة من مدينة سرخس الإيرانية المحاذية لدولة تركمنستان وهي ليست مأهولة في الوقت الحاضر، وقد بُنيت في جنبها مدينة باسم «بيرام علي».

(٣) نيسابور: تبعد عن مشهد مئة وعشرين كيلو متراً تقريباً، وهي معروفة بحجر الفيروزة، وقد اشتهرت بالعلماء والعرفاء والأُدباء وفيها بعض مراقدهم، منها مرقد العالم فضل بن شاذان من اصحاب الرِّضا عليه السلام، ومقام محمد بن الصَّادق عليه السلام المشهوربإمام زاده محروق، ومرقد الفيلسوف والشاعر عمر الخيام، ومرقد العارف عطار النيسابوري، ومقام بي بي شطيطة المرأة المؤمنة التي حضرتشييعها الإمام الكاظم عليه السلام،كما فيهامزار (قدمكاه) وهومقام ينسب إلى أثرأقدام الإمام الرضا عليه السلام حين مروره على هذه المدينة.

(٤) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤١-١٤٩، الباب ٣٦ و٣٧ و٣٩. وقيل: إنّ الإمام سار من المدينة إلى البصرة ثم إلى بغداد ثم إلى قم ومنها إلى خراسان، وقيل: إنّ الإمام سار من المدينة إلى مكة ثم إلى البصرة ثم..... وهذين القولين لا يستندان إلى أخبار معتبرة.

الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ الإمام الرضا عليه السلام لمّا أراد أن يرحل من نيسابور اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: «يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ترحل عنّا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وقد كان قعد في العمارية (الهودج) فاطلع رأسه، وقال عليه السلام: «**سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول: كَلمة لاَ إله إلاّ الله حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي**»، فلمَّا مرَّت الرّاحلة نادانا: «**بِشُرُوطِها، وأنا من شُرُوطِها**»[1] وقال الصدَّوق أي: «ومن شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنَّه امام من قبل الله عزَّ وجل على العبادمفترض الطَّاعة عليهم»[2]، وفي خبرآخر نادرٍ عن الإمام الرّضا عليه السلام عن آبآئه عن النَّبي عن جبرائيل يقول الله عزَّ وجل: «**ولاية علي بن أبي طالب حصني فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي**»[3].

وروى الصدوق عن أبي الصلت الهروي: أنَّ الرّضا عليه السلام خرج من نيشابور إلى مرو، فبلغ القرية الحمراء «ده سُرخْ»[4] كان قد نفد ماؤهم وزالت الشمس فقيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وزالت الشمس أفلا نصلّي؟! فنزل

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٤٥،ب ٣٧،ح٤، وعنه في بحار الأنوار ٤٩: ١٢٣، وقد عرف هذا الحديث القدسي بحديث سلسلة الذهب،لأنَّ رواته كلهم معصومون إلى ان يصل الحديث إلى الله فهو في الواقع حديث قدسيّ.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٣٥، ب٣٧، ذيل ح٤.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٤٦، ب٣٨، وعنه في بحار الأنوار٣٩: ٢٤٦، ب ٨٧.

(٤) ده سرخ: قرية بين نيسابور وطوس وتبعد عن نيسابور ٥٥ كيلو متراً.

عليه السلام فقال: «ائتوني بماء»، فقيلَ: مَا معنا ماءٌ، فبحث بيدهِ الأرضَ فَنَبعَ من الماءِ مَا توضّأ بهِ هو ومَن معهُ وبَقي أثرهُ، وركبوا حتَّى وصلوا إلى قرية سناباد وكان فيها جبل (يُنحت منه القدور) أسند الرّضا عليه السلام إليه ودعا له فقال: «اللهمَّ انفعْ بِهِ، وَبَارِكْ فِيما يُجْعَلُ فِيما يُنحَتُ مِنْهُ وفِيما يُجعل فيه! »، ثمَّ أمر فَنُحِتَ له منه قُدُورٌ، وقال: «لا يُؤكلُ إلاّ ما طُبخَ فيها»، وظهرت بركة دعائه فيه، واهتدى النَّاس إليه.

وكان في قرية سناباد دار حُميد بن قحطبة الطائي، وفي قبَّة فيه دُفن هارون الرشيد، فدخل الرّضا عليه السلام إلى تلك القبّة وأهوى إلى جانب قبر هارون[1]، وخط بيده الأرض وقال لمن حضره: «**هذهِ تُربَتي وفِيها أُدفَنُ، وسَيجعلُ اللهُ هَذا المكانَ مَختلَفَ شِيعَتِي وأهلِ مَحبَّتي، وَاللهِ مَا يَزُورُني مِنْهُمْ زَائرٌ وَلاَ يُسلّمُ عَليّ مِنْهُمْ مُسَلّمٌ إلاّ وَجَبَ له غُفْرانُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ بشَفاعَتُنا أهلَ البيتِ**»، ثم صلىَّ الإمام عليه السلام ركعات ودعا بدعوات فلمَّا فرغ سجد سجدة طال مكثه...[2] وخرج من قرية سناباد إلى مروحتَّى أشرف على حيطان طوس، يقول مُوسَى بْنِ سَيَّارٍ: كُنْتُ مَعَ الرِّضَا عليه السلام وَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى حِيطَانِ طُوسٍ[3] وَ سَمِعْتُ وَاعِيَةً فَاتَّبَعْتُهَا فَإِذَا نَحْنُ بِجَنَازَةٍ فَلَمَّا بَصُرْتُ بِهَا رَأَيْتُ سَيِّدِي وَ قَدْ ثَنَى رِجْلَهُ عَنْ فَرَسِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ الْجَنَازَةِ فَرَفَعَهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَ قَالَ: «يَا مُوسَى بْنَ سَيَّارٍ مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةَ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَائِنَا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ

(١) خرج هارون الرشيد من بغداد إلى خراسان لمقاتلة العلويين، ومحاربة بعض ولاته العاصين، وفي طوس مرض وتوفّي في جمادى الأولى سنة١٩٣هـ ودُفن في سناباد من قرى طوس في دار حُميد بن قحطبة الطائي(مروج الذَّهب ٣: ٣٦٦).

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٧، الباب ٣٩، ح١.

(٣) طوس: تقع طوس حالياً قرب مشهد الرضا عليه السلام بعشرين كيلومتراً، وفيها قبر الشاعر الإيراني المعروف الحكيم أبي القاسم الفردوسي.

أُمُّهُ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ...»[1]

وخرج الإمام عليه السلام من طوس وسار حتى وصل إلى سرخس[2] ومن ثم إلى مروعاصمة خلافة المأمون العباسي، وفي مرو عرض المأمون ولاية العهد على الإمام ارضا عليه السلام.

***

الإمام الرضا عليه السلام ومسألة ولاية العهد

عندما قدِم الإمام الرضا عليه السلام إلى مرو رحَّب به المأمون أحسن الترحيب وأكرمه ثم جمع خواصَّ أوليائه وأصحابه وقال: «**أيّها الناس، إنّي نظرت في آل العبّاس وآل علي فلم أرَ أفضل ولا أورع ولا أحقَّ من عليّ بن موسى بالخلافة**»، وأخذ يعرض علي الإمام عليه السلام قبول الخلافة والإمام يرفض، وبعد شهرين من الإسرار(الظاهر شهري شعبان ورمضان)، ولّما يئس المأمون من قبوله للخلافة عرض عليه ولاية العهد وإليك تفصيل الحديث عنها كما جاء عن الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام.

روي عن ابي الصلت الهروي إنَّ المأمون قال للرضا عليه السلام: «يابن رسول الله، قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك ووأراك أحقَّ بالخلافة مني !..... فإنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك».

فقال له الرضا عليه السلام:«إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِلَافَةُ لَكَ والله جَعَلَهَا لَكَ فَلا

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٧٠، وعنه في بحار الأنوار٤٩: ٩٨، ب ٧.

(٢) سرخس: من مدن محافظة خراسان تبعد عن مشهد المقدس حوالي مئة وسبعين كيلو متراً وهي مجاورة لدولة تركمنستان.

يَجُوزُ أَنْ تَخْلَعَ لِبَاساً أَلْبَسَكَ اللهُ وَتَجْعَلَهُ لِغَيْرِكَ، وَإِنْ كَانَتِ الْخِلَافَةُ لَيْسَتْ لَكَ فَلا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ لِيَ مَا لَيْسَ لَكَ».

فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، لابدّ لك من قبول هذا الأمر.

فقال له الرضا عليه السلام: «لستُ أفعل ذلك طائعاً أبداً».

قال ابو الصلت: فما زال المأمون يجهد به أيّاماً حتّى يئس من قبوله، فقال له: «فإن لم تقبل الخلافة، ولم تحب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي».

فقال الرّضا عليه السلام: «والله لقد حدّثني أبي عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي أخرج من الدّنيا قبلك مقتولاً بالسمّ مظلوماً! تبكي عليَّ ملائكة السّماء وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة إلى جنب (أبيك) هارون الرَّشيد»!

فبكى المأمون، ثمّ قال له: يا ابن رسول الله، ومن الّذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟

فقال الرضا عليه السلام: «أما إنّي لو أَشَاءُ أَنْ أقولَ مَن الّذي يَقتُلني لَقُلتُ»!.

فقال المأمون: يا ابن رسول الله، إنَّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول النّاس: إنَّك زاهد في الدّنيا!

فقال الرضا عليه السلام: «وَاللهِ مَا كَذِبتُ مُنذُ خَلَقَنِي رَبِّي عَزّ وَجَلّ، وَما زَهِدتُ في الدّنيا للدّنيا، وإنّي لأعلمُ ما تُريد»!

فقال المأمون: وما أُريد؟ قال عليه السلام: «الأمان على الصدق» قال: لك الأمان!

قال الرضا عليه السلام: «تُريدُ بِذلكَ أَنْ يقولَ النّاسُ: إنَّ عليَّ بنَ موسى لمْ

يزهَدْ في الدّنيا بَلْ زَهدِت الدّنيا فِيه، ألا تَرونَ كَيفَ قَبِلَ ولاية العهدِ طَمعاً في الخِلافَة؟».

فغضب المأمون ثم قال: إنَّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه!، وقد أمنتَ سطوتي!، فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك،(فإن فعلت وإلاَّ ضربت عنقك)!

فقال الرضا عليه السلام: «قَدْ نَهاني اللهُ تَعالى أنْ أُلقي بِيَدي إلى التّهلُكَة، فإنْ كانَ الأمرُ عَلى هذا فَافعلْ مَا بدا لكَ وَأنا أقبَلُ ذلك، على أنّي لا أُولّي أحَداً، وَلا أعزِلُ أحداً، وَلا أنقُضُ رَسْماً وَلا سُنّة، وأكونُ في الأمْرِ مِن بعيدٍ مُشِيراً»، فرضي منه ذلك، وجعله وليّ عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك[1]

و بعد قبول الرضا عليه السلام بولاية العهد، عقد المأمون لبيعة الإمام عليه السلام مجلساً شعبياً حضره رجال الدّولة العباسيةوعامة الناس وفي طليعتهم العلويون، وكتب المأمون العهدولمَّا قدَّمه للرضا عليه السلام قلبه وكتب على ظهره قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[2].

وفي هذا اليوم(السادس من شهررمضان سنة ٢٠١ هـ.)[3]، بايع المأمون وابنه العباس ووزيره فضل بن سهل السرخسي(ذوالرياستين)[4] وكبار رجال الدّولة، الإمام الرضا عليه السلام، ثم أخذ يبايعه الناس واحداً تلو الآخر، ويشيدون

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام. ٢: ١٥١، ب ٤٠،ح٣، وفي علل الشرايع١: ٢٧٧.

(٢) غافر: ١٩.

(٣) ذكر الشيخ عباس القمي في مفاتيحه أنَّه يوم السادس وقال نقلاً عن السيد ابن طاووس أنه يستحب أن يُصلى في هذا اليوم ركعتان يقرأ في كل ركعة بعد الحمد سورة الإخلاص خمساً وعشرين مرةً، وأمَّا على رواية اليعقوبي في تاريخه ٢: ٤٤٨ فهو يوم السَّابع.

(٤) (ذوالرياستين):لقِّب بذلك، لرئاسته السيف والقلم أى:العسكرية والسياسية (الوزارة).

بفضل الإمام عليه السلام، ثمَّ قام الإمام عليه السلام وخطب الناس فقال: «**إيَّها الناس إنَّ لنا حقَّاً برسول الله ولكم علينا حقَّاً به فإذا أدَّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم**»[1].

وأصدر المأمون قرارات بمناسبة عقد ولاية العهد للإمام عليه السلام منها: ترك لِباس السواد الذي كان شعار العباسيين وارتداء اللباس الأخضر، وهو لباس أهل الجنة يقول تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[2]، كما أمر المأمون بصكّ الدراهم والدنانير باسم الإمام الرضا عليه السلام، ونقل الصدوق أنَّ المأمون زوَّج ابنته أم حبيب للامام في يوم البيعة، كما عقد إبنته الأخرى أمُّ الفضل فيما بعد لإبنه الجواد، وفي النقل الثاني عنه زوَّجه ابنته أمّ حبيب في أول سنة ٢٠٢هـ، ولعل المأمون كان يريد بذلك جواب المعترضين بإنتقال الخلافة،بأنَّها تنقل إلى أصهار العباسيين ثمَّ إلى أسباطهم، ولكنَّهم لم يقتنعوا بذلك[3].

***

الدَّوافع السياسية لولاية العهد

روي أنَّ المأمون كان قد نذر وعاهد الله إذا تغلَّب على أخيه الأمين واستلم الحكم ان يضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله، وقد صدَّق الصدوق به فقال: «والصحيح عندي أنَّ المأمون إنَّما ولاَّه العهد وبايع للنذر الذي تقدم ذكره»[4] وقد تبيَّن بعد ذلك أنَّ ما فعله المأمون كان وفاءً لنذره ورعاية لمصالح

(١) راجع مقاتل الطَّالبيين:٣٧٦، وعنه في الإرشاد:٤٥٧.

(٢) الكهف: ٣١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٩، ب٤٠،ح١٩، وص٢٧٤، ب ٦٣،ح٢، وراجع موسوعة التَّاريخ الإسلامي ٨: ٧٦.

(٤) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٦٢،ح٢٢ وص١٧٥،ح٢٨، وعنه في موسوعة التَّاريخ الإسلامي ٨:٥٥.

خلافته ولم يكن نابعاً من ولائه لأهل البيت عليهم السلام ولم يكن صادقاً في توليته لولاية العهد للامام عليه السلام، وكان ميله للعلويين تصنّعاً وتظاهراً، فهل يُعقل أن يتخلى المأمون عن الحكم الذي قتل من أجله الآلاف من الجنود والقادة، كما قتل أخاه الأمين، ثم يسلّمه إلى غيره؟! فدوافع المأمون ووزيره فضل بن سهل يمكن تحديدها في النقاط التالية:

أولاً: تهدئة الأوضاع المضطربة وإيقاف وإخماد ثورات العلويين في البلاد الإسلامية وبالأخص في خراسان، فأراد المأمون من تقريب الإمام وتوليّه ولاية العهد أن يستقطب أعوان الإمام وأنصاره، ويوقف نشاطهم العسكري بل يستميلهم إلى جانبه.

ثانياً: الحصول على شرعية الحكم والخلافة؛ لأن المأمون كان يعرف أنّ الناس تعلم أنّ الإمام الرضا عليه السلام وسائر الأئمة هم الذين نصَّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخلافة وهي حقّهم الإلهي، فإمّا أن يتنازل عن الخلافة له وقد تظاهر بذلك ورفض الإمام عليه السلام، وإمّا أن يشاركه في الحكم فعرض عليه ولاية العهد وأجبره على القبول، وبما أنَّ الإمام كان موضع قبول ورضى جميع المسلمين فقبوله لولاية العهد يعني اعترافه بشرعية حكم المأمون.

ثالثاً: منع الإمام من الدعوة إلى نفسه؛ لأنّ الإمام مسؤول عن دعوة الأُمّة للارتباط بالإمام الحقّ والمتجسّد بإمامته، ومن هنا كان تفكير المأمون منصبّاً على منع الإمام من الدعوة إلى نفسه، والمتعارف عليه أنّ وليّ العهد يدعو إلى الحاكم الفعلي ثم يدعو إلى نفسه، وقد عبَّر المأمون عن هذا الدَّافع له بقوله: «قد كان هذا الرجل متستراً عنّا يدعو إلى نفسه دوننا، فأردنا أن نجعله

وليّ عهدنا ليكون دعاؤه إلينا»[١].

رابعاً: إبعاد الإمام عن قواعده الشعبية لتحجيم عمله أو تقليله، ومن خلال ذلك يمكن مراقبة الإمام عليه السلام ومعرفة تحرّكاته ولقاءاته، فقد قام المأمون بتقريب هشام بن إبراهيم من نفسه وولاّه حجابة الإمام فكان ينمي الأخبار إليه، وكان يمنع من اتّصال كثير من مواليه به[٢].

خامساً: تشويه سمعة الإمام عليه السلام، وقد كشف عليه السلام هذه الحقيقة للمأمون بقوله: «تُريدُ بذلك أن يقولَ الناسُ: إنّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام لَم يَزهدْ في الدّنيا بلْ زَهِدتِ الدّنيا فيه، ألا تَرونَ كَيفَ قَبِلَ ولاية العهدِ طَمَعاً بالخِلافة؟»[٣].

نعم، هكذا كانت دوافع وأهداف المأمون من تسليم الأمر إلى الإمام الرضا عليه السلام، وهكذا كانت دوافع وزيره فضل ابن سهل(ذي الرياستين) حسب الظاهر، إلاّ أنّ وزيره كان يطمع بشيء آخر وهو الخلافة لنفسه من بعد المأمون أو من بعد الإمام عليه السلام، وكان يكتم ويضمر ذلك، ولمّا تبين للمأمون ما يضمره إحتال عليه حتى قتله غالب خادم المأمون في حمَّامٍ بسرخس في شعبان وعمره ستون سنة، وذلك عند رجوعه من مرو قاصداً بغداد[٤].

***

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٠-١٧٨، ب ٤٠.

(٢) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٠-١٧٨، ب ٤٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام. ٢: ١٥١، ب ٤٠،ح٣، وفي علل الشرايع١: ٢٧٧.

(٤) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧٠، ب ٤٠،ح٢٤.

أسباب قبول الإمام بولاية العهد

لم يكن الإمام الرضا عليه السلام في البداية راضياً بولاية العهد وبعد الإصرار والضغط من قبل المأمون قبلها مكرهاً وكان من أهم الأسباب لقبولها:

أولاً: كان المأمون قد هدَّد الإمام عليه السلام بالقتل إذا لم يقبل بولاية العهد، حيث قال له: «إنّ عمر جعل الشورى في ستة، أحدهم: جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابد من قبول ذلك...»[1]، وجاء ذلك في جواب محمَّدبن معرفة حين سئل الإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال الإمام عليه السلام: «مَا حَمَل جَدّي أَمِيرَ المؤمنينَ عليه السلام على الدّخُولِ في الشُّورى»![2].

ولقد جاء هذا المعنى في جواب الريان بن الصلت الأشعري القمي عن سرّ قبوله عليه السلام لولاية العهد: «... قَدْ عَلِمَ اللهُ كَراهتِي لذلكَ، فَلمّا خُيّرتُ بينَ قَبولِ ذَلكَ وبينَ القَتلِ، اختَرتُ القَبُولَ على القتلِ، وَيْحَهُم! أما علِموا أنّ يُوسفَ عليه السلام كَانَ نَبيّاً ورَسُولاً، فلمّا دَفَعْتهُ الضرُورَة إلى تَولّي خَزائنِ العَزيزِ قالَ: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3] وأنا دفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك»![4]

ثانياً: لقد أراد الإمام عليه السلام بقبوله لولاية العهد أن يحقن دماء أصحابه وأهل بيته، حيث قام المأمون تقرّباً للإمام عليه السلام بإعلان العفو العام عن جميع

---

(١) مقاتل الطالبين: ٥٦٢، وقريب منه ما في الإرشاد للمفيد: ٤٥٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٢، ب ٤٠،ح٤، وفي علل الشرايع١: ٢٧٩ ب١٧٣،ح٢.

(٣) يوسف: ٥٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام. ٢: ١٥٠،ب ٤٠،ح٢، وفي علل الشرايع١: ٢٧٩ ب ١٧٣،ح٣.

قادة الثورات، منهم زيد أخو الإمام، وإبراهيم، وأردف العفو بتنصيب بعضهم ولاة في بعض الأمصار[١].

ثالثاً: لقدأراد الإمام عليه السلام بقبوله لولاية العهد أن يستثمر الظروف لإحياء سنّة جدِّه ولذا بعدقبوله لولاية العهدرفع عليه السلام يده إلى السماء وقال: «... **وقد أُكرِهتُ واضطُرِرتُ، كما اضطُرَّ يُوسفُ وَدَانيالُ عليهما السلام إذ قَبِل كُلُّ واحدٍ منهما الولاية مِن طَاغية زَمانِهِ، اللهمّ لا عَهْدَ إلاّ عَهدُك، وَلا وِلاية لي إلاّ مِن قِبَلكِ، فَوفّقني لإقامة دِينِك، وإحياءِ سُنّة نَبيّكَ**، ...»[٢].

وقد اغتنم الإمام عليه السلام فرصة ولاية العهد في عهده وأخذ يثقّف الناس ويربّي العلماء والفقهاء، على سنة جدِّه ومذهب أهل بيته عليهم السلام، بحيث كان المأمون نفسه إضطرَّ أن يتحدّث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام، واستخدم الخطباء والشعراء وأئمة الجمعة والولاة والأُمراء لذالك، وبهذا انتشرت مناقب الإمام وأهل البيت عليهم السلام في جميع الأمصار، وكان في طليعة الشعراء الثوريين، دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت عليهم السلام، سنذكر علاقته مع الإمام عليه السلام، ثمّ نذكر مقتطفات من قصيدته التائية المعروفة التي نظمها في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام والإمام الرضا عليه السلام، بعد البيعة بولاية العهد في مرو بحضور إمامه ومقتداه.

***

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٠،ب ٤٠، وعنه في بحار الأنوار ٤٩: ١٣٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام. ١: ٢٨،ب٣،ح١، وعنه في بحار الأنوار ٤٩: ١٣١، ب ١٣.

الإمام الرضا عليه السلام ودعبل الخزاعي[١]

لقد كان الإمام الرضا عليه السلام يشجّع الشعراء الرساليين الموالين لأهل البيت عليهم السلام على نظم الشعر من أجل نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم العلمي والقيادي في الأُمة، وتبيان مظلوميتهم على مرّ التاريخ؛ لأنَّ الشعر كان خير وسيلة إعلامية في ذلك العصر؛ لسرعة انتشاره وسهولة حفظه وإنشائه، ومن بين الشعراء كان دعبل بن علي الخزاعي وأشعاره في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام ولاسيّما الإمام الرضا عليه السلام أكثر صيتاً وشهرةً، وما ذلك إلاّ بسبب خلوصه وشدّة ولائه لأهل البيت عليهم السلام.

كانت ولادة دعبل في السنة التي توفّي فيها الإمام الصادق عليه السلام (٢٥ من شوال سنة ١٤٨هـ.)، ووفاته بمدينة «شوش»[٢] سنة ٢٦٤هـ ودفن فيها فكان عمره ٩٨ سنة، قضى أكثرها في السفر خوفاً من خلفاء زمانه لما قاله في هجائهم، وكان يقول: منذ سنين وأنا أحمل خشبتي على متني[٣].

ولمَّا انتشر خبر بيعة الرضا عليه السلام لولاية العهد ووصل خبرها الى دعبل شدَّ

---

(١) دعبل الخزاعي: إسمه عبدالرحمن وقيل محمد، وإنَّما دايته رأت فيه دعابة فقالت دعبل فغلب عليه! وكان يضرب به المثل في دعابته (تاريخ بغداد ٨: ٣٨٥). وتوفي (أو قتل) دعبل بن علي الخزاعي في سنة (٢٤٦ هـ) وعمره (٩٦) عاماً، في قرية من نواحي بلدة شوش كانت تسمى الطيب بين كور الأهواز وواسط العراق، فحُملت جنازته إلى بلدة شوش ودُفن بمقبرتها إلى مقبرة دانيال النبيّ من أنبياء بني إسرائيل، وقبره ظاهر معلوم يُزار. وله ابنان عبد الله والحسين، (راجع تاريخ ابن الوردي ١: ٢١٩. الأغاني ١٨: ٦٠، ووفيات الأعيان ٢: برقم ٢٧٧).

(٢) شوش: إحدى مدن إيران في محافظة خوزستان، وهي مدينة قديمة عريقة في التاريخ، يقصدها الزوّار والسيّاح من بعيد لما فيها من الآثار والمقامات، منها: مقام النبي دانيال عليه السلام ومقام بعض أحفاد الأئمة عليهم السلام، ومنها: مقام شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي، وقد بني وأُسس في جنب المقام مجمع ثقافي يهتم بأُمور الثقافة الدينية والشعر والأدب في تلك المنطقة.

(٣) إشارة إلى الخشبة التي يصلب عليها الشخص.

الرَّحال قاصداً زيارة إمامه عليه السلام في مدينة مرو، وبعد تحمل عناء السفروصل إلى ديارحبيبه وحضر عنده عليه السلام اوائل شهرمحرم سنة ٢٠٢هـ فاستقبله الإمام عليه السلام ورحَّب به وأجلسه جنبه، ثمَّ قال دعبل للامام: يا بن رسول الله، إنّي أنشدتُ فيكم قصيدة وآليتُ على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال له الإمام عليه السلام: هاتها يا دعبل، فأنشدقصيدته التَّائية المعروفة وكانت خالية من ذكر ولاية العهد ووافية بذكر مصائب الحسين عليه السلام،[1] وفيها ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام واستعراض للوقائع التي مرَّت عليهم من حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مروراً بأحداث السقيفة، وموقف المسلمين من الخلافة، وما جرى عليهم عليهم السلام خلال العهدين الأموي والعباسي، ثم ختم القصيدة بخروج الإمام العادل الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وقد تأثّر الإمام بهذه القصيدة وأخذ يبكي، ويقول: «صدقت يا دعبل»، ولما فرغ دعبل من إنشاد قصيدته،قام الإمام عليه السلام وأنفذ إليه صرّة فيها مئة دينار ضربت باسمه، فردّها دعبل وقال: «والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسَّلام عليه والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإنّي لفي غنىً فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرّك فهو أحبّ إليّ». فأعطاه الإمام عليه السلام جبّة خزّ وردّ عليه الصرّة وقال له: «احفظها فستحتاج إليها»، فأخذ دعبل الصرّة والجبة وانصرف من مرو قاصداً بغداد، وفي طريقه مرَّ على قافلة على مياه في منطقة كوهان الجبلية التي تقع بين هراة ونيسابور، فاعترضهم اللصوص وكتَّفوا أهلها وأخذوا جميع ما كان معهم فجلسوا ناحية يقسّمون ما سلبوه من القافلة، فتمثل رجل منهم بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

(١) وهو دليل على حضوردعبل عند الإمام أيام شهرمحرم الحرام سنة ٢٠٢هـ

فسمعه دعبل الخزاعي وقال له: لمن هذا البيت الذي تتمثل فيه؟ فقال: لرجل من خزاعة يسمّى دعبل، فقال دعبل: أنا صاحب القصيدة التي فيها البيت،فقال الرجل أنشدني القصيدة فأنشده إيَّاها فردّوا عليهم جميع ما أخذوه منهم واعتذروا إليهم، وسار دعبل مع القافلة حتى وصل إلى قم، فأنشد قصيدته، فسألوه أن يبيعهم الجبّة بألف دينار فامتنع، وبعد الإصرار والإلحاح أخذوا منه الجبة ودفعوا إليه ألف دينار، وأعطوه بعضها وانصرف دعبل إلى وطنه في العراق فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله (في بغداد) وكان الرضا عليه السلام قد وصله بصرّة فيها مئة دينار وقال له: «احفظها فستحتاج إليها»، فأعطاها دعبل شيعة العراق فأعطوه مقابل كل دينار منها مئة درهم؛ (بخمسة أضعاف) لأنها كانت من الدنانير الرضوية التي صكّت باسم الرضا عليه السلام[1].

ورمدت عينا جاريته فأدخل عليها أهل الطب فيئسوا من اليمنى،ثمَّ ذكر بقية الجبة فعصَّبها منها بعصابة ليلاً، فأصبحت وعيناها أصحُّ مما كانتا من قبل ببركة الرضا عليه السلام[2].

وجاءفي كتاب(الأغاني): أنّ دعبل كتب قصيدته التائية على ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في كفنه[3]، وينبغي هنا أن نذكر على سبيل الاختصار مقتطفات من تلك القصيدة التائية الرائعة مع تعاليق الرِّضا عليه السلام عن الصدوق:

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٩٤، ب ٦٦،ح٣٤.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٩٤، ب ٦٦،ح٣٤.
(٣) الأغاني٢٠: ١٢٢و١٢٦ وأنظر الغدير للأميني٣:٤٩٧.

مقتطفات من قصيدة دعبل التائية

أسند الصدوق عن أبي الصلت الهروي[1] أنه قال: دخل دعبل الخزاعي على الرضا عليه السلام في مدينة مرو بعد بيعة الناس له بولاية العهد، فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنّي قد قلت فيك(فيكم) قصيدة وآليتُ على نفسي أن لا أُنشدها أحداً قبلك، فقال عليه السلام: هاتِها، فأنشد(دعبل):

ذكـرتُ محلَّ الرَّبعِ من عَرَفاتِ ... فأجريتُ دَمـعَ العَينِ بالعَبَراتِ
مَدارسُ آيـاتٍ خَلتْ مِنْ تلاوة ... ومَـنـزلُ وحـيٍ مُقفرُ العَرَصاتِ
دِيـارُ عَليٍّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزة والسجّادِ ذي الثفناتِ
مَنازلُ كانت للصلاة وللتقى ... وللصومِ والتطهيرِ والحَسَناتِ
أفاطمُ لو خِلتِ الحسينَ مُجدّلاً ... وَقـدْ مَـاتَ عَطشاناً بِشَطّ فُـراتِ
إذن للطَمتِ الخدَّ فَاطمُ عندَهُ ... وأجريتِ دَمَع العينِ في الوَجَناتِ
أفاطمُ قُومِي يا ابنة الخَيرِ واندُبي ... نُجـومَ سَـمـاواتٍ بـأرضِ فَـلاة
قُبورٌ بكوفانٍ وأُخـرى بطيبة ... وأُخـرى بِـفـخّ نالها صَلَواتِي
وَقَـبرٌ بـأرضِ الجـوزجـانِ محلّهُ ... وقـبرٌ بباخمرى لـدى الغرباتِ
قُبورٌ بِجَنبِ النهرِ من أرضِ كربلا ... مُعرّسهم فيها بِشطٍّ فُـراتِ
تُوفوا عطاشى بِالعراءِ فَليتَني ... تُوفّيت فِيهم قَبلَ حـينِ وفَـاتِ
وَقـبرٌ بِـبـغـدادٍ لِنفسٍ زَكيّة ... تضمّنَها الرّحمنُ في الغُرُفاتِ

(١) أبو الصلت الهروي: هو من أصحاب الرضا عليه السلام وخادمه.

وهنا روى الصدوق عن الهروي أنَّ الرضا عليه السلام قال لدعبل: «أفلا أُلحق لك بيتين بهذا الموضع، بهما تمام (كمال) قصيدتك؟»، فقال دعبل: بلى يا بن رسول الله، فقال عليه السلام:

وَقَبرٌ بطوسٍ يا لها من مُصيبة ... ألحَّتْ على الأحشاءِ بالزَّفراتِ

إلى الحشرِ حتّى يبعثَ اللهُ قائماً ... يُفرِّجُ عنّا الغمَّ والكُرُباتِ

فقال دعبل: هذا القبر الذي بطوس قبر من؟ فقال الرضا عليه السلام: «قَبْري، وَلاَ تَنقَضِي الأيّامُ وَالليالي حتّى تَصيرَ طوسُ مُختَلَفَ شِيعتِي وزُوّارِي!، ألا فَمَن زَارَني فِي غُربَتي بِطوسٍ كَانَ مَعي في دَرَجَتِي يومَ القِيامة مَغْفُوراً لَه»[1]. وفي حديث آخرقال عليه السلام: ((**إن بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة من دخلها كان آمناً يوم القيامة**))[2].

***

شهادة الإمام الرضا عليه السلام في طوس[3]

ذكر المؤرخون والرواة أنه لَمَّا استتب الأمر والحكم لمأمون في خراسانّ قرَّر الخروج منها قاصداً بغداد ليتَّخذها عاصمة جديدة لخلافته وكان يقول للامام عليه السلام سندخل بغداد والامام يقول له ستدخلها أنت ومأأنا وبغداد؟! لا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٩٥،ب ٦٦،ح٣٤، وفي بحار الأنوار٩٩: ٣٩، ب ٤، ح٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٦، ب ٦٦،ح٦، وعنه في بحار الأنوار٩٩: ٣٧، ب ٤، ح٣٧.

(٣) لقد استشهد الإمام عليه السلام في طوس ودفن في قرية سناباد نوقان التابعة آنذاك لمدينة طوس في محافظة خراسان وتلك القرية اليوم أصبحت مدينة كبرى باسم مشهد المقدس لشهود الإمام وشهادته فيها وهي اليوم مركز محافظة خراسان الرضوي وإحدى المدن الإيرانية الكبيرة وتقع مدينة طوس القديمة حاليا قرب مشهد، وفيها قبر الشاعر الإيراني المعروف الحكيم أبي القاسم الفردوسي.

أرى بغداد ولاتراني[١].

وخرج المأمون ومن معه من مرو وكان معهم وزيره فضل بن سهل ووليِّ عهده الإمام الرِّضا عليه السلام، فلمّا وصلوا إلى سرخس[٢] أمر المأمون بقتل فضل بن سهل لَمَّا تبيَّن له أنَّه يطمع بالخلافة، فقُتل في حمَّامٍ بسرخس، ووضع الإمام في السجن وأراد أن يقتله كذلك، ولكنه فشل وخاب سعيه، واستمرَّت القافلة حتى وصلت إلى طوس ونزلوا في دار حُميد بن قحطبة الطائي الواقعة في قرية سناباد نوقان والتي فيها قبر هارون الرشيد وعليه قبَّة.

وروى أبو الصلت الهروي أنّ الرِّضا عليه السلام قال له: «**غداً أدخل على هذا (الفاجر) فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرأس فكلِّمني أكلِّمك، وإن خرجت وأنا مغطِّي الرأس (برداي) فلا تكلِّمني**»!، فلمَّا أصبحنا.....دخل على المأمون، وكان المأمون بين يديه أطباق فواكه ومنها طبق عليه عنب ومنه عنقود بيده، قد أكل بعضه وبقي بعضه، فلمّا أبصر بالرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وقبَّل ما بين عينيه، وأجلسه معه ثمَّ ناوله العنقود وقال له: يابن رسول الله، مارأيت عنباً أحسن من هذا! كُل منه، فقال له الرضا عليه السلام: تعفيني منه، فقال: لابدّ من ذلك! ومماينمعك منه!لعلّك تتّهمنا بشيء! فتناول المأمون العنقود فأكل منه! ثمَّ ناوله الرضا فأكل منه ثلاث حبّات ثمّ رمي به (من يده إلى الطبق) وقام! فقال المأمون: إلى أين؟! فقال عليه السلام: إلى حيث وجَّهتني! ثمّ غطَّى رأسه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٤٤،ب٤٩،ح١، وعنه في بحار الأنوار٤٩: ٢٨٥، ب ١٩.

(٢) سرخس: مدينة في شمال شرق إيران، قرب الحدود مع دولة تركمنستان.

(بردائه) فلم اكلّمه حتّى دخل الدار....[١].

وذكر معظم المؤرخين والرواة أنَّ المأمون هو الذي أمر بدسّ السّم للإمام في العنب، وقدمه إلى الإمام وأمره أن يأكل منه، وفي رواية أخرى أمر المأمون غلامه عبدالله بن بشيرأن يدسّ السّم في الرمان بأظافره المسمومة ثمَّ قدَّمه إلى الإمام، وبذلك استشهد الإمام في طوس، قرية سناباد نوقان في آخر شهر صفر سنة ٢٠٣ من الهجرة[٢].

وروى أبو الصلت الهروي أنّ إبن الرِّضاعليه السلام الإمام الجواد عليه السلام جاء من المدينة بأمر الله سبحانه، وحضر جنازة أبيه وغسله وكفنه وصلّى عليه، ولم يعلم المأمون ولا أعوانه بذلك[٣].

وأظهر المأمون الحزن الشديد على وفاة الإمام، وتباكت عيناه وخرج حافياً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويقول: «ما أدري أيّ المصيبتين أعظم عليَّ: فقدي لك وفراقي إيّاك، أوتهمة الناس لي أني اغتلتك وقتلتك...»، وأخفى المأمون موت الإمام عليه السلام يوماً وليلة، وبعد ذلك شُيّع جثمانه في حشدٍ كبير من الناس لم تشاهد خراسان مثيلاً له في جميع أدوار تاريخها، وجيء بالجثمان الطاهر إلى قرية سناباد، وأمر المأمون بحفر قبرٍ له في جهة القبلة من

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧١، ب٦٣،ح١.

(٢) لقد اختلف المؤرخون في تعيين يوم شهادته بين أوائل شهر صفركما عليه المسعودي في التنبيه والإشراف: ٣٠٣ وبين أوآخرصفر كما عليه الطبرسي في إعلام الورى ٢: ٨٠-٨٦ والعصفري البصري في تاريخ خليفة ٣١٢، واكتفى الكليني والشيخ المفيد بشهر صفربطوس(أصول الكافي ١: ٤٨٦، الإرشاد٢: ٤٤٧).

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٧١، ب٦٣،ح١.

قبر أبيه هارون الرشيد، وواراه فيه، وأقام عند قبره ثلاثة أيام!»[1].

وسئل المأمون عن السبب من دفن الإمام بالقرب من قبر أبيه فأجاب: «ليغفر الله لهارون بجواره للإمام الرضا عليه السلام»، وقد فنَّد ذلك شاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي إذ يقول: جاءني خبر موت علي الرضا عليه السلام وأنا بقم وقلت قصيدتي الرَّائية في مرثيته عليه السلام:

أرى أمية معذورين إن «قتلوا» ... ولا أرى لبني العباس من عذر!

أربع بطوس على قبر الزكي بها ... إن كنت تربع من دين على وطر

قبران في طوس: خير الناس كلهم ... وقبر شرّهم، هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ... ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئٍ رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ماشئت أو فذر

ونقل أنَّه لمَّا وصل خبر هذه الأبيات إلى المأمون ضرب عمامته على الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل.

ومات إبن لدعبل يدعى «أحمد» فرثاه بقصيدة وأردفها بأبيات في رثاء الرِّضا عليه السلام ومنها:

ألا أيَّها القبر الغريب محلَّه ... بطوس، عليك الساريات هتون

شككت فما أدري أمسقي شربة ... فأبكيك؟ أم ريب الردى فيهون؟

وأيّهما ما قلت، إن قلت شربة ... وإن قلت موت، إنَّه لقمين!

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٤٣، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٩، ب ٦٢، ح١.

فيا عجباً منهم يسمّونك «الرِّضا» ويلقاك منهم كلحة وغصون

وقد رثاه علي بن عبدالله الخافي في أبيات منها:

يا أرض طوس سقاك الله رحمته ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس

طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها شخصٍ ثوى بسناباد مرموس

الليلة السابعة

مفهوم العبادة وحقيقة العبودية

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1]

ومما جاء في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيّها الناس إنَّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفِّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنَّ الله تعالى ذكره أقسم بعزَّته أن لا يعذِّب المصلين والساجدين**، . . .».

ورد في كتاب مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**العبوديَّة جوهرة كنهها الربوبية**»[2] ومعنى ذلك أنَّ حقيقة العبودية هي معرفة المعبود والتقرب إليه والإتصاف بصفات الربوبية والوصول إلى الكمالا الإلهية وهي جوهرة لا مثيل لها، يمكن أن يحصل عليها الإنسان من خلال

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) مصباح الشريعة:٤٥٣، الباب المائة (في حقيقة العبودية).

العبادة التي خلق الله الجنَّ والإنس من أجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] اي: ليعرفون، وإذا أراد الإنسان أن يحصل على تلك المعرفة فلا بدَّ من يَعرف المفهوم الحقيقي للعبادة ويقوم ويعمل بها في طوال حياته الفردية والإجتماعية.

لقد أصبح المعني المتبادر الي الذهن من لفظ العبادة عند كثير من الناس محصوراً في تلك المجموعه من الأعمال، كالصلاة والصوم والحج والدعاء وأمثالها من العبادات الواجبة او المستحبة، التي كثيراً ما يؤديها الإنسان بعيداً عن ممارسات الحياة وأجواء المجتمع والتي يعبر عنها الفقهاء (بالعبادة بالمعني الخاص) وهذه العبادة وإن كانت هي الأصل ولكن هذا المفهوم الضَّيق للعبادة لا يتناسب مع مفهوم القرآن الكريم وتعبيره عنها، وكذلك لايتناسب بما جاءفي الروايات، ولعله لايتمكن الإنسان أن يصل من خلاله إلى الهدف المنشود من العبادة، ولذا لا بدَّ من معرفة مفهوم الحقيقي للعبادة في الإسلام.

***

مفهوم العبادة في الاسلام

إنَّ العبادة جاءت في الإسلام شاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية الشخصية والاجتماعية،الاقتصادية والسياسية، بل دعا الإسلام أن يكون جميع سلوك الانسان عبادياً حتى في المأكل والمشرب واللَّذات والشهوات التي يحبها ويهواها، وفتح الباب أمام قصد القربة إلى الله وتأكيد الارتباط به في جميع أفعال الانسان ونشاطاته، فلا حصر ولا تحديد لنوع العبادة من

(١) الذَّاريات: ٥٦.

الافكار أو الأقوال، أو الأعمال، فالتفكّر في خلق الله وطلب العلم والمعرفة من أفضل العبادات، وخدمة الناس والعدل بينهم والتعامل معهم بإحسان وأداء أمانتهم عبادة، والتجارة والكسب ومقاطعة الرِّبا والإحتكار ومحاربة الظلم والدفاع عن الحق، واصلاح الفساد وإعمار الأرض و....إلخ كلُّها تعتر عبادة إذا قصد فيها الإنسان التَّقرب إلى الله تعالى.

وانطلاقاً من هذا التعريف العام لمفهوم العبادة نعلم أنَّ العبادة في الإسلام ليست محددة بمجموعة من التكاليف والأعمال وإنما تتسع لتشمل كل ما يصدر عن الإنسان بدافع القربة الي الله، وإنَّا لنجد في النصوص من الآيات والروايات ما يوضِّح هذا المفهوم الإسلامي، ويشخِّص أبعاده الواسعة الشاملة، لقدروي عن الإمام رضا عليه السلام: «**ليس العبادة كثرة الصلاة والصيام، وإنَّما التفكّر في أمر الله عزّوجلّ**»[1]، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نظر الولد الي والديه حباً لهما عبادة»[2]، وجاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة له عبادة**»[3]، وورد عن الامام الباقر عليه السلام: «**أفضل العبادة عفَّة البطن والفرج**»[4].

ولكن من بين تلك العبادات التفكر في الله ومخلوقاته من أهمِّ المظاهر التي يعبِّر بها الإنسان عن عبوديته لله سبحانه وهومايعبَّر عنه بالعبادة العقلية وهو أرقى الممارسات العبادية في الإسلام، وأكثرها قدرة على ربط الإنسان بخالقه وفيما يلي توضيحها بإختصار:

(١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام.
(٢) تحف العقول عن آل الرسول، مواعظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
(٣) تحف العقول عن آل الرسول، ما روي عن علي بن الحسين عليه السلام.
(٤) تحف العقول عن آل الرسول، ما روي عن الباقر عليه السلام.

التفكر في الله ومخلوقاته

لقد اعتبر الإسلام التفكّر في خلق الله، والتدبُّر في عظمته من أفضل صنوف العبادة وأرقى وسائل التكامل للإنسان لأنَّ التفكير العلمي الرصين هو الطريق الي معرفة الله سبحانه، وقدعرض القرآن نموذجاً للإنسان المفكر الذي يستخدم عقله في الوصول الي الحقيقة واستجلاء أبعادها فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١] وجاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**»[٢]، وروي عنه عليه السلام: «**أفضل العبادة التفكّر في الله عزّوجلّ وفي قدرته**»[٣]، وروي أنَّه كان أكثر عبادة أبى ذر الغفاري التفكّر في الله.

ويمكن أن نقسِّم العبادة بحسب نوع إرتباط العبد مع ربِّه وكيفية عبادته إلى ثلاثة أقسام حسب ما نستفيد ونفهمه من الآيات والروايات:

الأول: الإرتباط بالله وعبادته على أساس الخوف

من الواضح أن الله تعالى يخوف عباده من نفسه، ويحذّر من سخطه وغضبه، قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤] فوصول العبد إلى مرحلة الخوف من الله يوجب ابتعاده عن الذنوب والآثام، ويخرطه في طريق الطاعة والثبات، وهذا النوع من الارتباط بالله يسميه أمير المؤمنين بعبادة العبيد،

---

(١) آل عمران:١٩١.

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ٣٢٨،ب٨٠، عن تفسير العياشي.

(٣) تحف العقول، ما روي عن الامام الصادق عليه السلام.)

(٤) آل عمران: ١٧٥.

يقول عليه السلام: «**إن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد**»[١]، وهي درجة من درجات المعرفة يتصف بها عامة الموحدين ولكن هذا ليس مطلوب اولياء الله، ومن هنا كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «**إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك**»[٢]، ويقصد عليه السلام أن نارك يا الهي مخيفة، وحق على كل أحد أن يخافها ويهابها، ولكني وإن كنت أخاف منها إلاّ أن هدفي من عبادتك ليس اجتناب النار، ولا أن الداعي لها خوفها.

ثانياً: الإرتباط بالله وعبادته على أساس الطَّمع بالجنة

لقد ذكر الله تعالى كثيراً ما أعده من ثواب دائم ونعيم مقيم لعباده المطيعين، ودعاهم للتوجه إلى هذه اللذائذ والطيبات، وذلك لأجل أن يرغبهم في طاعته، وأن ما يتركونه من لذائد الدنيا ونعيمها، إنما هو لأجل ما أعده لهم من نعيم مقيم، وأن ما في الأرض لا يعدو أن يكون لذة جزئية زائلة في قبال تلك اللذائذ الواقعية الدائمة، قال الله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾[٣]، ولهذا نجد الكثير من العباد يتعلقون بالطاعة والعبادة على أساس ما أعدَّه الله لهم من الثواب والنعيم، فلا يتفاعل أو يتحرك نحو سلوك عبادي وطاعة إلاّ بعد أن ينظر ما أعدَّه الله لفاعله من الثواب، وهذا وإن كان ممدوحاً ومقبولاً عند الله تعالى وهي درجة من درجات المعرفة يتصف بها عامة الموحدين، ولكن ليست الغاية الحقيقية التي لأجلها خلق الإنسان أن يحصل على هذه اللذائذ الأخروية، وإنما هذا

(١) شرح نهج البلاغة١٩: ٦٨.
(٢) بحار الانوار٧٠: ١٨٦ ح٤.
(٣) سورة آل عمران: ١٣٣.

التحريض على الثواب والنعيم المقيم لتشويق العباد إلى الطاعة، وأنَّهم إنما يتركون لذائذ الدنيا، في قبال تلك اللذائذ التي لا عين رأت مثلها، ولا أذن سمعت بمثله ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، ولا خطرت على بال بشر، ولهذا يطلق على من يعبد الله تعالى طمعاً في الجنة والمثوبة هم التجار، ويقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إنَّ قوماً عبدوا الله طمعاً فتلك عبادة التجار**»[1]، ولذا لم تكن عبادة علي بن أبي طالب نفسه من هذا النوع فكان يقول: «**إلهي ما عبدتك طمعا في جنتك**»[2].

ثالثاً: الإرتباط بالله وعبادته على أساس المعرفةوالحب

كما نجد في القرآن والروايات محركات للعبد نحو الطاعة، من الخوف من النار أو الطمع في الجنة، كذلك توجد آيات وروايات كثيرة تجعل المحرك للطاعة أنَّ الله تعالى مستحق لها، فحتى لو لم يكن هناك جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، هناك دواعي للطاعة وترك المعصية، وهي أنَّ الله بذاته مستحق لها، وأهل لها، وعلى سبيل المثال نذكر مجموعة من الآيات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[3]،فهذه الآية وما ماثلها، تجعل استحقاق الله للعبادة لا لأجل الخوف من النار، ولا الطمع بالجنة، ولكن لأجل أنَّه الخالق، ومن الواضح أنَّ العقل يدرك استحقاق الخالق للعبادة، لأنه لا يوجد إله للناس غيره يستحق العبادة، ومن هنا نجد علياً عليه السلام كان يعبد الله، لأنه وجده أهلاً للعبادة لاغير، ولذا كان يقول: «**الهي ما عبدتك خوفاً من**

(١) بحار الانوار: ٤١: ١٤،ح٤.

(٢) بحار الانوار: ٧٠: ١٨٦،ح١.

(٣) سورة البقرة: ٢١.

نارك ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[١]، وأطلق على من يعبد الله تعالى لأنه وجد فيه الأهلية والاستحقاق، بأنه العابد الحر الّذي لا يقيده مصلحة، ويقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إنَّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة الأحرار**»[٢]، وهذا النمط من العبادة وبهذا الهدف والغاية هو ما يحقق الكمال الّذي من أجله خلق الإنسان، وبه يصبح خليفة الله في الأرض، وهومن أفضل الطرق للارتباط مع الله، ومن هنا كانت أعلى درجات العباد، المحبين لله، فقد ورد في صحيفة إدريس: «**طوبى لقوم عبدوني حبَّاً، واتخذوني إلهاً وربَّاً، سهروا الليل ودأبوا النهار طلباً لوجهي من غير رهبة ولا رغبة ولا لنار ولا جنة، بل للمحبة...**»[٣].

***

الفرائض والنوافل من العبادات

إنّ الإسلام قد وضع منهاجاً شاملاً وواسعاً للعبادة يمكنه أن يستوعب جميع الاوقات التي يعيشها الانسان فالصلاة اليومية ونوافلها، وصلاة الجمعة الاسبوعية، وصلاة العيدين وصوم شهر رمضان والحج السنوي تدلّ على هذا النوع من الاستيعاب.

ولاشك انَّ أهم الاعمال التعبدية هي تلك العبادات من الفرائض والنوافل التي يمارسها الإنسان خالصة لله فإنَّها أسمى مظهر من مظاهر التعبير عن العبودية، شريطة أن يستشعِر الإنسان معني الخضوع والتوجه والرغبة

(١) بحار الأنوار ٧٠: ١٨٦،ح١.
(٢) بحار الانوار: ٤١: ١٤،ح٤.
(٣) بحار الأنوار ٩٥: ٤٦٧.

الصادقة في أداء هذه الأعمال العباديةومن بين تلك الفرائض فريضة الصلاة هي الأساس والأصل لأنَّها عمود الدِّين إن قبلت قبل ماسواها وإن ردَّت رُدَّ ما سواها من الأعمال، ولذا نركِّز الحديث حولها لأهميتها وعموميتها.

***

مكانة الصلاة في الاديان

تعتبر الصلاة أقدم العبادات تاريخياً في جميع الأديان الماضية، والنماذج المذكورة من صلاة الأنبياء في القرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فهي عمود الدين ومرضاة الرب وأحب الأعمال إليه، وكانت مورد اهتمام الأنبياء والأوصياء والأولياء وآخر وصاياهم.

وفي الإسلام يروى أن الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم تلقى الحكم بوجوب الصلاة أثناء عروجه إلى السماء ليلة الإسراء ثم أبلغه المسلمين، وقبل هذا كان يؤدي الصلاة هو والإمام عليه السلام وخديجة عليها السلام على دين النبي ابراهيم الحنيف، وقد جرى في السنين الأولى من تأسيس حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة تغيير في محتوى الصلاة وعدد ركعاتها.

وتعتبر الصلاة في الإسلام من أهم العبادات،حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذا أسلم الرجل علَّمه الصلاة، ويقول له: «**ليكن أكثر همّك الصلاة فإنَّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدِّين**»[1].

وقد أثني على الصلاة في أحاديث الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام بعناوين وتعابير تكشف عن مدى أهمية هذه العبادة في الإسلام. مثل الصلاة عمود

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٢٧.

الدين ومرضاة الرب وأحب الأعمال إليه، وهي ثمن الجنة ومفتاحها ومَهرُ نسائِها؛ وجواز العبور على الصراط وسبب خزي الشيطان، وزاد المؤمن ومعراجه إلى الله وأنيسه في قبره وتاج فخره يوم القيامة وجواب منكرٍ ونكير، ونور على وجهه عند المحشر، وأنّها قرة عين الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، وما شابه ذلك من الثناء والتعريف.

وقد ورد في فضلها في حديث معتبر عن معاوية بن وهب قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عزوجل ماهو ؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنَّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: وأوصاني بالصلاة والزَّكاة مادمت حيّاً»[1].

والسؤال الذي يطرحُ هنا، لماذا تقابل هذه العبادة بهذا الاحترام والأهمية؟

سنبحث ونجيب على هذا السؤال بتقديم موارد من وجوه أهمية الصلاة من خلال دراسة الآيات والروايات الواردة في هذا الموضوع، ثم نبيّن الأهداف والفوائد والنتائج الحاصلة من هذه العبادة المهمة.

***

وجوه أهمية الصلاة

١ــ اشتراك الشرائع في الصلاة: الصلاة هي نهج الأنبياء كما عبّر عنّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[2] وآخر وصاياهم، كما قال حفيده الإمام الصادق عليه السلام، وكان

(١) وسائل الشيعة٢٥:٣،ح١.

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٢٣١.

دور الأنبياء هو إقامة الصلاة، والظاهر أنَّ المراد من إقامة الصلاة ليس مجرد القيام بأدائها فقط، بل سَوق الآخرين نحو الصلاة، كما أشار إلى هذا المعنى سماحة الإمام الخامنئي[1].

٢ـ لا عفو في الصلاة ابداً: يرتبط كل واحد من التكاليف الشرعية بصنف خاص من العباد، أو يعفى منه بعض الأصناف من الناس، فالصوم مثلاً واجب على غير المريض والمسافر... والخمس والزكاة والحج تتعلق بمن لهم القدرة المالية، والنساء والشيوخ مستثنون من حكم الجهاد، وبعض هذه التكاليف كالحج تجب على المستطيع مرة واحدة في العمر لا أكثر، لكن الصلاة فريضة دائمة وعامة، واجبة حال الصحة والمرض والأمن والخوف والليل والنهار وتتكرر خمس مرات في اليوم، وفي جميع الشهور والسنين وعلى الحّر والعبد، والرجل والمرأة والغني والفقير والمريض والسقيم والمقيم والمسافر...، بل يأمر الشارع المقدس بأداء الصلاة مشياً أو ركوباً إن كانت الظروف صعبة لا يسع المجال معها للتوقف أو النزول كحالة الحرب والجهاد. ولذا سُنّت صلاة الخوف. وقد صلاها الإمام الحسين وأصحابه ٨ ظهر عاشوراء ودعا لأحد أصحابه ذكَّره بوقت الصلاة بقوله: «جعلك الله من المصلين»، ولأهمية هذه الفريضة للإنسان يستحب أن يعرَّف الطفل في أول ساعات ولادته بنداء الصلاة، ويُهمس بالأذان والإقامة في أذنيه، وكل هذا يدل على أهمية الصلاة، بحيث تكون مع الإنسان من ولادته إلى وفاته.

٣ـ كفر تارك الصلاة: عن الرّسول الأكرم ﷺ قال: «**ما بين المسلم**

(١) أعماق الصلاة، للإمام الخامنئى (دام ظله): ١٥.

وبين أن يكفر إلاّ أن يترك الصلاة الفريضة متعمداً أو يتهاون بها فلا يصليها»[١]، وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة**»[٢].

٤ـ الصلاة أوّل ما يسأل عنه العبد: دلت النصوص على أن الصلاة أول سؤال يسأل عنه يوم القيامة، وتعتبر صحة الصلاة وقبولها شرطاً في النظر في سائر الأعمال أيضاً، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله وإن رُدَّت ردّ سائر عمله»[٣].

ألا تنبئ هذه الأمور كلها عن أهمية هذه الفريضة التي يجب أن تستوعب عمر الإنسان كله من الطفولة إلى الموت؟

***

فوائد الصلاة وآثارها

أولاً ـ الصلاة تحقق حاجة الإنسان الفطرية للعبادة: يقول الشهيد المطّهري: «إنَّ أجلى تجّليات روح الإنسان، وأعظمها قِدَمَاً، وأعمقها غوراً وأصالة في أبعاد النفس الإنسانية حسه العبادي»[٤]، وهذه الفريضة العبادية في الإسلام تلبي هذا الإحساس والإحتياج الفطري الحقيقي للإنسان، وهي أفضل طريقة لإشباع هذا الاحتياج والسيطرة على الإضطراب والقلق النفسي، وذكر الله

(١) ثواب الأعمال: ٢٤٠، بحار الأنوار ٧٩: ٢١٦، ب ١.

(٢) بحار الأنوار ٧٩: ٢٣٢، الباب الأول.

(٣) وسائل الشيعة ٤: ٣٤، ب ٨.

(٤) إحياء الفكر الديني: ١٠٥.

خير شافٍ ومسكن للأفئدة والقلوب: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]، وتعبير الصلاة خير مصداق لذكر الله، بل هي ذكر الله تعالى قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

ثانياً ــ الصلاة تحقق حاجات الإنسان الحياتية: إنَّ الاستمداد والاستعانة بغير القدرة الإلهية في الحياة أمرٌ يتبرأ منه الإنسان في كل يوم في صلاته بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأمرنا الله أن نستعين بالصبر والصلاة في قضاء حوائجنا بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[٢] كما أوصى بأداء صلوات مختلفة لقضاء الحاجات، فإنّه وإن كان نظام العالم لا يقوم إلاّ على أسباب وعلل مادية لكن حدوث هذه الأسباب وتأثيرها بيد الله سبحانه، ولابدَّ من الاستعانة بقوة غيبية لحدوثها.

ثالثاً ــ الصلاة تدارك للذنوب وإصلاح للنفس: قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٣]، وَعن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية: الصلوات الخمس كفارة لما بينهنّ، ما اجتنب من الكبائر وهي التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٤].

ويصف رسول الله صلى الله عليه وآله الآية السالفة في رواية؛ بأنّها أرجى آية في كتاب الله ويقول صلى الله عليه وآله: «**والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إنّ أحدكم ليقوم**

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) البقرة: ٤٥.

(٣) هود: ١١٤.

(٤) بحار الأنوار ٨٢: ٢٣٣.

إلى وضوئه فتتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء، كما ولدته أمه» وورد في روايات كثيرة أن المصلي إذا كان مبتلياً بفساد أخلاقي، واستمر في أداء صلاته، فإنّ الآثار المعنوية للصلاة ستجعل منه فرداً صالحاً في المستقبل، ففي رواية أنَّ فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ﷺ يرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إن الصلاة تنهاه يوماً**» فلم يلبث أن تاب[1] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2].

رابعاً ــ الصلاة تقوّي الإرادة والقابلية على التركيز: إنّ الاضطرابات الفكرية والصراعات النفسية من الأمراض المهلكة التي تهدّد البشرية في القرن الواحد والعشرين، ولذا يحاول العلماء والمتخصصون في علم النفس إنقاذ الإنسان من هذه الاضطرابات والتقلبات الروحية وتوفير الراحة لفكره ونفسه فترة من الزمن، والصلاة خمس مرّات في اليوم تضع الفكر في مدار التركيز، وتيّسر عملية تنامي القدرة على تركيز الذهن، وما جاء في الصلاة بأنه يكره للمصلي الوقوف عند الباب المفتوح، وقبالة المرآة وأمام الصور (لوحات الرسم) والصلاة متضائقاً، وغيرها، يصبّ جميعاً في مدار الوصول إلى الدرجة القصوى من التركيز.

خامساً ــ الصلاة نهج تربوي وظاهرة اجتماعية: على المصلي إذا أراد الصلاة رعاية عدد من الشروط اللازم توفرها في لباسه. ومكسبه، ومكان صلاته، وكذا رعاية حقوق الغير مثل دفع الزكاة، واجتناب الغيبة، والاهتمام

(١) بحار الأنوار ٧٩: ١٩٨.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

بحقوق الناس ورعاية بر الوالدين، كي تقع صلاته موقع القبول عند الله سبحانه وتعالى، وهذه القيود والالزامات ذات التأثير الكبير على كل حياة الإنسان وتخرج الصلاة عن هيئتها كعمل فردي وشخصي لتبدو على شكل نهج تربوي، وظاهرة اجتماعية مستمدة من صلب الحياة، ممّا يجعلها عاملاً في مسير تحقق العدالة الاجتماعية وتحكيمها.

سادساً ــ الصلاة تعلّم الإنسان النظم والانضباط في الأمور: إذ تدخل في أوقات محددة، وهي خمس أوقات في اليوم فهذا التقيّد والإلتزام بالوقت، وهكذا الترتيب الموجود في أجزاء الصلاة وركعاتها وألفاظها وأفعال حركات المصلي، كل هذا يبعث في الإنسان روح النظم والانضباط ورعاية المنهج والنظام.

سابعاً ــ الصلاة جرس الإيقاظ ومحذِّرٌ من ضياع العمر: يقول سماحة الإمام الخامنئي ﷾ في هذا السياق: «نادراً ما يتمكن الإنسان من تفريغ نفسه وتخليصها من المشاغل الفكرية التي تحيط به، ليتدبر نفسه وحاله، ومصيره، والصلاة ـ كجرس الإيقاظ ـ منّبه في ساعات الليل والنهار المختلفة. يحّدد للإنسان برامجه وخططه، ويأخذ منه العهد بأن يعطي لنهاره وليله معنى وقيمة، ويحسب لمرور اللحظة حساباً»[1]

ثامناً ــ الصلاة استحكام للإيمان ومصاحبة للكون: ما من جيش ولا منظمة إلاّ وتعلّم أفرادها وأتباعها نشيداً يبعث فيهم روح المقاومة والصمود كل صباح ومساء، ويصنع من إرادتهم وعزمهم إرادة حديدية وعزماً لا يلين.

وكل ما في الوجود وذرّاته التي تتراءى جامدة، هامدة تنشد كل صباح

(١) في أعماق الصلاة للإمام الخامنئي : ١٠.

ومساء نشيد الثبات والصمود في طاعة الخالق: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]، فإذا كان مالا شعور له ولا وعي ولا إدراك من المسبحين لله سبحانه كيف يسوغ للإنسان ذي الفهم والشعو أن لا يخضع لعظمته، ففي الصلوات اليومية يشترك الناس مع سائر ذرّات الكون في أنشودة الثبات والصمود في طاعة الله.

تاسعاً- الصلاة مصحة للبدن ومطهرة للّباس: إنّ جسم الإنسان من خلال الوضوء والغسل، كمقدمات للصلاة يتعرض يومياً إلى النظافة والطهارة، كما أن المصلي عليه أن يعطّر ثيابه، ويستحب له أن يأخذ زينته ويتعطر للصلاة، وتأثير هذه الأعمال لابد أن يسري وينتقل إلى سائر شؤون حياته مما يجعل منه شخصية أنيقة ومرتبة.

عاشراً- بالصلاة يكتسب الإنسان الوقار والشعور بالقدرة والعزة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، فالمصلي يكتسب من خلال أذكار الصلاة ومفاهيمها السكون والطمأنينة، وهدوء النفس والوقار في شخصيته، والإعتدال في السلوك مع الآخرين، وقبال المشاكل والمصئب التي يواجهها في حياته.

وبالرغم مما تثير الصلاة في الإنسان من الشعور بالتواضع والخضوع، غير أنّها لا تدع المصلى يحسّ بالذلة والحقارة في نفسه أبداً، فهى تربطه بالقدرة الأبدية مما يبعث في نفسه الشعور بالقدرة والعزة يقول الإمام علي عليه السلام في مناجاته: «**إلهي كفى بي عزّاً أن تكون لي ربّاً، وكفى بي فخراً أن أكون لك**

(١) الإسراء: ٤٤.

عبداً، إلهي أنت كماأحب فاجعلني كما تحب»[١]، فبمقدار ما يتصف المصلي بالذلة أمام خالقه العظيم تخلق فيه الصلاة العزة والكرامة مع الآخرين.

***

عدم الاهتمام بالصلاة أو تركها

إنَّ من أهمِّ عوامل عدم الإهتمام بالصلاة أو تركها؛ هو ارتكاب الذنوب والمعاصي، والآثام والتعلق بالدنيا، والتأثُّر بها والجهل بالصلاة وفلسفتها وفوائدها، والجهل بالمعبود وما يحتاجه الإنسان منه، ويمكن أن يترك الإنسان الصلاة لا لجهلٍ وعمدٍ، بل يعرف ضروتها وفضلها ولكن يتركها إهمالاً وتهاوناً واستخفافاً بها فذاك هو الإنسان الفاسق والعاصي بحكم علماء المسلمين.

ومن ترك الصلاة الواجبة عامداً منكراً لضرورتها عدَّ منكراً لأحد ضروريات الدين، وخارجاً عن الإسلام فهو بحكم الكافر المرتد، ومهدور دمه إلاّ إذا تاب، وهذا رأي علماء الفريقين.

ويرى علماء الإمامية أنّ «كل من ترك واجباً كالصلاة والزكاة والخمس والحج والصوم، يؤدب بما يراه الحاكم، فإن ارتدع وإلاّ أدّبه ثانياً، فإن تاب وإلاّ أدبه ثالثاً، فإن أصرَّ قتل في الرابعة»[٢]

سئل الإمام الصادق عليه السلام ما بال الزَّاني لا تسميه كافراً، وتارك الصلاة تسميه كافراً، وما الحجة في ذلك؟ قال عليه السلام: «**لأنَّ الزَّاني وما أشبه إنَّما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنَّها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلاّ استخفافاً بها**»[٣].

(١) بحار الأنوار ٧٤: ٤٠٢،ب١٥.

(٢) الفقه على المذاهب الخمسة: ٧٧.

(٣) وسائل الشيعة ٣: ٢٨.

هذا بالنسبة إلى ترك الصلاة، وأما بالنسبة إلى عدم الإهتمام بها، فإنَّه أيضاً ذنب عظيم يترتب عليه عواقب عديدة، منها غضب الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، والحرمان من الدُعاء والإستجابة والعسر في المعيشة وضيق القبر وظلمته، وفي النهاية عدم قبول الصلاة، وشمول العذاب والويل الإلهي ومن اهم مصاديق عدم الاهتمام بالصلاة كما جاء في الروايات تاخير الصلاة عن اول وقتها، لقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1]، قال: «**تأخير الصلاة عن أوّل وقتها لغير عذر**»[2]، وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام قال: «**من أحسن صلاته حين يراه الناس وأساءها حين يخلو فتلك استهانة**»[3] وعنه عليه السلام: «ما وقَّر الصلاة من أخَّر الطهارة لها حتى يدخل وقتها». ويُروى عنه عليه السلام أنه رأى رجلاً يصلي مستعجلاً فقال له: «منذ كم صليت بهذه الصلاة؟ فقال الرجل: منذ كذا وكذا، فقال: مثلك عند الله مثل الغراب إذا نقر، لو متَّ، متَّ على غير ملة أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال عليه السلام: «**إن أسرق الناس من سرق من صلاته**»[4].

ومن أهم علائم عدم الاهتمام بالصلاة؛ جهلنا وغفلتنا عن معاني الأوراد والأذكار التي نردّدها دائماً في الصلاة، فلو كان لمخاطبنا بعض الأهمية لتعلمنا معاني ومفاهيم هذه الألفاظ كما نتعلم الكثير من العلوم التي نحتاجها في أمور دنيانا.

وفيمايلي عرض لبعض هذه المعاني والمفاهيم.

---

(١) الماعون: ٤،٥.

(٢) بحار الأنوار ٨٣: ٦.

(٣) مستدرك الوسائل ٣: ٢٦.

(٤) بحار الأنوار ٨٤: ٢٤٢.

آداب الصلاة وأسرارها

إن للصلاة صورة ظاهرية وصورة باطنية؛ وكما أن لظاهرها أحكاماً وآداباً يؤدي عدم رعايتها إلى بطلان الصلاة أو نقصانها، فإنّ لباطنها آداباً وأسراراً يلزم من عدم معرفتها ومراعاتها نقصان في الجانب المعنوي للصلاة، كما أنه بمعرفة تلك الأسرار والآداب ومراعاتها تكون الصلاة ذات روح ملكوتية ومعراجاً روحياً للمؤمن يعرج به إلى ربه.

وكما أنَّ ظاهر القرآن لا يمسه إلاّ المتطهرون من الحدث، وباطنه لا يعرفه ولا يصل إليه إلاّ المتطهر من دنس الذنوب، كذلك الصلاة لا يأتيها ولا يؤديها إلاّ المتوضىء أو المغتسل والمتطهر من الحدث والخبث، وباطنها لا يأتيه ولا يعرفه إلاّ المتطهر من الذنوب والعارف بحقيقتها وأسرارها والمراعي لآدابها.

إنّ صورة الصلاة واحدة يشترك فيها المصلون ولكن سيرتهاوسرّها متفاوت، ولذا يتفاوت المصلون كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد، إنَّ ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض**»[1]، فالتفاوت في درجة الصلاة والمصلين هو في معرفة الآداب والأسرار للصلاة ومراعاتها، ومن بين تلك الآداب وأهمّها هو حضور القلب.

***

حضور القلب في الصلاة

إنَّ أهم المعاني والآداب الباطنية للصلاة، والذي يعتبر روح الصلاة

(١) جامع أحاديث الشيعة ٥: ٣١،ح ٢٩٩٢.

وتمامها وكمالها وحقيقتها؛ حضور القلب وإقباله، ومعنى حضور القلب: أن يجعل الإنسان قلبه منذ بداية العبادة إلى نهايتها ملتفتاً بصورة اجمالية إلى أنه مشتغل بالثناء على المعبود،بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود. وليعلم أن المنشأ والسبب الوحيد لظهور الشواغل القلبية هو حب الدنيا والاهتمام بها، فإذا انصرف الإنسان عن الدنيا توجه نحو الآخرة، ومنشأ حضور القلب هو أن يتلقى القلب الصلاة بالتعظيم، ويراها من المهمات، وأنها تسبب السعادة، وأنها زاد الحياة في عالم الآخرة، وليعلم أنه قد وردت الأحاديث الكثيرة في الترغيب بحضور القلب، ونحن نكتفي بذكر بعضها: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه**»،[1] وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يا أباذر ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه (لاه)**»[2] والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهذا المقدار كافٍ لأرباب القلوب اليقظه.

ولله در المحقق الفريد المهدي الطباطبائي قدس سره حيث قال في الدرة:

عليك بالحضور والإقبال في جملة الأقوال والأفعال
وصلِّ بالخضوع والتخشع وكن إذا صليت كالمودع

وللحصول على حضور القلب في الصلاة ينبغي للمصلي أن يختار المكان المناسب للصلاة لتمركز الذهن والفكر والخيال والحواس، فيتجنَّب حتى المكروهات في الصلاة، ثم من آداب الصلاة بعد معرفة حضور القلب

(١) مستدرك الوسائل٤: ١٠٩، ب٣.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٧٤، بحار الأنوار ٧٤: ٨٤،ب٤.

وتحصيله، معرفة معاني أسرار كل واحدة من شروط الصلاة وافعالها وأركانها، وها نحن نذكرها باختصار:

***

معاني وأسرار الصلاة

١ ـ دخول الوقت «الأذان والإقامة»: قال الشهيد الثاني: «إذا دخل الوقت استحضر أنه ميقات جعله الله لك لتقوم فيه بخدمته، وليظهر على قلبك السرور، لكونه سبباً لقربك ووسيلة إلى فوزك، وقد روي عن عائشة أنهاقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كلّ شيء»[١]

وفي صحيحة محمّد بن مسلم قال: قال لي أبو عبدالله «إذا أنت أذَّنت وأقمت، صلَّى خلفك صفَّان من الملائكة، وإن أقمت إقامة بغير أذان صلَّى خلفك صف واحد»[٢].

٢ ـ القيام واستقبال القبلة: القيام هو الوقوف مستقبل القبلة بين يدى الله سبحانه، وهو من أعلى مراتب الإيمان وأمَّا إستقبال القبلة: فهو صرف ظاهر الوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله، وهذا إشارة إلى أنَّه ينبغي صرف وجه القلب عن سائر الأشياء إلى الله، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا استقبلت القبلة فأيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه؛ واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى**»[٣].

(١) بحار الأنوار ٨١: ٢٥٨،ب ٣٨،ح ٥٦.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٦٢٠،التهذيب ١: ١٤٨.

(٣) مصباح الشريعة: ب١٣،(في افتتاح الصلاة).

٣ ـ النية في الصلاة: ينبغي الإخلاص في الصلاة، وأن لا يشوبها غرض دنيوي، لأن في الإخلاص يكون الخلاص، والمراد من النية في الصلاة، قصد القربة إلى الله سبحانه، وقد ورد في شأنها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

٤ ـ تكبيرة الإحرام: ومعناه الله أكبر من كل تصور، ومن أن يوصف، أو أن يدرك بالحواس، أو أن يقاس بشيء، وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: «**إذا كبّرت فاستصغر ما بين السّموات العُلى والثّرى دون كبريائه، فإنَّ الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد، وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب أتخدعني! وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي**»[2].

٥ – القراءة: يجب قراءة سورة الحمد في الصلاة في الركعتين الأوليتين مع ضم سورة إليها، وتعني سورة الفاتحة الشيء الكثير من العقائد والأخلاق، فهي تبدأ باسم الله تعالى الذي يتصف بالرحمة الواسعة، ثم تحمده على آلائه ونعمه، ثم تشير إلى المعاد ويوم القيامة، وأنّه المالك المطلق لذلك اليوم، ثم يتوجه المصلي ليعترف أمام خالقه بأنَّه لا أحد يستحق العبادة والارتباط به ليعينه على كل مجريات الحياة، ثم يتوجه إليه ليطلب منه العون والهداية إلى الصراط الحق، ويبعده عن طريق الضلالة وكل ما يوجب غضب الله تعالى.

٦ – الركوع: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يركع عبدٌ لله ركوعاً على الحقيقة، إلاّ زيّنه الله تعالى بنور بهائه، وأظّله في ظلال كبريائه وكساه كسوة**

(١) سورة الأنعام: ١٦٢،١٦٣.

(٢) مصباح الشريعة: ب ١٣ في افتتاح الصلاة.

أصفيائه، والركوع أوّل، والسجود ثاني، فمن أتى بالمعنى الأول صلح للثاني وفي الرّكوع أدب، وفي السجّود قرب، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب»[١].

٧ – السجود: السجود أعلى درجات الإستكانة والخضوع، إذ فيه وضع أعّز الأعضاء وهو الوجه على أذل الأشياء، وهو التراب، ومن هُنا قال الإمام الصادق عليه السلام: «**السجود منتهى العبادة من بنى آدم**»[٢]، وعنه عليه السلام: «**أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد**»[٣]، وقد ورد في مدح الساجدين قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[٤]، كما كان للإمام زين العابدين ثفنات على مسجد جبهته، فكان يقطعها في السنة مرتين، ولذا لقب بالسجَّاد لكثرة سجوده.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته الشعبانية: «**وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم واعلموا أنّ الله تعالى ذكره أقسم بعزته أن لا يعذِّب المصلين والساجدين، . . .**».

وروى الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى السجود فقال عليه السلام: «**معناه منها خلقتني يعنى من التراب، ورفع رأسك من السجود معناه منها أخرجتني، والسجدة الثانية وإليها تعيدني، ورفع رأسك في السجدة الثانية، ومنها تخرجني تارة أخرى**»[٥].

(١) مصباح الشريعة: ب١٥، بحار الأنوار ٨٢: ١٠٨.
(٢) جامع أحاديث الشيعة ٥: ٢٢٨.
(٣) وسائل الشيعة ٤: ٩٨٠.
(٤) الفتح: ٢٩.
(٥) بحار الأنوار٨٢: ١٣٩، ب٢٧.

٨ – القنوت: القنوت في الصلاة بمعنى الدُعاء والتوسل وهو مظهر تام للتضرع والابتهال، وهو موجب لكمال الصلاة، فإذا تُرك القنوت فيها فتفقد حينئذٍ كمالها، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل الصلاة ما طال قنوتها**»[١].

٩ ـ التشهد والتسليم: التشهد ما هو إلاّ شهادة بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ، والصلاة على النبي ﷺ، وحيث أن الصلاة عليه بدون الصلاة على أهل بيته بتراء فالصلاة عليهم أجمعين من أجزاء الصلاة، لقوله ﷺ: «**من صلَّى صلاة لم يصل فيها عليَّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه**»[٢].

وأما التسليم الأخير الذي هو واجب في الصلاة في قولك: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فهو سلام على النبي محمد ﷺ وعلى بقية الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، والملكين المخصصين لأعمال المصلين، وقد جاء في الروايات أن التسليم في دبر كل صلاة علامة الأمن وتحليل الصلاة، أمن من أن يدخل في الصلاة ما يفسدها، وتحليل للكلام والخروج من الصلاة[٣].

***

تعقيبات الصلاة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[٤]، أي: فانصب نفسك لإستمرار العبادة بتعقيب الصلاة بالدعاء والمناجات مع قاضي الحاجات،

(١) الخصال ٢: ١٠٣.
(٢) جامع أحاديث الشيعة ٥: ٣٣٧.
(٣) راجع مصباح الشريعة: ب ١٨.
(٤) سورة الشرح: ٧،٨.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من أدَّى لله تعالى صلاة مكتوبة فله في أثرِها دعوة مستجابة**»[١] بل قد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن ترك التعقيب لإيهامه الإستغناء عن الله تعالى، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من صلى صلاة فريضة وعقَّب إلى أُخرى فهو ضيف الله، وحق على الله أن يكرم ضيفه**»[٢]، وأدنى مراتب التعقيب البقاء على الوضوء بعد الصلاة.

هذا مجمل القول في أصل التعقيب ورجحانه، وأمّا ما ورد في تعيينه وبعض أسراره، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إذا سلَّمت فارفع يديك بالتكبير ثلاثاً**»[٣]، ولعل سر التثليث هو التنبه للمراحل الثلاث من توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله.

ومن أهمِّ التعقيبات وأنفعها تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام وقراءة آية الكرسي الحاوية للاسم الأعظم وسجدة الشكر التي تعكس أسمى حالات الخضوع والتعبد، وقد نقل في توقيع مولانا صاحب العصر # أن: «**سجدة الشكر ألزم السنن وأوجبها**»[٤]، ومن التعقيبات التبرك بالمسجد، فقد أمر في وداع الصلاة بعد سجدة الشكر أن يمرَّ المصلي يده على موضع السجود، ويمسح بها وجهه وجسمه، وهو ما يضمن السلامة من كل مرضٍ وضعف بإذن الله تعالى[٥].

***

(١) جامع أحاديث الشيعة ٥: ٣٥٧،ح٣٣٨٣.
(٢) جامع أحاديث الشيعة ٥: ٣٥٩،ح ٣٣٩١.
(٣) جامع أحاديث للشيعة ٥: ٣٦٤،ح ٣٤٠٣.
(٤) جامع أحاديث الشيعة ٥: ٤٥٣،ح ٣٦٤٥.
(٥) بحار الأنوار ٨٥: ٢٠٦.

الصلاة الواجبة والمستحبة

أما الصلوات الواجبة فهي الصلاة اليوميةوصلاةقضاء الولدالأكبر عن والده، والصلاة الواجبة بالنذر أو العهد أو اليمين أو الاستئجار، وصلاة الطواف الواجب، والايات، والأموات، ومنها صلاة الجمعة، وصلاة العيدين عندحضور الامام المعصوم[1].

وتفصيل احكام هذه الصلوات وكيفيتها موكول إلى الرسائل العملية الفقهية.

وأما الصلوات المستحبة فهي كثيرة، منهاالنوافل اليومية، وصلاةالغفيلة، وصلاة جعفر الطيار، وصلاةالحجة، وصَلاةُ اللّيل وغيرها من الصلوات... من أراد التعرف عليها بالتفصيل عليه بمراجعة الرسائل العملية وكتب الأدعية، ولكن لأهمية صَلاة اللّيل نورد كلاماًمهمَّاً حولها من المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان) نقلاً عن إستاذه المرحوم اية الله القاضي:

***

صَلاةُ اللّيل

يقول العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب (تفسير الميزان): حينما كنتُ في بداية شبابي مقيماً بالنجف الأشرف لدراسة العلوم الاسلامية، كنت بين حين وآخر أذهب للقاء بالمرحوم آية الله القاضي (من كبار العلماء والأساتذة في الحوزة) وذلك بحكم القرابة وصلة الرحم، فذات يوم، كنت

(١) تجب صلاة العيدين في حضور الامام المعصوم، وكذلك الحال في صلاة الجمعة على احد الاقوال المعروفة عند الإمامية.

واقفاً عند باب مدرسة كان يمرّ بها المرحوم القاضي في طريقه، فلمّا اقترب منّي، وضع يده على كتفي وقال: «يا بنيّ إذا تريد الدنيا فصلِّ صلاة الليل، وإذا أردت الآخرة فصلّ صلاة الليل»،لقد ترك هذا الكلام اثراً تربوياً عميقاً في نفسي، فصرتُ من ذلك الوقت، بعد ما رجعتُ الى ايران ألازمه مدة خمس سنوات ليلاً ونهاراً، ولم افرط بلحظة استطيع فيها ادراك فيضه وكمالاته الروحية[1].

***

أهل البيت عليهم السلام والصلاة

نرى مولانا أمير المؤمنين في حرب صفين يفرش بين الصفين ليصلي صلاته في وقتها، ولا يأب السهام التي تمر على رأسه، وهذا الامام السجاد عليه السلام كان قائماً يصلي حتَّى وقف ابنه محمد وهو طفل، إلى بئر في داره بالمدينه، بعيدة القعر فسقط فيها، فنظرت اليه أمُّه فصرخت، وأقبلت نحو البئر، تضرب بنفسها حذاء البئر وتستغيث، وتقول يابن رسول الله، غرق ولدك محمد، وهو لا ينثني عن صلاته، وهو يسمع اضطرب ابنه في قعر البئر، فأقبل على صلاته، ولم يخرج عنها إلاّ عن كمالها وتمامها، ثمَّ أقبل عليها، وجلس على أرجاء البئر، ومدَّ يده إلى قعرها، فأخرج ابنه محمداً على يديه يناغي ويضحك، لم يبتل له ثوب، ولا جسد بالماء، فقال عليه السلام: «**هاكِ يا ضعيفة اليقين بالله**» فضحكت لسلامة ولدها، وبكت لقوله: يا ضعيفة اليقين بالله، فقال عليه السلام: «**لا تثريب عليك اليوم، لو علمتِ أنّي كنت بين يدي جبار، لو ملت بوجهي**

(١) مهر تابان: ١٦، (كتاب بالفارسية عن حياة العلامة الطباطبائي).

عنه لمال بوجهه عني»[١].

كما أنَّ الحسين عليه السلام وفي أحلك الحالات يقول له الصائدي، يا ابن رسول الله أحب أن أصلي معك، هذه الصلاة التي قد دنا وقتها قبل أن أموت، فقال له الحسين عليه السلام : «**ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين، نعم هذا أول وقتها، سلوهم أن يكِّفوا عنَّا حتى نصلِّي لربنا...**»[٢].

(١) مناقب آل أبي طالب: أحوال الإمام السجّاد٨.

(٢) بحار الأنوار ٤١: ١٤٨.

الليلة الثامنة

التكافل الإجتماعي في الإسلام

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[١]

قال رسول الله: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسَّهر**»[٢].

***

القضاء على الفقر في الإسلام

إنَّ النظام الإجتماعي في الإسلام نظام تكاملي تكافلي ضامن لحياة أفضل ولكل البشرية عموماً، ويعتبر نموذجياً في كفالة الناس وحفظهم من كل آفة بما فيها الفقر،هذا إذاعمل الناس بإرشاداته وطبقت قوانينه في المجتمع الإسلامي الذي يصفه رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٣]، وبما أن الفقر هو الموت الأكبر وكاد أن يكون كفراً كما ورد في

(١) المعارج: ٢٤، ٢٥.

(٢) الكافي ٢: ٧٠٤.

(٣) الكافي ٢: ٧٠٤.

الأحاديث الشريفة، فلا بُدَّ من محاربة بشتى الوسائل والقضاء عليه، وأوَّل خطوة قام بها الإسلام هوالدعوة على العمل والابتعاد عن الكسل، والحث على الاستثماروبذلك يزدهر الاقتصاد وينتفي الفقر.

والخطوة الثانية الذي قام بها الإسلام هو إرشاد الناس لإشباع الفقير الجائع، وإكساء الفقير العريان وقضاء حوائج المحتاجين وإلى غيرها من الأفعال التي يمجدها الإسلام ويوصي بها للقضاء على الفقر، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أصبح لا يهتَّم بأمور المسلمين فليس منهم**»[1]، وعنه عليه السلام: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع**»[2].

وهناك تشريعات في الإسلام تفرض على الأغنياء حقاً معلوماً في أموالهم كالزكاة والخمس في أرباح المكاسب (٢٠٪) تدعم بيت المال المسلمين لتقوم الدَّولة الإسلامية بالخدمات الإجتماعية لعامة الناس خاصَّة المحتاجين منهم، وهناك تشريعات فرضت غرامات وكفارات على غير الملتزمين لإعانة الفقراء وهناك تشريعات تُحبِّب للناس وتحثهم علي القيام بها كسنة حسنة كوقف بعض اموالهم او انفاقها في سبيل الله لصرفها في المصالح العامة للمسلمين كالمساجد والمدارس والمكتبات وسكن الزوَّار،أولخاصَّة منهم كذريَّة رسول الله أو لعلماء الدِّين، وغير ذلك من موارد الإنفاق في سبيل الله كمَّاً وكيفاً، ولكن نركِّز هنا في الحديث حول الصَّدقات خاصَّة المستحبة منها(التطوعية)، بمايناسب أحوالات شهر رمضان المبارك وتأكيدإستحباب كثرة التصدق والإنفاق فيه كما جاء في خطبة الرَّسول الأعظم الشعبانية.

***

(١) الكافي ٢: ١٦٤.

(٢) الكافي ٢: ٦٦٨، بحار الأنوار ٧٢: ٣٦٢،ب٨١.

الصدقات في الاسلام

الصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه التقرب إلى الله، وجوباً وفريضة كزكاة الأموال وزكاة الفطرة أو استحباباً تطوعاً، والصدقة تقع أولاً بيد الله ويشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من شيء إلاّ وكّل به ملك إلاّ الصدقة فإنها تقع في يد الله**»[٢]، ولأنَّ الصدقة تقع بيد الله كره لنا ردّ السائل بخشونة ونهر، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٣]، وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**رُدّوا السائل ببذل يسير أو بلين ورحمة، فإنّهُ يأتيكم من ليس بإنسٍ ولا جان لينظر كيف صنعكم فيما خوّلكم الله**»[٤].

وينبغي أن يكون هذا الإنفاق والتصدق بمقدار لا يضّرُ بشخص المتصدق وعياله كما خاطب الله تبارك وتعالى رسوله الكريم بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٥].

ثم إنَّ الصدقة لا تنحصر بالمال ولا بالفقير، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل معروف صدقة إلى غنّي أو فقير**»، وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «**عونك للضعيف من أفضل الصدقة**»[٦]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أفضل الصدقة إبراد الكبد الحرى**»[٧].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٤.

(٢) بحار الأنوار ٩٦: ١٢٧.

(٣) سورة الضحى: ١٠.

(٤) بحار الأنوار ٩٦: ١٥٩.

(٥) سورة الإسراء: ٢٩.

(٦) تحف العقول: ٤١٤، بحار الأنوار ٧٥: ٣٢٦،ب ٢٥.

(٧) بحار الأنوار ٩٦: ١٧٢.

الصدقات الواجبة (الزكاة)

الزكاة: هي الصدقة الشرعية يجوز كونها مأخوذة من النّمو والإزدياد، فإنَّ المزكّي لماله قد أنماه وكثَّرهُ ويجوز كونها مأخوذة من معنى التطهير والتزكية فإنَّ المزكي لماله قد طهَّره من الأوساخ، وطهَّر نفسه من البخل والحرص، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لمَّا نزلت آية الزكاة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢] في شهر رمضان، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس: إنّ الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة... أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم»[٣]، وقال الامام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾[٤]، فمن أقام الصلاة ولم يؤتِ الزكاة لم يقم الصلاة**»[٥]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء، ومؤونة للفقراء، ولو أنَّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقير محتاج، وإنّ أحب الناس إلى الله أسخاهم كّفاً، وأسخى الناس من أدَّى زكاة ماله، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض لهم في ماله**»[٦].

***

موارد مصرف الزكاة

إنَّ الآية في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾...؛ تتضمن حكم زكاة

---

(١) سورة الأعلى: ١٤،١٥.

(٢) سورة التوبة:١٠٣.

(٣) وسائل الشيعة ٩: ٩.

(٤) سورة البقرة: ١١٠.

(٥) الكافي٣: ٥٠٦، وسائل الشيعة ٩: ٢٢،ب ٣.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٢: ٧،ح١٥٧٩.

المال التي هي من أركان الشريعة الإسلامية، وقد أمر الله النبي ﷺ بأخذ الصدقة من بعض أموال الناس، وهي النقدان: (الذهب والفضة)، والأنعام الثلاثة: (الإبل والبقر والغنم) والغلات الأربع: (الحنطة والشعير والتمر والزبيب)، وأُمر بعد أخذ الصدقة منهم أن يدعوا لهم، فكان ﷺ يدعوا لمعطي الزكاة ولماله بالخير والبركة، وكان ذلك الدعاء سكناً لنفوسهم، وهو نوع من الشكر لسعيهم في طاعة الله[١].

الصدقات الواجبة وهي الزكاة، تصرف لثمان أصناف من طبقات المجتمع التي ذكرتها الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]. والدليل على أنَّ الآية لبيان موارد صرف الصدقات الواجبة أي الزكاة قوله تعالى في آخرها:]فَرِيضَةً مِنَ اللهِ[.

١ـ لِلْفُقَراءِ: الفقير هو الذي اتصف بالعدم والفقدان لما يرفع حوائجه الحيوية من المال، وهو لا يسأل الناس من التعفف قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٣].

٢ـ لِلْمَساكِينِ: المسكين هو الذي حلّت به المسكنة والذلة، مضافاً إلى فقدان المال فهو يسأل كل كريم ولئيم من شدة الفقر، وعليه فالمسكين أسوء حالاً من الفقير.

---

(١) الميزان ٩: ٣٧٧.

(٢) سورة التوبة: ٦٠.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

٣ـ الْعامِلِينَ عَلَيْها: العاملون على الصدقات، هم الساعون لجمع الزكاة.

٤ـ المؤلفة قلوبهم: هم الذين يؤلَّف قلوبهم بإعطاء سهم من الزكاة ليُسلِموا، أو يدفع بهم العدو.

٥-في الرِّقابِ: اي:عتق رقاب العبيد بسهم من الزكاة.

٦-الغارمين: هم المديونون الذين ركبتهم الديون، فيقضى ديونهم بسهم من الزكاة.

٧-في سبيل الله: هو كل عمل يعود نفعه إلى الإسلام والمسلمين، ومن أظهر مصاديقه الجهاد.

٨-ابن السبيل: هو المنقطع عن وطنه الفاقد لما يعيش به، وإن كان غنياً ذا يسار في بلده.

***

عاقبة البُخل وعدم اعطاء الزكاة

هناك قصة وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيها مذمة لأحد الأصحاب، وهو ثعلبة بن حاطب الأنصاري بسبب بخله، وعدم اعطائه الزكاة، وقد عاهد الله لئن آتاه الله من فضله ليتصدق فنقض عهده، فأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَـٰٓئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1]. نزلت هذه الآية في ثعلبة بن حاطب، وكان من الأنصار، فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أدع الله أن يرزقني مالاً، فقال عليه السلام: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما لك في رسول الله أسوة

(١) سورة التوبة: ٧٥،٧٦.

حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطينَّ كل ذي حّقٍّ حقّه، فقال عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالاً، فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحا عنها فنزل وادياً من أوديتها، ثم كثرت نُمواً حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل، وقال ما هذه إلاّ أخت الجزية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله الآيات. وقيل: «إنّ ثعلبة أتى مجلساً من الأنصار فأشهدهم فقال لئن أتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه، ووصلت منه القرابة، فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه، ولم يف بما قال فنزلت الآيات»[1]

زكاة الفطرة: ومن الصدقات الواجبة زكاة الفطرة التي تسمى بزكاة الأبدان، وهي واجبة على من تتوفر فيه الشرائط، وتدفع عند انتهاءشهر رمضان، وقد أنزل الله تعالى فيها قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ من تمام الصوم إعطاء الزكاة كالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تمام الصلاة**»[3].

هذا ما أردنا أن نبحثه باختصار حول الصدقات الواجبة من زكاة الأموال وزكاة الأبدان، وأهميتها وموارد مصرفها، وهناك آيات وروايات أخر تتعرض لذلك تركناها للاختصار، والآن نبحث عن الصدقات التي جاءت في خطبة

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٤٠.

(٢) سورة الأعلى: ١٤،١٥.

(٣) تهذيب الأحكام ٣: ١٥٩،ح٨٣.

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «**وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم**»، وهي أعمُّ من الصدقات الواحبة وتشمل المندوبة أيضاً.

***

الصدقات المستحبة (التطوعية)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[1].

يريد القرآن بهذه الدعوة إلى الإنفاق، أن يرتفع مستوى معيشة الطبقة الفقيرة التي لا تستطيع رفع حوائج الحياة بدون إمداد مالي من غيرهم وتقييد الإنفاق بقوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾، فإنَّ من الإنفاق ما يحسن فيه الإسرار إذا كان في إعلانه مظنَّة الرياء، أو الشهرة أو إهانة وإذهاب ماء وجهه، ومن الإنفاق ما يحسن فيه الإعلان فيما كان في إعلانه تشويق الناس على البِّر والمعروف ونحو ذلك، لذا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كل ما فرض عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه**»[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[3]، يفهم منه أن إعطاء الصدقات بكلتا الصورتين مقبول حسن، ولكن الإخفاء فيه أفضل للحفاظ على ماء وجه الفقير المتصدق عليه، والحذر من الرياء وبطلان العمل، وذلك لأنّ، الرياء يبطل الصدقات كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾[4]، فالإخلاص والتقوى والإنفاق من طيبات الكسب ومما

(١) إبراهيم: ٣١.

(٢) الكافي٣: ٥٠١، وسائل الشيعة ٩: ٣٠٩ب ٥٤.

(٣) البقرة: ٢٧١.

(٤) البقرة: ٢٦٣.

يُحب هو من شروط قبول الإنفاق والصدقات، كما نص عليه القرآن بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٣].

ثم أنَّ هناك أياماً وليالٍ يتأكد فيها استحباب التصدق، وأهمها يوم الجمعة وليلتها، وشهر رمضان وليالية وبالأخص ليالي القدر، لأن الصدقة فيها تتضاعف، وقد أكَّد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته الشعبانية على التصدق في رمضان بقوله: «**وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم**»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من تصدَّق في شهر رمضان بصدقة صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء**»[٤].

***

لا صدقة وذو رحم محتاج

إنَّ أحق الناس بالإنفاق والصدقات المستحبة هم الأقربون من ذوي الأرحام كما نصت عليه الآيات والروايات، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[٥]. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**لا صدقة وذو رحم محتاج، فإن الصدقة على مسكين صدقة، وهي على ذوي رحم صدقة وصلة**»[٦].

---

(١) البقرة: ٢٦٧.

(٢) آل عمران: ٩٢.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) بحار الأنوار ٩٦: ١٧٩.

(٥) البقرة: ٢١٥.

(٦) الاختصاص للمفيد: ٢١٩ وعنه في بحار الأنوار ٩٦: ١٣٧.

ويروى أنّ امرأة مات زوجها، فكانت تريد أن تتصدق عنه، فصارت تصنع طعاماً ليلة الجمعة، وترسل به مع ولدها اليتيم إلى فقير في أحد الأكواخ القريبة، وكان الولد يأخذ الطَّعام الّذي تصنعه أمُّه إلى الكوخ وهو يشعر في الوقت نفسه بجوع شديد ثم يرجع إلى البيت وينام جائعاً.

وهكذا صنعت الأم مرة ثانية (ليلة الجمعة) طعاماً وأرسلت به مع ولدها إلى نفس ذلك الفقير، قدّم الولد الطعام إلى ذلك الفقير، ورجع وهو يكابد ألم الجوع، ثمَّ ينام جائعاً.

وفي المرة الثالثة صنعت الأمُّ ليلة الجمعة أيضا طعاماً تقدّمه صدقة عن زوجها المتوفّى، وأرسلت به مع ولدها إلى الفقير نفسه، أخذ الولد الطّعام وصار يتقدّم نحو الكوخ، إلاّ أنَّ الجوع أضرَّ به ضراراً بالغاً، فلم يستطع الصَّبر، فأكل ذلك الطعام، ورجع إلى البيت ونام وهو شبعان، فرأت الأمُّ زوجها في المنام يقول لها: (لم يَصل إليَّ الطَّعام إلاّ في هذه اللَّيلة)،فانتبهت الأمُّ من نومها قبل طلوع الشَّمس متعجّبة، وسألت ولدها إلى من كنت تأخذ الطَّعام ليلة الجمعة الماضية وقبلها؟ فقد رأيت والدك في المنام يقول: لم يصل إليَّ الطعام إلاّ في اللَّيلة الماضية.

فقال الولد: قد قدَّمت الطعام إلى الفقير مرَّتين مع ما كنت أشعر به من شدَّة الجوع، ونمت جائعاً، إلاّ أنّي في اللَّيلة الماضية لم أطق أن أتحمّل ألم الجوع، وكان قد أضرَّ بي كثيراً، لذلك أكلت ما في الإناء، ونمت وأنا شبعان، فعلمت الأمّ أنّ ولدها اليتيم كان أولى بأكل ما كانت تتصدق به من ذلك الفقير في كوخه[1].

(١) من شواهد المبلغين:٤٥٨، الشاهد رقم١٠٤.

فوائد الصدقة وآثارها

للصدقة فوائد عديدة ذكرتها الآيات والروايات والحكايات،ترجع إلى المتصدِّق وأهله وعياله، أو ترجع إلى أفراد المجتمع من نفي الفقر والتضامن الاجتماعي، والتحابب والتقارب في الله، ومن تلك الفوائد المهمة:

أولاً: الحصول على الأجر والثواب الكبير

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1]، وحُكي أن رجلاً أراد الحج ودخل الكوفة، ورأى إمرأة أخذت ميتة فمشى معها فلما دخلت إلى أهلها، قالت لأولادها: جئتكم بالمأكول فعلم الرّجل أنّها فقيرة، وتصدّق بجميع ماله وبقي في الكوفة إلى أن رجع الحجيج فاستقبلهم، وكان كلّما مرّ على أحد منهم سمع أنّه كان معهم، فرأى في المنام قائلاً يقول له: يا فلان أنا ملك بعثني الله تعالى أن أحج عنك لما تصدقت على الفقراء[2].

ثانياً: الصدقة تنفي الفقرو تنمي المال وتحفظه

روي عن الإمام موسى بن جعفر: أنّه كان في بني إسرائيل رجل صالح، وكانت له زوجة صالحة، فرأى في المنام رجلاً قال له: لقد قدّر عمرك كذا مقداراً، وقدّر أن يكون نصف عمرك في سعة، ونصف عمرك في ضيق، فأيّهما تختار أولاً؟ فقال الرجل: إنّ زوجتي الصالحة هي شريكتي في حياتي، ويلزمني مشاورتها، فلمّا أصبح الصّباح واستشار زوجته قالت له: اجعل النصف الأول في يسر وعجّل لك في العافية، لعلّ الله يرحمنا ويتم نعمته علينا.

---

(١) سورة الحديد: ٧.

(٢) فروع الدين الإسلامي: ٧٥، للشيخ الفرطوسي.

وفي الليلة التالية أتاه في المنام فسأله: ماذا اخترت؟

فأجاب: جعلت النصف الأوّل من عمري في يسرٍ. فقال له: ليكن لك ذلك.

فأقبلت عليه الدّنيا من كلّ جانب، ولما كثرت عليه النّعمة قالت له زوجته: صل رحمك، وأحسن لجارك، واجعل لأخيك سهماً من مالك، فقبل الرجل ولم يقصّر في بذل المال حتّى انتهى النصف الأوّل من عمره، فرأى في المنام ذلك الشخص، الذي رآه قبلاً يقول له: لأنّك لم تقصّر في إنفاق مالك في سبيل الله، فقد شكرالله سعيك، وجعل النصف الثاني من عمرك مثل النصف الأوّل في يسر وسعة[1].

ثالثاً: الصدقة تدفع البلاء وميتة السوء

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ظهر في بني إسرائيل قحط شديد سنين متوالية، وكانت عند إمرأة منهم لقمة من خبز فوضعتها في فمها لتأكلها فنادى السائل: أمة الله الجوع، فقالت المرأة: أتصدق في مثل هذا الزّمان، فأخرجتها من فمها فدفعتها إلى السائل، وكان لها ولد صغير يحطب في الصحراء، فجاء الذئب فالتقمه فوقعت الصيحة فخرجت المرأة في أثر الذئب، فبعث الله جبرئيل فأخرج الطفل من فم الذئب فدفعه إلى أمّه، وقال لها يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة[2].

رابعاً: الصدقة تردّ القضاء المبرم

جاء عيسى عليه السلام الى بعض قرى بني اسرائيل فرأى امرأة تزف الى

(١) كتاب الذنوب الكبيرة، للشهيد آية الله دستغيب.

(٢) فروع الدين الإسلامي: ٧٥.

زوجها فسأل عنها؟ قيل انها ابنة فلان تزف الى ابن فلان، قال: نعم العروس ونعم العريس، ولكن بعد الفرح ترح، قيل: كيف يا روح الله؟ قال يموت أحد العريسين؛ فسألوه ان يبقى عندهم ليرو ما يحدث، فبقي تلك الليلة عندهم الى الصباح، فلم يكن شيء مما اخبربه، قال: استأذنوا لي على العروس، فدخل عليها وبارك لها قال لها: ماذا صنعت بالامس؟ قالت: يا روح الله! لم اصنع شيئاً ولكن كان في كل ليلة يأتينا مسكين فنعطيه عشاء، فجاء هذه الليلة ولم يجد احداً في بيت أبي، وسأل عنا فاخبروه الخبر فجاء الينا وجعل ينادي فلم يسمعه احد، ولم يعطيه شيء احد، فسمعته وانا في بيتي، فأخذت عشائي واعطيته للفقير، فقال لها عيسى: قومي عن مكانك، فقامت فوجد أفعى قد ماتت تحت الفراش، قال: هذا دفع عنكم الموت، وهكذا تكون الصدقة تدفع البلاء عن صاحبها[1].

***

التصّدق والتحنّن على اليتيم

إنَّ فاقد الأب أو الأم يسمى يتيماً، وفاقد الأبوين يُسمّى لطيماً، وكم من الأيتام بين أيدينا متروكون، مهضومون، وأحياناً مظلومون؟! إنّ أحق الناس بالإنفاق والصدقة بعد ذوي الأرحام والأقارب هم اليتامى، لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2]، وإنّ الإنفاق والتصدق على اليتيم هُو نوع من أنواع التحنن عليه الذي أكّد عليه الرّسول ﷺ في خطبته الشريفة، بقوله ﷺ: «**وتحننوا على**

(١) مجموعة ورَّام٢: ١٧٠.

(٢) سورة البقرة: ٢١٥.

أيتام الناس يُتحنن على أيتامكم»، وإن أقل مراتب التحنن على اليتيم المسح على رأسه ترحمًّاً، وفيه الأجر العظيم، وينبغى للمؤمنين الاهتمام بمعيشة اليتامى وتربيتهم وإعطاء حقوقهم وعدم الاكتفاء بالأمور العاطفية.

***

الإمام علي واليتامي

وينبغى أن نذكر هنا بالمناسبة ما جرى لأبي الأرامل واليتامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،مع تلك المرءَة وأطفالها الأيتام، لقد رأى الإمام علي عليه السلام امرأة في بعض الطرقات تحمل قربة من الماء، فتقدم لمساعدتها وأخذ القربة وأوصلها الي حيث تريد. وفي الطريق سألها عن حالها. فقالت: إن علياً أرسل زوجي إلى إحدي النواحي فقتل وقد خلف لي عدة أطفال لا أقدر علي إعالتهم، فاضطررت للخدمة في بعض البيوت. فرجع علي عليه السلام وأمضي تلك الليلة من منتهي الإنكسار والإضطراب. وعند الصباح حمل جراباً مملوء بالطعام واتجه إلى دار المرأة. في الطريق كان بعض الأشخاص يطلبون منه أن يحملوا الجرب عنه فيقول لهم: من يحمل عني أوزاري يوم القيامة؟ وصل الي الدار وطرق الباب. فقالت المرأة: من الطارق؟

قال الرجل: الذي أعانك علي حمل القربة البارحة، لقد جئت ببعض الطعام لأطفالك.

فتحت الباب وقالت: رضي الله عنك، وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب.

فقال لها: أتخبزين أم تُسكتين الأطفال فأخبز؟

قالت: أنا أقدر علي الخبز، فقم أنت باسكات الأطفال.

فأخذت تعجن الدقيق، وأخذ علي قام بها يخلط اللحم بالتمر ويطعم الأطفال منه، وكلما ألقم طفلاً لقمة قال له بمنتهي اللين والرفق: يابني، اجعل علي بن أبي طالب في حِلّ.

استوي العجين، فأوقد علي عليه السلام التنو، وفي الأثناء دخلت امرأة تعرفه، وما أن رأته حتي صاحت بوجه صاحبة الدار: ويحك! هذا أمير المؤمنين.

فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين!

فقال: بل واحيائي منك يا أمةالله في ما قصرت في أمرك[1].

(١) بحارالأنوار ٩: ٥٢٠.

الليلة التاسعة

مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام[١]

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢].

خاطب رسول الله ﷺ المسلمين في حجّة الوداع قائلاً: «**أمّا بعد، أيّها النّاس، فإنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولهنّ عليكم حقّاً، واستوصوا بالنّساء خيراً، . . .**»[٣]، وعنه ﷺ: «**ألا إنَّ خيركم خيركم لنسائه وأنا خيرُكم لنسائى**»[٤].

---

(١) يحتفل كثير من دول العالم في ٢١ من شهر اذار بعيد الأم، تكريماً لها، وفي الجمهورية الإسلامية لقد أمر الإمام الخميني عليه السلام بجعل تاريخ ميلاد السيدة الزهراء عليها السلام المصادف لـ ٢٠ من جمادى الثانية، يوماً للأم ويوماً للمرءةتكريماً للزهراء ﷺ وللمرءة المسلمة ليفجِّر في المرأة إنسانيتها المدفونة ويفعّل طاقاتها، لتعود المرأة إلى دورها الطبيعي الذي أراده الله تعالى لها.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٥١.

(٤) الوافي ١٢: ١١٧ عن كتاب من لا يحضره الفقيه.

المرأة قبل الإسلام

قبل أن نبيّن حقيقة وضع المرأة في الإسلام يجدر بنا أن نلمَّ إلمامة سريعة بتأريخ المرأة قبل الإسلام.

كانت المرأة قبل الإسلام مضطهدة بأنواع الإضطهاد، في عصر الحضارات اليونانية والمصرية والرومانية والإيرانية، حيث لم يعترف بالمرأة كإنسان إلاّ بعد ظهور الأديان السماوية، وبمرور الزمن شاركت المرأة حياة الرجل دون الإعتراف لها بالشخصية الحقوقية الاجتماعية، وكانت خاضعة لإرادة الرجل كلّياً[١].

وفي اليونان القديم: كانت المرأة تعدّ كالبضائع والسلع التجارية تُباع وتُشترى في الأسواق، ولا يحقّ لها الحياة بعد وفاة الزوج[٢].

وعند الرومان: كان للأب في الأُسرة الحقّ في بيع ابنته، بل والقضاء عليها عند الضرورة، غير أن هذا الحق الأبوي كان يفوّض بعد زواج البنت إلى زوجها، باعتباره مالكاً للمرأة بحكم القانون، وفي الهند: كانت المرأة تحرق مع جثمان زوجها وهي على قيد الحياة، كي تتخلّص روح الزوج من العزالة، والإنفراد، وفي الجزيرة العربية، كان بعض العرب يئد البنات خوفاً من أن يقعن بيد العدو وينجبن له الأطفال، لذلك كنّ يتعرض للوأد بعد الولادة[٣]، ومنهم من كان يقتل البنات خشية إملاق[٤]، وكنَّ محرومات من

(١) حقوق المرأة في الإسلام وأوروبا: ٢٧ ط ١٩٧٨.

(٢) حقوق المرأة في الإسلام وأوروبا: ٢٧ ط ١٩٧٨.

(٣) راجع سورة النحل: ٥٨،٥٩.

(٤) راجع سورة الإسراء: ٣١.

الإرث لعدم اشتراكهنّ في الحروب[١]، وكانت العرب ترث النساء وتعتبرها قسماً من تركة المتوفي[٢]، وكانوا يرغمونهنَّ على البغاء ليكسبوا منهن مالاً[٣]، فجاء الإسلام وألغى كل هذه التقاليد الغاشمة والعادات البربرية في جزيرة العرب، وبتصدير تعاليمه إلى كافّة الأقطار أصبح محرّراً للمرءة.

***

حقوق المرأة في الإسلام

بينما كانت المرأة عند الشعوب الأوربية وغيرها لا تُعَدُّ من نوع الإنسان، إذْ جاء الإسلام معلناً أنّ المرأة والرجل أحدهما يكمّل الآخر، لأنهما خُلِقا من نفسٍ واحدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٤].

وبينما كان البعض يرى أن المرأة لا يصحّ أن يكون لها دين، حتّى أنهم كانوا يحرّمون عليها قراءة الكتب المقدّسة[٥]، جاء الإسلام مقرّراً: أنّ لهن ثواب أعمالهّن الصالحة كالرجال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[٦].

وفي عصر كان البعض ينكح الأثرياء من النساء اللواتي لا جمال ولا شباب لهنّ، بل طمعاً في أموالهن، ثم كانوا يتركونهنّ دون طلاق حتّى يأتي أجلهنَّ لكى يرثوهن، جاء الإسلام محرّماً ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن

(١) راجع سورة النساء: ٧.

(٢) راجع سورة النساء: ١٩.

(٣) راجع سورة النور: ٣٣.

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) روح الدين الإسلامي: ٣٤٦.

(٦) سورة النساء: ١٢٤.

﴿تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾[١].

وفي عصرٍ كان بعض العرب يعذّبون النساء كي يتنازلن عن صداقهن ويحرّرن أنفسهنّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾[٢].

وبينما كان الرجل الذي يريد استبدال زوجته، يقذفها بالفحشاء كي ترغم بالتنازل عن صداقها لتحرير نفسها، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾[٣].

وفي عصر كانت المرأة تباع وتشترى كالبضائع، ويُدفع صداقها إلى أوليائها ليتمّ امتلاكها، ألغى القرآن الكريم هذاالتصرّف المُهين، مؤكّداً على أن صداق المرأة هو رمز محبّة الزوج وتقديره واخلاصه وصدقه تجاه زوجته، ولم يكن عوضاً عن تملّكها، ولذا أمر القرآن بأن تُؤتى المرأة مهرها الكامل، واصفاً هذا العطاء بـ «النحلة» أي عطاء عن طيب نفس، كما تُقدّم الهدية ويُهدى العسل ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾[٤].

وفي عصر كانت الشعوب لا تعترف بملكية المرأة، أقرَّ الإسلام للمرأة بالاستقلال الاقتصادي، واعتبرها مالكة ما تكتسبه قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾[٥]، علماً بأنَّ النساء في بريطانيا حتى

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) سورة النساء: ١٩.

(٣) سورة النساء: ٢٠.

(٤) سورة النساء: ٤.

(٥) سورة النساء: ٣٢.

عام «١٨٥٠»، وفي ألمانيا حتى عام «١٩٠٠»، وايطاليا حتى عام «١٩١٩» لم يكن لهُنّ حقّ في التملّك[١].

وبينما نرى الشعوب تحتقر المرأة، فلا تعتبرها أهلاً للاشتراك مع الرجال في النشاط الاجتماعي، جاء الإسلام وأثبت للمرأة حقّها في النشاط الاجتماعي، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢].

وفي عصر كانت الشعوب بأسرها لا تعترف بحقوق المرأة، جاء في القرآن الكريم:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٣]، أي لهُنَّ حقّ في الاشتراك في الشؤون الاجتماعية، بقدر ما لهُنَّ من المسؤولية في المجتمع.

وفي عصر كان لا يُسمح للمرأة أن تعبِّر عن رأيها، ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في حقِّ التصويت (المبايعة)، وقد قبل الرسول الكريم ﷺ بيعة النساء بحكم الكتاب: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وإزاء هذه الأفكار السخيفة لتلك الشعوب التي كانت تعتقد بأنَّ المرأة خلقت لخدمة الرجل، أكَّد القرآن الكريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٥]، أي كلاهما بحاجة إلى الآخر وفي خدمة الآخر.

---

(١) روح الدين الإسلامي: ٣٤٥.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) الممتحنة: ١٢.

(٥) البقرة: ١٨٧.

ورغم كل ما تعرّضت له المرأة من أساليب الاحتقار والمعاملة البشعة قبل الإسلام، ورد في القرآن الكريم: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ خيركم خيركم لنسائه وأنا خيرُكم لنسائي»[٢].

وعنه ﷺ قال: «**خَيرُكُمْ خَيرُكُمْ لِنسائِكم وبَناتكم**»[٣]، وقال ﷺ: «إنَّما المرأة لعبة من اتَّخذها فلا يضيّعها»[٤]، وقال ﷺ: «**ما أكرم النّساء إلاّ كريم ولا أهانهنَّ إلاّ لئيم**»[٥]، وخاطب رسول الله ﷺ المسلمين في حجّة الوداع قائلاً: «**أمَّا بعد، أيَّها النّاس، فإنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولهنّ عليكم حقّاً، واستوصوا بالنّساء خيراً، فإنّهنّ عندكم عوان، وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله**»[٦].

وكانت السيرة العملية لرسول الإسلام ﷺ نفسه مع زوجاته وأولاده بنين وبنات، حتى من قبل أن يصدع بما أمر به من القرآن، إكرم امرأته خديجة بنت خويلد، وإكرم أولاده منها بنين وبنات، فلم يُتّهم بأي تفريق في تكريمه لهم، اللهم إلاّ ما أولاه من عنايته الخاصة بابنته الزهراء فاطمة عليها السلام، وذلك لأسباب خاصّة تطلب من مظانّها.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة تتضح لنا المكانة الرفيعة التي حظيت بها المرأة في الإسلام حيث سبق بأحكامه وتعاليمه جميع القوانين والأديان

---

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) الوافي ١٢: ١١٧ عن كتاب من لا يحضره الفقيه.

(٣) مستدرك الوسائل ١٤: ٢٥٥.

(٤) فروع الكافي ٥: ٥١٠.

(٥) وسائل الشيعة ١٣: ١٤.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٥١.

الأخرى، وفي ذلك رد على كل المشككين والطاعنين من غير علم في هذا الدين العظيم وتشريعاته.

هذا وقد أعطى الله تعالى للمرأة حقوقاً ليرفع من مكانتها وليبين من قدرها، فأعطاها حقوقاً من جهة كونها أمّاً، ومن جهة أنها زوجة، وأعطاها حقوقاً من جهة كونها عاملة وسمح لها وشوَّقها لطلب العلم والمعرفة وغيرها من الحقوق تركنا ذكرها للاختصار.

ومع وفور هذه النصوص من الآيات والروايات التي تنصُّ بوضوح على حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ولكن نرى في بعض كتب الحديث خاصَّة نهج البلاغة نصوصاً تتعلق بالمرأة وقضاياها ظاهرها توهم ذمّها فلابد من استعراض بعضها بالبحث والتحقيق والتحليل لكي تتضح معانيها ودلالاتها ولو بالوجهة والنظرة التقريبية:

***

المرأة في نهج البلاغة[1]

قد حمل نهج البلاغة نصوصاً تتعلق بالمرأة وقضاياها لابد من محاولة استعراض بعضها بالبحث والتحقيق، ولكن لابد وأن يعلم مسبقاً بأنّ التعليقات والتحليلات والقراءات الموجودة عند الباحثين لا يمكنها التعبير عن عمق وكنه الرؤية الإسلامية تجاه هذا الموضوع، ولا تمثّل الموقف العام والشمولي له، وإنما نحاول قدر المستطاع إعطاء الوجهة التقريبة لذلك، وفيما يلي عرض لبعض النصوص التي يظهر منها طرحاً مستهجاً لموضوع المرأة وقضاياها.

(١) نقلا عن كتاب(قبسات من نهج البلاغة) للمولف وهو سلسلة من الدروس التي القيت في حوزة الإمام الخميني (قدّس سرّه) النسائية في السيدة زينب عليها السلام، وفي معهد السيدة رقية بدمشق.

ولعل الرواية الأكثر جدلاً حول المرأة هي الرواية التي تضمّنتها الخطبة الثمانون من نهج البلاغة، وهي الأكثر صراحة حول نقصانها، حيث جاء فيها: «معاشر الناس، إنَّ النساء نواقص الإيمان ونواقص الحظوظ ونواقص العقول، فأمَّا نقصان إيمانهنَّ فقعودهنَّ عن الصلاة والصيام في أيام حيضهنَّ، وأمَّا نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأمَّا نقصان حظوظهنَّ فمواريثهنَّ على الأنصاف من مواريث الرجال، واتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهنّ على حذر، ولا تطيعوهنّ في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر»[١]، وإنَّ هذا الحديث من أغرب ما جاء حول المرأة في نهج البلاغة، ما قد يُفهم منه أمرٌ صريحٌ بترك المعروف، لو كانت المرأة هي الداعية إليه، فلا ينبغي أن تطاع حتى في المعروف.

ومما يوهم دلالته على نقصان عقل المرأة، ما يرويه السيد الرضي عن الإمام عليه السلام في الخطبة ٢٧ من نهج البلاغة في صدد ذمِّ رجال تقاعسوا عن واجب الجهاد قال عليه السلام: «**يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربَّات الحجال**»[٢]، وينقل السيد الرضي في النهج عن الإمام عليه السلام أيضاً قوله: «**لا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول..**»[٣]، وينسب السيّد الرضي في نهج البلاغة إلى الإمام عليه السلام القول: «**إياك ومشاورة النساء، فإنّ رأيهنّ إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، . . .**»[٤].

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٧٩، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦: ٢١٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣٦، الخطبة ٢٧.

(٣) نهج البلاغة:٣١٨ الرسالة رقم ١٤.

(٤) نهج البلاغة: ٣٣٥ الرسالة رقم ٣١،من وصية أمير المؤمنين لإبنه الحسن، كما أورد الحديث كلٌ من الصدوق

ومن النصوص التي توهم ذم المرأة ما ينقله السيد عن الإمام عليه السلام في النهج «**المرأة عقرب حلوة اللَّسْبة**»[١] وأيضاً ورد عنه عليه السلام قوله: «**المرأة شرّ كلّها وشرّ ما فيها أنه لابد منها**»[٢].

وقد روى علماء السنّة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في مصادرهم الحديثية مثل سنن ابن ماجة ما هو قريب من هذه النصوص[٣].

***

المحتوى والمفهوم العام للنصوص

إنَّ النصوص التي ذكرناها هي جملة من الأحاديث الواردة عن الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة وغيرها من الكتب ومثيلها قد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، والنظرة الأولية هنا لهذه الروايات الواردة، توحي أنّ المرأة في شخصيتها، تُتَّصف بأفنٍ في رأي، ووهن في عزيمة، ونقص في عقل، وعجز في نفس، مما يبرِّر بشكل طبيعي، بضرورة الابتعاد عن مشاورتها والحث على مخالفة رأيها، ذلك أن إنساناً موصوفاً بما قد مرّ من خصال، من الواضح تجنبه، والسعي لعدم إشراكه في شيء من تقرير الحياة.

هذا ما تركَّز لدى بعض الناس، بل العلماء مما دفع بهم إلى أحد أمرين: إمَّا القول بأنَّ المرأة إنسان من الدرجة الثانية في الخلق ودون الرَّجل في الجانب الجوهري، وإما الاعتقاد بأنَّ مثل هذه الروايات ضعيفة، وغير قابلة للاحتجاج

في من لا يحضره الفقيه٤: ٢٧٥، والمجلسي في بحار الأنوار١٠٠: ٢٥٣،باب أحوال الرجال والنساء.

(١) غرر الحكم:٤٠٨، الفصل ٧، شرح نهج البلاغة ١٨: ١٩٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٩: ٦٩.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن: ٢، الباب ١٩، ح٤٠٠٣.

العلمي والإسناد المعرفي، فيجب رفضها، والقول الأخير هو الأكثر رواجاً واعترافاً في الأوساط المعاصرة على أقل تقدير.

وفيما يلي نعرض من مفردات هذه الروايات ماهي أكثراستغراباً وتسائلاً، ونسعى في التحليل والبحث، إلى تقديم صورة تخفف ما يمكن أن يطرأ على الإنسان من هذا الإستغراب، عند قراءة مثل هذه الروايات، ونجيب عن التساؤلات حولها باختصار وقبل الدخول في البحث لابدَّ من التمهيد التالي:

تمهيد لابدَّ منه

قد يكون الشيء مذموماً حسب شرائط وعلل وأسباب خارجية، وليست طبيعة الشيء قابلة للذم، بمعنى أنَّ الذم فيه ليس ذمَّاً ذاتياً، وتوضيح ذلك أنه ربّما يمدح أو يذم زمان أو مكان أو أشخاصاً إثر وقائع تاريخية وحسب شرائط وعلل وأسباب خاصة، وهذا ليس معناه أن طبيعة ذلك الزمان أو المكان أو الشخص قابلة للمدح والذم، بل ذلك المدح والذم عرض لتلك الطبيعة لعلل وأسباب وشرائط خاصة، ولذا فإنَّ هذا المدح والذم ليس أبدياً أن يفارق تلك الطبيعة، وعليه فإذا رأينا في (نهج البلاغة) أو غيره من كتب الروائية ذمّاً لبعض الأمكنة والأفراد، فلعلّ ذلك من هذا القبيل، فالقضية في هذه الروايات تصبح قضية شخصية أو خارجية، وليست قضية حقيقية.[1]

(١) الفرق بين القضيتين، أن القضية الحقيقية هي ما ينصب الحكم فيها على طبيعة الشيء من دون ملاحظة خصوصية أفراده الخارجية، فمثلاً لما نقول (الجن من النار) فالحكم عليهم بالنارية ناظر إلى طبيعة وحقيقة الجن، أما القضية الخارجية، فهي ماوقع الحكم فيها على مجموعة أفراد موجودة خارجاً دون أن يشمل الحكم لسائر الأفراد.

فذم الكوفة وأهلها والبصرة وأهلها في (نهج البلاغة) قد جاء إثر قضايا وحوادث تاريخية خاصة، وما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل يذم فيه النساء: «**معاشر النّاس، إنَّ النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول..**»[1] من هذا القبيل، إذ ليس المقصود منه تحقير المرأة وانتقاصها بما هي امرأة، وليس ناظراً إلى طبيعتها وواقعيتها، بل لهذا الذم أسباب وعلل وتفسير يلزم تبينه وتوضيحه على ضوء الكتاب والسنة والعقل والواقع التاريخي، وهذا ما سنقوم به ضمن الإجابة على السؤال التالي:

ما معنى نقصان عقل المرأة؟

قبل أن نتطرق إلى بيان معنى نقصان عقل المرأة الوارد في تلك النصوص وما هو المراد منها، لابدَّ وأن نتعرّف إلى معنى العقل وأنواعه، فنقول: العقل في اللغة؛ هو العقد والإمساك، وهو عبارة عن القوة التي يميّز بها الإنسان بين الخير والشر، والحق والباطل، ويقسَّم إلى قسمين: عقل الطبع، وعقل التجربة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**العقل عقلان عقل الطبع وعقل التجربة، وكلاهما يؤدّي المنفعة**»[2]، ويقصد من عقل الطبع؛ الإدراك السليم للأشياء والقضايا، وحسن التقدير وتدبير الأمور، وأما عقل التجربة؛ فيراد به العلوم والمعارف المستحصلة من التجارب العملية التي يمارسها الإنسان على أرض الواقع، أو التي تمرّ به في حياته، ومن الواضح أنَّ كمال العقل اجتماع قسميه عند الإنسان.

---

(١) نهج البلاغة:٧٢، الخطبةرقم ٧٩.

(٢) بحار الانوار٧٥: ٦،ح٥٨.

ومن خلال هذا الطرح، يمكن فهم ما معنى نقصان عقل المرأة، الوارد في تلك النصوص؛ إذ من الممكن أن يكون المقصود من نقصان عقل المرأة نقص الإدراك السليم للأشياء والقضايا، وحسن التقدير والتدبير، وممكن أن يكون المقصود من نقصان العقل هو القسم الثاني من معنى العقل، أعني أن العقل الحاصل من التجارب الحياتية التي يمر بها الإنسان، وتمرّ بها المرأة أقل من الرجال، ذلك لأن الرجل من خلال تعايشه مع واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد اكتسب تجربة، وقطع فيها أشواطاً ومسافات ساحقة بسبب تصديه لهذه الشؤون والأغراض، وأما المرأة فبحكم بُعدها الطبيعي عن هذه المجالات، لا تكتسب تجربة كبيرة تقوّي بها مدارك العقل الناتج عن التجربة، ولذلك توصف بالنقصان، وهذا المعنى لا يقتصر على النساء، إذ هناك الكثير من الرجال ممن لا خبرة لهم في شؤون الحياة، ولا خاض تجاربها يتصف بنقصان العقل، وإنما وصفت المرأة بهذا النقص لغلبته فيها دونه.

***

نقصان الذَّاكرة والتجربة

لعل المراد من نقصان العقل هو نقصان الذَّاكرة؛ ولذلك عُلّل النقص في النص بأن شهادة اثنتين من النساء تعدل شهادة رجل واحد، كما جاء به القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ﴾[1]، إذ الضلال في هذه الآية كما يأتي بمعنى النسيان، يأتي بمعنى

(١) البقرة: ٢٨٢.

الضياع والتيه، وبناء على المعنى الثاني يكون معنى الآية؛ لو ضيّعت المرأة ما رأته بسبب توالي الآراء عليها، وتعدد التوجيهات لديها فتحتاج إلى من يذكّرها، ويشد على يدها فيما رأته، أو تحققت منه لتشهد عليه، وسبب هذا الضياع والتيه عدم امتلاك التجارب الكافية في الحياة؛ لتستطيع من خلالها استيعاب الأمور المحيطة بها بدقتها وواقعيتها.

وما يقرّب ذلك، أن هذا البيان أفرغه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد واقعة الجمل المرّة، والتي قاد غمار الحرب فيها امرأة، فكأنه أراد أن يبين أنه لا ينبغي للرجال الاقتداء في القضايا المصيرية كالحروب مثلاً بالمرأة؛ لأنَّ الحروب تحتاج إلى عقل تجربة، وهذا ما تفتقده النساء.

***

تأثير العاطفة على العقل

ويمكننا أن نفهم النقص بمعنى آخر، وذلك بأن يقال: إنَّ مقصوده j من هذا التعبير تأثير الجانب العاطفي على النساء في غالب الحالات، وتأثير نمط حياتهن واستغراقهن في شؤون البيت والأسرة في معظم الحالات، فالمرأة أكثر عاطفة وإحساساً من الرجل، والعاطفة إذا كانت على هذا المستوى فهي تضعف قوة التعقل عند الإنسان، وتمنع من إرساء حكمه، بدون فرق بين الرجل والمرأة، وكلما ازدادت العاطفة قلّ دور العقل وتأثيره على الإنسان، ومن هنا اتصفت بالنقصان في عقلها، فالنقص على هذا التفسير ليس ناظراً إلى الجانب التركيبي للعقل، والجهاز الإدراكي فيها، ولكنَّه ناظر إلى جهة تسلط العاطفة عليه وتخيمها على دوره، فالنقطة الجوهرية هنا؛ هي إثبات أن المسألة غير مرتبطةبالجنس، وإنّما ترتبط بشدة العاطفة والإحساس الرقيق لديها، مما يؤثّر في إمكانية أخذ

القرار العامل والصائب عادتاً ووالمرأة بما أنَّها عاطفية فيؤخرها عن الرجل في لحظة حرجة وصعبة تنطوي على مشاهد عاطفية كبيرة، كما أنَّ شهوة الرجل وإعجابه بنفسه يسلبان إمكانية التعقل لديه والتأمل، وأخذ القرار الصائب تماماً ولذا فقد جاء عن الإمام علي عليه السلام: «**إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله**»[١]، وفي حديث آخر: «**لا عقل مع شهوة**»[٢].

والنتيجة: سواء فسرنا نقصان العقل بمعنى عدمالإدراك السليم للأشياء والقضايا،أو نقصان الذاكرة والتجربة، أو تأثير العاطفة على العقل، لا يعتبر ذلك في واقع المرأة وذاتها انتقاصاً أو امتهاناً للمرأة، ولكن على ضوء الآيات والروايات والعلم والتجربة لابدَّ من التسليم، بأنَّ هناك تفاوتاً بين عقل الرجل والمرأة إلاّ أن هذا التفاوت يحصل بسبب الأمور العارضة لها، فليس كل امرأة فيها هذا التفاوت، وإن كان هو الغالب فيها وهذا ما تحتاجه في حياتها سيما في الأمور الزوجية والأمور التعليمية والتربوية، وهذا لا يعد انتقاصاً وذماً للمرأة كما يتصوره البعض، بل هو بمقتضى المصلحة الإلهية للمرأة والرجل، وكيان الأسرة والمجتمع .

فالرجل يحتاج إلى عاطفة المرأة والمرأة، تحتاج إلى عقل الرجل وتدبيره، وبعبارة أخرى نقصان عقل المرأة (إذا صح التعبير بالنقص) بسبب العاطفة والإحساس، يتم بعقل الرجل، ونقصان عاطفة الرجل يتم بعاطفة المرأة، فكلّ منهما مكمّل للآخر، وبذلك يحصل الاطمئنان والسكون المطلوب في الأسرة، حيث

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٢.
(٢) غرر الحكم: ٦٥.

يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[١]، فتبارك الله أحسن الخالقين.

***

لماذا إرث المرأة نصف إرث الرجل؟

وممَّا جاء في قول أمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل: «**معاشر النّاس، إنَّ النساء... نواقص الحظوظ**، ...»[٢]، ومع وجود النَّص القرءاني في حكم تنصيف إرث المرأة، تسائل البعضُ لماذا الإسلام جعل حظ المرأة من الميراث نصف حظ الرجل، كما جعل ديتها في القتل نصف ديته؟ وهذا يوهم أن قيمة الرجل في الإسلام أعظم من قيمة المرأة، وهذا التسائل قد طرح في بداية طلوع فجر الإسلام وأجاب عنه الإمامين الصادق عليه السلام والرضا عليه السلام، وإليك جوابهما بعد التمهيد:

لاشك إنَّ من أهمّ الحقوق المادية للمرأة هو الإرث، وقد كان هذا الحق منذ بداية خلقة الإنسان إلى يومنا هذا مهملاً، وكانت المرأة على مرّ العصور محرومة من هذا الحق الطبيعي والالهي بالاخص في الجاهلية قبل الإسلام حيث كانت المرأة محرومة من الإرث وكان الذكر هو الوارث الوحيد واذا لم يكن بين الأولاد ذكور ذهب الميراث إلى الأعمام، كما أخرج مسلم في الصحيح عن عمر بن الخطاب قال: «والله إن كنّا في الجاهلية ما نعدّ للنّساء أمراً، حتّى أنزل الله فيهنّ ما أنزل وقسم لهنّ ما قسم»[٣].

وكذا كانت المرأة الأوربية في العصور الوسطى حتى عصر النهضة

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) نهج البلاغة:٧٢، الخطبة رقم ٧٩.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٤.

الصناعية الكبرى كانت محرومة من الإرث عموماً، بينما حصص الميراث في الإسلام شاملة للأولاد جميعاً بنات وبنين، أعزاباً ومتزوّجين، إلاّ أنّ حصّة الذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث. قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾[1]

والسبب في تحديد الإسلام سهم المرأة وجعله نصف سهم الرجل، هو الوضع الخاص للمرأة حيث إنه لمّا جعل الإسلام لها المهر في النكاح وأوجب نفقتها على الرجل فما تأخذه من الميراث لا تحتاج إليه في حياتها إلاّ في كمالياتها، بينما على الرجل أن يدفع لزوجته المهر وعليه نفقتها ونفقة عياله، والنفقة على والديه فهو بحاجة لهذا المال وليس خارجاً عنها في الحالات الطبيعية، وهذا ما أجاب به الإمام الصادق عليه السلام ابن أبي العوجاء حين اعترض على الإسلام، فقد روى الصدوق في علل الشرائع بسنده عن هشام بن سالم عن الأحول قال: «قال لي ابن أبي العوجاء: ما بال المرأة الضّعيفة لها سهم واحد وللرجل القوّي الموسر سهمان؟ قال الأحول: فذكرت ذلك للصّادق عليه السلام فقال: «على الرّجال النّفقة والعاقلة والجهاد»، وعدّ غيرها وقال: «وليس هذا عليها، فلذلك جعل له سهمان ولها سهم». وروى الصدوق في علل الشرائع بسنده عن عبد الله بن سنان قال: «قلت للصّادق عليه السلام لأيّ علّة صار الميراث للذّكر مثل حظّ الأنثيين؟ قال عليه السلام: «لما جعل لها من الصّداق». وروى الصدوق في علل الشرائع بسنده عن أخيه محمد بن سنان أنه كتب إلى الرضا عليه السلام بمسائل، فكتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: «**علّة إعطاء النّساء نصف ما يعطى الرّجال من الميراث لأنّ المرأة إذا تزوّجت أخذت وأعطاها الرّجل، فلذلك وفّر عليه، ولأنّ الانثى في عيال الذّكر إن احتاجت فعليه أن يعولها وعليه نفقتها، ليس على المرأة**

(١) سورة النساء: ١١.

أن تعول الرّجل، وإن احتاج فلا تؤخذ هي بنفقته، فلذلك وفّر عليه»[١].

إذن تأخذ المرأة ثلث الثروة الموروثة لتنفقها على نفسها، ويأخذ الرجل ثلثي الثروة لينفقها أوّلاً على زوجته ـ أي على امرأة ـ وثانياً على أسرته ـ فأيّهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق الحساب والأرقام؟ فهل بقيت بعد ذلك شبهة القدر الحقيقي الذي تناله المرأة من مجموع الثروة؟ وهل هو امتياز حقيقي في حساب الاقتصاد أن يكون للرجل مثل حظ الانثيين وهو مكلّف بما لاتتكلفه الأنثى؟ على أن هذه النسبة إنّما تكون في المال الموروث بلا تعب، أما المال المكتسب فلا فرق بين الرجل والمرأة لأنه يتبع مقياساً آخر هو المساواة بين الجهد والجزاء، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[٢].

هذا وفي كثير من الفروض يتساوى الرجل والمرأة في الإرث، منها: أن الأبوين يتساويان في الإرث وهو السدس. ومنها: ان المرأة والرجل من أقرباء الأمّ يتساويان في الإرث في بعض الفروض.

إذن فلا ينبغي أن يتوهّم وجود أي ظلم للمرأة في مسألة تقسيم الإرث بين الذكر والأنثى وليس معنى قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أن قيمة المرأة هي نصف قيمة الرجل في حساب الإسلام كما يفهمه العوام، ويقوله أعداء الإسلام[٣].

---

(١) علل الشرائع ٢: ٢٩٣.

(٢) سورة النساء: ٣٢.

(٣) المرأة في الإسلام والجاهلية:مقال بقلم الشيخ محمد هادي اليوسفي في مجلة رسالة الثقلين العدد ٢٥ سنة ١٤١٩ هـ.

ولكن الظلم بالنسبة للمرأة أن تحرم من الإرث كلياً كما كان في الجاهلية قبل الإسلام، وكما فعله القوم بالنسبة إلى فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ حرموها من الإرث محتجين بحديثٍ موضوع ينافي الشرع والعقل، نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو قولهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نَّورِّث»، وقد نفت الزَّهرا ء بإستدلال قويٍّ إنتساب هذا القول لأبيها في خطابها المعروف للقوم.

***

دفاع الزهراء عن إرثها

قد روى لنا عبدالله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام صورةً من هذا الخطاب قائلاً: إنَّه لّما أجمع القوم على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسها، واشتملت بِجلبابها، وأقبلتْ في لّمة من حَفَدَتِها ونساء قومها، تَطَأ ذُيولَها، ما تَخْرِمُ (ما تنقص) مشيَتُها مشْيَةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر وهو في حَشْد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فَنبِطَتْ دونها مُلاءة (ستراً)، فجلستْ ثمّ أَنَّتْ أَنَّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلِسُ، ثمّ أمْهَلَتْ هُنَيْئَةً حتّى إذا سكن نَشيج القوم وَهَدَأَتْ فَوْرَتُهُم؛ افتتحت الكلام بحمد الله والثّناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

أيّها الناس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد، . . . . . أفلا تعلمون ؟ ! بلى قَد تَجلّى لكم كالشمسِ الضاحِيَةِ: أنـّي ابنَتُهُ، أيُّها المسلمون أُغْلَبُ على إرْثي؟، يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً

فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[١]، وقال فيما اقتَصَّ مِن خَبَرِ يَحيى بنِ زَكَرِيّا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٢]..... ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيبة (الفتية) وأعْضادَ المِلَّةِ وحَضَنَةَ الإسلام، ما هذِهِ الغَميزَةفي حَقّي والسِنَةُ[٣] عَن ظُلامَتي؟ أما كانَ رسَولُ اللهِ ﷺ أبي يقول: «المرءُ يُحْفَظُ في وُلْدِهِ»؟ سَرْعانَ مَا أحْدَثْتُم، ..... فبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٤].

لقد أوضحت فاطمة الزهراء في خطابها الحقّ بأجلى صوره، واستجوبت القوم بالأدلة القاطعة حيث لم تبق أيّ شك لهم بأنَّها صادقة في كلامها، وختمت مواقفها الاحتجاجية على القوم، بأن أوصت أن لا يحضر أحد منهم جنازتها، ويعفى قبرها فلا يعرفه أحد.

***

علي يطبِّق وصايا الزهراء

بعد وفاة فاطمة الزهراء قام الإمام علي عليه السلام بتغسّلها وتكفّينها هو وأسماء في تلك الليلة، ثم صلّى عليٌّ ومن معه على الجنازة ثمَّ رفع يديه إلى السماء فنادى «**اللهمّ هذه بنت نبيّك فاطمة أخرجتها من الظلمات**

(١) سورة النمل: ١٦.

(٢) سورة مريم: ٥، ٦.

(٣) الغميزة: النقيصة، والسِنَه: النُعاسُ.

(٤) سورةالشعراء: ٢٢٧، وراجع الخطبة بالتفصيل في المصادر التالية: الإحتجاج١: ٢٥٣، دلائل الإمامة: ٣٥، مناقب آل أبي طالب٢: ٢٠٦، وبحار الأنوار٢٩: ٢٢٦.

إلى النور، . . .»، فلمّا هدأت الأصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل تقدّم أمير المؤمنين والعباس والفضل بن العباس ورابع يحملون ذلك الجسد الشريف، وشيّعها الحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وبريدة وعمار، ونزل عليّ عليه السلام إلى القبر، واستلم بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأضجعها في لحدها وقال: «**يا أرض أستودعك وديعتي، هذه بنت رسول الله، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله محمد بن عبدالله** صلى الله عليه وآله وسلم **، سلمتكِ أيتها الصدّيقة إلى من هو أولى بكِ منّي، ورضيت لكِ بما رضي الله تعالى لكِ**»، ثم قرأ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، ثم خرج من القبر، وتقدّم الحاضرون وأهالوا التراب على تلك الدرّة النبويّة، وسوّى عليّ عليه السلام قبرها. لئلا يعرف حسب وصيتها عليها السلام.

ولمّا نفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول وزوجته الودود التي عاشت معه الصفاء والطهارة والتضحية والإيثار، وتحمّلت من أجله الأهوال والصعاب، فأرسل دموعه على خدّيه، وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «**السلام عليك يا رسول الله عنّي، والسلام عليك عن ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك والبائنة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، . . . . . ، قد استرجعت الوديعة، . . . أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، لا يبرح الحزن من قلبي. . . . . ، سرعان ما فرّق الله بيننا وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك عليَّ، وعلى هضمها حقّها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، . . . . . ولو لا غلبة المستولين علينا لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً، والتلبّث عنده**

عكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، ويهتضم حقّها قهراً، و يمنع إرثها جهراً ولم يطل منك العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته»[1].

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٥٩-١٩٩، ولمزيد المعرفة حول ما جرى على الزهراء بعد أبيها وكيفية شهادتها راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٨٤، والعقد الفريد لإبن عبد ربّه ٥: ١٣، وكتاب الإمامة والسياسة لإبن قتبة ١: ١٢.

الليلة العاشرة

خديجة وأين مثل خديجة عليها السلام[١]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كمُل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلاَّ أربع: آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم**»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**خديجة وأين مثل خديجة، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء**»[٣].

لا شكَّ أنَّه قد كمل من الرجال كثير من يوم خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، وذلك بما فضل الله عليهم ومنحهم من قوة العقل والإيمان والإرادة والصبر، ليحملوا الأمانة وليتحملوا مسؤلية هداية البشر، فكان منهم الأنبياء

---

(١) لما كانت وفاة خديجة الكبرى في ليلة العاشرة من شهر رمضان المبارك، فرأينا من المناسب أن يكون الحديث في هذه الليلة حول سيرتها وذكر سيرة بعض النساء اللواتي وصفن بالإيمان والكمال، كماخصصنا من قبل الليلة التاسعةحول مكانة المرأة، وحقوقها في الإسلام، وسيكون الحديث في الليلة الحادية عشر حول الحياة الزوجية في الإسلام.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٣٢٠.

(٣) أسد الغابة ٥: ٥٣٩، والإصابة ٤: ٢٧٥،كشف الغمة١: ٣٦٠،بحار الأنوار٤٣: ١٣٠،ب٥.

والأولياء والأوصياء، والعلماء والحكماء والعرفاء، والقادة العظماء، فهؤلاء هم المصاديق الحقيقية للإنسان الكامل.

ولكن هذا الأمر لا يعني أنَّ سلوك طريق الكمال، ينحصر بالرجال، بل هذا الطريق مفتوح لكل إنسان رجلاً كان أو إمرأة كلٌّ بحسب علمه وجهده وإرادته وقوة إيمانه وتقواه، فيصل إلى الكمال من كان قوياً في العلم والإيمان ذكراً كان أو أنثى.

وممَّن سلك هذا الطريق من النساء ووصل إلى الكمال، النساء الأربع المذكورات في الحديث النبوي الشريف، وغيرهن من النساء اللاتي اقتدين بهنَّ وسلكن طريقهنّ كالحوراء زينب عليها السلام والسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام والسيدة نفيسة المصرية و....

فلو كان النساء كمن ذكرنا لفُضلت النساء على الرجال

فلا التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلالِ

وسنختصر في البحث عن النساء الأربع المفضَّلات على سائر نساء أهل الجنة في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل نساء أهل الجنة أربع: خديجة بنت خويلد عليها السلام وفاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»[1].

***

آسيا مثل ضربه الله للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ

(١) الخصال١: ٢٠٦،أسد الغابة ٧: ٨٣.

﴿ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وإمرأة فرعون المؤمنة بالله، هي آسية بنت مزاحم والتي كانت على دين إبراهيم عليه السلام قبل نبوة موسى عليه السلام، كما يشهد بذلك رسول الإسلام في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين، مؤمن إل ياسين «حبيب النجار» وعلي بن أبي طالب وآسية إمرأة فرعون**»[2]، لقد كانت تخفي إيمانها بالله الواحد، خوفاً من فرعون وأعوانه ولمَّا رأت المعجزات من عصا موسى، وغلبة السحرة، آمنت بنبوة موسى واتَّبعته، فلمَّا ظهر إيمانها لفرعون نهاها فأبت، فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة، فلمَّا قرب أجلها قالت ـ كما حدث عنها الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾[3] فقد اختارت جوار ربِّها والقرب منه في الجنة، وتركت زخارف الدنيا وزينتها والمقام لدى فرعون وملكه، وآثرت بيتاً عند ربها على بيت فرعون الذي كان فيه مما تشتهيه الأنفس وتتمناه القلوب، وهذا ما رفعها إلى مستوى جعلها الله مثلاً وقدوة للمؤمنين، ثم طلبت من الله أن ينجيها من فرعون وعمله وينجيها من القوم الظالمين، فاستجاب الله دعاءها وخلصها من كيد فرعون وقومه.

***

مريم بنت عمران أسوة المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

(١) سورة التحريم: ١١.

(٢) الخصال ١: ١٧٣.

(٣) سورة التحريم: ١١.

وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[١].

ومريم بنت عمران مثل إسوة، في صلابة الإيمان والعفة والتقوى ضربه الله للمؤمنين، وقد أثنى الله عليها، وهي الوحيدة التي صرّح القرآن باسمها في أكثر من ثلاثين موضعاً في أكثر من عشرين سورة من القرآن، ويدل هذا على جلالة قدرها وعظمة مقامها عند الله.

ومريم التي نذرتها أُمها للّه وهي في بطنها، على أن تكون خادمة لبيت المقدس، ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢]، فكان زكريا وهو زوج خالة مريم ونبي زمانها، كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً غير معهود ولا في أوانه حيث كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فكان يتعجب ويسأل: أنّى لك هذا؟ فكانت تجيبه: هُو من عند الله.

مريم التي اصطفاها الله واختارها للعبادة، وطهرها وعصمها من جميع الذنوب وفضلها على نساء عالمها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٣]، قال العلامة الطباطبائي في الميزان: وشأنها العجيب في ولادة عيسى المسيح عليه السلام واختصاصها بهذا

(١) سورة التحريم: ١٢.

(٢) آل عمران: ٣٦،٣٧.

(٣) آل عمران: ٤٢.

النوع من الولادة من بين النساء؛ هُو وجه اصطفائها وتقديمها على النساء من العالمين لا من جميع الجهات، فهى سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين[1].

ومن المقامات العالية لمريم بعد الاصطفاء والعصمة من قبل الله، هو نزول الملائكه عليها والتحدث معها كما أشارت الآية السابقة إلى ذلك، وهو يكشف عن علو منزلتها ومقامها عند الله عن الدرجة التي بلغتها بحيث أصبحت تشارك الأنبياء في بعض المقامات والكمالات، وقد فضلها الله بكلمات تقارب فضائل وكمالات الأنبياء إلاّ أنها ليست بنبي.

***

فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين

إذا كنا في مقام البحث عن فضائل الزهراء عليها السلام ومقاماتها الإلهية، فحسبنا منها ما نزل من القرآن في حقها، من آية المباهلة وآية التطهير وسورة هل أتى، وغيرها من الآيات، وحسبنا ما تحدَّث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الأطهار عن مقامها ومنزلتها، ففي القرآن يصفها بالطاهرة في آية التطهير، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يركِّز على جلالتها، وعظيم قدرها يخبر بأنَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، مما يكشف عن عصمتها، وكفى بالله ورسوله شاهداً لهذا المقام الرفيع، وهُو منتهى الكمال وأعلى مراتب الإيمان.

وحيث إنَّ رضا فاطمة هُو رضى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وغضبها غضب الله ورسوله، كما صرَّحت به أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتناقله أهل بيته، فهو

(١) الميزان ٣: ١٨٨.

دليل على عصمتها، وعلو مقامها ولزوم ولايتها على الخلق، حتى يحصل رضاها ويتحقق عدم غضبها، وكفى للزهراء عليها السلام هذا المقام والمنزلة عند الله ورسوله، وكل هذا حصلت عليه فاطمة الزهراء عليها السلام بسبب إيمانها وتقواها ومعرفتها بالله وكثرة عبادتها لله.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني وثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جل جلاله ــ زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله لملائكته: «يا ملائكتي أنظروا إلى أمتي سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار**»[1].

ومن ألقاب فاطمة: «الزهراء» و«المحدثة»، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إنما سميت فاطمة عليها السلام «محدثة»، لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء تناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة إنَّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، وقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: «إن مريم كانت سيدة نساء عالمها وإنَّ الله عزّ وجلّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين**»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٧٦.

(٢) علل الشرايع: ١٨٣.

وروي أنَّ فاطمة مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً، كان قد داخلها حزن شديد على ابيها، فكان ملك يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فسمي هذا بمصحف فاطمة عليها السلام، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن عندي مصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قراناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحدٍ...**»[1].

وكل تلك الفضائل والمناقب والمقامات التي ذكرناها للزهراء عليها السلام من الطهارة والعصمة، والتحديث مع الملائكة،إلى غيرها من الكمالات التي تركناها مراعاة للاختصار، هي تدلّ على علوّ مقامها عند الله تعالى.

***

خديجة الكبرى أم المؤمنين

كانت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، من أسرة معروفة بالمعرفة، وكانت على دين إبراهيم عليه السلام، وكانت ذات شخصيه شامخة قوية، وذات عقل وكياسة، ومن نبوغها وحدة ذكائها ونظرتها البعيدة ما أدركته من عظمة شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبله الزاهر قبل تكليفه برسالة السماء، فأحبته واختارته زوجاً لها من دون الرجال والشخصيات المعروفة وصدقته وآمنت به وبذلت له نفسها وما تملك قبل البعثة وبعدها، حتى اشتهر أنَّه ما استقام الإسلام إلاَّ بأموال خديجة وسيف علي عليه السلام وحماية أبي طالب.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب خديجة حباً كثيراً ويذكرها، ويثني عليها في

(١) أصول الكافي ٢: ٢٤٠.

حياتها وبعد مماتها، بحيث أثار ذلك غيرة بعض نسائه فخاطبهنَّ رسول الله ﷺ وهو يصف خديجة أم المؤمنين: «**خديجة وأين مثل خديجة، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني حين كذَّبني الناس، وآزرتني على دين الله، وأعانتني عليه بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء**»[1].

وخديجة أمُّ المؤمنين بهذه المواصفات التي تدّل على قوة إيمانها ومعرفتها بالله ورسوله، هي من النساء الأربع اللاتي وصلن إلى الكمال، وأصبحن سيدات نساء أهل الجنة، وقد بشَّرها رسول الله ﷺ ببيت في الجنة من قَصَب، لا صخب فيه ولا نصب[2].

***

النبي يتاجر بأموال خديجة

كانت خديجة ابنة خويلد تعرف محمد بن عبد الله ﷺ حق المعرفة، لأنَّ محمداً ﷺ كان قد اشتهر بالصادق الأمين في مكة وعند قريش، ولذا طلبت خديجة منه أن يتاجر بأموالها، مضاربةً ويبدو أنَّ أبا طالب قد رغَّب ابن أخيه محمداً ﷺ أن يقبل طلب خديجه ويتِّجر بمالها، لأنَّ محمداً ﷺ وأبا طالب آنذاك كانا يفتقران إلى المال، فلذا لمَّا أخبره بطلب خديجة، قال له: رزق ساقه الله إليك، فقبل رسول الله ﷺ عرضها، وفرحت وقالت لغلامها ميسرة: أنت وهذا المال كله بحكم محمد ﷺ.

---

(١) أسد الغابة ٥: ٥٣٩، والإصابة ٤: ٢٧٥،كشف الغمة١: ٣٦٠،بحار الأنوار٤٣: ١٣٠،ب٥.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٠٣، القصب: اللؤلؤ المعجوف المنظوم بالدر والياقوت، والصخب: الصياح، والنصب: الهم والتعب.

وخرج محمد الأمين ﷺ مع ميسرة للتجارة إلى الشام، وربحا في ذلك السفر ربحاً كثيراً، وبعد ما رجعا، إلى مكة ذهب ميسرة إلى خديجة وحدَّثها عن أخلاق محمد ﷺ في السفر، وحدَّثها من دلائل مستقبل هذا الفتى مما سمعه عن تنبؤات الراهب في الشَّام، ومظاهر رعاية الله له، وأتى الخبر لخديجة بأنّ الغمامة والشجرة قد أظلت محمداً ﷺ وكما أتتها الأخبار بأنَّ محمداً ﷺ سوف يصبح رسول الله ﷺ، وذلك مما قاله الكثير من علماء أهل الكتاب حينما رأووه[1].

***

زواج خديجة من رسول الله ﷺ

يقال إنَّ خديجة رأت في منامها، شمساً من سماء مكة استقرَّ في دارها، وملأ الدَّار نوراً وبهاءً، ويفيض ذلك النور من دارها ليضيء كل ما حولها، ولما استيقظت من نومها، راحت عند ابن عمها ورقة ابن نوفل النصراني لكي تقصَّ عليه ما رأت في منامها، وما انتهت خديجة من كلامها حتى ابتسم ابن عمها، ثم قال لخديجة: «أبشرى يا ابنة العم، لو صدَّق الله رؤياك ليدخلنَّ نور النبوة دارك، وليفيضنَّ منها نور خاتم النبيين».

نعم لقد عرفت خديجة كل شيء عن محمد ﷺ، ولكن ما الطريق الذي يوصلها إليه؟! لقد خطبته وعرضت نفسها عليه بطريقتها الخاصة، فإنَّها كانت عاقلة ولبيبة، تقول نفيسة بنت منية: أرسلتني خديجه دسيساً إلى محمد ﷺ بعد أن رجع من عيرها من الشام، فقلت يا محمد ﷺ ما يمنعك أن تتزوج؟

(١)، السيرة الحلبية ١: ١٣٦، البداية والنهاية ٢: ٢٩٦،بحار الأنوار ١٦: ٢٢.

فقال عليه السلام: ما بيدي ما أتزوج به.

فقلت: فإن كفيت ذلك ودُعيت إلى الكمال والجمال والمال والشرف والكفائة، ألا تجيب؟ قال: «فمن هي»؟

قلتُ: خديجة.

عند ذلك قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالزواج بها لما عرفه عنها واشتهر في قومها من جلالة قدرها وطهارتها حتى كانت تسمى في قومها بالسيدة وبالطاهرة وبسيدة قريش، ثم رجع إلى عمه أبي طالب وطلب منه أن يخطب له خديجة[1].

فذهب أبوطالب ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأعمامه إلى بيت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وقيل غيره، وفي ذلك المجلس خطب ابوطالب خطبة واثني على بني هاشم وعلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تكلم ابن عمِّ خديجة ورقة ابن نوفل وأثنى على أبي طالب ومحمد واعتزَّ وافتخر بهذا الزَّواج، ثم قال: فاشهدوا عليَّ معاشر قريش بأنِّي قد زوّجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل ـ كما في رواية أخرى ـ بأنّه عندما خطب أبو طالب خديجة من ابن عمها، لم يستطع الكلام فغالبت خديجة حياءها، وقالت: يا يا ابن العَم إنَّه وإن كنت أولى بالكلام في هذا المقام غير أنِّي الأولى بالإختيار، وإنِّي قد زوجت نفسي من محمد وأنا الضامنة لمهري[2].

وقبل محمد بهذا الزَّواج، وقد نحر أبو طالب ناقة، وكذلك أولم رسول الله على زواجه بخديجة.

(١) تاريخ الخميس ١: ٢٦٣.

(٢) الصحيح من سيرة النبي ٢: ١١٢.

مايقال في زواج خديجة

الماديّون والمستشرقون الذين ينظرون إلى كل شيء من ناحية المال والمادة، يزعمون: أن خديجة بما أنّها كانت ذات مال تتاجر به، كانت أحوج ما تكون إلى رجل «أمين» لإدارة أمور تجارتها، لذلك اندفعت للزواج بمحمّد «الصادق الأمين»، وكان النبي ﷺ يعلم بوضعها المالي وحياتها الكريمة لذلك قبل خطوبتها مع ما بينهما من تفاوت العمر!.

والجواب: إنّ كون خديجة هي التي عرضت نفسها على النبي ﷺ، وأنّه لم يكن هُو الذي تقدَّم لخطبتها لخير جواب على ما جاء في كلمات هؤلاء من اتهام باطل بأنّه ﷺ إنّما تزوج خديجة طمعاً في مالها، علاوة على ذلك إنّ القول بأنَّ عمرها كان ٤٠ سنة خالفه بعض المحققين، ويمكن التشكيك فيه، إذ يحتمل أن خديجة كان عمرها ٢٨ سنة عندما تزوجها النبي ﷺ كما رجّحه بعض المؤرخين فعن ابن عباس أنّ عمرها حين الاقتران بالرسول ﷺ كان ٢٨ عاماً[1].

وأمّا بالنسبة إلى خديجة فإنّ الذي نراه في التاريخ هو أنَّ دوافع خديجة للزواج بالصادق الأمين كانت دوافع معنوية، والشاهد لذلك: عندما أخبرها ميسرة بالكرامات الّتي ظهرت له وما قاله علماء النصارى في حقه، ازدادت شوقاً وحبَّاً له فعرضت عليه الزَّواج، وإنَّ سبقها إلى الإيمان بالإسلام ورسالة محمد ﷺ بحيث كانت أوّل امرأة آمنت به لهو خير دليل على كون زواج خديجة كان بدافع معنوي لا مادي.

وقالوا: أنَّها تزوَّجت قبل محمد ﷺ برجلين وهما عتيق بن عائد

(١) راجع دلائل النبوة ٢: ٧١، وشذرات الذهب ١ : ١٤، وأنساب الأشراف ١: ٩٨.

المخزومي وأبو هالة التميمي وكان لها منهما بعض الأولاد، في حين تروي مصادر أُخرى أنَّ النبيّ ﷺ حين تزوج بها كانت بكراً، وحينئذ تكون زينب ورقية ابنتي هالة أخت خديجة قد تبنّتهما خديجة بعد فقدهما لأُمّهما، ويؤيد ذلك ما جاء به البلاذري في أنساب الاشراف وأبو القاسم الكوفي في الاستغاثة وغيرهما[١].

***

ثمرة الزّواج الميمون

ومضت مدّة على الزَّواج الميمون، وقد وهب الله سبحانه لخديجة فاطمة سيدة نساءالعالمين وولدين هُما: القاسم وعبد الله، عرفا بالطيب والطاهر،[٢] وشاءت إرادة الله ان لا يعيش للنبي ﷺ ولدٌ ذكر، وكانت العرب بعد مبعثه تعيّره بهذا، ويقولون بأنَّ أثره سينقطع، وذكرُه سينتهي لأنّه فقد أولاده الذكور، ولم يبق له سوى أنثى، ووصفوه بالأبتر فنزلت الآيات: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٣]، ولقد ورد في عدة من التفاسير أن الله أكثر نسل محمد ﷺ وذريته من ولد فاطمة، كثرة لا يعادلهم فيها أي نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب.

***

الحب والإحترام المتبادل

أحبَّت خديجة عليها السلام زوجها محمداً ﷺ حبَّاً شديداً، لذا كانت تهيئ له

(١) البداية والنهاية ٢: ٢٩٥،،بحار الأنوار ١٦: ١٢، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١: ١٢٦.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٦٥، الكامل في التاريخ ٢: ٤٠.

(٣) الكوثر: ١ ـ ٣.

كل أسباب الرّاحة، في داخل البيت، ولم يبق هذا التقدير والحب والخدمة من خديجة، للنبي من طرف واحد، بل قابلها بالحب والتقدير في أيام حياتها وبعد مماتها، بحيث بقيت خديجة بعد وفاتها في قلب النبي ﷺ في كل مناسبة، وفي كلّ مكان، وكان يثني عليها ويذكرها بخير دائماً، ويبدو أنَّ ثناء رسول الله المتزايد على أم المؤمنين خديجة عليها السلام أثار الغيرة عند عائشة حتى اعترفت وصرّحت بذلك، فقالت: «ما غرتُ على امرأة مثل ما غرتُ على خديجة، مما كنت أسمع من ذكر رسول الله ﷺ لها، وما تزّوجني إلاّ بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربّه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب»[1].

وقالت أم المؤمنين عائشة: «كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلاّ عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب ﷺ حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال ﷺ: «**و الله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله أولاداً إذ حرمني أولاد النساء**»، **قالت عائشة: «فقلت في نفسي لا اذكرها بعدها بسيئة»**[2].

وعن أم المؤمنين عائشة أنَّ النبي ﷺ كان إذا ذبح الشاة قال ﷺ: «ارسلوها إلى أصدقاء خديجة»، فتسأله عائشة في ذلك فيقول: «إنّي لأُحب حبيبها»، وهذا الحديث وغيرها من الأحاديث التي ذكرنا البعض منها، تدل على أن وفاء رسول الله ﷺ لخديجة الطاهرة لم يكن له نظير في دنيا الوفاء،

(١) سير اعلام النبلاء ٢: ١١٢.

(٢) الاصابة ٤: ٢٧٥ وأسد الغابة ٥: ٥٣٩، تذكرة الخواص: ٣٠٣.

فقد كان يود من تود خديجة ومن كانت تودها خديجة.

إنّ خديجة لَتستحق كلَّ هذا التقدير والاحترام من رسول الله ﷺ بعد أن بلغت المقام السامي والدرجة العالية عند الله حتى حباها ربّ العالمين بالدرجة الرفيعة في الجنة، وقد أوضح رسول الله مكانتها في الجنة بقوله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون»[1].

***

وفاة خديجة الكبرى أم المؤمنين عليها السلام

ومضت الأيام والسنين ويئس رؤساء الكّفار من مضّى المسلمين في طريقهم وراحوا يتشاورون فيما بينهم عمّا يعملونه لتحطيم الدعوة، قبل أن تنتشر، فأجمعوا أن يقتلوا محمداً ﷺ وثار بنو هاشم وبنو المطلب على ما أجمع به كفار قريش، وأعلن بنو هاشم حمايتهم لرسول الله ﷺ وإن لم يكونوا جميعاً على دينه، ثم اجتمعت قريش في دار الندوة، وكتبوا بينهم صحيفة: أن لايواكلوا بني هاشم ولا يبايعوهم ولا يزوّجوهم، ولا يحضروا معهم حتى يدفعوا إليهم محمّداً ليقتلوه، وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً وعلّقوها في الكعبة فرأى أبو طالب أن الحرب قد أعلنت على قومه، فجمع بني هاشم وعبد المطلب مؤمنهم وكافرهم، وأمرهم أن يدخلوا برسول الله ﷺ الشعب، فدخلوا شعب أبي طالب وكان ذلك في هلال المحرم سنة سبع من البعثه النبوية، فضرب كفارقريش حول شعب أبي طالب حصاراً،

(١) ذخائر العقبى، للطبري: ٥٢، مستدرك الحاكم: ١٦٠ و١٨٥.

وكانوا يمنعون الناس من الدخول أو الاتصال بمن يريد الحماية لرسول الله، ومضت ثلاث سنوات عجاف على الهاشميين والمطلبيين وهم محاصرون داخل الشعب، وكانت خديجة عليها السلام شاركته آلام المحنة ومرارتها راضية صابرة تواسي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بنفسها ومالها، حتى نفد مالها كله، خلال سنين الحصار في شعب أبي طالب، ثم جاء الفرج الإلهي، ومزَّقت الصحيفة الظالمة، وخرج المسلمون وهم يكبِّرون وكان خروجهم من الحصار في السنة العاشرة من البعثة، قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، وخرج محمد صلى الله عليه وآله وسلم منصوراً يتابع دعوته ورسالته ولكن خديجة صلى الله عليه وآله وسلم، لم تلبث إلاّ قليلاً بعد الخروج من الحصار، حتى ضعفت ومرضت، ولَّما قرب منها الأجل أخذت توصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إنّي مقصرة في حقِّك فاعفني وسامحني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حاشا وكلا ما رأيت منك تقصيراً فقد بلغت جهدك وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلت جميع أموالك في سبيل الله، فجزاك الله خير الجزاء.

ثم قالت: يا رسول الله أوصيك بهذه، وأشارت إلى ابنتها فاطمة، فإنَّها يتيمة غريبة من بعدي فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، وكذلك أوصت اسماء بنت عميس أن تقوم مقامها عند ليلة زفاف فاطمة، فتعهدت أسماء بذلك، وامّا الوصية الثالثة يا رسول الله فإنِّي أقولها لابنتي فاطمة وهي تقولها لك: فإنِّي مستحية منك فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخرج من الحجرة فدعت بفاطمة عليها السلام وقالت لها: يا حبيبتي وقرَّة عيني قولي لأبيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ أمي تقول: أنا خائفة من القبر، أريد منك ردائك الذي تلبسه حين نزول الوحي، تكفنني به، فخرجت فاطمة عليها السلام وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلم الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسرَّت به سروراً عظيماً، فلما

توفيت خديجة في يوم العاشر من شهر رمضان للسنة العاشرة بعد البعثة النبوية، أخذ رسول الله ﷺ في تجهيزها فغسلها وحنطها، فلمَّا اراد أن يكفّنها بالرداء، هبط الأمين جبرئيل وقال: يارسول الله إنَّ الله يقرئك السَّلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك إنَّ كفن خديجة من عندنا فإنَّها بذلت مالها في سبيلنا، فجاء جبرئيل بكفن خديجة وهُو من اكفان الجنة اهداه الله إليها، فكفَّنها رسول الله ﷺ بردائه الشريف أولاً وبماجاءبه جبرئيل ثانياً، فكان لها كفنان كفن من الله وكفن من رسوله ﷺ، ثم نزل رسول الله ﷺ في قبرها، ولم يكن يومئذٍ قد شرعت الصلاة على الجنائز فانزلها في حفرتها ودفنها بيده الشريفه في مقبرة الحجون بمكة المكرمة[1].

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى البيت هاج به الحزن، واغتمَّ، وكان ﷺ في زمان حياتها اذا غلب عليه الحزن نظر إلى وجه خديجة فيذهب عنه الحزن ويسر بذلك كما أنه يسرّ بمجرد سماع اسم خديجة، والآن بعد وفاتها، إذا اشتدَّ حزنه نظر إلى ابنتها فاطمة، فتذكرهُ بخديجة ويسر بذلك سروراً عظيماً، ولكن ماذا يصنع رسول الله ﷺ بحزن فاطمة على أمّها، وهي تبكي وتقول: أين أمي؟ ولايدري رسول الله ﷺ ماذا يجيبها، فنزل جبرئيل وقال: إنَّ ربّك يأمرك ان تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها أمك في بيت من قَصَبْ لا صَخَب فيه ولا نَصَب، كعابه من ذهب وعمده من ياقوت أحمر، بين آسيا إمرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنّ الله هُو السلام ومنه السلام وإليه السلام[2].

(١) راجع السيرة النبوية ١: ١٤١، أسد الغابة ٥: ٥٣٩، الإصابة ٤: ٢٧٥.

(٢) راجع الأمالي للصدوق:٢٧١، بحار الأنوار ١٦: ٧ب٥.

زيارة أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام

السلام عليك ياأم المؤمنين، السلام عليك يا زوجة سيد المرسلين، السلام عليك يا أُمَّ فاطمة الزهراء سيد نساء العالمين،السلام عليك يا أوّل المؤمنات، ألسَّلام عليك يا من أنفَقتْ مالها في نصرة سيد الأنبياء، ونصرته ما استطاعت ودافعت عنه الأعداء، السّلام عليك يا من سلَّمَ عليها جبرَئيلُ، وبلَّغها السلام من الله الجليل، فهنيئاً لكِ بما أولاك الله من فضل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاتُهُ.

الليلة الحادية عشر

الإسلام والحياة الزوجية[١]

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من تزوَّج أحرز نصف دينه، فليتق الله في النِّصف الآخر**»[٣].

قد ظهرت في الآونة الأخيرة أطروحات متعددة حول كيفية ارتباط الرجل والمرأة كحل للمشكلة الجنسية على ضوء الظروف العصيبة والأوضاع الاقتصادية المتردية وما تفرضه المدنية علينا من صعوبات ومعوقات، فبعضٌ يلتجأ إلى كبت الشهوة وبعض بالعكس يدعو إلى الإباحية الجنسية وبعض يقتنع بالزواج المدني، وبعضهم بالمسيار او بالزواج العرفي، وبعضهم

(١) اقتباس المطالب وتلخيصها من رسالة جامعية للمولف بعنوان:الاسلام والمشكلة الجنسية.

(٢) سورة الروم: الآية ٢١.

(٣) وسائل الشيعة ٢١: كتاب النكاح

بالزواج المنقطع (المؤقت)، وقد تعرضت جميع هذه الأطروحات إلى الأخذ والرد، والنفي والإثبات، وفيما يلي بحث عن حقيقة هذه الأطروحات ونظرة الإسلام تجاهها، ثم الحل الأمثل للمشكلة العصرية التي يعيشها المسلمون، ويعاني منها الشباب في المجتمعات الإسلامية والغربية وهذا الحل الامثل يكمن في الزواج الدائم الذي يشكِّل الحياة الزوجية النموذجية.

***

الحلول المطروحة للمشكلة الجنسية

الحل الأول ـ الدعوة إلى كبت الشهوة:

الأطروحة الأولى التي تتبناها بعض المناهج الأخلاقية[1] هي الدعوة إلى كبت الشهوة وإسكات صراخها بأي ثمن، مستغلين مختلف وسائل الدعوة إلى ذلك!

و هذا الحل لا يرضى به علماء النفس والاجتماع لما فيه من أضرار نفسية واجتماعية بالغة ربما انتهت بصاحبها إلى الانتحار أو الجنون، وإضافة على ذلك أن الأديان وبخاصة الإسلام لم تؤمن بعلاج المشكلة على أساس من الكبت والقوة الخارجية، ويبقى سلاح الوعظ والإرشاد والتخويف والتحذير، وأظن أن نداء الجنس ومغويات الدنيا أقوى تأثيراً من قوة سلاح الوعظ والتحذير، ومن المستحيل عادة أن يصون أحد نفسه ـ إلا من عصمه الله ـ بكبت جماح الشهوة فلا يقدر على ذلك إلا الأمثل فالأمثل من الناس وأين هو من عامة الناس؟!

(١) كالنهج الكلبي القديم ورهباني اليهود والنصارى وبعض متصوفة المسلمين.

الحل الثاني ـ الدعوة إلى الإباحية الجنسية:

إنّ أكثر الدول الغربية وبعض الدول الشرقية التي تأثرت بثقافة الغرب قد تبنت الإباحة الجنسية،حسب نظرية فرويد، كحل للمشكلة الجنسية وفسحت المجال أمام الجنسين لاستعمال وسائل التنفيس كالعادة السرية أو المثلية أو الزنا أو غيرها من الوسائل غير المشروعة وتهيئة جميع الوسائل المفضية إليه من مسارح ومسابح وأفلام سينمائية وتلفزيونية وصالات للرقص ومواضع للخلوات مع انعدام الرقابة فيها.

ولكن هذا الحل كسابقه لا يرضاه علماء النفس والاجتماع والطب والجدير بالذكر أن نظرية فرويد العالم اليهودي الشهيرة بالإباحية قد رفضها علماء الاجتماع والنفس مؤخراً، فضلاً عما ينطوي عليه من تحدٍّ لجميع المثل والقيم الدينية والإنسانية.

الحل الثالث ـ الزواج المدني:

وهو الزواج الذي يقوم على أساس رفض بعض الأحكام الشرعية المتعلقة به، وسنّ قانون جديد له عبر الحكومة أو مجلس النوّاب أو غيره، تشريعاته وأحكامه إلى القانون، فما يجدونه مناسباً أقروه وإن كان مخالفاً للإسلام وسائر الأديان، وما يجدونه غير مناسب يرفضونه وإن أقره الإسلام أو أي دين آخر، فزواجهم هذا لا يهم أبعقد شرعي وقع أم بمجرد كتابة على الورق، كما أنَّه يبيح اقتران المسلمة بكافر وإن كان هذا مخالفاً للقرآن الكريم والسنة المطهرة، واتفاق علماء الإسلام، ويحللون زواج المسلم من الكافرة غير الكتابية وإن منع منه الإسلام.

وقد نادت بهذا النوع من الزواج الدول الغربية، وطبقوه في أوساطهم

حتى انعدم الزواج في الكنائس إلى حد كبير، وقد نادى بعضٌ في الدول الإسلامية بهذا، وأراد التصويت عليه لإقراره، الا ان مخالفة المسلمين له منعهم من ذالك.

الحل الرابع ـ الزَّواج المسيار:

هذا الزواج يقوم على أساس العقد الشرعي والإشهاد، وتسمية المهر، وتتنازل الزوجة عن حقها في النفقة والمبيت، إن كان للزوج امرأة أخرى، وقد اختلف علماء السنة في جوازه، فجوّزه بعضٌ علماء السنة بحجة أنه ناتج عن عقد صحيح وإشهاد ورضى الولي، غير أن بعضهم منعه بحجة أنه يشترط في النكاح الشرعي الإعلان والإشهار، ولا يكفي الإعلان أمام شاهدين، ومن هنا فهو زواج باطل.

أما الشيعة الإمامية، فحيث إنهم لا يشترطون في الزواج الإشهاد والإعلان، بل يتوقف الزواج عندهم على العقد الشرعي وتسمية المهر وموافقة الولي للباكر، فصحته واضحة وتنازل المرأة عن حقها في النفقة والمبيت لا ينافي صحة هذا النوع من الزواج.

ويراودنا سؤال، وربما راود الكثيرين أيضاً، لماذا لجأ بعض العلماء في الدول الإسلامية كدول الخليج وشمال أفريقيا، إلى هذه الحلول، وهذه المسميات؟ فتارة يلجؤون إلى زواج المسيار، وأخرى إلى الزواج العرفي، وثالثة إلى غير ذلك؟ إنَّ من الواضح لمن يلجأ إلى مثل هذه الحلول كثيراً، في الغالب لا يريد أن يخرج عن إطار الدين ولذا فهو يحافظ قدر إمكانه على العقد الشرعي بضوابطه الميسورة.

***

نظرة الإسلام إلى الجنس

الإسلام لا ينظر إلى الجنس علاقة إشباع رغبة، بل حاجة جسدية وروحية لابد لكل إنسان من ممارستها ليسكن ويطمئن في حياته، وهي الطريقة الوحيدة لحفظ النوع البشري، فالله عز وجل جعل في قلب كل من الرجل والمرأة هوىً وميلاً إلى الآخر، يقول القرآن الكريم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، فالقرآن بقوله: تسكنوا إليها يصّور هذه العلاقة تصويراً نابعاً من أعماق القلب، بحيث يبين حاجة الإنسان إلى من يستأنس به ويسكن إلى جنبه حاجة فطرية للطرفين، ملبياً لحاجتهما النفسية والعقلية والجسدية، يجدان في اجتماعهما السَّكَنَ والإطمئنان والمودة والرحمة.

إنّ القوانين والأحكام التي وضعها الإسلام لحل المشكلة الجنسية حلاّ يرضي الجميع وتراعى فيه مصلحة الفرد والمجتمع وهي:

١ـ الدعوة إلى الصبر والتعفّف.

٢ـ الدعوة إلى الزواج الدائم والترغيب فيه.

٣ـ تشريع تعدد الزوجات.

٤ـ الزَّواج المؤقت.

ولا شك أنَّ الحل الثاني والثالث هما الأصل والحل الرابع وهوالزواج المؤقت للحالات الطارئة والضرورية التي تطرئ على الإنسان في كل زمان ومكان، ويبقى الحل الأول فهو حل مؤقت إلى أن تتهيئ الظروف المناسبة

(١) الروم: الآية ٢١.

للزواج فإذا لم يجد الزواج الشرعي فعليه أن يصبر ويستعفف كما أمره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1] ولكن ليس معنى هذا أن يصبر دائماً وإلى آخر عمره بل سيأتي يوماً يغنيه الله من فضله إذاتعفف واتَّقى.

وبالجملة، فإنَّ الإسلام الذي أتى بالحلول الناجعة لكل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، فحين حرّم الزنا والسفاح لإشباع الغرائز الجنسية، فإنه بالمقابل، شرّع الزّواج الدائم وتعدده، وشرّع الزواج المنقطع ليسدّ الطريق أمام كل أنواع التحلّل والفساد الأخلاقي في المجتمع، وإليك معرفة أنواع الزَّواج الشرعي في الإسلام:

***

الزواج الدائم والترغيب فيه

من منطلق وضع العلاقة الجنسية في إطارها الصحيح والقضاء على أية علاقات تسبب مشاكل في حياة الفرد والمجتمع حث الإسلام على الزواج ورغب به في صور متعددة، فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ويجب على أن نقتدي بهداهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[2]، وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحبَّ فطرتي فليتسنن بسنتي، ومن سنتي النكاح»[3] وتارة يذكره في معرض الرزق فيقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

(١) النور: الآية ٣٣.

(٢) الرعد: الآية ٣٨.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٩٦.

﴿عَلِيمٌ﴾[١]، ولذا يقول الإمام الصادق[٢] «من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾»، وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**التمسوا الرزق بالنكاح**»[٣].

وتارة يصرِّح الإسلام بأنَّ الزواج عبادة يستكمل بها الإنسان نصف دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تزوَّج أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر»، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يمنع المرء من أن يتَّخذ أهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلا الله**»[٤]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**رذال موتاكم العزاب**»، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين، ركعة يصليها أعزب**»[٥].

عقبات في وجه الزواج الدائم: لقد تحول المهر في المجتمع الإسلامي من كونه هدية من الزوج إلى زوجته، وأنه دليل إخلاصه ومحبته لها إلى ثمن يخضع للزيادة والنقصان، ولقد لعب تزايد المهور وغلاؤها دوراً مهماً في التقليل من انتشار الزواج بشكل مبكر ومع الأسف، فأولياء الأمر من الآباء والأمهات لا يتفهمون هذه المحنة، ظناً منهم أن هذا يعزز من مكانة البنت، ويعلي جاهها وسمعتها، بينما الإسلام ينادي إلى تقليل المهور، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلّهن مهراً**»[٦] وقال أمير

(١) النور: الآية ٣٢.
(٢) مكارم الأخلاق: ١٩٧.
(٣) مكارم الأخلاق: ١٩٦.
(٤) وسائل الشيعة ٢١: كتاب النكاح.
(٥) راجع وسائل الشيعة ٢١: كتاب النكاح.
(٦) الكافي ٥: ٣٢٤.

المؤمنين عليه السلام: «**يمن المرأة تيسير نكاحها، وتيسير رحمها**»[١]، إلى غير ذلك من الأخبار.

وبينما نرى أنَّه يطلب من الشاب في أيامنا هذه عندما يتقدم للزواج مبالغ طائلة لشراء الملابس للزوجة، وغرفة النوم، وحلي الخطوبة والعرس والخدمة العسكرية للزوج فهذه المتطلَّبات قد أخرَّت الزواج إلى عدة سنوات؟

هذا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه**»[٢]، وقال الإمام الرضا عليه السلام: «**إن خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوجه، ولا يمنعك فقره وفاقته؛ قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾**[٣].

***

الزواج من عمياء خرساء صماء

يحكى أنَّ والد المقدّس الأردبيلي مرّ ذات يوم ببستان، فأكل منه تفّاحه، ثمّ انتبه إلى عدم حلّية العمل، فسأل عن صاحب البستان فدلّ عليه، فطلب منه المسامحة، فقال: البستان مشترك بيني وبين أخي، وهو في منطقة أخرى، فأمّا بالنسبة لي فقد سامحتك، وأما بالنسبة لأخي فعليك أن تذهب إليه،فذهب إلى تلك المنطقة والتقى بالرجل، وسأله المسامحة، فقال الرجل أسامحك بشرط أن تتزوَّج من ابنتي وهي عمياء خرساء صماء.

فبقي والد المقدّس الأردبيلي تلك الليلة يفكر كيف يستطيع الزواج من

(١) مستدرك الوسائل ١٤: ٢١٦، ب ٣٨.

(٢) الكافي ٥: ٣٤٧.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٧٢، والآية ٣٢ من سورة النور.

امرأة بهذه الصفات؟ وأخيراً جاء في الصباح وأخبر الرجل بموافقته على الزّواج منها، فعقد له عليها، ولما دخل عليها وجدها من أجمل النساء، وتوقف عن الدنّو منها، ورجع إلى أبيها يسأله عن الحال، فقد ذكر له عيوباً بينما المرأة التي رآها تكاد تكون من الحور العين.

فقال الأب: نعم هي نفسها التي أخبرتك عنها، وهي عمياء عن النظر إلى المحرّمات، وصماء عن كلّ ما لا يحلّ وخرساء عن كلّ كلام محرّم، وما أطعمتها طيلة حياتها إلاّ حلالاً، وإنّي ابتهلت إلى الله أن يرزقها زوجها صالحاً فلم أجد أفضل منك، فبورك لك في زوجتك[1].

***

تعدد الزَّوجات في الإسلام[2]

يعتبر تعدد الزوجات من الحلول للمشاكل الجنسية والأخلاقية والاجتماعية لان هناك حالات غير طبيعية تحدث في المجتمع بشكل واضح وملحوظ تعتبر بحق من أعظم المشاكل، وأكثر الأزمات لولا جواز تعدد الزوجات وبعض الحالات والعوامل التي تسبب وتوجب تعدد الزوجات هي كالتالي:

١ـ إنَّ الرجل غالباً صاحب طاقة جنسية عارمة لا تكفي لإشباعها امرأة واحدة.

٢ـ إصابة المرأة بالعقم والحرمان من نعمة النسل والإنجاب.

٣ـ إصابة المرأة بمرض جسمي تعجز من خلاله عن أداء واجبها الزوجي،

(١))من شواهد المبلغين:٢٤٣، الشاهد رقم٥٥.

(٢) مقتبس من كتاب نظام حقوق المرءة في الإسلام للشهيد مطهري.

ولا تستطيع أن تلبي رغبات الزوج، ورعاية الأسرة والأبناء.

فالزواج المتعدد حل لعدد من النساء في المجتمع كما هو حل لعدد من الرجال فيه، ولا يصح أن يقال بأنه ظلم للمرأة، لأنه حل لشريحة منهن لا يجدن الحل من دونه، فلو لم يكن الزواج المتعدد حلاً للمرأة لما قبلت الثانية أو الثالثة أو الرابعة أن تتزوج من رجل متزوج.

كما يجب الالتفات إلى الآثار الاجتماعية السلبية التي أنتجت في المجتمعات الغربية نتيجة النداء بضرورة (رفض التعدد)، فانتشار الزنا والخيانة الزوجية وتعبئة المرأة باتجاه حقها في حريتها بأن تحقق رغباتها من دون ضوابط الزواج... إلخ.

فإذا اعتبرت المرأة نفسها مظلومة بنظام التعدد، أو أنها لا تتحمل مشاركة زوجها لأحد معها، فبإمكانها الاشتراط في عقد الزواج بأن تكون وكيلة عن زوجها في طلاق نفسها إذا تزوج عليها من دون موافقتها، وبذلك تكون قد تحللت من هذا الارتباط عندما يشكل إزعاجاً لها، فرغبتها محترمة مع الاشتراط، وحقها محفوظ ضمن الضوابط الشرعية، وليس لها أن توجد أزمة مع عدم الاشتراط، إذ ليس من حقها المنع.

وليعلم أنه حين شرّع الإسلام التعدد لم يطلقه جزافاً، فقد اشترط فيه العدل والمساواة بين الأزواج صيانة لحقوق المرأة وكرامتها، بيد أن ذلك العدل مشروط في مستلزمات الحياة المادية، كالمطعم والملبس والمسكن، ونحوها من المآرب الحسيّة المتاحة للإنسان، والداخلة في نطاق وسعه وقدرته؛ فمن لم يستطع أن يهيئ حاجاتهن لضيق المعاش فلا ينبغي أن يبادر إلى التعدد كي لا يجعلهن كالمعلقة لا يعاشرهن بالمعروف ولا يسرحهن سراحاً جميلاً وضمان

تحقق العدالة هو إيمان وتقوى الرجل وعلمه ومعرفته بالأحكام الشرعية وأداء متطلبات المرأة واحتياجاتها المعنوية والمادية.

أما العدالة من الناحية القلبية والعاطفية كالحب والميل النفسي، فإنها خارجة عن نطاق قدرة الإنسان واختياره، ولا يستطيع أحد العدل فيها والمساواة ولا يمكن للرجل إكراه نفسه على محبة معينة أو بغض معين. لأن الرجل بسبب من الأسباب تتفاوت ميول قلبه وحبه إلى نسائه، وإذا كانت لهذه أسباب عقلية وشرعية، فلا يضر هذا التفاوت بعدالته؛ لأن العدالة القلبية ليست مطلوبة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[1].

وهكذا تكون شريعةالإسلام، فبعد الترغيب بالزواج وإزالة العقبات أمامه، وتشريع تعدد الزوجات،لتقضي على العلاقات الجنسية المحرمة خارج إطار الزواج الشرعي ولكن مع هذه التشريعات العظيمة ظلت هناك بعض المشاكل الناتجة عن ضرورات يعيشها الإنسان بعيداً عن أهله، أو تعيشها الأمة في بعض حالات الحرب، أو تعيشها المرأة بفقدان زوجها، فشرع الإسلام الزواج المؤقت، وبتشريعه لهذا الزواج سعى ليقضي على المشكلة بكاملها.

***

الزَّواج المؤقت في الإسلام

زواج المتعة أو الزواج المؤقت يعتبر في عصرنا هذا من أهمِّ الحلول المطروحة لحل المشكلة الجنسية بشرط العمل به صحيحاً وتطبيق جميع أحكامه الشرعية وعدم إستغلاله فقط لإرضاء الغرائز.

(١) النساء: الآية ١٢٩.

وهذا النوع من الزواج قد أجمع المسلمون على تشريعه في صدر الإسلام بقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[١]، حيث اتفق المفسرون وأئمة الحديث على أنَّ الآية نزلت في النكاح المنقطع، وقد روى الفريقان أحاديث كثيرة، تؤكد مشروعية هذا النكاح وجوازه مطلقاً، وإنما جاء الخلاف بينهم في نسخ هذه الآية أو نهي النبي ﷺ عنه بعد ذلك، فذهبت الإمامية إلى بقاء مشروعيته لعدم ثبوت النسخ، مع أنه لو كان لبان وعرف ووصل إلينا، وكذا روايات الفريقين تؤكد أن هذا النوع من النكاح بقي واستمر إلى أن نهى عمر بن الخطاب عنه، منها ما جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر أو الدقيق لأيام على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث[٢]، والحادثة معروفة ومشهورة.

ومن المؤسف جدّاً أن نرى بعض فقهاء المسلمين قد أنكر استمرار حلّيّة هذا النوع من الزّواج استناداً إلى نصوص من الكتاب والسنة لا يصح الاستدلال بها وكذلك ما استندوا به من تحريم عمر بن الخطاب بقوله: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، متعة الحجِّ ومتعة النساء»[٣]،حيث حرَّمها بالتحريم الحكومي بالعنوان الثانوي[٤]، وهذا

(١) النساء: الآية ٢٤.

(٢) صحيح مسلم: بشرح النووي، كتاب النكاح. باب تحريم نكاح المتعة.

(٣) والمصادر التي ذكرت قريباً من لفظه الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والمحلى لابن حزم ٧: ١٠٧، وكنز العمال ٢١: في أحكام متفرقة (نكاح المتعة)، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٣٥٢، وتذكرة الحفَّاظ للذهبي ١: ٣٦٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٢، وتفسير الرازي تفسير الآية ٢٤ من سورة النساء، وغيرها من الكتب الفقهية والتفسيرية.

(٤) إذا كان مصدر الحكم ليس الأدلة المعروفة النقلية أو العقلية عند الفقهاء بل كان لأمور أخرى مثل اقتضاء الحكمة والمصلحة العامة أو غيرها من الأمور فعندئذ يسمى العنوان الثانوي، فالحكم الثانوي لا يرد على الموضوع

النوع من التحريم على فرض صحته لا يصح استمراره إلى يومنا هذا لانتفاء العنوان الثانوي في كثير من الأزمنة والأمكنة من عهد الخليفة الثاني إلى عصرنا الحاضر، فيبقى الزواج المؤقت زواجاً مشروعاً له فوائده وإيجابياته كبقية الأحكام الشرعية ولا ينبغي أن يستغل للتوظيف المذهبي أو السياسي ونُحرِم المجتمع الإسلامي من تلك الفوائد، فيقع الشباب في الزنا الذي هو مسلّم الحرمة، وعندئذٍ يتصور ويفهم المسلم قول ابن عباس بأنَّ: «المتعة رحمة رحم الله بها عباده ولولا نهي عمر ما زنى إلا شفيّ»[1] أي: قليل من الناس، أو إلا شقى.

وحقيقة هذا النكاح أنَّ المرأة الحرة الكاملة تزوِّج نفسها، بصيغة شرعية لرجل لا يكون بينها وبينه مانع شرعي، بمهر معلوم إلى أجل مسمى بالرضا والاتفاق، وتبين عنه بانقضاء الأجل، أو بأن يهب الرجل ما بقي من المدة لها، وتعتدّ المرأة منه بحيضتين إن دخل بها، إذا لم تكن يائسة.

ولا توارث بينهما ولا قسمة ولا نفقة إلا مع الشرط، وهو كالنكاح الدائم بحاجة إلى الصيغة الشرعية من إيجابها وقبوله، وهو عقد ينشر الحرمة كالدائم، فإن المتمتع بها تحرم أمها على زوجها، وكذا ابنتها وبنات أولادها، ولا يجمع فيه بين الأختين، كما أنَّ الولد المتولد منه ولد شرعي يلحق بوالديه، ونفقته على الأب في أثنائها وحكمه حكم سائر أولاده من حيث الميراث، وهناك أحكام أخرى لهذا الزَّواج كما أنَّه مرَّت على هذا النوع من الزواج مجموعة من الإشكالات الشرعية والتساؤلات والشبهات لا مجال للبحث عنها هنا[2].

بعنوانه بل يرد عليه بعنوان آخر قد ينطبق على الموضوع كالحرج والضرر وغيرها.

(١) الدر المنثور٢:تفسير الآية ٢٤ من سورة النساء، وتفسير الرازي تفسير الآية ٢٤ من سورة النساء.

(٢) بحثنا هذا الموضوع تفصيلاً في رسالتنا الجامعية بعنوان:الإسلام والمشكلة الجنسية.

الحقوق الزوجية في الإسلام

الزَّواج هو الرابطة المقّدسة، والحياة المشتركة بين الزوجين، شرّعه الله عزوجل لحفظ النوع البشري وتكاثره، وعمران الأرض وازدهار الحياة فيها، وقد رغبت فيه الشريعة الإسلامية وحرّضت عليه كتاباً وسُنة، ومن الثابت أنّ السعادة الزوجية لا تتحقق، إلاّ إذا أحسن كل منهما اختيار صاحبه، وشريك حياته، واصطفاه على ضوء القيم الأصيله والمقاييس الإلهية، والزوجان بعد هذا لا يكسبان السعادة الزوجية والهناء العائلي، إلاّ برعاية كل منهما حقوق الآخر وأداء واجباته.

وقد أولت الشريعة الإسلامية الحياة الزوجية عناية بالغة، بصفتها الخلية الأولى من خلايا المجتمع الكبير، ورعتها بالتنظيم والتوجيه، وقررت الحقوق المشتركة بين الزوجين، والحقوق الخاصة بكل منهما على انفراد، وقد خاطب رسول الله ﷺ المسلمين في حجّة الوداع قائلاً: «**أمَّا بعد، أيَّها النّاس، فإنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولهنّ عليكم حقّاً**، . . .»[1].

والحقوق المشتركة التي يجدر تبادلها بين الزوجين، هي: الإخلاص، والثقة، والأمانة، والتعاطف، والتآزر، وهذه عناصر الحياة الزوجية الناجحة، ومقوماتها الأصيلة. وأما الحقوق الخاصة فسنعرضها في مطاوي هذا البحث:

***

حقوق الزوجة في الاسلام

للزوجة حقوق على زوجها بحكم الشرع والعقل وهي:

١ـ نفقة الزوجة: نفقة الزوجة هي حق محتم على الزوج، يجب أداؤه

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٥١.

إليها، وتوفير حاجاتها المعاشية، من الملبس والمطعم والمسكن وخدمة، ونحو ذلك من مستلزمات الحياة حسب شأنها وعادتها.

والنفقة حق للزوجة، تتقاضاه من زوجها، وإن كانت ثرية موسرة، ولا يسقط إلا بنشوزها وتمردها على الزوج، وقد يقصِّر الزوج في أداء النفقة فيبخل على أسرته، مما يولد ذلك جملة من المشاكل، ومن هُنا جاءت أحاديث أهل البيت عليهم السلام محذّرة، من ذلك الإمساك ومرغّبة في البرّ بهم والتوسعة عليهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله تعالى أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه**»[١].

٢ـ إكرام الزوجة: لا شك أن الإسلام كما يكرم الرجل يكرم المرأة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٢] ويريد لهما الخير والوصول إلى الكمال الإنساني ويرفض الإهانة والتحقير لكل إنسان، وقد جاءت النصوص من الآيات والروايات لتؤكِّد إكرام واحترام الزوج لزوجته والأب لابنته، ولا مجال لذكر هذه النصوص في هذا البحث المختصر، ونكتفي بذكر بعضها، منها قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٤]. ومنها قول المشهور للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**خيركم خيركم لنسائكم وبناتكم**»[٥] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهنَّ إلا لئيم**»[٦].

---

(١) الوافي ١٢: ١٧ عن الفقيه.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) النساء: ١٩.

(٤) البقرة: ٢٢٨.

(٥) مستدرك الوسائل: ١٤: ٢٥٥.

(٦) وسائل الشيعة: ١٤: ١٣.

والزوجة أنيسة الرجل، وشريكة حياته، تشاطره السراء والضراء، وتواسيه في الأفراح والأحزان، وتنفرد بجهود شاقة من تدبير المنزل، ورعاية الأسرة، ووظائف الأمومة، فعلى الرجل أن يحسن عشرتها، ويسوسها بالرفق والمداراة، تلطيفاً لمشاعرها ومكافأة لها على جهودها، وذلك مما يسلّيها، ويخفف متاعبها، ويضاعف حبّها وإخلاصها لزوجها.

٣ـ وصال الزوجة: وهو العلاقة الجنسية بينهما حسب قوانين الشريعة، ولذلك لا يحق للزوج هجرانها والإبتعاد عنها زيادة عن المدة المحدّدة في الشرع المبين، ومن القبح بمكان أن يقتصر الرجل في أداء هذا الحق، على أقلّ المقدار المعين في الشرع، وقد ورد ذم الرجل المتهاون بهذا الأمر في النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام[1].

وفي قبال ذلك جعل المولى تبارك وتعالى حقوقاً للزوج على زوجته، وينبغي على الزوجة مراعاتها وفيما يلي عرض مختصر لها.

***

حقوق الزوج في الإسلام

للزوج حقوق على زوجته بحكم رعايته لها وقيمومته عليها، هي:

١ ــ إطاعة الزوج: وهي أول متطلبات الزوج وحقوقه المفروضة على زوجته فهي مسؤولة عن طاعته وتلبية رغباته المشروعة، واجتناب كل ما يسيئه ويغيظه، كالخروج من الدار بغير رضاه، والتبذير في ماله، وإهمال وظائفها المنزلية، ونحو ذلك مما يعرّض الحياة الزوجية لأخطار التباغظ والفرقة،

(١) راجع كتاب النكاح في الكتب الفقهية.

كالخلاعة والاستهتار وإفشاء أسرار الزوج، وكشف ما يسعى إلى إخفائه من الفقر وغيره، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت إمرأة إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، ما حقّ الزَّوج على المرأة؟ فقال لها: «أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدَّق من بيته إلا بإذنه ولا تصوم تطوّعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على قتب، ولا تخرج من بيته إلاَّ بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السَّماء وملائكة الأرض، وملائكة الغضب وملائكة الرَّحمة حتَّى ترجع إلى بيتها»، فقالت: يا رسول الله من أعظم النّاس حقاً على الرّجل؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: والداه، قالت: فمن أعظم النّاس حقاً على المرأة؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: زوجُها....[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما استفاد امرء مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسه وماله**»[2].

***

إنّ الله تعالى قد غفر لك ولأبيكِ

عن أبي عبدالله أنّه قال: إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله خرج في بعض حوائجه، فعهد إلى امرأته ألاّ تخرج من بيتي حتّى يقدم، وإنّ أبي قد مرض، فتأمرني أن أعوده؟ وعهد إليّ ألاّ أخرج من بيتي حتّى يقدم، وإنّ أبي قد مرض، فتأمرني أن أعوده؟

(١) الوافي ١٢: ١١٤ عن الكافي والفقيه.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٤٠.

فقال رسول الله ﷺ: «**لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك**».

قال: فثقل، فأرسلت إليه ثانياً بذلك، فقالت: فتأمرني أن أعوده؟

فقال رسول الله ﷺ: «**لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك**».

قال: فثقل، فأرسلت إليه ثانياً بذلك، فقالت: فتأمرني أن أعوده؟

فقال ﷺ: «**اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك**».

قال: فمات أبوها، فبعثت إليه إنّ أبي قد مات، فتأمرني أن أصلّي عليه؟

فقال ﷺ: «**لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك**».

قال: فدفن الرجل، فبعث إليها رسول الله:وقال لها ﷺ: «**إنّ الله تعالى قد غفر لكِ ولأبيكِ بطاعتكِ لزوجِك**»[1].

٢ـ حسن العشرة والمداراة: وعلى الزوجة أن تحيط زوجها بحسن العشرة، وجميل الرعاية، ولطف المداراة، وذلك بتفقد شؤونه، وتوفير وسائل راحته النفسيه والجسميه، وحسن التدبير المنزلي ورعاية عياله، ليستشعر منها العطف والحنان، فعن رسول الله ﷺ: «**جهاد المرأة حسن التَّبعُّل**»[2].

وهذه وصية بليغة لأعرابية حكيمة، توصى بها ابنتها ليلة البناء بها: «أي بنية، إنّك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشّك الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه. فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً:

---

(١) الكافي٥: ٥١٣، بحار الأنوار: ٢٢: ١٤٥،ب ٣٧.

(٢) الوافي ١٢: ١١٤ عن الكافي.

أمّا الأولى والثانية: فأصحبيه بالقناعة وعاشريه بحسن السمع والطاعة.

وأمّا الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلاّ اطيب ريح.

وأمّا الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأمّا السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والارعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير.

وأمّا التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سرّاً. فإنك إن خالفتيه أوغرت صدره، وإن أفشيت سرّه لم تأمني غدره.

ثمّ إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً، والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وكوني أشد الناس له اعظاماً يكن أشدهم لك اكراماً، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبيّن حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت والله يخير لك»[1].

***

أمُّ البنين، الزوجة النموذجية

أم البنين هي فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، كان أبوها حزام بن خالد من أعمدة الشرف في العرب، ومن الشخصيات النابهة في السخاء

(١) مختارات المنفلوطي: ٢٤٠.

والشجاعة وقرى الأضياف، وكانت أسرتها من أجلّ الأسر العربية وقد عُرفت بالنجدة والشهامة[١].

ويُذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام ندب أخاه عقيلاً ـ الذي كان عالماً بأنساب العرب ـ أن يخطب له امرأة قد ولدتها الفحول ليتزوجها، حتى تلد له غلاماً زكياً شجاعاً لينصر ولده الحسين في كربلاء، فأشار عليه عقيل بالسيدة فاطمة بنت حزام الكلابية، فإنه ليس في العرب من هو أشجع من أهلها ولا أفرس، فندبه الإمام إلى خطبتها، فانبرى عقيل إلى أبيها وعرض عليه الأمر، فاستجاب هو وابنته بكلّ فخر واعتزاز، وتزوجت بأمير المؤمنين وأنجبت له ذكوراً أربعة، وهم: العباس وجعفر وعبد الله، وعثمان، وقيل إن اسم الأخير منهم، عبد الرحمن[٢].

ومن مآثر هذه السيدة الفاضلة، أنها طلبت من أمير المؤمنين عليه السلام أن لا يناديها باسمها (فاطمة)، معتذرة إليه بأنَّها تخاف أن يسمع الحسنان باسم أمهما فيتذكّراها ويحزنا عليها، مما جعل أمير المؤمنين يلقّبها بعد ذلك بـ (أم البنين).

ومنذ الأيام الأولى لانتقال السيدة أم البنين إلى دار الإمام قامت برعاية أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام على أحسن ما ترعى أمّ ولدها، وقد وجدوا عندها العطف والحنان، ما عوّضهما من الخسارة الأليمة بفقد أمّهم فاطمة عليها السلام، ولقد كانت تكنّ في نفسها من المودة والحب للحسن والحسين وزينب عليهم السلام، ما لا تكنّه حتى لأولادها، امتثالاً لأمر الله تعالى فيهم، حيث قال: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ

(١) رجال الشيخ الطوسي: ١٠٤ ترجمة٤.

(٢) راجع بحار الأنوار: ٤٢: ٧٤-٩٠.

أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[١].

وقد كانت تأمر أولادها العباس وإخوته منذ الصغر باحترام وتقدير أبناء فاطمة وخدمتهم، وفعلاً لقد ضرب العباس الذي ارتشف من معين وفائها وإخلاصها واحترامها لأبناء الزهراء، أروع وأعظم مثالاً في الاحترام والتقدير لأخويه الحسن والحسين، فلقد كان يمشي دائماً خلف أخيه الحسين، وما عهد طيلة حياته أن نادى الحسين بـ (يا أخي) و(يا حسين)، إلاّ كان يقول له: (سيدي) ولقد أثّرت هذه التربية أثرها العميق إلى أن استشهد العباس وإخوته عطاشى فداءً لأخيهم وسيدهم الحسين عليه السلام.

وامتنعت السيدة أم البنين عليها السلام عن الزواج بعد علي عليه السلام، على الرغم من أنّ الأشراف قد تقدّموا لخطبتها لنيل شرف الاقتران بها، إلى أن توفيت عليها السلام في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤ من الهجرة النبوية الشريفة، ودفنت في البقيع قُرب قبور الأئمة عليهم السلام، وقبرها الآن مقصد للمؤمنين، وقد اشتهر بينهم أنها أحد أبواب الله التي ما قصدها أحد إلا استجاب الله له[٢]

يقول الشهيد الأول في حقها: كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام، مخلصة في ولائهم، ممحّضة في مودّتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه، والمحل الرفيع، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تعزّيها بأولادها الأربعة، كما كانت تعزّيها أيام العيد[٣].

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٢: ١٢.

(٣) راجع كتاب العباس بن علي، للمقرم: ٢٣.

ومن مآثرها أنَّه عندما دخل بشر بن حذلم إلى المدينة ناعياً الحسين عليه السلام بعد واقعة الطف، جاءت وسألته عن الحسين، فأخبرها باستشهاد أولادها الأربعة العباس وإخوته، فكرّرت عليه السؤال عن حال الحسين عليه السلام، فلما أخبرها بمصرعه وقعت على الأرض مغشياً عليها، وكان حزنها على الحسين أكثر من حزنها على أولادها، حتى أنها عندما دخلت على زينب عليها السلام لتعزّيها، كانت تصيح: واحسيناه وا ولداه، ولم تندب عندها واحداً من أولادها، بيد أن زينب عليها السلام تبادلها الندب وتصيح: وا أخاه وا عباساه.

الليلة الثانية عشر

الصداقة والأخوة في الإسلام[١]

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٢]

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمن أخ المؤمن، لايظلمه، ولايخذله، ولا يغشّه، ولايغتابه، ولايخونه، ولايكذبه**»[٣].

خلق الله تعالى الإنسان وفطره على التآلف والتحابب بين أفراد نوعه، فلا يتمكن المرء أن يعيش بعيداً وبمعزل عن الناس وأفراد المجتمع، وقد جاءت الأديان السماوية لتؤكد على نداء الفطرة، وتوطّد الروابط والعلائق بين الناس، وقد جعلت له أسس وضوابط، لكي يبنى هذا الارتباط على أساسها فتنتج وتؤثر في حياة الإنسان الفردية والإجتماعية، ولقد أكَّد الإسلام أكثرمن أيِّ دين على ضرورة هذا الإرتباط الوثيق والعلاقات البنَّاءَ بين أفراد المجتمع

---

(١) اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، السنة الأولى للهجرة، آخى النبي بين المهاجرين والأنصار وآخى بينه وبين الإمام علي عليه السلام، فرأينا من المناسب أن يكون الحديث في هذه الليلة حول الأخوة في الإسلام.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) ٣)بحار الأنوار٧٦: ٢٨٦، ب٢٠، عن الكافي.

البشري خاصَّة المؤمنين منهم ودعاهم إلى إيجاد الصداقة والأخوة بينهم، وفيما يلي عرض لنظرية الإسلام تجاه هذا الموضوع المهم والقواعد والركائز التي ينبغي بناء العلاقة على ضوئها، ونبدأ البحث حول الصداقة حيث هي أخصُّ من الأخوة:

***

أ ـ الصداقة في الاسلام

إنَّ الصداقة بين المؤمنين هي منزلة أعمق من الأخوة، إذ جميع المؤمنين ولأجل إيمانهم أخوة من تعارف منهم ومن لم يتعارف، القريب منهم والبعيد، ولكن الصداقة هي مع خصوص بعض المؤمنين ممن يسرّ إليهم وممن يتعارفون ويتوادون ويتصاحبون على مصائب الدهر الخؤون ولذاينبغي ان يكون الشخص فيه الصفات التالية حتي يصدق عليه ان يكون صديقاً.

أولاً ـ أن يكون الصديق عاقلاً: ينبغي على المؤمن إذا أراد أن يتخذ صديقاً، أن يختار العاقل والحكيم في رأيه وفعله، فإن من تزيّن بالعقل، واتصفت أفعاله وآراؤه بالعقلانية، ينفع المؤمن في مواقع الحيرة والتردد، فيصله من عقله ما ينقذه ويدفع عنه السوء، فعن الإمام علي عليه السلام: «صاحب العاقل وجالس العلماء، واغلب الهوى ترافق الملأ الأعلى»[1]، وقد نهي عن مرافقة الأحمق لأنَّها توجب التعب، وتنعكس آثارها أمام المجتمع على الإنسان، فعن الإمام علي عليه السلام: «**عدو عاقل خير من صديق أحمق**»[2]، كما أنَّ الأحمق في غالب الأحيان لا يدرك ما يحسن مما يسوء، فقد يكون من نيته الاحسان اليك، فيكون

(١) غرر الحكم: ح٥٨٣٧.

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ١٠،ح٦٨.

ذلك إساءة، ولذا ورد في وصايا الامام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «**إيّاك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك**»[١].

ثانياً ـ أن يكون الصديق مؤمناً: ومما ينبغي أن يتوفر في الصديق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فإنَّ هذه الأوصاف من شأنها أن تنعكس على صديقه بكثرة المخالطة والمجالسة، فإنَّ من طبع الإنسان أنَّه إذا أنس بشخص أنس بأفعاله وسيرته وأخلاقه وسجاياه، ومن هنا أكَّدت الروايات على هذه الخصوصية، وفيما يلي جملة منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه**»[٢]، وفي قبال ذلك نجد الروايات تؤكِّد على ترك صحبة الفساق وأهل الذنوب والمعاصي، فإنَّ هذا السلوك فيهم قد يحفز من يصادقهم إلى الفسق والعصيان وخلع زي العبودية لله، وكم لاحظنا ذلك في مجتمعاتنا، فإنَّ هناك بعض المؤمنين ممن رافق أهل المعاصي فقللوا مصيبة المعصية في نظره حتى أصبح يقترفها دونما رادع، وفي هذا المجال يخبر القرآن الكريم عن ندم أقوام لأنهم اتبعوا من أضلهم عن السبيل والصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيٰ ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[٣]، وعن الإمام علي عليه السلام: «**احذر مصاحبة الفسّاق والفجّار والمجاهرين بمعاصي الله**»[٤]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إيّاك ومخالطة**

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٩.
(٢) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٤،ح٢.
(٣) سورة الفرقان: ٢٧-٢٩.
(٤) غرر الحكم: ح٢٦٠١.

السفلة فإن مخالطة السفلة لا تؤدي إلى خير»[١]، وسئل علي عليه السلام أيّ صاحبٍ شرّ؟ قال: «**المزيّن لك معصية الله**»[٢].

ثالثاًـ أن يكون الصديق ذا خلق حسن: كما ينبغي أن يكون الصديق مؤمناً تقياً، وينفع للآخرة، لابد وأن يتحلى بخلق رفيع، وسجية كريمة، ونفس طرية، وروح هنيئة، فإن صاحب الخُلُق الحسن تميل النفس إليه ويطمئن إليه العقل، وترتاح إليه النفس، مع ماله من سمعة طيبة في المجتمع تنعكس على سمعة من يصاحبه، وما أحوج المجتمع، وخصوصاً الشباب إلى الأصدقاء الخلوقين لتنتشر الأخلاق الحسنة بين جميع الناس، وقد ورد الكثير من الأخبار والأحاديث التي تؤكد على خلق الصديق وحسنه، فعن الإمام علي عليه السلام: «صحبة الأشرار تكسب الشر، كالريح إذا مرت بالنتن حملت نتناً»[٣]، وعن الإمام الجواد عليه السلام: «**إيّاك ومصاحبة الشرّير، فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره، ويقبح أثره**»[٤]، ويكون دائماً سيئ الخلق كما نلاحظه في المجتمع فخيره قليل، وشره كثير، لأن خلقه السيئ يمنعه من عمل الخير، إذ لا تناغم ولا ارتباط بين هذا الخلق والخير، بل يتناغم الخلق السيئ مع الشر والعمل به ولذلك يدعو إليه، وهذه أهم خصائص وصفات الصديق، وهناك صفات أخرى مبثوثة في الأخبار، تركنا ذكرها اختصاراً.

***

(١) بحار الأنوار ٧٤: ٣٦.

(٢) معاني الأخبار: ١٩٨.

(٣) غرر الحكم:ح ٥٨٣٩.

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ١٩٩،ح٣٦.

إختبار الصديق

لا يمكن لأيٍّ أحد أن يدرك صدق الصديق وإخلاصه، إلا بعد أن يمتحنه ويختبره، فكم من الإخوان كانوا مغرورين بأصدقائهم، ولكن سرعان ما خذلوهم وتركوهم بمجرد أن احتاجوهم، أو طلب منه المعونة على مصائبه، ولهذا فالأولى قبل أن تتخذه صديقاً أن تدخله في اختبار وامتحان، ومن هنا نهت جملة من الروايات عن اتخاذ الصديق قبل اختباره، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لا تثق بصديق قبل الخبرة**»[1]، وقد ورد جملة من الطرق لاختبار الصديق أهمها ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « **يمتحن الصديق بثلاث خصال، فإن كان مؤاتياً فيها فهو الصديق المصافي، وإلاّ كان صديق رخاء لا صديق شدّة: تبتغي منه مالاً، أو تأمنه على مال، أو تشاركه في مكروه**»[2]، وعن الصادق عليه السلام: «**لا تكون الصداقة إلاّ بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها، وإلا فلا تنبها إلى شيء من الصداقة، فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة، والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالثة: أن لا تغيّره عليك ولاية ولا مال، والرابعة: لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال: أن لا يسلمك عند النكبات**»[3].

وهناك طرق أخرى ذكرتها الروايات، وليس المقصود هذا الاختبار الذي تذكره هذه الروايات، لأنَّها في مقام بيان التمثيل للاختبار، وإلاّ فقد

(١) غرر الحكم: ح١٠٢٥٧.
(٢) تحف العقول: ٣٢١.
(٣) بحار الأنوار ٧٨: ٢٤٧،ح١٠٨.

يجد الإنسان طريقة تتناسب مع صديقه يمكن أن يقوم باختباره بها وتنجح في بيان حاله، ولذلك اكتفينا بذكر هذه الرواية على سبيل المثال.

***

آثار الصداقة في الدنيا والآخرة

لا شك في أنَّ كل عمل يقوم به الإنسان له آثار تنعكس وتظهر في حياته الفردية والاجتماعية، فالصدق والتعقل والتدين إذا قام بها الإنسان تظهر آثارها الخيّرة والحسنة على حياته، والكذب والحمق والفسوق كذلك تظهر آثارها السيئة والوخيمة على حياة الإنسان إذا ما قام بها، والصداقة هي واحدة من تلك العناوين التي تظهر آثارها على حياة الفرد والمجتمع، وفيما يلي بعض الآثار المترتبة على صداقة المؤمنين بعضهم لبعض:

١ـ الصداقة تلاحم وتعاضد: إنَّ من المبادئ التي ينادي بها الإسلام، ويدعو إليها العقل، الوحدة والتلاحم بين أفراد المسلمين والمجتمعات الإسلامية، فكم من الآيات والروايات طلبت من المسلمين جميعاً تحقيق هذا المبدأ، والالتفاف حوله، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1]، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات المؤكدة على الاجتماع والتعاضد والتلاحم بين أفراد المسلمين، والإبتعاد عن التفرقة والتنازع، وكذلك كم أكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المبدأ، فقال عليه السلام: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد**

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) الأنفال: ٤٦.

الواحد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى»[١].

٢ـ آثار الصداقة في الآخرة: من أهمِّ آثار الصداقة في الآخرة شفاعة الصديق لصديقه، فلقد أعطى الله تعالى الحق لبعض البشر ليشفع في عباده، فأعطاها للأنبياء والأئمة عليهم السلام وللشهداء وللمؤمنين، وأيضاً أعطاها للصديق، وفي الوسائل[٢] عن الامام الصادق٨: «أكثروا من الاصدقاء في الدنيا فإنهم ينفعون في الدنيا والاخرة، أما في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما في الاخرة فإن أهل جهنّم قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٣]، ومن هنا فإن أهل النار يندمون أنه ليس لهم صديق حميم يشفع لهم.

ومن أعظم مصاديق الصداقة، أصحاب أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً أصحاب الإمام الحسين الذين وقفوا معه في عرصات كربلاء، حيث يروى أنّ زينباً عليها السلام خشيت خذلان الأصحاب عند ساعة العسرة، فقالت لأخيها الحسين عليه السلام: هل اختبرت أصحابك، فقال عليه السلام: لقد اختبرتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأسد الأشعث يرغبون في المنية دوني كما حُكي، وحقّاً سطّروا بدمائهم وقرابين نفوسهم أروع وأعظم روابط الحب والصداقة والولاء للامام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

***

ب ـ الأخوة في الإسلام

لقد حثّ الإسلام كثيراً على إقامة الروابط والعلائق بين أفراد الإنسان،

(١) بحار الأنوار ٦١: ١٥٠،ح٢٩.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٠٧، ب ٧، ح ٥.

(٣) الشعراء: ١٠١،١٠٠.

وأنّه ينبغي للمؤمن أن يتخذ الأخ، ويسعى جاهداً لتكثير الأخوان، وأن من سعادة المؤمن الظفر بأكثر عدد ممكن منهم، قال الصادق عليه السلام: «**من لم يرغب في الاستكثار من الاخوان ابتلي بالخسران**»[١]. وقال الإمام علي عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم**»[٢]، وقد ورد تأكيداً لذلك عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «**استكثروا من الاخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة**» وقال: «**استكثروا من الاخوان فإن لكل مؤمن شفاعة**»[٣]، ورود في حديث آخر: «**الرجل كثير بأخيه**» وفي نصٍ: «**المرء كبير باخيه وابن عمه**»[٤].

وربما يكون للوهلة الأولى معنى الأخوة واضحاً،، ولكن الأمر ليس كذلك، فإنه حينما ننظر إلى طائفة من الأحاديث المباركة، والتي رسمت أبعاد المعنى، وأسس المبنى، وعمق الارتباط بين الاسم والمسمى في ضمن الحدود التي حثّت الشريعة الغرّاء على المحافظة عليها، وحذَّرت من تجاوزها كالنزاهة عن الخيانة... وغيرها، كما في حديث الصادق عليه السلام في بيان سبب تسمية الإخوان والأصدقاء، قال: «**إنَّما سمّوا إخواناً لنزاهتهم عن الخيانة، وسمّوا أصدقاء لأنَّهم تصادقوا على حقوق المودة**»[٥].

ومن الواضح أن الإمام عليه السلام في هذا الحديث ليس بصدد بيان تمام معنى الأخوة والصداقة، وإنماأراد يشير إلى بعد من أبعادهما، وللوقوف على

(١) تحف العقول: ٣١٩.
(٢) بحار الأنوار ٧٤: ٢٧٨،ح١٢.
(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٠٨، ب ٧، ح ٦.
(٤) شرح نهج البلاغة ٤٠٧:٣.(٣
(٥) مستدرك الوسائل ٨: ٣٣١.

الحال نبين فيما يلي معنى الأخوة، وأقسامها وصفاتها، وحقوقها:

***

أنواع الأخوة في الإسلام

١ــ الأخوة النَّسبية: وهي العلاقة والرابطة بين إنسانين من خلال اشتراكهما في أب وأم أو في أحدهما تولداً، ولها آثار شرعية عديدة كالإرث والحرمة وغيرهما.

٢ــ الأخوة الرضاعية: وهي عبارة عن الربط القائم بين انسانين من خلال الارتضاع من امرأة واحدة، ولها آثار شرعية أيضاً، كحرمة التزاوج وغيرها، إلاّ أن هذه الأخوة أضيق دائرة مما تقدمها، إذ أن الأخوان الرضاعيين لا يتوارثان.

٣ــ الأخوة الدِّينية: وهي عبارة عن الرابطة والعلاقة القائمة بين شخصين في الدين والايمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وقال الإمام علي عليه السلام: «**فإنّهم ـ** أي الناس **ـ صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**»[2]، فالذي يوجب الإخاء هو الدين والإيمان، والروابط التوحيدية والعقائدية.

لقداعتبر الإسلام أن الرابطة الايمانية الّتي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، هي العلاقة الأخوية، فالمؤمن وإن لم تلده أمك، إلاّ أنك تشترك معه في الدين والايمان، بل اعتبر الرابطة الايمانية أقوى من الروابط النسبية، فهذا نبي الله

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) بحار الأنوار ٧٧: ٢٤٣ ح١.

نوح يطلب من ربه نجاة ابنه الكافر حيث قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[١]، فيأتيه النداء: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[٢]، فقد علل انقطاع العلاقة بينه وبين ابنه بأنه قام الابن بعمل غير صالح وهو الكفر، بينما نجد الإيمان يقرّب البعيد حتى يصبح ملتصقاً، كما حصل لسلمان الّذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**سلمان منّا أهل البيت**»[٣].

***

حقوق الأخوة

لما كان المؤمن أخو المؤمن كان على أحدهما حقوقاً اجتماعية وأخلاقية على الآخر تشير إليها عدة روايات منها ما رواه الكليني عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «**المؤمن أخ المؤمن، لايظلمه ولايخذله ولا يغّشه ولايغتابه ولايخونه ولا يكذبه**»[٤].

ومنها النصيحة فعن الإمام علي عليه السلام: «**خير اخوانك من دلّك على هدى، وأكسبك تقى، وصدّك عن اتباع هوى**»[٥]، وقال الأمام الصادق عليه السلام: «**أحب إخواني إليّ من أهداني عيوبي**»[٦]، ومعناه أن يذكِّره بالعيب ليربي نفسه على تركه، ومن هنا كان ذكر المؤمن لعيب أخيه بنظر الإمام هدية مقدمةله.

ومن تلك الحقوق الاجتماعية بين المؤمنين ما ذكرته الآية الكريمة التي

(١) سورة هود: ٤٥.

(٢) سورة هود: ٤٦.

(٣) الإحتجاج١: ٣٥٩، بحار الأنوار١٠: ١٢١،ب١٠.

(٤) ٢) بحار الأنوار٧٦: ٢٨٦، الباب ٢٠، عن الكافي.

(٥) غرر الحكم:ح ٥٠٢٩.

(٦) بحار الأنوار ٧٤: ١٨٨.

صدر بها الحديث وهو الإصلاح بين الطائفين، أو بين المؤمنين اللذين يختصمان أو يقتتلان فحيئذ يجب علي المؤمنين الآخرين أن يسعوا في إصلاح ما بينهما، لذلك قال تعالى بعد إخباره بأخوّة المؤمنين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1]

***

مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين

وقد يتخذ فردٌ من المؤمنين أخاً له مؤمناً ويؤاخيه في الله أخوة خاصة بهما فيكونان أخوين يعاضد وينصر ويواسي أحدهما الآخر، وذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي آخي بين المسلمين من المهاجرين بمكة قبل هجرته منها، فجعل كلّ واحد منهما أخاً للآخر، واتخذ هو صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه أخاً وهو علي بن أبي طالب عليه السلام لقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين كنقطة انطلاق نحو المجتمع الإسلامي المتماسك يتعاونون كجسد واحد لمصلحة الإسلام وإعلاء كلمة الله حيث سيواجه المسلمون مصاعب جمّة يستلزم تجاوزها التعاون والتعاضد بأعلى مراتبه.

ثم لمّا هاجر صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وهاجر أخيراً معه الآخرون من المسلمين، واصبحوا فرقتين مهاجرين وأنصار، أخي صلى الله عليه وآله وسلم بينهما مؤاخاة فجعل لكل مهاجري أخاً من الأنصار، ولكل أنصاري أخاً من المهاجرين، أمّا هو صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتخذ له أخا سوي علي أمير المؤمنين عليه السلام مع أن كل واحد منهما مهاجري، فمقتضي هذه القاعدة أن يتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخاً له من الأنصار، وأن يتخذ لعلي أيضاً أخا له من الأنصار، ولكن لما لم يكن أحد مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير علي أمير المؤمنين عليه السلام لذا اتخذه أخا له دون غيره في كلا المرتين، وما اكتفي

(١) سورة الحجرات: ١٠.

بذلك حتي قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة،فكان علي أخاه في المنزلة والمؤاخاة، ولكنها مؤاخاة خاصة بين الاثنين، إضافة إلى الأخوّة العامة بين المؤمنين أجمعين[١].

وعن محدوج ابن زيد: إن رسول اللهﷺ آخى بين المسلمين، ثم قال: يا علي، أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي[٢]، ولقد سأل موسي بن عمران ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له ليشد به أزره ويشركه في أمره وآتاه الله سؤله، وكذلك نبينا محمدﷺ سأل ربه أن يجعل أخاه علياً وزيراً له ليشد به أزره ويشركه في أمره وآتاه الله سؤله، فجعل علياً وزيراً للرسولﷺ وعضداً له يشد به أزره ويشركه في أمره، وإنما سأل موسى ربَّه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له دون غيره لأن مقام الأخ مقام عظيم لايمكن الاستغناء عنه، ولايقوم أحد مقامه.

وعن الإمام عليعليه السلام: آخى رسول اللهﷺ بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني فرداً لا أخ لي!! فقال: إنما اخترتك لنفسي؛ أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقمت وأنا أبكي من الجذل[٣] والسرور[٤].

***

(١) انظركتاب (المراجعات): ١٦٢ في كيفية المؤاخاة ومصادرها.

(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٦٣ ح١١٣١، وتاريخ دمشق ٤٢: ٥٣ ح٨٣٨٩، والمناقب للخوارزمي ١٤٠ ح١٥٩، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٦.شواهد التنزيل ١: ١٧٨، ورواه الرازي في تفسيره ٣: ٤١٧، وراجع حديث المنزلة في مفاده وسنده ومصادره كتاب المراجعات، للامام شرف الدين:١٥٢.

(٣) جذل ـ بالكسر ـ بالشيء يجذل جذلاً فهو جذل وجذلان: فرح (لسان العرب ١١: ١٠٧).

(٤) كنز الفوائد ٢: ١٨٠ عن سليمان بن جعفر الهاشمي، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جدهعليه السلام، المعجم الكبير ١١: ٦٣ ح١١٠٩٢ عن ابن عباس نحوه.

مصيبة فقد الأخ

إنَّ الأخ الحقيقي يجد لفقد أخيه مصيبة ويتمني الموت عند فقده ولذا نري إنَّ أمير المؤمنين٨وقف يو م صفين علي مصرع أخ سببي وهو عمَّار بن ياسر ولمَّا رآه مرمَّلاً بدمائه تنفس الصعداء وبكي وهو الصبور، ونعاه بهذه الابيات:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي

أرحني فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيراً بالذين أحبَّهم

كأنَّك تنحو نحوهم بدليل[1]

هذا بالنسبة إلى الأخ السببي، وأما الأخ النسبي ولاسيما الصادق في إخائه فإنَّه لايعدله شيء ولا يماثل بأحد من الأهل والأقارب والعشيرة حتي الولد الذي هو فلذة الكبد، ويؤيد ذلك ما روي أن لقمان الحكيم عاد من سفر له طويل فلقي غلاماً له في بعض الطريق فسأله لقمان عن أبيه ما فعل؟ قال الغلام: مات أبوك، قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت أمي؟ قال: ماتت، قال: استرحت من عقوقها، قال: ما فعلت زوجتي؟ قال: ماتت، قال: جُدِّد فراشي، قال: مافعلت أختي؟ قال: ماتت، قال سترت عورتي، قال: ما فعل ولدي؟ قال: مات، قال يجيء غيره، قال:ما فعل أخي؟ قال مات، قال لقمان: الآن انكسر ظهري[2].

***

(١) ديوان الإمام علي: ٣٨، بحارالأنوار٣٤: ٤٣٨،ب٣٦، وج٧٥: ٨٨ب١٦.

(٢) بحار الأنوار١٣: ٤٢٤، ب ١٨.

وقوف الحسين عليه السلام علي مصرع أخوته

إذا كان فقد أخ واحد يكسر الظهر ويقصمه فكيف حال الحسين٨وقد فقد يو م عاشوراء اثنين وسبعين من أحبته واخوته في الايمان حيث رآهم كلهم صرعي مجزرين كالأضاحي علي الرمال، سائلة دماؤهم مقطعة أعضاؤهم، وتسعة من إخوته، وبقية أبنائه وأهل بيته، وكان أعظمهم مصيبة علي الحسين مصرع أخيه أبي الفضل العباس وحين وقف عليه صريعاً رآه مقطوع اليدين مرضوض الجبين، المخ سائل علي الكتفين، السهم نابت في العين، عند ذلك بكي بكاء شديداً ثمَّ أخذ رأسه ووضعه في حجره وجعل يسمع الدم والتراب عنه، ثم شهق العباس وفارقت روحه الدنيا، فقام الحسين عليه السلام من عنده محني الظهر مطوي الضلوع وهو ينادي: «**وا أخاه وعبَّاسا الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي وشمت بي عدوي**»

نادي وقد ملأ البوادي صيحةً ... صمَّ الصّخورِ لهولها تتألم

أأخي مَن يحمي بنات محمدٍ ... إذ صرن يَستَرحِمنَ مَن لا يَرحَمُ

ما خِلتُ بعدك أن تَشُلَّ سَواعِدي ... وَ تَكفَّ باصِرتي وَظهري يُقصَمُ

الليلة الثالثة عشر

أبو طالب كافل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وناصره[١]

قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند وفاة عمه أبي طالب عليه السلام: «**يا عم جزيت خيراً، فلقد ربيَّت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً، أما والله لاستغفرنَّ لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان**»[٣].

***

(١) قال اليعقوبي توفيت خديجة في العاشر من شهر رمضان المبارك قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها من العمر ٦٥ سنة، وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله من العمر ٨٦ سنة، وقيل: تسعون سنة، فسمّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك العام بعام الحزن، وقال الراوندي في قصص الأنبياء (٢: ١٢١) عكس ذلك، لقد توفى أبو طالب في السابع من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، كما أن هناك رواية تعتبر وفاة أبي طالب في شهر رجب، ولكن المشهور ما ذكرناه من وفاته في شهر رمضان، كما جاء ذلك في بحار الأنوار: ٤٢.

(٢) سورة غافر: ٢٨.

(٣) راجع تاريخ اليعقوبي ١: ٣٥٥ باب وفاة خديجة وأبي طالب، وشرح نهج البلاغة ١٤: ٧٦.

أبو طالب عم النبي ﷺ ووالد علي عليه السلام

أبو طالب هو: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي لقّب بأبي طالب، وسيد البطحاء وشيخ قريش، رئيس مكة، و«أبو طالب» لقب غلب عليه، حتى لم يعد أحد يناديه باسمه الأصلي «عبد مناف» وهوعم النبي ﷺ والد الامام علي عليه السلام.

كان أبو طالب يتمتع بشخصية قوية مهابة في نفوس قومه وكانت رئاسة قريش وبني هاشم بعد عبد المطّلب له، ولم يكن هو الإبن الأكبر لعبد المطلب، ولم يكن غنيّاً ولذا قيل: لم يكن أحد يسود قريشاً بلا مال سوى أبا طالب، وكانت لعبد المطّلب علاقة خاصة بولده أبي طالب، لما كان يعرفه من علوّ منزلته، ولذا طلب عبد المطّلب منه أن يتولّى كفالة النبي ﷺ من بعده، فكان أبو طالب عند حسن ظنّ أبيه، فرعاه وعطف عليه، وكان يقدمه على أبنائه أجمعين، وكان يحبّه حباً شديداً، وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وكان يخصّه بالطعام، فإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فيقول أبو طالب: إنّك لمبارك[1].

واستمر أبو طالب في رعايته المخلصة للنبي ﷺ، وكان يتطلع فيه المستقبل العظيم، ولم يمض أكثر من إثني عشر ربيعاً من عمر النبي ﷺ، فأراد أبو طالب السَّفر إلى الشام مع قافلة قريش التجارية، وقرَّر أن يصطحب إبن أخيه معه في هذه الرحلة، وقد شهد من النبي ﷺ أثناء الطريق كرامات وخوارق حتى أنشأ في ذلك قصيدة:

(١) سيرة ابن هشام ١٧٩: ١ وتاريخ اليعقوبي١: ٣٣٥.

إن ابــن آمــنــة النبي محمداً عــنــدي يــفــوق مــنــازل الأولاد

وهكذا واصل أبو طالب رعايته ونصرته لرسول الله ﷺ طيلة الإثنين والأربعين عاماً التي قضاها معه، وأخذ يبلِّغ النبي ﷺ دعوته كما أمره الله تعالى، ولم تشدِّد قريش من مواجهتها للنبي ﷺ حتى بدأ رسول الله يهاجم آلهتهم، ولعلمها بأنَّ وراء النبي محمد ﷺ قوة لا يمكن تجاوزها قد تمثلت في أبي طالب وبني هاشم الذين أعلنوا بلسان أبي طالب أنَّهم حماة النبي ﷺ، ولذا اجتمعت قريش عدة اجتماعات وقرّروا عدة قرارات، علّها تثني الرسول وعمّه، أو تساهم في عزل النبي محمد ﷺ عن بني هاشم وعبد المطلب، ومن بين هذه القررات، المحاصرة والمقاطعة الاقتصادية ثلاث سنوات في شعب أبي طالب.

***

فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب

كانت فاطمة بنت أسد، زوجة أبي طالب وأم الامام علي عليه السلام، تفضّل الرّسول ﷺ على أولادها، وكانت له بمنزلة الأم الحنونة، فتربى في حجرها، فكان رسول الله ﷺ دائماً يذكرها بخير وكان شاكراً لبِرّها، وكان يُسميها «أمي»، ولما توفيت كفنّها رسول الله ﷺ بقميصه، وأمر أن يحفر قبرها في البقيع، فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال: «**اللهم اغفر لأُمي فاطمة بنت أسد ولقنّها حجّتها ووسّع عليها مدخلها**». فقيل يا رسول الله! رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها فقال عليه السلام: «**ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت في قبرها ليوسّعه الله عليها،**

وتأمن من ضغطة القبر، إنّها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليّ بعد أبي طالب»[١]، وقال ابن عباس: «**هي أوّل امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية»**[٢].

***

مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب

إنّ أبا طالب لم يتخلى عن حماية ونصرة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى آخر لحظات عمره الشريف، بحيث أوصى أقاربه وأصحابه بأن يدافعوا عنه وينصروه، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب أبا طالب ويثني عليه طيلة حياته، ولمّا سمع بموته حزن عليه حزناً شديداً، ثم قال لعلي عليه السلام: امضِ فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فاعلمني، ففعل فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال عليه السلام: «**يا عم جزيت خيراً، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً، أما والله لأستغفرنّ لك ولأشفعنَّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان»**[٣] ثم دفن في مقبرة الحجون، وقد أجاد الشيخ المفيد بما علَّقه على هذا الحديث بقوله: في هذا الحديث دليلان على إيمان أبي طالب عليه السلام:

الأول: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً بغسله وتكفينه دون الحاضرين من أولاده، لأنَّ جعفر الطيار كان يومئذ ببلاد الحبشة، وطالب وعقيل كانا حاضرين ولكنهما يومئذٍ لم يُسلما بعد، وأمير المؤمنين عليه السلام كان مؤمناً بالله

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٠٨ ذكر فضيلة أمّ علي بن أبي طالب٨.

(٢) تذكرة الخواص: ١٣ ومقاتل الطالبيين: ٢٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٣٥٥ باب وفاة خديجة وأبو طالب، شرح نهج البلاغة ١٤: ٧٦،

ورسوله، فخصَّ المؤمن منهم بولاية أمره، ولو كان أبو طالب عليه السلام قد مات على ما يزعمه النواصب من الكفر، كان طالب وعقيل أحق بتولي أمره من علي عليه السلام ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره لانقطاع العصمة بينهما، ففي حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام بتغسيل وتكفين أبي طالب، شاهد صدق على إيمانه بالإسلام.

الثاني: دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بالخيرات وطلب الشفاعة له خير دليل على إيمانه، ولو كان أبو طالب قد مات كافراً، لما جاز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء والصلاة عليه، حيث يقول تعالى ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[1]، وإذا كان الأمر على ما وصفناه، ثبت أنَّ أبا طالب عليه السلام مات مؤمناً[2].

ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**ما نالت منِّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**»[3].

نعم هكذا كانت مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب الدالة على إيمانه وإسلامه وأما موقف الأئمة عليهم السلام تجاه حملة تكفير أبي طالب، فلقد تصدى لها الأئمة عليهم السلام فكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**كان والله أبو طالب؛ عبد مناف ابن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إ يمانه مخافة على بني هاشم أن تنبذها قريش**»[4].

---

(١) سورة التوبة: ٨٤.

(٢) مجموعة مصنفات الشيخ المفيد ١: ٢٦.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٨٠،تاريخ ابن عساكر ١: ٢٨٤.

(٤) الغدير ٧: ٣٨٧ ح ٧.

إيمان أبي طالب في كلام أهل البيت عليهم السلام

لقدأجاب الإمام زين العابدين عليه السلام عندما سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال عليه السلام: «**وا عجبا كل العجب! أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد نهاه الله تعالى أن يقرن مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات، فإنَّها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب**»[1].

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبي بصير، قال قلت لأبي جعفر عليه السلام، سيّدي! إنّ الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه، فقال عليه السلام: «**كذبوا، والله إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كّفة ميزان وإ يمان هذا الخلق في كفّة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم ثم قال: «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وابنه وأبي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم**»[2].

***

إيمان أبي طالب في كلام الصحابة

لقد شهد الكثير من الصحابة بإسلام وإيمان أبي طالب عليه السلام قال ابن أبي الحديد: قالوا: وقد روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر، أنَّ أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

وفي شعر لابن أبي الحديد وهو في صدد ذكر إسلام أبي طالب قال:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٨،الغدير٧: ٣٨٠

ولـــولا أبـــو طـالـــبٍ وإبـــنُـــهُ لما مَثُل الّـديـن شخصاً فقاما
فـــذاك بمـكّـــة آوى وحـامـى و هـذا بـيـثرب حبّس الحِماما

وخير دليل على إيمان أبي طالب بدين النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ أشعاره ووصيته، ومن تلك الأشعار:

ولقد عَلمت بـأنَّ ديـنَ محمَّدٍ مـن خـير أديـان الـبريـة دينا
يـا شاهد الله عـلـيّ فاشهَدِ إنّي على ديـن النبي أحْـمَـدِ

***

من ضلَّ في الدِّين فإني مُهتدي[1]

وفي وصيته عند مماته يقول: «**يا معشر بني هاشم! أطيعوا محمّداً وصدّقوه تفلحوا وترشدوا، يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حُماة، والله لا يسلك أحدٌ منكم سبيله إلاّ رشد ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلاّ سَعِد**»[2].

هذه الأدلة التي ذكرناها، كلها تدل على أنَّ أبا طالب كان مؤمناً بالله طوال حياته على دين آبائه وأجداده على ملة إبراهيم، وقد أسرَّ الإيمان وأظهر الشرك حفظاً للرِّسالة والرَّسول وأصحاب الرّسول، وقد دخل الإسلام وآمن برسوله قبل وفاته.

وأمَّا ما قاله بعض أهل السنة بأنَّ أبا طالب كان مشركاً، ومات على غير الإسلام، واستدلوا بحديث الضحضاح فمردودٌ لعدم موافقته لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) شرح نهج البلاغة ١٤: ٧١، بحار الأنوار ٣٥: ١٤٠ ح٨٥،٨٤.
(٢) السيرة الحلبية ١: ٢٩٢، تاريخ الخميس ١: ٣٠٢

وسيرته أولاً، وولضعيف سند هذا الحديث ثانياً، لأنَّه إنّما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد فسقه غير خافٍ على الجميع، وهو المغيرة بن شعبة، وبغض هذا الرجل لبني هاشم على العموم ولعلي عليه السلام على الخصوص مشهور ومعلوم، والظَّاهر أنَّ الغرض من هذه التهمة هو الإمام علي بن أبي طالب، والنيل من شخصيته كي يُساووه مع الذين كانوا هُم وآباؤهم من المشركين، وهذه الأباطيل التي حاكوها لم تكن لتقف عند أبي طالب بل استمرَّت حتى وصلت إلى درجة أن يشيعوا في البلاد أن الحسين عليه السلام الذي خرج لنصرة الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنَّما كان خارجياً وبناته وعائلته سبايا يطاف بهم من بلد إلى بلد.

وينبغي التوجه في هذه الليلة لزيارة أبي طالب بالزيارة التالية:

السلام عليك يا سيد البطحاء وابن رئيسها، السلام عليك يا وارث الكعبة بعد تأسيسها، السّلام عليك يا كافل الرَّسولِ وناصره، السلام عليك يا عمَّ المصطفى وأبا المرتضى، السلام عليك يا بيضة البلد، السلام عليك أيّها الذّابُ عن الدّين، الباذِلُ نفسه في نصرة سيد المرسلين، السلام عليك وعلى وَلَدِك أمير المؤمنين ورحمَة الله وبركاتُهُ.

الليلة الرابعة عشر

قيمة العمل ومكانة العامل في الإسلام[١]

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[٢].

ومن وصايا الإمام الحسن عليه السلام لجنادة: «... واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزِّ طاعة الله عز وجل...»[٣].

***

قيمة العمل في الإسلام

الإسلام دين الفطرة السليمة، حيث ينظر نظرة واقعية إلى مختلف جوانب حياة الإنسان، ويراعي جميع متطلباته، على عكس بعض الأديان

(١) في عام ١٨٨٩م عقد اجتماع مجلس العمال العالمي في باريس، حيث تم فيه إقرار الأول من شهر أيار من كل عام، يوماً عالمياً للعمال، إحياءً لذكرى العمال الذين قتلوا في شيكاغو خلال مجزرة بشعة عام ١٨٨٦ م كشفت الوجه الحقيقي للإمبريالية الأمريكية التي تستهدف الربح فقط دون النظر إلى متطلبات العمال، في حين أن التعاليم الإسلامية نصت على الحفاظ على كرامة العامل في تشريعاتها قبل أربعة عشر قرناً.

(٢) سورة التوبة:١٠٥.

(٣) أعيان الشيعة ٤: ٨٥.

الأخرى التي قد تركِّز على الجانب المعنوي في حياته من خلال دعوته إلى الرهبانية والانعزال، فالعمل والسعي من الحقائق الأساسية وأسس الحياة الكريمة للإنسان ومن أهمِّ أسباب تطور المجتمع، وبه ينعم أفراد المجتمع ويحقق لهم الرفاه المادي والعيش الرغيد، ومن هنا دعا الإسلام إلى العمل، ومنع من البطالة والاتكال على الآخرين، بل منع من أداء الحقوق الشرعية من الخمس والزكاة والصدقات للعاطلين إذا لم يمنعهم مانع شرعي أو عقلي أو عقلائي من العمل، فلا يمكن للإنسان العيش بدون كسب قوت يومه لذلك قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[2]، وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «قال أبي عليه السلام لبعض ولده: إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعانك من حظّك من الدنيا والاخرة»[3]، وقد جعل الله عزَّة الإنسان في العمل حيث روي عن المعلى بن خنيس: رآني أبو عبد الله عليه السلام وقد تأخرت عن السوق فقال عليه السلام: «**أُغْدُ إلى عِزِّك**»[4].

وقدأكَّد النبي وأهل بيته على مبدأ العمل وبذل الجهد في طلب الرزق من أجل تحقيق المستلزمات الاقتصادية للمعيشة، وعدم جواز الاتكال على الاخرين في سدِّ الاحتياجات المالية، واعتبروه من الاعمال المقدسة اللازمة والمقربة إلى الله تعالى، وقد ارتقى هذا الجهد في طلب الرزق إلى حد الجهاد في سبيل الله، بل هو افضل منه في بعض النصوص، فعن أبي عبد الله عليه السلام

(١) سورة النجم: ٣٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٠.
(٣) الكافي ٥: ٨٨، ح٢.
(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٩٢.

قال: «الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[١]، وعن زكريا بن آدم عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**الذي يطلب من فضل الله عزَّوجل ما يكفّ به عياله اعظم اجراً من المجاهد في سبيل الله عزَّوجل**»[٢]، وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام أتاه رجل فقال له: لاقعدنَّ في بيتي ولاصلينّ ولاصومنّ ولاعبدنّ ربي، فأما رزقي فسيأتيني، فقال أبو عبد الله عليه السلام «**هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم**»[٣].

***

المرأة والعمل

قد أوجب الإسلام العمل على الرجل لسدِّ حاجات زوجته وأولاده، ولم يكلف به المرأة، لأن الدور الأهم للمرأة في بناء الأسرة ورعاية أطفالها، وتربيتهم تربية كريمة وفاضلة، ولكن عدم تكليفها به لا يعني أنه منعها منه، بل غاية ما في الأمر أنه أسقط وجوبه فقط، أما إذا عملت مع رعاية كرامتها فعملها محترم، وتستحق كل ما يترتب عليه.

وعلى هذا، فيحق للمرأة الدخول في جميع ميادين الحياة العملية، وأن تزاول كل ما تقدر عليه من الأعمال، بل قد يجب عليها العمل في بعض الحقول، كمزاولة الطبابة للنساء بالحد الذي يحقق الكفاية للمجتمع، فبدلاً من أن تعرض المرأة جسدها على الطبيب الأجنبي الذي يحرم عليه النظر إليه، ويحرم عليها أن تبديه أمامه، يجب على المرأة الخبيرة بهذه المهنة أن تتصدى

(١) الكافي ٥: ٨٨، ح١.
(٢) الكافي ٥: ٨٨، ح٢.
(٣) الكافي ٥: ٧٧، ح١.

لذلك، بيد أن عدم منعها من العمل والسماح لها به لا يعني التحلل والسفور، بل لابد وأن تكون حافظة لدينها، صائنة لنفسها، محتشمة في عملها، ساترة لبدنها، ولذا نجد القرآن الكريم يعطي نموذجاً للمرأة العاملة بنتي شعيب عليه السلام بما تحملانه من عفة وحشمة وحجاب، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[1]، فهما تعملان، ولكن لا تقفان مع الرعاء الأجانب حتى لا يكون هناك اختلاط محرم، فتنتظران حتى ينتهي الرجال من السقاء فتسقيان، نعم، في قولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ تعليل للعمل، إذ هما لا أخ لهما ولا زوج، كما أن أباهما عاجز عن العمل، فأحوجهما الدهر أن يتصديا إلى العمل، مما يدل على أن الحاجة هي التي دعتهما للعمل، وهذا يعني أنه لو كانت المرأة غير محتاجة إلى العمل فالأفضل عدمه، لتبقى محافظة على وظيفتها في حماية الأسرة، وتنظيمها وتربية أطفالها تربية صالحة ونقية.

***

شروط وضوابط العمل

كل الأعمالالتي يقوم بها الانسان ذكراً كان أم أنثى اذا اطاع الله فيها فعمل بحلالها واجتنب حرامها تصبح عملاً عبادياً يوجر ويثاب عليها، وقد وضع الإسلام مجموعة من الضوابط والاصول تكون المنهج العام للعمل الصحيح، ينبغي مراعاتها ضمن الأمور التالية:

١ ـ مراعاة الاختصاص والاتقان والامانة في أداء العمل:قال رسول

(١) سورة القصص: ٢٣.

الله ﷺ: «**من عمل على غير علم، ما يفسد أكثر ممَّا يصلح**»[١]، وقال ﷺ: «**إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن**»[٢]، وقال الإمام علي عليه السلام: «**إنَّ الله يحب المحترف الأمين**»[٣].

٢ـ الإلتزام بأن يكون العمل وطلب الرزق حلالاً: حيث إن الله تعالى عندما أخذ على الانسان أن يطلب رزقه ضمن له رزقه بحدود معيّنة لابد من تحققها ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٤]، وقال رسول الله ﷺ «. . **ولا يحملنَّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله؛ فإنَّ الله تبارك وتعالى قسَّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسِّمها حراماً، فمن اتّقى الله عزَّ وجل وصبر أتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب الستر وعجَّل فأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة**»[٥]، وعنه ﷺ: «**من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلاّ فلا يشترين ولا يبيعن: الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى**»[٦]، وعن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**يا معشر التجّار، الفقه ثم المتجر، . . .**»[٧].

٣ـ الإلتزام بأداء الحقوق الشرعية: من الخمس والزكاة وغيرها كما

---

(١) تحف العقول: ٤٧،ما ورد عن الرسول ﷺ.
(٢) وسائل الشيعة ٣: ٢٢٩.
(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١١.
(٤) سورة الذاريات: ٢٢.
(٥) الكافي ٥: ٨٠، ح١.
(٦) الكافي ٥: ١٥٠، ح٢.
(٧) الكافي ٥: ١٥٠، ح١.

أشارت إلى ذلك بعض الروايات، وذكرت أن النجاج والفلاح في العمل مرهون بهذا الالتزام الشرعي، كما في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

***

الزراعة وتربية الحيوانات

تعتبر الزراعة وتربية الحيوانات واستثمارها من أهم الامور الاقتصادية للامم؛ حيث تكون المصدر الرئسي للغذاء، ولا يمكن لأي أمّة ان تحقق استقلالها الكامل ما لم تكن مكتفية في انتاجها الزراعي وتربية الحيوانات.

ومن هذا المنطلق نجد النظرية الاسلامية في الاقتصاد تعطي الزراعة وتربية المواشي أهمية خاصة، ولعلّها تأتي في المرتبة الثانية بعد التجارة، أو أنها تحتل المرتبة الاولى بلحاظ بعض الظروف الاقتصادية كظروف الحصار أو الاوساط الاجتماعية كالاوساط الريفية.

ويزيد الزراعة وتربية المواشي اهمية إذا أخذنا بنظر الاعتبار تقييم المال النا تج عنهما وطهارتهما وبُعدهما عن الشبهات والاشكالات الشرعية.

وفي حديث أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: «سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أي المال خير؟ قال: زرع زرعه صاحبه وأصلحه وأدّى حقه يو م حصاده. قال: فأي المال بعد الزرع خير؟ قال: رجل في غنم له قد تبع بها مواضع القطر يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة...»[2].

(١) سورة النور: ٣٧.

(٢) الكافي٥: ٢٦٠، ح٦.

وبالنظر لهذه الاهمية والخير والصلاح في الزراعة وتربية المواشي، نجد أن الانبياء والائمة الطاهرين عليهم السلام كانوا يمارسون هذا العمل الشريف في مختلف الادوار، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إن الله جعل رزق أنبيائه في الزَّرع والضَّرع**...»[1]، وفي حديث آخر: «... **مابعث الله نبياً إلاَّ زراعاً إلاَّ إدريس فإنَّه كان خيَّاطاً**»[2].

***

أهل البيت عليهم السلام إسوة في العمل

إنَّ ا النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام قد أعطوا المثال العملي على أقوالهم، حيث نزلوا إلى ساحات العمل، مع ما كانوا عليه من مكانة علمية واجتماعية بارزة، ليشجعوا المسلمين على بذل الجهد والتعب عند أداء أعمالهم، فهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مارس التجارة سواء كانت بأموال خديجة أو ممارسة مستقلة، وقد باشر أمير المؤمنين عليه السلام الزراعة، فقد ورد في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يضرب بالمر[3] ويستخرج الارضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمصّ النوى بفيهِ ويغرسه فيطلع من ساعته، وإنَّ أمير المؤمنين أعتق ألف مملوك من ماله وكدّ يده»[4]، وروي عن الامام الصادق عليه السلام أنه كان يتاجر بالاموال عن طريق المضاربة، بالرغم من عدم وجود حاجة له في المال[5].

(١) الكافي٥: ٢٦٠، ح٢.
(٢) بحار الانوار ١٠٣: ٦٩، ح٢٥.
(٣) وهو شيء يشبه المسحاة.
(٤) بحار الانوار ١٠٣: ٧٤، ح٢.
(٥) وسائل الشيعة ١٢: ٢٦، ح١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أظن أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ فقال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكىء على غلامين أسودين أو موليين فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا أما لأعظنه فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليّ بنهر وهو يتصابب عرقاً فقلت أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال؟! فقال عليه السلام: «لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عز وجل أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس...»، فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني»[1].

وعن عبد الأعلى قال: استقبلت أبا عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر فقلت: جعلت فداك حالك عند الله عزَّ وجل وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم؟ فقال عليه السلام: «يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني به عن مثلك»[2].

وهكذا قد مارسوا العمل المعاشي والكَّد على العيال بقية أئمة أهل البيت، كما نصّت على ذلك الروايات[3].

***

(١) وسائل الشيعة ١٧: ٢٠.

(٢) الكافي ٥: ٧٤.

(٣) راجع الكافي ٥: باب ما يجب الاقتداء بالائمة

الأعمال العبادية في الإسلام

العمل العبادي هو العمل الذي يقوم به الانسان بجوارحه (اعضاء جسمه) او بجوانحه (بعقله وقلبه)[1] اومعاً تقرباً إلى الله وهذه الاعمال العباديةوالطاعات الالهية إمَّا فرائض وإمَّا نوافل ننقلها بإختصارمن كتاب منهاج النجاة للفيض الكاشاني:

***

الفرائض من العبادات

الفرض(من العبادات) بمنزلة رأس المال وبه أصل النجاة، والفرائض امّا عينيّة أو كفائية ؛ فمن العينيّة: الصلوة والزكوة، والحجّ والصيام، وصلة الأرحام وردّ السلام، والسجود عند تلاوة العزائم وعند استماعها في مواضعه، وبرّ الوالدين، وأداء حقوق الاخوان، ونفقة الزوجة والمملوك وسائر حقوقهما، و.....وغيرها من الواجبات.

ومن الكفائية: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والافتاء في المسائل الشرعيّة، والقضاء فيها مع اضطرار الناس اليها، وكذا سائر الصناعات الضرورية لهم ؛ كالطبابة والخياطة والفلاحة وغيرها ممّا لايحصي، واطعام الجائعين، واغاثة المستغيثين في النائبات عل ذوي اليسار مع قصور الصدقات الواجبة، وتحمل الشهادة مع عدم تعينّه عليه، وتجهيز الموتي وتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم والصلوة عليهم الي غير ذلك.

***

(١) كتعلّم العلوم الضروريّة، ولزوم التوبة عن الذنوب، والصبر علي المصائب والطاعات، والتوكل علي الله، والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، و...

النوافل من العبادات

النفل(من العبادة) هو الربح وبه الفوز بالدرجات ؛ قال الله عزّوجّل: «**ما تقرَّب الَّ عبدي بشيء أفضل ممَّا افترضته عليه، وانَّه ليتقرب الَّ بالنوافل حتَّى أحبّه**»[1]،...والنوافل كثيرة لاتدخل تحت الضبط والحصر ؛ منها: اكثار ذكر الله سبحانه، وتلاوة القرآن والسجود عند موضعه من غير العزائم، والدعاء، والاختلاف الي المساجد، وافشاء السلام، واتّخاذ الاخوان ومواساتهم والمكافاة علي صنائعهم، واستعمال المروّة والسخآء والجود، وبذل المال والتوسّع علي العيال، والاحسان الي الضعيفين المرأة والمملوك، والتعطّف علي الفقراء والمساكين ومشاركتهم في المعيشة، واكرام ذي الشيبة المسلم، والتواضع للمؤمنين، وكرم الصحبة وحسن الجوار، وحفظ اللسان إلا من خير، والاعتراف بالتقصير في جميع الحالات، والاتيان بالآداب والسنن النبويّة في سائر الحركات والسكانات ؛ رزقنا الله ذلك كلّه وساير المؤمنين بمنّه وجوده.

فهذه أمّهات الفرائض والنوافل، منها مالايحتاج الي مزيد شرح وبيان ؛كصدق الحديث وأداء الامانة، ومنها مالايعّم المكلّفين قاطبة ؛ كالزكوة، فانَّها تخصّ بذي المال البالغ الي النصاب، وكالحجّ المختصّ بمن استطاع، فليس تعلّم مثل ذلك فريضة عل كلّ مسلم ومسلمة...»[2].

***

(١) بحارالانوار ٨٧: ٣١، ح١٥؛ وج ٢٢:٧٠،ح٢١.

(٢) منهاج النجاة للفيض الكاشاني:٥٥،المقصد الثاني في الأعمال.

الصلاة أفضل الاعمال

تعتبر الصلاة من اهم وأفضل الاعمال العبادية في الإسلام وأقدم العبادات تاريخياً في جميع الأديان الماضية، والنماذج المذكورة من صلاة الأنبياء في القرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فهي عمود الدين ومرضاة الرب وأحب الأعمال إليه، وكانت مورد اهتمام الأنبياء والأوصياء والأولياء وآخر وصاياهم.

وفي دين الإسلام يروى أن الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم تلقى الحكم بوجوب الصلاة أثناء عروجه إلى السماء ليلة الإسراء ثم أبلغه المسلمين، وقبل هذا كان يؤدي الصلاة هو والإمام عليه السلام وخديجة عليها السلام على دين الحنيفية، وقد جرى في السنين الأولى من تأسيس حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة تغيير في محتوى الصلاة وعدد ركعاتها، وتعتبر الصلاة في الإسلام من أهم العبادات،حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذا أسلم الرجل علّمه الصلاة، ويقول له: «ليكن أكثر همّك الصلاة فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»[1]، وسأل معاوية بن وهب أبا عبدالله: عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنَّ العبد الصالح عيسى بن مريم قال: ﴿وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[2].

وقد أثني على الصلاة في أحاديث الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام بعناوين وتعابير تكشف عن مدى أهمية هذه العبادة في الإسلام. مثل الصلاة عمود الدين ومرضاة الرب وأحب الأعمال إليه، وهي ثمن الجنة ومفتاحها ومَهرُ

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٢٧.

(٢) سورة مريم:٣١.

نسائِها؛ وجواز العبور على الصراط وسبب خزي الشيطان، وزاد المؤمن ومعراجه إلى الله وأنيسه في قبره وتاج فخره يوم القيامة وجواب منكرٍ ونكير، ونور على وجهه عند المحشر، وأنّها قرة عين الرّسول ﷺ، وما شابه ذلك من الثناء والتعريف.

***

دور النية في العمل

النية هي القصد والإرادة المحركة للإنسان نحو الفعل، وهي واسطة بين العلم والعمل، إذ ما لم يعلم الشيء لم يمكن قصده، وما لم يقصده لم يصدر عنه، فلابد من النية ولا عمل إلا بالنية.

ولما كان غرض الإنسان في العمل العبادي الوصول إلى القرب الإلهي، فلابد من تجريد النية من كل الشوائب الدنيوية، وذلك بالإخلاص والصدق في النية الذي جاء في الخطبة النبوية الشريفة قوله ﷺ: «**فاسألوا الله بنيات صادقة**» والروايات العديدة، وقد أكَّد القرآن على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، فبالإخلاص وصدق النية تقبل الأعمال، ولذا كان عمل الصائم الحقيقي في شهر رمضان مقبولاً عند الله كما جاء في خطبته ﷺ: وعملكم فيه مقبول.

وأساس العمل الصحيح المقبول هو العمل الذي فيه النية الصادقة، والإخلاص في العمل وحتى أنَّها أفضل من العمل؛ لقول رسول الله ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله،

(١) سورة البينة: ٦.

فهي إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١] ولقول الإمام الصادق عليه السلام: «**نية المؤمن خير من عمله، ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته**»[٢].

أما كيف تكون نية المرء خيراً من عمله؟ فهذا ما سأله زيد الشحام من الإمام الصادق عليه السلام بقوله: كيف تكون النية خيراً من العمل؟ فقال عليه السلام: «**إنَّ العمل ربما يكون رياءً للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين، فيعطي الله عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل**»[٣].

وقال الفيض الكاشاني في معنى الحديث المذكور: «والذي يظهر لي أنَّ ذلك لأن المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها، فكان الثواب المترتب على نياته أكثر من الثواب المترتب على أعماله»[٤]، وإلى هذا المعنى أشارت الروايات التالية: فعن الإمام الصادق عليه السلام إنَّ العبد الفقير ليقول: «يا ربِّ ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فإذا علم ذلك منه بصدق النية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمل»[٥] وعنه عليه السلام: «**إنَّ العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله له صلاته ويكتب نفَسه تسبيحاً ويجعل نومه صدقة**»[٦] إذن، فالنية روح الأعمال وحقيقتها، ولها التأثير على الأعمال في الدنيا والجزاء في العقبى، فإن

(١) إحياء علوم الدين ٤: ٢٣٢، وسائل الشيعة ١: ٣٨.

(٢) الكافي ٢: ٨٤٣، بحار الأنوار ٧: ٢٣٧.

(٣) علل الشرايع ٢: ٥٢٤، وسائل الشيعة ١: ٣٨

(٤) الحقائق في مجالس الأخلاق: ٢٠٨.

(٥) الكافي ٢: ٨٥، المحاسن: ٢٦١.

(٦) علل الشرائع ٢: ٥٢٤.

كانت خالصة لوجه الله فهي ممدوحة، وكان جزاؤها خيراً وثواباً، وإن كانت مشوبة بالأغراض الدنيوية فهي مذمومة، وكان جزاؤها شراً وعقاباً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ المؤمن لينوي الذنب فيحرم الرزق**»[١]، وروي عنه عليه السلام: «**إنَّ من حسنت نيته زاد الله في رزقه، وإنَّ صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم**»[٢]، وروي عنه عليه السلام أيضاً: «**إنَّما خُلد أهل النار في النار؛ لأنَّ نياتهم كانت في الدنيا أن لو خُلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خُلد أهل الجنة في الجنة لأنّ نياتهم أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خُلد هؤلاء ثم تلا: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾[٣] قال: على نيته**»[٤].

***

اهمية النية واثرها

في الروايات المنقولة بشأن المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يلاحظ بوضوح أهمية النية واثرها في العمل وفي تعيين منزلة الأفراد، ففي غزوة تبوك التي تحمّل المسلمون منها ألوان العسر والمشقة بسبب شدة الحر وقلة المؤونة بحيث أصابهم الجوع والعطش حتى همّ قوم بالرجوع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: «**إنّ بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطأنا موطئاً يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة، إلاَّ شاركونا في ذلك وهم في المدينة**، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله، ولم يسيروا معنا؟! فقال صلى الله عليه وآله: **حسبهم**

(١) الكافي ٢: ٨٥، علل الشرائع ٢: ٥٢٣.
(٢) بحار الأنوار ٧٠: ٢٠٨.
(٣) سورة الإسراء: ٨٤.
(٤) الكافي ٢: ٨٥، علل الشرائع ٢: ٥٢٣.

العذر، فشاركونا بحسن النية»، وروي أنَّ رجلاً من المسلمين قتل في إحدى الغزوات وكان يدعى «قتيل الحمار» لأنَّه قاتل رجلاً ليأخذ حماره[١].

***

من أحب قوماً حشر معهم

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، ووصول خبر شهادته إلى المدينة، همَّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري بزيارة قبره وهو آنذاك شيخ ضرير، فوصل إلى القبر ومعه عطية بن سعد بن جنادة الكوفي، فوقع جابر على القبر، وأغمي عليه، ثم أفاق فندب الحسين ورثاه ثم قال: «السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه»، فسأله عطية متعجباً: وكيف نكون قد شاركناهم ولم نساهم معهم في قتال؟ قال جابر: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم**» والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه[٢].

***

(١) راجع جامع السعادات ٣: ١١٣.

(٢) راجع بحار الأنوار٩٨: ٣٣٤، منتهى الآمال١: ٦٢٢.

الليلة الخامسة عشر

قبسات من سيرة الإمام الحسن عليه السلام

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]

ومن وصايا الإمام الحسن عليه السلام: «**يا جنادة استعد لسفرك، وحصِّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنَّك تطلب الدنيا والموت يطلبك، . . . . واعلم بأنَّ الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، . . .**»[2].

***

ميلاد الحسن عليه السلام وإجراء السنن

ولد الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة المنورة في ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث للهجرة على المشهور[3]، ولما أذيع نبأ ولادته المباركة، ووصل الخبر إلى

(١) سورة الأنبياء: ٧٣

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ١٣٨ عن كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر،للخزّاز القمّي الرازي، وراجع أعيان الشيعة ٤: ٨٥.

(٣) اصول الكافي ١ :٤٦١،الارشاد ٢: ٥، التنبيه والاشراف : ٢١٠، كشف الغمة ٢: ١٤٠.

الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم فرح فرحاً شديداً، وسارع إلى بيت ابنته الزهراء البتول عليها السلام ليهنئها بوليدها الجديد ويبارك لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام، فلما وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت نادى: «يا أسماء[1] هاتيني ابني...» قامت أسماء ودفعته إليه في خرقة صفراء فرمى بها وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألم أعهد إليكم أن لا تلّفوا المولود في خرقة صفراء؟**»، وأمر أن يلَّف في خرقة بيضاء، وقام صلى الله عليه وآله وسلم بإجراء مراسم الولادة على مولوده المبارك، فأذَّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى وفي الخبر: «أنَّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم»، ثم التفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: «هل سميت الوليد المبارك؟»، فأجاب الإمام عليه السلام: «ما كنت لأسبقك يا رسول الله»، فقال عليه السلام: «و ما كنت لأسبق ربي...». وما هي إلاّ لحظات فأوحى الله تبارك وتعالى الى جبرائيل: انه قد ولد لمحمد ابن فاهبط فاقرأه السلام وهنّه وقل له: إنّ عليّاً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون،قال: وما كان اسمه؟ قال: شُبّر. قال: لساني عربي! قال: سمّه الحسن، فسماه الحسن، وحقّاً إنه اسم من أحسن الأسماء، وكفى به جمالاً وحسناً أنَّ الخالق الحكيم هو الذي اختاره ليدلَّ جمال لفظه على جمال معناه وحسنه.

وبعد سبعة أيام على ولادته عليه السلام عقَّ عنه كبشاً، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: حين ذبحها: «**عقيقة عن الحسن، اللهّم عظمها بعظمه، لحمها بلحمه، اللهم اجعلها وقاءً لمحمد وآله**»، وأعطى القابلة منها الفخذ، وصار فعله هذا سنة لأمته من بعده، وأصبحت العقيقة من المستحبات الأكيدة. ثم بعد ذلك حلق صلى الله عليه وآله وسلم رأس سبطه بيده المباركة، وتصدَّق بزنته فضة على المساكين وطلى رأسه بالخلوق، وهو

(١) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الولاّدة الخطّابة، وليست أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطَّيار لعدم حضورهاآنذاك في المدينة قبل فتح خيبر.

طيب مركب من زعفران وغيره، على خلاف العادة في الجاهلية حيث كانوا يطلون رأس الصبي بالدم[١] وفي اليوم السابع أيضاً أجرى ﷺ عليه الختان، وكنّاه النبي ﷺ أبا محمد ولا كنية له غيرها، وبهذا انتهت جميع مراسم الولادة التي أجراها النبي ﷺ على سبطه الأكبر الإمام الحسن الزكي المجتبى[٢].

***

ملامح الحسن عليه السلام وصفاته

كانت ملامح الحسن عليه السلام وصفاته تحاكي ملامح جده رسول الله ﷺ وصفاته، فعن الغزالي في إحياء العلوم أن رسول الله ﷺ قال للحسن: «**أشبهت خلقي وخُلُقي**»[٣]، فكان عليه السلام كجده في الأخلاق والصفات الحسنة من العبادة وحسن معاشرة الناس والسخاء والكرم والعفو، والتجاوز عن الآخرين وغيرها من الفضائل الأخلاقية والصفات الحميدة.

فقد روى المبرّد وغيره موقفاً مشرّفاً من سيرة سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسن عليه السلام أنه مرَّ به شخص وجعل يسبُّ الإمام ويشتمه حتى أنهى كلامه بكل ما فيه من صلف وفظاظة، فعند ذاك سلَّم عليه الإمام الحسن عليه السلام وابتسم إليه وتكلّم معه بأسلوب هادئ، ينمّ عن سماحة وكرم متجاهلاً كلَّ ما سمع وما رأى، وقال عليه السلام: «**أيّها الشيخ، أظنك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو أنك سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً**

(١) إنَّ العرب كانوا يطلون رأس الوليد بالدم ليصبح دمويّاً جريئاً ! فنسخه الاسلام.

(٢) راجع تاريخ الخميس ١: ٤٧٠، أمالي الصدوق: ١١٦، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥

(٣) المناقب ٤:٢٠،عن إحياء العلوم، بحار الأنوار ٤٣: ٢١٤،ب١٢.

أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حَرَّكْتَ رَحْلَكَ إلينا وكنت ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعوَدَ عليك لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً» فلمّا سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

وكيف لا يكون كذلك، وهو من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، قد نشأ في بيت الوحي، وتربّى في مدرسة التوحيد، فالرسول ﷺ تولّى تربيته وأفاض عليه بمكرمات نفسه، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام غذّاه بحكمه، والزهراء القدسية غرست في نفسه الفضيلة والكمال، وبذلك سمت طفولته فكانت مثلاً لخلق النبي ﷺ، والتكامل الإنساني، فهو من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير، وأمر المسلمين بمودتهم واطاعتهم، ونزلت الآيات العديدة في فضلهم وتحدث الرّسول ﷺ الكثير في فضلهم، وحبهم، منه قوله ﷺ: «**أحبّ أهل بيتي الحسن والحسين عليهما السلام**»، بل بلغ من حبه ﷺ لهما عليهما السلام: أنَّه يقطع خطبته في المسجد وينزل عن المنبر ليحتضنهما[2].

وهكذا قطع الإمام الحسن عليه السلام شوطاً من طفولته مع جده ﷺ، يرى منه الحنان والعطف، ويشعر بالسعادة والعزة، لكن لم تدم له هذه الحالة الهانئة، فقد آن للرسول ﷺ أن ينتقل إلى حظيرة القدس، ونزل عليه القرآن بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3]، فمات جده الرسول ﷺ وله من العمر سبع سنين وستة أشهر.

***

(١) مناقب آل ابي طالب ٤: ١٩،بحار الأنوار٤٣: ٣٤٤،ب١٦.

(٢) راجع تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٠٥، والغدير ٧: ١٢٤.

(٣) سورة الزمر: ٣٠.

الإمام الحسن في عهد أبيه عليهما السلام

حينما مضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنة المأوى، وسمت روحه إلى الرفيق الأعلى، انثالت الفتن على المسلمين تترا كقطع الليل المظلم، وحدث بعده ما حدث، من إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام عن حقه ومنصبه الإلهي، والمعاناة التي عصفت به خلال فترة ما قبل خلافته وكل ذلك يجري، والإمام الحسن عليه السلام يشارك أباه أمير المؤمنين الصبر، إلى أن تولى الأمر أبوه علي ابن أبي طالب عليه السلام فلازمه طيلة حياته، وشهد معه حروبه الثلاث، الجمل، وصفين، والنهروان، وقام بالأمر بعد شهادة أبيه وله سبعة وثلاثون سنة، فحكم ستة أشهر وخمسة أيام، ثم اضطره معاوية لمصالحته سنة إحدى وأربعين، وخرج إلى المدينة وأقام بها عشر سنين، واستشهد ٨ في السابع والعشرين من صفر سنة (٥٠هـ.ق)، إثر السّم الذي دسته زوجته جعدة بنت الأشعث، بأمرٍ ومؤامرة من معاوية وبتخطيط من الأشعث بن قيس.

بعد هذه الجولة القصيرة في حياة الإمام الحسن عليه السلام، نركّز الحديث حول مسألة صلحه مع معاوية، وبما أنَّ الليلة الخامسة عشر من شهر رمضان المبارك ليلة ولادته المباركة، فهي ليلة فرح وسرور، نختم حديثنا هذا بمدائح لأهل البيت وللإمام الحسن (سلام الله عليهم أجمعين).

***

صلح الحسن عليه السلام مع معاوية

لاشك إنَّ الحرب والجهاد والصلح والهدنة ليست من الثوابت في الإسلام، بل تتبع الشرائط والأزمان، والهدف من الحرب والصلح، هو لحفظ

الإسلام وعزة المسلمين، والقتال مع أهل البغي الذي أشارت الآية إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]،هو أيضاً للدفاع عن الإسلام وحقوق المسلمين، ولا شك أنَّ معاوية ويزيد كانا من أهل البغي فيجب محاربتهم، إلاّ أنه إذا كان بالصلح والسِّلم تتحقق المصلحة الإسلامية، فلاشك أنَّ الصلح والسِّلم يقدَّمان على الحرب، والقرآن الكريم أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[3].

وهناك نماذج في صدر الإسلام من صلح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام تؤكد ذلك، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة ولم يحارب إلى أن هاجر إلى المدينة، ونزلت الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[4]، وفي السنة السادسة من الهجرة كان صلح الحديبية بين الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين،كما كان الإمام علي عليه السلام جليس بيته لمدة خمس وعشرين سنة سالم القوم لحفظ كيان الإسلام ووحدة المسلمين، وأمَّا في الوقت الذي يرى المصلحة في الحرب فهو عليه السلام يخوض الحروب والمعارك الثلاثة، ضد الناكثين للعهد والمارقين في صفين، والخوارج في النهروان.

وقد كان صلح الإمام الحسن عليه السلام مورد سؤال في الماضي والحاضر،

(١) سورة الحجرات، الآية ٩

(٢) النساء: ١٢٨.

(٣) الأنفال: ٦١.

(٤) الحج: ٣٩.

وقياساً مع ثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام، ويتصور البعض أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كان سلمياً والإمام الحسين عليه السلام كان حربياً، ولكن في الحقيقة إن شرائط الزمان الذي كان يعيش فيه الإمام الحسن عليه السلام غير شرائط زمان الإمام الحسين عليه السلام، فلو كان الإمام الحسين عليه السلام مكان الإمام الحسن لصالح معاوية، بل كان الحسين عليه السلام مع الحسن عليه السلام عندما أبرم الصلح ولم يعترض على أخيه، ولم يرض من أصحابه الاعتراض عليه، بل كان يصوب فعل أخيه ويقنع قاصري العقول به وبمصلحته كما أنه لو كان الإمام الحسن عليه السلام مكان الحسين عليه السلام لحارب يزيد بن معاوية، وقد أشار جدهما المصطفى إلى هذه الحقيقه مشيراً الحسن والحسين إلى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا**»[1].

ففي زمن الإمام الحسن عليه السلام المصلحة الإسلامية كانت تقتضي الصلح مع معاوية، وفي زمن الإمام الحسين عليه السلام كانت المصلحة تقتضى الحرب والجهاد ضد يزيد بن معاوية، وهذا التفاوت في الزمان والشرائط كانت من وجوه ثلاث:

١ ـ كان الإمام الحسن عليه السلام في مسند الخلافة ومعاوية حاكماً، ولم يطلب معاوية من الإمام الحسن البيعة بعد الصلح. أمّا في زمن الإمام الحسين عليه السلام كان يزيد خليفة، وطلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايعه، ومثل الإمام الحسين عليه السلام كيف يبايع يزيد، وإن أدّى ذلك إلى الحرب والشهادة.

٢ ـ إن عدد جيش الإمام الحسن عليه السلام، كان يقارب عدد جيش معاوية إلاّ أن الكوفة في زمانه عليه السلام كانت متفرقة وممزقة، وقد قام الإمام عليه السلام

(١) الإرشاد للمفيد ٢٢٠،مناقب آل أبي طالب٣: ٣٦٧، بحار الأنوار١٦: ٣٠٦،ب١١.

للحرب، ولكن خذله معظم القادة والجنود من الجيش، واستسلموا لجيش معاوية، واضطر الإمام عليه السلام للصلح، أمّا بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام فإنَّ أهل الكوفة هم الذين دعوه لينصروه فوجب عليه أن يجيبهم لكي لا يلوموه ويلومه التاريخ بعد ذلك.

٣ ـ كان يزيد بعكس معاوية يتجاهر بالفسق والفجور، فعلى مثل الإمام الحسين أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن لم يكن له ناصرٌ ومعين، ولم يكن معاوية كذلك، بل كان متظاهراً بالتديّن، وقد خفي أمره على الناس، فالنهوض في وجهه لا يعد عند الكثيرين جهاداً أو أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر.

لقد كان الكثير من المسلمين البسطاء يرون في معاوية الحاكم الإسلامي الذي يجب طاعته، ويلزم احترامه، إثر تلك الأحاديث التي حشّدها بعض الصحابة والتابعين لبيان موقعية معاوية والتصاقه بالإسلام، وقربه الشرعي من نبيه الكريم، وإنه خال المؤمنين وهكذا كانت ترى الناس معاوية من زاوية هؤلاء الرواة، وما يضعونه من فضائل في حقه.

هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها، هي من أهم أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، والإمام الحسن عليه السلام مع هذه الظروف، ولأجل المصلحة الإسلامية العامة، وحفظ دماء المسلمين وبالأخص شيعته، صالح معاوية ضمن شروط لوعمل بها معاوية لأطاحت بحكمه، ولكن كما قال هو بنفسه بعد معاهدة الصلح «إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عدات فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين». فنقض معاوية العهد والشروط التي كانت بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام التي كان من أهم بنودها:

شروط الصلح وبنودها

١ـ تنازل الإمام عليه السلام عن الأمر إلى معاوية بشرط العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين وأن لا يُسمَّى معاوية بأمير المؤمنين.

٢ـ يرجع الحكم بعد معاوية إلى الحسن، وإذا لم يكن فيرجع إلى أخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

٣ـ لا يحق لمعاوية أن يلعن علياً عقيب الصلاة وعلى المنابر وفي المحافل، وعليه أن يذكره بخير.

٤ـ بيت المال الذي في الكوفة يستثنى من التسليم لمعاوية، ويجب على معاوية إعطاء مليونين درهم في السنة إلى الحسن عليه السلام، مليون لبني هاشم ومليون لعوائل شهداء الجمل وصفين.

٥ـ وكان فيما اشترطه الإمام الحسن عليه السلام، أن لا يتعقب على شيعته شيئاً، ويؤمنهم ولا يتعرض لأحدهم بسوء، ويوصل لكل ذي حق حقه.

ويكفينا من تصريحات الحسن عليه السلام، ما قاله أكثر من مرة لأجل إفهام شيعته سبب صلحه مع معاوية: «**ما تدرون ما فعلت والله، للذي فعلت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس**»، وما قاله عليه السلام مرة أخرى لبشير الهمداني ـ وهو أحد رؤساء شيعته في الكوفة: «**ما أردت بمصالحتي إلاّ أن أدفع عنكم القتل**»[1].

وكانت المعاهدة في النصف من جمادى الأولى، سنة ٤١ للهجرة على أصح الروايات، وما كان هدف معاوية في صلحه مع الحسن عليه السلام، إلاّ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٢.

الاستيلاء على الملك كما صرح بذلك بعد الصلح بقوله: «رضينا بها ملكاً»[1].

مدائح لأهل البيت وللحسن عليه السلام

بما أن الليلة الخامسة عشر من شهر رمضان المبارك ليلة ولادة ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسن عليه السلام، فهي ليلة فرح وسرور، فالأفضل أن نختم حديثنا هذا بمدائح لأهل البيت وللإمام الحسن (سلام الله عليهم جميعاً).

قلبي يروم نجاة من ولائكم وبالشفاعة ربُّ البيت خصَّكُم
يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصلِ عليكم لا صلاة له

***

قلبي بكم يا آل طه مغرم و بحبكم أنا ذائب ومتيّمُ
ولأجلكم بين الأنام مكرَّم فإذا وقفت بذكركم أترنم

صلَّى الجميع على النبي وسلَّموا

***

نفحة الطهر والقداسة فاحت بشذاها شمائلُ الأنبياء
ولد المجتبى الزكيّ فأهلاً بوليد الزكيَّة الحوراء
هو ريحانة الرّسول وروحٌ من سجاياه عاطرُ الأشذاء
قد نما فوق صدره وتغذّا من هُداه فكان خير نماء
وهو سبط الهادى وفرعٌ عليٌّ من عليٍّ ونبعة الزهراء

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابن الحديد ٤: ١٣.

الليلة السادسة عشر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود**»[2].

***

إنَّ كثيراً من الآيات تعكس الأهمية القصوى الّتي حظي بها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي بعضها تصف الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالمفلحين قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

وفي بعضها تصف المسلمين بخير أمَّة لمكان أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) غرر الحكم: ح٦٨١٧.
(٣) آل عمران: ١٠٤.

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[١]. وفي بعضها تجعل للمؤمنين والمؤمنات ولاية لبعضهم على بعض وتعتبر هذه الولاية هي ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٢].

هذا وقد بينت الروايات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، أهمية هذا المبدأ في الإسلام ففي بعضها تصفه بأنه قوام الشريعة فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود**»[٣]، وفي بعضها أنه سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض وتأمَن المذاهب وتُحل المكاسب وترد المظالم وتعمَّر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر**»[٤].

***

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد أن بين القرآن والعترة الطاهرة أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بينوا للمجتمع خطورة تركه، وما يؤدي بالمجتمع إلى الانحطاط والفساد، فقد جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام للحسنين عليهما السلام قال: «**لا**

(١) آل عمران: ١١٠.
(٢) سورة التوبة: ٧١.
(٣) غرر الحكم:ح ٦٨١٧.
(٤) الكافي ٥: ٥٧،ح٦.

تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[1].

هذا النص وغيره يبرز خطورة ترك هذا المبدأ، إذ إنَّ نتيجة ترك هذا الواجب؛ أن يتسلط الأشرار على المسلمين، وواضح أن تسلطهم يوجب الفساد في الأرض وانحطاط المجتمع، وابتعاده عن الإسلام ومبادئه، وهذا ما حصل في المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبيّ ﷺ فإن الأمة قد تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أدى ذلك في نهاية المطاف إلى تسلط معاوية بن أبي سفيان، ومن بعده ولده يزيد اللذين عاثا في الأرض فسادا، وأهلكا الحرث والنسل ومن هنا كان الإمام الحسين عليه السلام في مقام بيان سبب قيامه وتحركه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستند إلى سنة جده النبي ﷺ في تحركه المناهض ليزيد، فيروي عن رسول الله ﷺ: «**من رأى سلطانا جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم ينكر عليه بفعل، ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله**»[2].

وهنا يطرح سؤال مهم وهو: ما معنى المعروف الذي يجب أن يؤمر به؟ وما معنى المنكر الذي يجب أن ينهى عنه؟.

***

معنى المعروف والمنكر

إنَّ كلمة «المعروف» تشمل في الواقع كل ما أمر به الشرع المقدس

(١) نهج البلاغة:٣٦١، الرسالة رقم ٤٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤.

وارتضاه، وبالمقابل فإنّ كلمة «المنكر» تشمل كل ما نهى عنه الشرع المقدس ورفضه، فالصلاة والصيام والزكاة والخمس والحج، وصلة الرحم والصدق والتوبة من الذنوب... وغيرها كل ذلك يشمل الجانب الايجابي من مفاهيم الإسلام، كما أن ترك هذه الواجبات وقطيعة الرحم والكذب والعقوق والاستمرار في اقتراف الذنوب كل ذلك يمثل الجانب السلبي، والذي أمر الإسلام بتركه، ونهى عنه.

***

شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الواضح جدّاً أنه ليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجباً بشكل مطلق، بل لا يثبت هذا الوجوب إلا إذا تحققت شرائطه وقد ذكر الفقهاء شرائط عدة لتحققه:

الشرط الأول: علم المكلف بأن ما ترك واجب، وأنَّ ما ارتكب منكرٌ وإلاّ إذ لم يكن يعلم بذلك فلا يجب الأمر والنهي، وطبعاً هذا لا يعني أن الجهل مبرر لسقوط التكليف بهما، فيكون الجاهل بموارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معذوراً، بل يجب عليه أن يتعلم موارده ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

الشرط الثاني: أن يُحتمل تأثير الأمر أو النهي في المكلفين بمعنى أنه لو دعاهم إلى المعروف يحتمل قبولهم، وإذا نهاهم عن المنكر يحتمل ارتداعهم.

الشرط الثالث: إصرار العاصي على الاستمرار في عصيانه وتمرده وتجرئه على ربه، أما لو رجع عن عصيانه وتاب فيسقط.

الشرط الرابع: أن لا يترتب على إنكاره مفسدة راجعة عليه أو على مجتمعه، فلو أحرز أنه لا يترتب عليهما أي مفسدة فيجبان[١].

ولمّا استجمعت الشرائط عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ورأى الإمام الظلم والفساد وتدهور الأمة الإسلامية، وابتعادها السحيق عن مبادئها وكمالها قام بثورته الإصلاحية ضد الطاغية يزيد بن معاوية.

***

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هناك مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يجوز التخطي من مرتبة إلى أخرى إذا علم بحصول المطلوب وأن المكلف اتعظ بها وارتدع.

المرتبة الأولى: أن يقوم الآمر بالمعروف أو الناهي عن المنكر بعمل يظهر من خلاله انزعاجه القلبي وأنه لا يرضى من هذا العمل، وهذا ما يسمى بالإنكار القلبي قال الإمام الصادق عليه السلام: «**حسب المؤمن عزّاً إذا رأى منكراً أن يعلم الله من قلبه إنكاره**»[٢]، وعن علي عليه السلام قال: «**أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة**»[٣].

المرتبة الثانية: أن يأمر باللسان وينهى به، فإذا علم أنه لا ينفع العاصي القيام بعمل يظهر من خلاله الإنكار القلبي ينتقل إلى التصريح باللسان فيعرِّف العاصي من خلال القول أن ما يقوم به منكر، أو ترك معروف ولكن ينبغي متابعة الحكمة في ذلك والأساليب المثيرة والمؤثّرة على قلوب العصاة حتى

(١) تحرير الوسيلة ١: ٤٢٠-٤٢٩.
(٢) الكافي ٥: ٥٩.
(٣) الكافي ٥: ٦٠.

لا يؤدي إلى إصراره أكثر على المنكر، وكم رأينا إصرار المتمردين، لسوء أسلوب الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر.

***

حبيب النجار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يروى أنه أرسل الله تعالى إلى أنطاكية ثلاثة رسل يدعون الناس لعبادة الواحد الأحد وخلع عبادة الأصنام إلا أن القوم أبوا واستكبروا بحجة أن الله لا يبعث بشرا كسائر الناس نبياً وقد بالغ الرسل في دعوة قومهم إلى الله، غير أن أصحاب أنطاكية هددوهم بالقتل إن استمروا في دعوتهم، وكان رجلاً يدعى حبيب النجار يعيش في أطراف أنطاكية كان قد آمن وثبت عظم إيمانه، فسمع عن اضطرابات وقعت في المدينة فجاءها مسرعا يدعو قومه إلى الإيمان بالله وينهاهم عن عبادة الأصنام ويحذرهم من العقاب الوخيم الذي ينتظرهم لو استمروا في عنادهم وتعنتهم وإصرارهم على الكفر، ولما كانت دعوته ذات طابع مؤثر ومنسجم مع فطرة الله تعالى، خاف قومه من تأثيره فهجموا عليه حتى وطؤه بأرجلهم، فقضى نحبه شهيدا في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أنبأنا الله تعالى عن حاله بقوله: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۞ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

***

(١) سورة يس: ٢٠-٢٤

مؤمن آل فرعون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يروى أن رجلا من آل فرعون، ابن عمه أو ابن خاله، ويسمى حزقيل، كان قد آمن بموسى عليه السلام وكتم إيمانه، واستمر يكتم إيمانه إلى أن وجد القوم مصممين على قتل موسى، فأظهر إيمانه وأخذ يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى وخلع عبادة الفراعنة، وأمر قومه بالمعروف ونهاهم عن المنكر، ووصل أمر دعوته إلى أن يجادل فرعون نفسه ويستطيع بحكمته وذكائه أن يدحض جميع دعوات فرعون حتى لان لكلامه جمع من حاشية فرعون ويقول الله في عرض هذه القصة: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1].

***

كاشف الغطاء والامر بالمعروف

قَدِمَ الواعظ التقي الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ) من العراق الى ايران، فمرّ بإحدى المدن الشمالية الجميلة والتي كان الالتزام الديني فيها ضعيفاً، فطلب منه المؤمنون أن يصلّي بهم جماعة، فحيث كانوا يتوقّعون حضور كثيرين لا يسعهم المسجد، أقاموا الصلاة في ساحة المدينة وطلبوا من سماحة الشيخ ان يحدّثهم بعد الصلاة. فاعتذر لهم بضعف لغته الفارسية. ولكن المؤمنين أصرّوا، فارتقى المنبر ومما قاله ترطيباً ومزاحاً:

ايّها الناس.. ان مدينتكم هذه كالجنة، ففي الجنة قصور وفي مدينتكم

(١) سورة غافر: ٢٨

قصور، وفي الجنة بساتين وحدائق، وفي مدينتكم بساتين وحدائق، وفي الجنة لا صلاة ولا صيام ولا عبادة، وفي مدينتكم كذلك لا صلاة ولا صيام ولا عبادة! فضحك الحاضرون وانتبهوا لمقصود الشيخ كاشف الغطاء.

وبهذا الأسلوب اللّبق فتح الشيخ آفاقاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعا الناس والمؤمنين الى الالتزام الأكبر بالصلاة والصيام[1].

***

الامام الحسين عليه السلام والأمربالمعروف والنهي عن المنكر

المرتبة الثالثة للامربالمعروف والنهي عن المنكر هو الإنكار باليد، فإذا لم يفلح الإنكار القلبي واللساني يتحول بعد ذلك الوجوب إلى الإنكار باليد، فيأمر وينهى ولو استلزم ذلك الضرب والقتال، وقيام الحروب[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[3].

وإذا ترك المكلف هذه المراتب فلا خير فيه أبداً، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه؛ فهو ميت بين الأحياء**»[4].

وقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام مع حكومة الطاغية يزيد بن معاوية وجلاوزته هذه المراتب الثلاثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان منكِراً

(١) الفوائد الرضوية: ٧٣.

(٢) تحرير الوسيلة ١: ٤٢٩-٤٣٤.

(٣) عوالي اللئآلي١: ٤٣١،مستدرك الوسائل١٢: ١٩٢،ب٣.

(٤) بحار الأنوار٩٧: ٩٤، ب١.

لأعمالهم وتصرفاتهم وظلمهم بقلبه، ثم أخذ ينهاهم عن المنكر بلسانه، وكم خطب من الخطب هو وآله وأصحابه في جيش عمر بن سعد ليرتدعوا عن منكرهم وعن إقدامهم على سفك دماء العترة الطاهرة، وكان من خطابه لهم يوم عاشوراء: «**ألا وإنَّ الدَّعِيَّ بن الدَّعِيّ قَد رَكَزَ بَينَ اثْنَتَينِ بَينَ السِلَّةِ**[1] **والذِلَّةِ، وهَيهاتَ مِنّا الذِلَّةُ، يأبى اللهُ لنا ذلك ورَسولُهُ والمؤمنون، وحُجُورٌ طابَتْ وطَهُرَتْ، وأُنوفٌ حَميَّةٌ، ونُفوسٌ أَبِيَّةٌ، مِن أنْ نُؤثِرَ طاعَةَ اللِئامِ على مَصارعِ الكِرامِ، أَلا وإنّي زاحِفٌ بِهذِهِ الأُسْرَةِ، مَع قِلَّةِ العَدَدِ وَخذْلانِ النّاصِرِ**»[2].

ولما لم يجد الحسينُ عليه السلام أُذن ساغية لخطابه ونهيه عن منكرهم، تقدّم نحوَ القومِ مُصْلِتاً سيفَه آيِساً مِن الحياةِ، وهو يرتجز ويقول:

المــوتُ أولى مِــن رُكــوب العارِ والــعــارُ أولى مِــن دُخــولِ النارِ

(١) السِلّة بكسر السين وتشديد اللام بمعنى استلال السيوف، وكناية عن الحرب والقتال.

(٢) من خطبة الحسين عليه السلام الثانية، اللهوف:٩٦، والمقتل الخوارزمي ٢:٦.

الليلة السابعة عشر

الإمام علي عليه السلام وغزوة بدر الكبرى[١]

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**والله لكأنِّي أنظر إلى مصرع أبي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة...**».

في يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسل قبلها بعدة سرايا،منها بدر الصغرى إلاّ أنه لم يقع فيها قتال، وكان سبب غزوة بدر الكبرى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلعه الغيب على خروج قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان، فيها أموال كثيرة، قدرت بخمسين ألف دينار، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه لأخذها عوض أموالهم التي سلبت في مكة، غير أن هذه القافلة سرعان ما أفلتت منهم إلى الشام، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يترقب رجوعها حتى إذا علم بها انتدب الناس

(١) غزوة بدر الصغرى كانت في ربيع الأول السنة الثانية للهجرة،أوفي جمادى الآخرة، حيث غزى رسول الله ومعه على بن أبي ظالب،كرز بن جابر القهري من مشركي قريش.(راجع مغازي الواقدي١: ١٢، وسيرة ابن هشام٢: ٢٥١).

(٢) آل عمران: ١٢٣.

للخروج إليها وسلبها، ولكن تثاقل الكثير منهم، ودار بينهم نقاش وجدال، وكلام واختلاف، وكانت حجة البعض خوف الكرة عليهم من قريش حيث لا تتركهم إلاّ وتحاول الانتقام من المسلمين لهذا الإجراء الذي يضرب بمصالحهم، وقد حكى الله تعالى ما جرى من تخوفهم فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾[1]، نعم لقد كرهوا ذلك لعلمهم بأنَّ قريشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا.

وخرج المسلمون يريدون العير، وقد علم أبو سفيان بالأمر فأرسل رجلاً إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير، فوصل بعد ثلاثة أيام وهو يناديهم: يا آل غالب... يا آل غالب.. اللطيمة اللطيمة، فلما أخبرهم الخبر تجهزت قريش لحرب النبي ﷺ وما بقي أحد من عظمائها إلاّ أخرج مالاً لتجهيز الجيش، كما أنهم أمروا بهدم دار من لم يخرج، فلم يتخلّف رجل إلاّ أخرج مكانه رجلاً، فخرجت قريش بألف فارس أو يزيدون، وأخرجوا معهم المغنيات والدفوف والطبول والخمر، فلما وصل خبرهم إلى النبي ﷺ استشار أصحابه بأمر حربهم، وكان قد قرب بدر، فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلت منذ عزت، ولم تخرج على هيئة الحرب، فقال له رسول الله ﷺ إجلس، فجلس،... فقال عليه السلام: أشيروا عليَّ فقام المقداد، فقال يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، ولكنا نقول: اذهب أنت

(١) الأنفال: ٥.

وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك، فأشرق وجه النبي ﷺ ودعا له وسر لذلك وضحك[1].

ثم قال ﷺ: «أشيروا عليّ» ـ وإنما يريد الأنصار لأنَّهم أكثر الناس ـ فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كأنك أردتنا، قال: نعم، فقال: فلعلك قد خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ قال: نعم، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنّا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت... والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل الله يريك ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسرّ النبي ﷺ، وأمرهم بالمسير وأخبرهم بأنَّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، النفير أو العير، وأنَّ الله لن يخلف وعده وفي ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

ثم قال ﷺ: «**والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة و..**». فساروا حتى نزلوا بدراً إلاّ أن المشركين سبقوهم إلى بدر فنزلوا في العدوة القصوى؛ في جانب الوادي مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين ـ وقد سلمت، لأن أبا سفيان قد سلك بها طريق البحر وابتعد عن المدينة وعن سير المسلمين، وكان محل نزولهم صلباً، ونزل المسلمون في العدوة الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لا ماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم، فباتوا إلى الليل[3].

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٦١،الكامل في التاريخ ٢: ١١٦.

(٢) سورة الأنفال: ٧.

(٣) راجع السيرة الحلبية ٢: ١٥٠، تاريخ الخميس ١: ٣٧٣.

ثلاثة آلاف منقبة لعلي عليه السلام

واشتدَّ العطش بالمسلمين وهم في منطقة بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: «مَن منكم يمض في هذه الليلة إلى البئر فيستسقي لنا؟» فصمتوا ولم يتقدم منهم أحدٌ على ذلك، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام قربةً وانطلق، وكانت ليلة باردة ظلماء، ذات رياح وهواء حتى ورد البئر، فلم يجد دلواً يستسقي به فنزل بنفسه في البئر وملأ القربة، وأخذ في الرجوع، فعصفت عاصفة، فجلس حتى سكنت، ثم قام يسير وإذا بعاصفة ثانية فجلس حتى هدأت، ثم قام يسير، وإذا بعاصفة ثالثة فجلس حتى زالت، ثم قام وسلك طريقه حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بُطئه فأخبره بالعواصف الثلاث، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وهل علمت ما هي تلك العواصف يا عليّ؟ فقال عليه السلام: لا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**العاصفة الأولى جبرائيل عليه السلام ومعه ألفٌ من الملائكة سلم عليك وسلموا، والثانية كانت ميكائيل ومعه ألف ملك سلم عليك وسلموا، والثالثة كانت إسرافيل ومعه ألف ملك سلم عليك وسلموا وكلهم هبطوا مدداً لنا**»[1]، وإلى هذا المعنى يشير مَن قال: كانت لعلي ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة، وفي هذا نزلت الآية الكريمة: ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾[2].

ولما أصبح يوم الواقعة رأى المسلمون كثرة المشركين، فخافوا وتضرعوا إلى الله، ولمّا نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى كثرة المشركين، وقلة المسلمين استقبل القبلة وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا**

(١) بحار الأنوار ١٩: ٣٠٥،ح٤٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٤.

تعبد في الأرض»[١]، فنزل قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

ثم ألقى الله النعاس على المسلمين فناموا ليهدئ من روعهم وخوفهم، وليتمكنوا في الصباح من مواجهة المشركين بقوة وثبات، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[٣]. وفي مقابل ذلك فقد ألقى الله سبحانه في قلوب المشركين الرعب والخوف، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٤].

ولما أصبح رسول الله ﷺ عبأ أصحابه، وكانت رايته مع أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال لأصحابه: «**غضُّوا أبصاركم ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد**»، فسكت المسلمون، وغضُّوا أبصارهم إمتثالاً لأمر رسول الله ﷺ.

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى المشركين يقول لهم: «معاشر قريش إنِّي أكره أن أبدأكم بقتال، فخلوني والعرب وارجعوا، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري»، إلاّ أن أبا جهل لم يرض ذلك منه، وأبى أن يرجع إلاّ بقتال[٥].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢١-٢٧٢.

(٢) الأنفال: ٩،١٠.

(٣) الأنفال: ١١.

(٤) الأنفال: ١٢.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢١-٢٧٢.

المعركة المصيرية في خضمها

كان أوَّل من برز للقتال عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادى عتبة أو شيبة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فندب إليهم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً قائلاً: «قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم...»[1]، فتبارز الثلاثة، وقتل علي الوليد، وجاء فوجد حمزة معتنقاً شيبة بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر شيبة، فاعترضه علي بالسيف فطيّر نصف رأس شيبة، وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وفلق عبيدة هامته، فجاء علي فأجهز على عتبة، وعلى هذا فيكون علي عليه السلام قد شرك في قتل الاثنين الآخرين أيضاً. وهذا ما أكَّدته المصادر الكثيرة، ومما يدل على ذلك أبيات قالتها هند في مصيبتها بأبيها وأخيها وعمها:

ما كان لي عن عتبة من صبر ... أبي وعمي وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء بدر ... بهم كسرت يا على ظهري

وقد كتب الإمام عليه السلام في أيام خلافته إلى معاوية: «**فأنا أبو الحسن حقاً، قاتل جدك عتبة، وعمك شيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي**»[2].

وبدأت المعركة بعد المبارزة الفردية، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفّاً من الحصباء

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٩.

(٢) الغدير ١٠: ١٥١.

فرماها في وجوه المشركين فما بقي فرد منهم إلاّ امتلأت عينه منه، ثمَّ أخذ المسلمون يقتّلون ويأسرون، وقد قُتل زعماؤهم وقُتل أبو جهل وأمية وأضرابهما... فانهزم الجمع وولّوا الدبر.

***

نتائج غزوة البدر

قتل المسلمون في بدر سبعين، وأسروا مثلهم، ولكن بعد ذلك أطلقوا أغلبهم بالفدية، واستشهد من المسلمين تسعة، وقيل أحد عشر وقيل أربعة عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما أنه لم يؤسر من المسلمين أحد، كما أنهم قد غنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وقيل ثلاثين، ومتاعاً وسلاحاً وأنطاعاً وثياباً وأدماً كثيراً[1]، وكان لعلي عليه السلام الدور الأساس في هذه المعركة، حيث كان نصف القتلى تقريباً بسيفه، وقد ذكر الواقدي أسماء تسعة وأربعين رجلاً ممن قتل في بدر من المشركين، ونصّ على أنّ من قتله منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً، وبسبب ذلك صار علي عليه السلام هدفاً لشعراء قريش يحرّضون على قتله[2].

***

دروس وعبر من غزوة بدر

لقد حملت واقعة بدر الكثير من الدروس والعبر للمسلمين جميعاً على

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١١٨، عن الطبري عن ابن هشام.

(٢) راجع مغازي الواقدي ١: ١٥٢، وأنساب الأشراف ١: ٢٩٦.

مرّ التاريخ، فكل من يقرأ صفحات بدر، وما بذله المسلمون، في سبيل الله تعالى، والقيادة الحكيمة للنبي ﷺ يستحصل حصيلة كبيرة من الفوائد والدروس، وكان سرُّ النجاح في هذه المعركة هوالاعتماد على الله تعالى وإطاعة رسوله، حيث كان من الواضح جدَّاً أن المسلمين كانوا يشكلون في عددهم وعتادهم من الناحية العسكرية الجانب الضعيف في هذه المعركة، إذ القليل منهم كان يمتلك دابة، من ناقة أو فرس أو غير ذلك، بل هناك من لا يملك حتى سيفاً أو رمحاً ليقاتل به، فخرج مع النبي بعصاه أو جذع نخل، ومن الجانب الاستراتيجي أيضاً جانبهم يمثّل تمام الضعف، إذ كان المشركون في العدوة العليا، أي في المكان المرتفع الذي يطل على جميع المنخفضات حول بدر، وكان موقع المسلمين العدوة الدنيا، أي في الأسفل، بحيث كان موقع المسلمين تحت مرمى نبال المشركين ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[1].

وكان المشركون قد سيطروا على ماء الآبار، وكل ذلك ينبئ عن فشل المسلمين في حربهم، وخسارتهم، ولهذا كان يقول أبو جهل: ما هي إلاّ أكلة رأس، وكذا لما طلب أمية أن يرجعوا دون حرب وقتال، رفض معظمهم لما يرونه من انتصار محقَّق، غير أن المسلمين وبسبب الاعتماد المطلق على الله، والعزم على إعلاء كلمته، وإطاعتهم لرسوله ﷺ، أنزل الله عليهم إمدادته الغيبية، فمطرت السَّماء، وأوحلت أرض المشركين فأصبحت غير مستقرة، لا تستقر عليها الأقدام، وقلّل الله المشركين في أعين المسلمين، كما أدخل الرعب في قلوب المشركين.

(١) سورة الأنفال: ٤٢.

وهذا درس للمسلمين جميعاً، فإن من يتوكل على الله، ويعتمد في عزائم الأمور عليه تعالى لابد أن ينتصر، ولذا نجد أن ما حدث في بدر حدث في إيران، فمع قلة عتاد المؤمنين، واستضعافهم في الأرض، نصرهم الله على الشاه والقوى العظمى الّتي تدعمه، كل ذلك اعتماداً منهم ومن قائدهم الإمام الخميني قدس سره على الله، كما أن ما حدث في جنوب لبنان وفلسطين تجسيداً واقعياً لمعركة بدر، فمع قلة عدد المؤمنين وبساطة عتادهم نصرهم الله على أعتى قوة في هذا العصر بسبب اعتمادهم وإخلاصهم، وتوكلهم على الله تعالى.

***

بين بدر وكربلاء

لا شك في أنَّ معركة كربلاء استمرار واضح لمعركة بدرحيث ان الامام الحسين عليه السلام يشكل النهج النبوي ويزيد بن معاوية يشكل الخط الاموي، فأراد يزيد من هذه المعركة أن ينتقم من النبي والإسلام، ويثأر لأجداده من بني أمية، وقد أثبت يزيد أن دوافع قتل الحسين عليه السلام دوافع جاهلية تعود إلى طلب ثأر المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي عليه السلام، وتأسف يزيد على قتلى المشركين في معركة بدر وتمنّى حضورهم لمشاهدة أخذ الثأر فأنشد شعراً له أو لغيره متمثلاً به:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

وقد أضاف ابن العماد الحنبلي بيتاً آخر ليزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا لست من خِندف إن لم أنتقم
ملك جاء ولا وحي نزل من بني أحمد ماكان فعل

كما أن معركة كربلاء كانت بنظر الحسين عليه السلام كذلك، أي استمراراً لمعركة بدر، ولكن باتجاه آخر، فإذا كان منظار يزيد الانتقام والأخذ بالثأر، فكان منظار الحسين عليه السلام الوقوف بوجه الظلم والفساد والانحراف الذي بعث جده المصطفى لمحوه واستئصال شوكته، ومن هنا كان الحسين عليه السلام استمراراً لرسول الله، ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين»[1]، فلئن حارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً في بدر لأجل كسر فرعنة صناديدها، فقد قاتل الحسين عليه السلام في كربلاء لكسر كبرياء آل أمية وفرعنتهم وتسلطهم على رقاب المسلمين، ولئن حارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً في بدر لقمع الجاهلية الموروثة فقد حارب الحسين عليه السلام في كربلاء ليقمع الجاهلية الموروثة ما بعد الإسلام، وهكذا قدم الحسين عليه السلام كل ما يملك، وكل غالٍ ونفيس في سبيل هذا المبدأ العظيم، حتى توّج تضحياته بتقديم نفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

أنا الحسينُ بنُ علي آليتُ أن لا أنْثَنِي
أَحْمي عِيالاتِ أبي أمْضي على دِين النَّبي

(١) إعلام الورى: ٢١٧، بحار الأنوار٤٣: ٢٧٠، ب١٢.

الليلة الثامنة عشر

قبسات من نهج البلاغة[١]

قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٢].

قال الإمام علي عليه السلام: «**عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا**»[٣].

لقد اهتمَّ الإسلام كثيراً في جهاد النفس، وتزكيتها وإصلاحها حتى أطلق عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الجهاد الأكبر» في قبال «الجهاد الأصغر» الذي هو الجهاد مع أعداء الدين، فينبغي للإنسان المسلم أن يجاهد نفسه الأمارة بالسوء حتَّى تستكمل وتصبح جوهرة ثمينة، تقبل الحق، وتتوجه إليه وتطمئن به، وفي الحقيقة إنّ التكامل الإنساني لا يتحقق إلاّ في ظلِّ الصِّراع مع النفس الأمّارة بالسوء والتغلب عليها.

---

(١) نقلاً عن كتاب(قبسات من نهج البلاغة) للمؤلف وهو سلسلة من الدروس التي القيت في حوزة الإمام الخميني (قدّس سرّه) النسائية في السيدة زينب عليها السلام، وكذلك في معهد السيدة رقية في دمشق.

(٢) سورة الشمس: ٧ـ ١٠.

(٣) نهج البلاغة: ٨٨، الخطبة رقم ٨٩.

وقد جاءَت كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة لكيّ تحدّد النقاط التي يسلكها الإنسان المسلم للتغلب على هوى النفس وتزكيتها،فإذا صلحت صلح المجتمع الإسلامي، وقبل استعراض بعض تلك الكلمات والخوض في هذا البحث نتعرف على هذه المجموعة النفيسة المُسَّماة بنهج البلاغة ولو بالإجمل:

مجموعة نهج البلاغة

لا يخفى على أحد أهمية (نهج البلاغة)، حيث أنَّه من جملة أولى المصادر التي يتعرف من خلالها الإنسان على نظرية الإسلام للفرد والمجتمع ، وعلاقاته بالله ومعاملته مع نفسه وكيفية ارتباطه بالآخرين، وبحق ما قيل فيه بأنَّه «دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق»[1] وبحق هو زبدة منهاج القرآن الكريم، والمعرّف بمبادئه وأهدافه، ومن هنا لا يمكن لباحث عن مفردة من مفردات الإسلام أن يتجاهله، إذ إنَّ هذا السِفر العظيم يسلط الضوء التام، على التوحيد والنبوة والعدالة والمعاد وغيرها من الأصول الإسلامية وفروعها والمعارف العالية للمفاهيم الإنسانية بشكل عام والمفاهيم الأخلاقية بشكل خاص.

هذه المجموعة النفيسة والجميلة التي هي الآن بين أيدينا باسم (نهج البلاغة) والتي قد عجز الزمان عن أن يبليها، بل أصبح الزمان والأفكار المستحدثة يزيدها انكشافاً في قيمتها، هي مجموعة منتخبة من (خطب) و(وأدعية) و(وصايا) و(رسائل) و(كلمات قصار) مولى المتقين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمعها السيد الشريف الرضي رضي الله عنه[2] سنة أربعمائة

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٤.

(٢) هو الأديب الفقيه والعالم الجليل والسيد الشريف ذو الحسبين محمد بن أبي أحمد المشهور بالشريف الرضي،

للهجرة، أي: قبل وفاته بست سنوات، ودوّنها وأعدّها بطريقة فنية رائعة في ثلاثة أبواب على النحو التالي:

الباب الأول: يضم الخطب التي ألقاها الإمام عليه السلام، وهي في (٢٣٩) خطبة[1].

الباب الثاني: الرسائل التي بعثها الإمام عليه السلام إلى الأصدقاء والأعداء، والقادة العسكريين، والولاة وسائر مسئولي الدولة، وتسمى الكتب أيضا ومجموعها (٧٩) رسالة.

الباب الثالث: يحوي على الكلمات القصار، أو العبارات الرائعة المليئة بالحكم التي اشتهرت باسم «قصار الحِكَم» وهي (٤٨٠) حكمة.

وقد ألقى الإمام عليه السلام معظم هذه الخطب والكلمات القصار (أي: الحكم) وما بعث من الرسائل في فترة تولّيه الحكم والخلافة، وهي تتعلق بالشؤون السياسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها...

ومع أنَّ الشريف الرضي رضي الله عنه أسمى مجموع الخطب والرسائل والكلمات القصار للإمام عليه السلام باسم (نهج البلاغة) فإنَّ استعراضاً قصيراً للمعارف الكامنة فيه يدلنا على أنَّ هذا المُصنَّف يمكن وصفه بأسماء قيمة أخرى أيضاً مثل: نهج السعادة، نهج الشهادة، نهج الخطابة، نهج السياسة، نهج الخلافة، نهج الفلاح، نهج الكفاح، نهج الحياة و....

يصل نسبه إلى إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولد في بغداد سنة ٣٥٩، وتوفي بها سنة ٤٠٦هـ راجع: أعيان الشيعة ٤١: ٢٦٧، وتاريخ بغداد ١: ٢٥٧.

(١) وذكر المسعودي الذي كان يعيش قبل السيد الرضي (ره) أن خطب أمير المؤمنين عليه السلام أربعمائة ونيف وثمانون خطبة، (مروج الذهب٢: ٤٣١).

مصادر نهج البلاغة

إنَّ أحد الأسئلة المطروحة حول كتاب نهج البلاغة، أنَّ الشريف الرضي لم يتعرض إلى ذكر أسانيد الخطب والرسائل، مما يجعل اعتبارها في مهبّ الشك والترديد، حتى قيل: إنَّ نهج البلاغة كتاب مرسل، ولا يمكن الاعتماد عليه فقهياً، على أثر ذلك، بذل المحققون جهوداً حثيثة ومشكورة بغية الإجابة عن هذا السؤال، وقاموا باستخراج مصادر نهج البلاغة التي دونت قبل الرضيّ وبعده، ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتابين في هذا الصدد:الأول: استناد نهج البلاغة، لإمتياز علي خان العرشي، والكتاب الثاني: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب[1].

***

نهج البلاغة عند الأدباء والعلماء[2]

على أثر صدور كتاب نهج البلاغة من قبل السيد الرضي، شاع في الناس ذكره، ونال إعجاب العلماء والأدباء، فتدارسوه في كل مكان وزمان، لما اشتمل عليه من عجائب الألفاظ، وما احتواه في سحر البيان وجوامع الكلم في أسلوب قلّ نظيره، وكان ابن أبي الحديد من علماء المعتزلة في القرن السابع الهجري، أديباً ماهراً وشاعراً بليغاً، وهو كان مغرماًومعجباً بكلام الإمام عليه السلام، وقال في مقدمته على كتابه شرح نهج البلاغة: «وأما الفصاحة: فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة...[3].

(١) وممَّن تعرّض إلى هذا الإشكال والسؤال وتصدّى للإجابة عنه العلامة الأميني في كتابه الغدير: ٤: ١٩٨.

(٢) نقلاً عن كتاب(في رحاب نهج البلاغة) للشهيد المطهري.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٤.

ويقول الدكتور علي الجندي رئيس كلية العلوم بجامعة القاهرة في مقدمة كتاب (علي بن أبي طالب، شعره وحكمه): «في هذا الكلام موسيقى موقعة تأخذ القلب أخذاً، وفيه من السجع المنتظم ما يصوغه شعراً».

وينقل الدكتور طه حسين الأديب والكاتب المصري الشهير في كتابه (علي وبنوه) خبر الرجل الذي تردد في يوم الجمل في أمر علي عليه السلام وطلحة والزبير وعائشة، يقول في نفسه: كيف يمكن أن يكون مثل طلحة والزبير وعائشة على الخطأ؟ وشكا شكَّه ذلك إلى الإمام علي عليه السلام فأجابه الإمام علي عليه السلام: **«إنَّ دين الله لا يُعرف بالرجال بل بآية الحق فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه»**[1].

وبعد أن ينقل الأستاذ هذه الكلمات عن الإمام عليه السلام يقول: «ما أعرف جواباً أروع من هذا الجواب الذي لا يعصم من الخطأ أحداً مهما تكن منزلته، ولا يحتكر الحق لأحد مهما تكن مكانته، بعد أن سكت الوصي وانقطع خبر السماء[2].

وكتب ميخائيل نعيمة الكاتب اللبناني المسيحي المعاصر في مقدمة كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) لجورج جرداق يقول: «بطولات الإمام عليه السلام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب، فقد كان بطلاً في صفاء رأيه، وطهارة وجدانه. وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، وسمو دعته، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم، وتعبده للحق أينما تجلى له الحق».

---

(١) تاريخ اليعقوبي٢: ٢١٠، وبحار الأنوار٢٢٢: ١٠٥.

(٢) بشارة المصطفى: ٤.

وكان معاوية بن أبي سفيان وهو من أعداء الإمام معترفاً بفصاحته وجمال أسلوبه: فقد أدبر محقن بن أبي محقن عن الإمام عليه السلام وأقبل على معاوية وقال له وهو يريد أن يفرح قلبه الفائر بالحقد على الإمام عليه السلام: جئتك من عند أعيا الناس، وكان هذا التملق من القبح بمكان لم يقبله حتى معاوية، فقال له: ويحك! كيف يكون أعيا الناس! فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره[1]!

ولا نطيل أكثر من هذا بنقل ثناء الأدباء والعلماء من الأصدقاء والأعداء على كلام الإمام عليه السلام، ونختمه بكلمة منه في هذا الموضوع: قام يوماً أحد أصحاب الإمام عليه السلام ليتكلم، فتلجلج وأعيى! فقال له الإمام علي عليه السلام: «**ألاوإنَّ اللسان بضعة من الإنسان فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع وإنا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدّلت غصونه**»[2].

***

مميزات كلمات الإمام علي عليه السلام[3]

تمتاز كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام منذ أقدم العصور بميزتين تعرف بهما وهما: البلاغة والشمولية ويكفي كل واحدة من هاتين الميزتين فخراً لكلام الإمام وشرفاً، وهذا هو الذي جعل كلامه عليه السلام قريباً من حد الأعجاز، ومن هنا أيضاً عد كلامه عليه السلام في الأوسط فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق فقالوا فيه: «هو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق»[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١: ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة١٣: ١٢، بحار الأنوار٣١: ٢٣٥،ب١٩، وج٣٤: ٢٢٤،ب ٣٣.

(٣) نقلاً عن كتاب(في رحاب نهج البلاغة) للشهيد المطهري.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤.

١ـ الفصاحة والجمال والنفوذ والتأثير

لا تحتاج هذه الميزة في نهج البلاغة إلى التوضيح لمن كان عارفاً بفنون الكلام وجمال الكلمة فإن الجمال يدرك ولا يوصف إن لنهج البلاغة اليوم، وبعد أربعة عشر قرناً من عهده نفس الحلاوة واللطف الذي كان فيه للناس على عهده،...مع كل ما حدث من تحول وتغيير في الأفكار والأذواق.

لقد كان أصحاب الإمام عليه السلام خصوصاً من كان منهم عارفاً بفنون الكلام مغرمين بكلامه، منهم (ابن عباس) الذي كان ـ كما ذكر الجاحظ في (البيان والتبين)[1] ـ من الخطباء الأقوياء على الكلام،فإنَّه لم يكن يكتم عن غيره شوقه إلى استماع كلام الإمام والتذاذه بكلماته عليه السلام حتى أنَّه حينما ألقى الإمام خطبته المعروفة بالشقشقية كان حاضراً، فقام إلى الإمام عليه السلام رجل من أهل العراق وناوله كتاباً، فقطع بذلك كلام الإمام، فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين! لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت» فقال عليه السلام: «هيهات! إنها شقشقة هدرت، ثم قرَّت» ولم يطرد في كلامه ذاك، فكان ابن عباس يقول: «والله ما ندمت على شيء كما ندمت على قطعه هذا الكلام»، وكان يقول في كتاب بعث به إليه الإمام عليه السلام: «ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانتفاعي بهذا الكلام»[2].

كان الذين يجلسون إلى منبره فيستمعون إليه يتأثرون بكلامه كثيراً، إذ كانت مواعظه تهز القلوب وتسيل الدموع، ومن هؤلاء همام بن شريح وكان من أصحابه عليه السلام، فطلب من الإمام عليه السلام بإصرار أن يرسم له صورة كاملة للمتقين، وكان الإمام عليه السلام يخاف عليه أن لا يتحمل سماع كلماته، فاقتصر

(١) البيان والتبين ١: ٢٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٤٠.

على جمل مختصرة إذ قال: «اتق الله يا همام وأحسن، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» ولكن لم يقنع بهذا همام، بل ازداد شوقه إلى كلامه عليه السلام أواراً وضراماً، فأصر عليه أكثر من ذي قبل حتى اقسم عليه! وبينما يستمر الإمام عليه السلام بكلامه وفجأة قرعت أسماع الحاضرين صرخة مهولة جلبت أنظارهم إلى صوب همام ولم يكن الصارخ سوى همام فلما وقفوا عليه رأوا أن روحه قد خرجت من جسمه إلى رحمة الله ورضوانه، فقال الإمام عليه السلام: «أما والله لقد كنت أخافها عليه، ثم قال: هكذا تفعل المواعظ البليغة بأهلها».

٢ـ الشمول والأبعاد المتعددة في كلام الإمام

من مميزات كلام الإمام عليه السلام أنَّه ذو أبعاد متعددة وليس ذابعد واحد، قال صفي الدين الحلي المتوفي في القرن الثامن الهجري بهذا الصدد:

جمعت في صفاتك الأضداد ... ولهذا عزَّت لك الأنداد

زاهد حاكم! حليم شجاع! ... فاتك ناسك! فقير جواد!

شيم ما جمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهن العباد

خلق يخجل النسيم من اللطف ... وبأس يذوب منه الجهاد

جل معناك أن يحيط به الشعر ... ويحصي صفاتك النقاد

***

أهم مواضيع وبحوث نهج البلاغة

إنَّ المباحث المطروحة في نهج البلاغة، كثيرة يستحق كل واحد منها

البحث والتحقيق، وأهم هذه البحوث حسب الترتيب الذي جاء به الشهيد المطهري في كتابه القيم (في رحاب نهج البلاغة)[1] حيث قسم موضوعات نهج البلاغة إلى العناوين العامة التالية:

١ـ مباحث التوحيد، وماوراء الطبيعة

٢ـ نظام العبادات.

٣ـ نظام الحكم والإدارة.

٤ـ أهل البيت عليهم السلام والخلافة.

٥ـ المواعظ والحكم.

٦ـ الدنيا، والزهد فيها.

٧ـ الحرب والحماسة.

٨ـ الملاحم والمغيبات.

٩ـ الأدعية والمناجاة.

١٠ـ الانتقاد والشكوى من الناس.

١١ـ القواعد الاجتماعية في نهج البلاغة.

١٢ـ الإسلام، والقرآن في نهج البلاغة.

١٣ـ الأخلاق وتهذيب النفس.

١٤ـ الشخصيات في نهج البلاغة.

وغيرها من الموضوعات، وحيث لا يسع المجال للبحث عن جميعها

(١) في رحاب نهج البلاغة: ٣١.

نختارمنها موضوع الأخلاق وتهذيب النفس أوعلاقة الانسان بنفسه في نهج البلاغة ونبحثه بإختصارحيث يناسب أجواء شهررمضان المبارك الروحانية وخطبة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأخلاقية والتربوية التي اتَّخذناها محور أبحاثنا في هذا الجزء من الموسوعة.

***

جهاد النفس في نهج البلاغة

من مبادئ الإسلام، وأوليات الدين أن جعل حقوقاً للإنسان على نفسه، فقد أولى لهذه النفس اهتماماً بليغاً، وذلك لأنّها منطلق الأعمال والممارسات، فإذا صلحت، صلحت حياة الإنسان، ومتى ما طهّر الإنسان نفسه وهذّبها وجعلها تحت إمارة العقل والدين، استطاع أن يهيّئ الأرضية الصالحة لعمله وتعامله مع الناس بشكل أحسن، فقد جعل الإسلام معيار تغير المجتمع ما يحقق تغير النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، فكان تغيير المجتمع من الانحطاط والانحراف معلولاً لتغيّر نفوس أصحابه، كما أن العكس كذلك، فإنَّ تغيّر المجتمع من الإيمان والنعم إلى الانحطاط والانحراف مقرون بتغير النفوس من الإيمان إلى الضلال، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وهذا يكشف عن أهمية النفس في الإسلام، فإنَّ في صلاحها صلاح المجتمع، كما أنَّ في فسادها فساده، ومن هنا كان علينا أن نتعرف على حقيقة النفس وخصائصها وكيفية إصلاحها.

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) سورة الأنفال: ٥٣.

وكلام الإمام علي عليه السلام عن النفس الإنسانية، وضرورة محاسبتها ومراقبتها، وتهذيبها يهدف إلى بناء الشخصية المثالية الإسلامية التي من خلالها يصلح المجتمع الإسلامي، وفي أوَّل خطوة يخطوها الإنسان في مجال الارتباط بالنفس وإصلاحها،في كلامه عليه السلام هو معرفة النفس ومراتبها لأنَّ معرفتها توجب معرفة الرب، بل توجب معرفة الآخرين، حيث يقول عليه السلام: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[1]، وقال عليه السلام: «**من عرف نفسه كان لغيره أعرف**»[2]، والمراد بالنفس هنا معرفة الإنسان ذاته وقدراته.

وينبغي للإنسان المسلم أن يجاهد نفسه الأمارة بالسوء حتَّى تستكمل وتصبح جوهرة ثمينة، تقبل الحق، وتتوجه إليه وتطمئن به، وحينئذٍ يأتي لها الخطاب بقوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى**﴾[3]، ولا يحصل الإنسان على هذه المرتبة العليا للنفس إلاّ بعد مراقبة ومحاسبة وجهادٍ مستمر.

***

جهاد النفس وإصلاحها

في داخل كل إنسان، قوى متصارعة ومتضاربة، قوَّة العقل وجنوده من الفطرة والضمير، وقوَّة النفس وجنودها من الغرائز والشهوات الحيوانية والشيطان الرجيم، وكل منهما يريدا الحكومة على الإنسان، وهذا الصراع إنّما يحدث من أجل أن يستكمل الواحد منّا رحلته في الحياة... وفي الحقيقة إنّ

(١) غرر الحكم: ٢٣٢،ح٤٦٣٧،شرح نهج البلاغة٢٩٢:٢٠،ح٣٢٩.

(٢) غرر الحكم:٢٣٣، ح٤٦٥٤،ميزان الحكمة ٦: ١٤١.

(٣) سورة الفجر: ٢٧-٢٩.

التكامل لا يتحقق، إلاّ في ظل الصراع والمنافسة والتغلب على النفس الأمّارة بالسوء، وهذا ما نسمّيه بمجاهدة النفس.

ولقد اهتمَّ الإسلام كثيراً في جهاد هذه النفس، حتى أطلق عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الجهاد الأكبر» في قبال «الجهاد الأصغر» الذي هو الجهاد مع أعداء الدين، يروى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل بسرية فلما رجعت قال: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر**، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: **جهاد النفس**»[١]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الجهاد من جاهد نفسه الّتي بين جنبيه**»[٢]، وسرّ ذلك أنَّ النفس أعدى الأعداء، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أعدى عداءك نفسك الّتي بين جنبيك**»[٣]، وقد حدّدت هذه الأخبار أيضاً الغاية والثمرة الّتي لأجلها أمرنا بالمجاهدة، وهي قهر النفس لكي تطيع الحق تعالى، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثمرة المجاهدة قهر النفس**»[٤]، وقال عليه السلام: «**جاهد شهوتك وغالب غضبك، وخالف سوء عادتك تزك نفسك، ويكمل عقلك، وتستكمل ثواب ربك**»[٥]، إلى غير ذلك من الروايات الّتي تحث على مجاهدة النفس وإصلاحها.

وهناك عدة أمور لابدَّ أن يقوم بها كل من سعى وخاض غمار مجاهدة النفس، وقد جاءت كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة لكيّ تحدّد النقاط التي يسلكها الإنسان للتغلب على هوى النفس وطغيانها، وحينئذٍ تتحقق سعادته في الدنيا والآخرة، وهذه النقاط هي كالتالي:

(١) بحار الأنوار ١٩: ١٨٢.

(٢) مستدرك الوسائل ١١: ١٣٧.

(٣) مجموعة ورَّام: ٢٣٨،بحار الأنوار ٦٧: ٣٦، ب٤٤.

(٤) غرر الحكم: ح٤٧٦١.

(٥) غرر الحكم: ح٤٧٦٠.

أولاً: مراقبة النفس ومحاسبتها: لا بدَّ أن يقوم الإنسان بمراقبة نفسه ومحاسبتها بصورة دائمة، بحيث في كل يوم يمر عليه يسائل فيه نفسه عما عملته من الطاعات والمعاصي، والموازنة كيفاً وكماً، فإن رجحت كفَّة الطاعات، شكر الله على توفيقه لها، وفوزه بشرف طاعته ورضاه، وإن رجحت كفَّة المعاصي أدَّب نفسه، يقول الإمام علي عليه السلام: «**إجعل من نفسك على نفسك رقيباً، واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً**»[1]، وقال عليه السلام: «**عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا**»[2].

ثانياً: تعويد النفس على الطاعة والعبادة: النَّفس الإنسانية أشبه شيء بالطفل المولود حديثاً، فإنّ شخصيته في المستقبل المنظور تتأثر بنوعية التربية التي يتلقاها والأدب الذي يتربى عليه، والأمور التي يتعوّد عليها من أهله والمحيط الذي يعيش فيه، لذا فإنَّ من الضروري ترويضه وتدريبه وتعويده على كل صفات الخير، وهكذا النفس فإنَّ تكوينها يتأثّر ويتفاعل مع القضايا التي يعوّدها عليها صاحبها، فإن عوَّدها على طاعة الله كانت نفساً طيّبة طاهرة، وإلاَّ كانت نفساً أمّارة بالسوء، يقول الإمام علي عليه السلام: «**عباد الله، إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه، وإنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه؛ والمغبون من غبن نفسه**»[3].

ثالثاً: ترك اتباع الهوى وطول الأمل:ينبغي أن يعلم بأنَّ هناك أموراً بين الإنسان وبين تهذيب نفسه.أهمَّها إتِّباع الهوى وطول الأمل، وأفضل طريق للإنسان لأجل صلاح نفسه أن لا يتّبع الهوى وطول الأمل، يقول الإمام

(١) غرر الحكم: ٢٣٥،ح٤٧١٦.

(٢) نهج البلاغة: ٨٨،الخطبة رقم ٨٩.

(٣) نهج البلاغة:٨٢ الخطبةرقم ٨٥.

علي عليه السلام: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتّباع الهوى، وطول الأمل، فأمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة**»[١].

رابعاً: القناعة والاقتصاد في المعيشة:إنَّ الإسراف في العيش والسعي للمزيد من حظوظ الدنيا يخلق في النفس الميل إلى الملذات، وقد تنجرّ من مباحاتها إلى محرماتها، فكان حرمانها من الملذَّات، وإقناعها بالقليل يسهِّل عليها ترك المحرمات، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا رغبت في إصلاح نفسك فعليك بالاقتصاد والقنوع والتقلل**»[٢]، وقال عليه السلام: «**أعون شيء على صلاح النفس القناعة**»[٣].

خامساً: إجتناب الدنيا والعزوف عنها: إنَّ أهم ما ينبغي على المجاهد القيام به اجتناب الدنيا والعزوف عنها، والنظر إليها على واقعيتها، فإنَّ واقع الدنيا هو الفتنة والإغواء، وما من بلاء في هذه الدنيا إلاّ سببه حب الدنيا والميل إليها، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»[٤]، فأوّل مراحل المجاهدة هو الابتعاد عن الدنيا وترك الحرص عليها، قال الإمام علي عليه السلام: «**سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا**»[٥]، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ينبغي لمن أراد صلاح نفسه وإحراز دينه أن يتجنب مخالطة أبناء الدنيا**»[٦].

---

(١) غرر الحكم:٣٠٦، شرح نهج البلاغة ٢: ٣١٨ب٤٢.
(٢) غرر الحكم: ح ٤١٧٢.
(٣) غرر الحكم: ح ٣١٩٠.
(٤) بحار الأنوار ٤٥: ٤٠.
(٥) غرر الحكم: ح ٥٥٢٨.
(٦) غرر الحكم: ح ٩١٠٣.

النبي عيسى عليه السلام وصاحبه

جاء النبي عيسى عليه السلام يوماً في سفر له اذ صحبه رجل، فلما وصلا الى مفازة وجدا ماء، فبعث الرجل يشتري لهما طعاماً، فذهب الرجل واشترى ثلاثة ارغفة من الخبز قال: من أكل الرغيف الثالث؟ قال الرجل: لا أدري، قال: أنت جئت بثلاثة أرغفة فأين الثالث؟ قال: لا أعلم، واصرّ الرجل على ذلك، فقام عيسى وجمع تراب وقال: كن ذهباً باذن الله، فصار ذهباً قسمه ثلاثة أقسام وقال هذا ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أكل الرغيف، قال: أنا أكلته، قال: هو لك وتركه فجاء رجلان وجدا عنده مال كثير فقال لصاحبه: لنقتل هذا الرجل ونقسم هذا المال بيننا، فقال: لماذا تقتلاني فهو بيننا أثلاث، فقالا: نعم، وبعثوا أحدهم الى السوق يشتري لهم طعام، فقال الذي ذهب يشتري طعام: لماذا أقاسم هذان الرجلان، لكني اضع في الطعام سماً واقتلهما، وآخذ المال، وقال الرجلان: لماذا نعطي الرجل معنا من هذا المال، اكن اذا رجع نقتله ونأخذ المال وحدنا، فلما رجع قتلاه، فأكلا الطعام فماتا، ولما رجع عيسى رآهم موتى والمال وحده، فقال لاصحابه: انظروا الى الدنيا واهلها هكذا يقتل بعضهم بعضاً على حب الدنيا[1].

***

تأديب الجوارح وترويضها

من الواضح جدّاً أن أجهزة صدور الأفعال في الإنسان جوارحه، فكل معصية لابد وأن تكون صادرة عن اليد أو القدم أو اللسان أو العين أو الأذن،

(١) مجموعة ورّام٢: ٧٠.

وكذا كل طاعة تبرز وتظهر وتخرج من مدافن الإنسان إلى الخارج عبر أحد هذه الأعضاء، من هنا فيلزم في عملية تهذيب النفس تأديب هذه الجوارح وتربيتها على إقامة الفضائل، واجتناب الرذائل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1]، ومن هنا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشهر أن نحافظ على هذه الجوارح، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «..**واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلُّ الاستماع إليه أسماعكم**...»، ولنبحث كيفية حفظ هذه الجوارح من المعاصي ونختصر على الجوارح الثلاثة التالية حيث لها التأثير الأكبر على الإنسان:

١ــ ترويض اللسان: إنَّ أكثر ما يقع فيه ابن آدم من لسانه، فعلى الإنسان أن يختم عليه، ويكون قلبه حارساً على لسانه فلا يحرِّك شفته قبل أن يفكِّر بما سيقول، ولأجل ذلك كان لسان الأحمق يسبق قلبه، كما قال الإمام علي عليه السلام: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[2].

٢ــ ترويض البصر: لعلَّ العين من أكثر جوارح الإنسان تأثيراً على قلبه، إذ الملذات المرئية والمشاهدة كثيرة، فكل نظرة من النظر إليها يخلق في القلب شهوة، وقد تدعوه بعد ذلك نفسه إلى تحقيقها وتحصيلها، فيقع في المحرَّمات إذا كانت من الصنف المحرم، وهذا معنى قول الإمام علي عليه السلام: «**العين بريد القلب**»[3]، فإنَّ كل ما يقع على النظر ينتقش في القلب، ولهذا وجب الحذر كل الحذر من خطورة النظر، وقد أمرنا المولى تبارك وتعالى بغض البصر عن المحرَّمات فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ

(١) سورة الإسراء: ٣٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤١٢، الحكمة رقم ٣٩.

(٣) غرر الحكم: ٦.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾[1]، وبهذا نفهم أنَّ طريق تطهير النظر عن الحرام هو الغض.

٣ـ ترويض السَّمع: ومن الجوارح المؤثرة على النفس الأذن، فإن السماع يؤثر على النفس إمَّا تكاملياً كسماع القرآن والمواعظ والإرشاد، وإما يؤثر تأثيراً تسافليّاً كسماع الغناء والغيبة والنميمة.....، فعلى المؤمن أن يروِّض أذنه على عدم سماع المحرمات كي يستكمل بذلك تهذيب نفسه، ونخصّ بذلك الغناء هذا المرض الخطير المستشري، فإنَّه على الرغم من كثرة الآيات والروايات الدالة على أنَّه من الكبائر، نجد الناس منشدة إليه، وكأنَّهم أمروا بسماعه.

***

الإمام علي عليه السلام وجهاد النفس

لقد قدَّم الإمام علي عليه السلام نموذجاً خالداً في مجاهدة النفس في ليلة مقتله في دار ابنته أم كلثوم، حيث قدَّمت له فطوره في طبق فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن فاتر، وملح، فأمر الإمام ابنته أن ترفع اللبن وقال لها: «يا بنية أتريدين أن يطول وقوف أبوك بين يدي الله فتلونين له الطعام»، وأفطر بالخبز والملح ولم يشرب من اللبن شيئاً، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله وقام إلى الصلاة، وسهر الإمام عليه السلام تلك الليلة، لم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرِّعاً إلى الله تعالى، وكان ينتظر الشهادة التي أخبره بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشهر الفضيل في آخر خطبته الشعبانية حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «.... **يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشَّهر، كأنِّي بك وأنت تصلى لربك، وقد أنبعث أشقى**

(١) سورة النور: ٣٠، ٣١.

الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك خضّب منها لحيتك..».، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً كراراً بأنَّه يفوز بالشهادة في سبيل الله،فكان ينتظرها بشوق، ففي يوم أحد تأسَّف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على حرمانه الشهادة في ذلك اليوم، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّها من ورائك، وكان الإمام عليه السلام هو بنفسه كثيراً ما يخبر الناس بشهادته، واختضاب لحيته الكريمة بدم رأسه، وحينمارأى ابن ملجم، تمثل الإمام منشداً شعرمعد يكرب:

أُريـــــد حَـــبـــاءه ويـــريـــد قـتـلـي

عـــذيـــرك مـــن خـلـيـلـك مـــن مـــراد[1]

وفي السنة الأخيرة من حياة الإمام عليه السلام، والشهر الأخير من حياته كان يخبر الناس بشهادته فيقول عليه السلام: «**ألا وإنَّكم حاجُّوا العام صفاً واحداً وآية (علامة) ذلك أني لست فيكم**»، فعلم الناس أنَّه ينعى نفسه، ولم يكتف عليه السلام بذلك بل كان يرفع يديه للدعاء قائلا: «**اللهم إنِّي قد سئمتهم وسئموني ومللتهم وملوني أما آن أن تخضب هذه من هذه...**»[2] فيشير إلى هامته ولحيته، وقبل الواقعة أخبر عليه السلام ابنته زينباً بأنَّه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يمسح الغبار عن وجهه ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي لا عليك قضيت ما عليك**»[3] وكان الإمام عليه السلام قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة، وفي شهر رمضان من سنة أربعين كان الإمام عليه السلام يفطر ليلة عند ولده الحسن، وليلة عند ولده الحسين، وليلة عند ابنته زينب الكبرى، زوجة عبد الله بن جعفر، وليلة عند ابنته زينب الصغرى المكناة بأمِّ كلثوم وينتظر اليوم الذي وعده بها حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الإرشاد ١: ١١، شرح نهج البلاغة٦: ١١٥.

(٢) بحار الأنوار ١٠: ٣٧٧، ب٢١.

(٣) كشف الغمة١: ٤٣٣،بحار الأنوار ٤٢: ٢٢٥ب١٢٧.

الليلة التاسعة عشر

في رحاب ليالي القدر المباركة

قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله اختار من الأيّام الجمعة ومن الشُهُور شهر رمضان ومن الليالي ليلة القدر**»[2].

***

فضل ليلة القدر

هي ليلة لا يضاهيها في الفضل والشرف سواها من الليالي والعمل فيها خير من عمل ألف شهر، وهي الليلة التي ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[3]، ويقدِّر الله عزَّ وجل فيها ما يكون من رزق وحياة أو موت، وله فيها البداء والمشيئة، يقدِّم ما يشاء ويؤخِّر ما يشاء! حيث أنَّ للإنسان أجلان؛ أجل غير مسمى فهو

(١) سورة القدر: ١ـ ٥.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٣، ب ٢٢.

(٣) سورة الدخان: ٤.

الأجل الموقوف يقدم الله فيه ما يشاء ويؤخر ما يشاءفي ليلة القدر وأمَّا الأجل المسمَّى فهو الأجل المحتوم الذي لايتغير.

وقد شرَّف الله ليلة القدر، وعظَّم شأنها لنزول القرآن الكريم فيها على رسول ذي قدرٍ وشأنٍ عظيم ولنزول الملائكة والروح فيها وحسبك في فضلها أنَّ الله تعالى أنزل في حقِّها سورة تتلى وآيات تقرأ وأنزل فيها القرآن الكريم إلى البيت المعمور دفعة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1]، وهي الليلة المباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2] لأنَّ الله عزَّ وجل ينزّل الخير والبركة والمغفرة فيها، فإذا كانت ليلة القدر، أمر الله تعالى جبرئيل فهبط في كتيبة من الملائكة إلى الأرض، فيسلِّمون على كل قائم وقاعد ومصلٍّ وذاكر، ويصافحونهم ويؤمِّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر نادى جبرئيل: يا معشر الملائكة، الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبرئيل، فماذا صنع الله تعالى في حوائج المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: إنَّ الله تعالى نظر إليهم في هذه الليلة وعفا عنهم وغفر لهم إلاَّ أربعة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والقاطع الرحم، والمشاجن[3]

و ليلة القدر هي رأس السنة، يكتب فيها ما يكون من السنة إلى السنة، عن أبي عبد الله عليه السلام: «**غرة الشهور، شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر**»[4]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنَّ الله اختار من الأيام الجمعة، ومن الشهور**

(١) سورة القدر: ١.

(٢) سورة الدخان: ٣.

(٣) بحار الأنوار ٩٦: ٣٣٨.

(٤) بحار الأنوار ٥٨: ٣٧٦.

شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر»[١]. وسئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: «**العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر**»[٢].

ومما ورد في فضل هذه الليلة المباركة أنَّ الدعاء فيها لا يُرد، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**إنَّ الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحداً بختل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر**»[٣].

***

تعيين ليلة القدر

إختلفت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته في تعيين ليلة القدر بعد اتّفاقها أنَّها في شهر رمضان في كل سنة، وتدل بعض الأخبار على أن عدم تعيينها لأجل المحافظة على الشهر كله وأنَّ هذا الاخفاء والتستّر عليها كان مقصوداً ومستهدفاً ليستزيد العبد الصالح من الاعمال الصالحة والدعاء والمناجاة والتضرع إلى الله تعالى والانفاق والصلاة وغيرها، وقال العلامة المجلسي: «إتفق أصحابنا على أنها لا تخرج عن إحدى ثلاث ليال، ليلة تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين».

وقد سئل الإمام الصادق عن ليلة القدر فقال عليه السلام: «**اطلبها في تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين**» وعنه عليه السلام: «**التمسها في ليلة**

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٣.

(٢) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٣.

(٣) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٣.

إحدى وعشرين أو ليلة ثلاث وعشرين»[١]. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقيم ليلة ثلاث وعشرين**»[٢]، وهي معروفة بليلة الجهني ; وهو أحد المسلمين الذين كانوا يسكنون خارج المدينة، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعيّن له ليلة يتفرّغ فيها للعبادة فعيّن له ليلة الثالث والعشرين، ولعل ما يشير إلى هذه الحقيقة ما ورد من تفاصيل أكثر في أعمال الليلة الثالثة والعشرين.

***

أعمال ليالي القدر

بعدما عرفت من فضل ليلة القدر، وعظيم شأنها، وشرفها، لابُدَّ أن نعرف واجبنا تجاهها وما ينبغي أن نعمله فيها، حتى لا يضيع الثواب الجزيل الذي أعده الله عز وجل لمن عرف حق هذه الليلة المباركة وعمل فيها، وأهمّ هذه الأعمال عدة أمور:

١ــ الغسل: فعن موسى بن جعفر عليهما السلام: «**من اغتسل ليلة القدر وأحياها إلى طلوع الفجر خرج من ذنوبه**»[٣]، وقال المجلسي رحمه الله: «الأفضل أن يغتسل عند غروب الشمس ليكون على غسل لصلاة العشاءين»[٤].

٢ــ احياءها بالعبادة: عن الباقر عليه السلام: «**من أحيا ليلة القدر غفرت ذنوبه ولو كانت عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار**»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٢.

(٢) بحار الأنوار ٩٧: ٢.

(٣) بحار الأنوار ٨٣: ١٢٢.

(٤) بحار الأنوار ٨٣: ١٢٨.

(٥) بحار الأنوار ٩١: ٧٣.

أ ــ الصلاة: عن النبي ﷺ: «**من صلَّى ركعتين في ليلة القدر فقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات فإذا فرغ يستغفر سبعين مرة فما زاد لا يقوم من مقامه حتى يغفر الله لـه ولأبويه وبعث الله ملائكة يكتبون لـه الحسنات إلى سنة أخرى...**»[1].

ب ــ قراءة القرآن: عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين فاقرأ إنَّا أنزلناه في ليلة القدر ألف مرة واقرأ سورة العنكبوت والروم مرة واحدة**»[2].

ج ــ الدعاء والإستغفارو التَّصدق: عن النبي ﷺ: «**قال موسى: إلهي، أريد قربك، قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر، قال: إلهي، أريد رحمتك، قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر، قال: إلهي، أريد الجواز على الصراط، قال: ذلك لمن تصدَّق بصدقة في ليلة القدر، قال إلهي أريد أشجاراً من الجنة وثمارها، قال: ذلك لمن سبَّح تسبيحة في ليلة القدر، قال: إلهي أريد النجاة من النار، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر، قال: إلهي أريد رضاك، قال رضاي لمن صلَّى ركعتين في ليلة القدر**»[3].

وقال العلامة المجلسي رحمه الله: إنَّ أفضل الأعمال في هذه الليالي هو الاستغفار والدعاء لمطالب الدنيا والآخرة للنفس وللوالدين والأقارب وللإخوان المؤمنين، الأحياء منهم والأموات، والذِّكر والصلاة على محمّد وآل محمّد ما تيسّر.

---

(١) بحار الأنوار ٩١: ٧٣.

(٢) مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان.

(٣) بحار الأنوار ٨٣: ١٢٨.

٣ ـ طلب العلم والمعرفة بالشريعة: فإن أفضل اعمال الإحياء لهذه الليالي القيام بطلب العلم والمعرفة بالدِّين كما ذكره الشيخ الصدوق[١].

٤ ـ زيارة قبر الحسين عليه السلام: عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إذا كان ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم، نادى منادٍ تلك الليلة من بطنان العرش إن الله تعالى قد غفر لمن أتى قبر الحسين عليه السلام في هذه الليلة**»[٢]، وهنا يطرح السؤال نفسه: لماذا هذا التأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أكثر المناسبات والمقامات بحيث أصبح من أهم التوسلات التي يتقرب المؤمن بها إلى الله تعالى، وليس هذا فحسب، بل هناك تأكيدات أخرى، منها التأكيد على استحباب اتخاذ سبحة من تربة الحسين٨، والتأكيد على استحباب السجود عليها، وأن يكتب القرآن على الكفن بتربة الحسين، فما هي الغاية من ذلك؟

ويأتي الجواب: أنَّ الإسلام يريد أن يبقى الحسين عليه السلام في ذاكرة الأمة، وإننا بهذه الزيارة نعاهد الحسين عليه السلام على مواصلة درب الإصلاح في المجتمع الذي خرج عليه السلام من مدينة جدِّه لأجله واستشهد من أجله.

***

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بشهادة الإمام علي عليه السلام

ومما جاء في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم «.... **يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأنِّي بك وأنت تصلى لربك، وقد أنبعث أشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك خضّب منها لحيتك، قال أمير المؤمنين** عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من

(١) مفاتيح الجنان: أعمال شهر رمضان.

(٢) مفاتيح الجنان: أعمال شهر رمضان.

ديني؟ فقال عليه السلام: **في سلامة من دينك**..».

إنَّ العقل الإنساني بطبيعته لا يستطيع أن يدرك كل شيء، فهو قاصر عن معرفة أمور كثيرة، لأنها خارجة عن إطار علمه ومعرفته، ومنها علم الغيب الذي هو مختص بالله تبارك وتعالى، وهو القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾[1]، ﴿**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ**﴾[2]، فالماورائيات أو ما يسمى «بالميتافيزيقيا» من اختصاص العلم الرباني، فهو العالم بما يجري من دقائق الأمور في عالم المادة منذ النشأة الأولى وإلى اليوم، وحتى تقوم الساعة،فكما أننا لا ندرك كنه الله عز وجل وماهيته، وحقيقته، وإنما نؤمن به من خلال آثاره العظيمة، وكما لا تستطيع العقول أن تدرك ماهية الروح التي هي أساس حياتنا ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[3]، فهنالك خصوصيات للخالق الكريم عقولنا قاصرة عن الوصول لمعرفتها، ومنها علم الغيب.

والسؤال المطروح كيف يستطيع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يكشف عن أسرار مستقبلية غيبيّة كما في هذا المقطع المبارك، حيث يتنبأ عن مقتل الإمام علي عليه السلام، بل ويبكي صلى الله عليه وآله وسلم عليه، فهو أول من بكى على الإمام علي عليه السلام، وفي حين نقرء في سورة الأعراف عن لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ**﴾[4].

---

(١) النمل: ٦٥.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) الإسراء: ٨٥.

(٤) الأعراف: ١٨٨.

نقول في البداية ـ لا يعلم الغيب إلاّ الله عز وجل ـ والغيب هذا بالمعنى المطلق، ومتى يريد الله عز وجل أن يطلع بعض الأسرار الغيبية لنبيّه وأوليائه يلهمهم ذلك فينبئون بما يلهمهم الله به،يقول القرآن العظيم: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1]. وعن الإمام الرضا عليه السلام: «**إنَّ رسول الله هو المرتضى عند الله، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة**»[2]، وعن عمار الساباطي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب؟ فقال عليه السلام: «**لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك**»[3]

***

الليلة التي وعدني بها رسول الله

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر علياً سيستشهد في شهر رمضان فكان الإمام ينتظر تلك الساعة بشوق، حتَّى جاءَت الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان المبارك من سنة أربعين ليلة الأربعاء أوالجمعة[4] فكان الإمام عليه السلام في دار ابنته أم كلثوم، فقدَّمت له فطوره في طبق فيه قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن فاتر، وملح، فأمر الإمام ابنته أن ترفع اللبن وقال لها: «يا بنية أتريدين أن يطول وقوف أبوك بين يدي الله فتلونين له الطعام»، وأفطر بالخبز والملح ولم يشرب من اللبن شيئاً، لأنَّ في الملح كفاية، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله

(١) سورة الجن: ٢٦و٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٦،ح٢٩.

(٣) الكافي١: ٢٥٧، بحار الأنوار ٢٦: ٥٧،ب١.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٢٠ عن أبي مخنف، الإرشاد ١: ١٩.

وقام إلى الصلاة، ولم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرِّعاً إلى الله تعالى، وسهر الإمام عليه السلام في ليلة مقتله التاسع عشر من شهر رمضان بل وأسهر أهله، وكان من عادته سابقاً أن يخرج إلى المسجد لصلاة الليل، ففي تلك الليلة لم يخرج على عادته، وكان يكثر الخروج من البيت إلى صحن الدار فينظر في أطراف السماء ويقول: «والله ما كذبت ولا كُذبت! وإنّها الليلة التي وُعدت بها»[1] ثم رقد هنيهة وانتبه مرعوباً، وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه، وهو يقول: «اللهم بارك لنا في لقاءك»، ويكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ثم صلى حتى ذهب بعض الليل، ثم جلس للتعقيب، ثم نامت عيناه وهو جالس، فانتبه من نومته مرعوباً فقال لأولاده: «إني رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي، وهو يقول لي: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها، فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنك عندنا في العشر الآخر من رمضان فهلم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى»، فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، قالت أم كلثوم: لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ثم يخرج ساعة بعد ساعة، يقلب طرفه في السماء، وينظر في الكواكب وهو يقول: «والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله»، ثم يعود إلى مصلاه ويقول: اللهم بارك لي في الموت، ويكثر من قول: «إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويستغفر الله كثيراً.

(١) الإرشاد ١: ١٦.

قالت أم كلثوم فلما رأيته في تلك الليلة قلقا متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت: يا أبتاه مالي أراك في هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: يا بنية إنَّ أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ثم قال: «إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ». فقلت: يا أبتاه، ما لك تنعى نفسك منذ الليلة؟ قال: بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل، قالت أم كلثوم: فبكيت فقال لي يا بنية لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلا بما عهد إليَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنه نعس وطوى ساعة، ثم استيقظ من نومه وقال: يا بنية إذا قرب الأذان فأعلميني، ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب الأذان فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح الباب ثم نزل إلى الدار وفيها إوز قد أهدي إلى أخي الحسين عليه السلام فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه، وكن قبل تلك الليلة لم يصحن، فقال عليه السلام لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح[1] وفي غداة غد يظهر القضاء، فقلت يا أبتاه هكذا تتطير، فقال عليه السلام بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به، ولكن قول جرى على لساني، ثم قال يا بنية حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام فإذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول:

حياز يمك للموت فإنَّ الموت لاقيكا

ولا تجَّزع من الموت إذا حلَّ بواديكا

(١) الإرشاد: ١٧.

كـــمـــا أضـــحـــكـــك الـــدَّهـــر

كـــذاك الـــدَّهـــر يـــبـــكـــيـــكـــا[1]

ثم قال عليه السلام: «**اللهم بارك لنا في الموت، اللهم بارك لي في لقاءك**»، قالت أم كلثوم: وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة، قال يا بنية ما هو بنعاء، ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضا، ثم فتح الباب وخرج، قالت أم كلثوم: فجئت إلى أخي الحسن عليه السلام فقلت: يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهوقد خرج في هذا الليل الغلس فالحقه، فقام الحسن بن علي عليهما السلام وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع».

أما عدو الله عبد الرحمن بن ملجم فكان على رأي الخوارج، وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها، في النهروان، وقد امتلأ قلبها غيظاً وعداء لأمير المؤمنين، وأراد ابن ملجم أن يتزوجها فاشترطت عليه أن يقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وطلبت منه ثلاثة آلاف ديناراً وعبداً وقينة «جارية»:

فـلـم أر مـهـراً سـاقـه ذو سماحة

كـمـهـر قـطـام مـن فصيح وأعـجـم

ثـلاثـة آلـف وعـبـد وقـيـنـة

وضـرب عـلـي بـالحـسـام المصمصم

وقد جاء عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة، وبات في المسجد ينتظر

(١) الإرشاد ١: ١٦، وأنساب الأشراف ٢: ٤٠٠ الحديث ٥٧٢.

طلوع الفجر، ومجيء الإمام للصلاة، وهو يفكر بالجريمة العظمى التي قصد ارتكابها، ومعه رجلان شبيب بن بَجرة ووردان التيمي يساعدانه على قتل الإمام عليه السلام[1].

***

فزت ورب الكعبة

وسار الإمام علي عليه السلام إلى المسجد واتّجه إلى المحراب وقام يصلي، وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام المجرم الشقي لإنجاز جريمته الكبى! وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام يصلي عندها فأمهله حتى صلى الركعة الأولى، وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها فتقدم اللعين، وأخذ السيف وهزه، ثم ضربه على رأسه الشريف، وهو يقول الحكم لله لا لك يا علي، ولا لأصحابك!، وسُمع الإمام يقول: لا يفوتنّكم الرجل، وهرب القتلة نحو الباب يفرّون، وتبادر الناس لأخذهم[2] ونادى الإمام عليه السلام: «**فزت وربّ الكعبة**»[3]. وتقدم الحسن عليه السلام فصلى بالناس وأمير المؤمنين عليه السلام صلى إيماءاً من جلوس، وهو يمسح الدم عن

(١) راجع تاريخ الطبري ٥: ١٤٤.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢١، والإرشاد ١: ٢٠، وتاريخ الطبري ٥: ١٤٦ عن أبي مخنف.

(٣) أنساب الأشراف ٢: ٤٠٠، الحديث ٥٧٢ عن المدائني، وعنه في المناقب ٣: ٣٥٧.

يقول المؤرخ المعاصر الشيخ هادي اليوسفي الغروي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي٥:٤١٥: «وهنا خبر يذكر: « اصطفقت أبواب الجامع... وهبّت ريح عاصف سوداء مظلمة، ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ: تهدّمت والله أركان الهدى..... إلى قوله: فلمّا سمعت أُمّ كلثوم أقبلت إلى أخويها الحسنين فأيقظتهما وقالت ». ممّا هو باطل قطعاً وقد نقله العلامة المجلسي،عن بعض الكتب القديمة! نسب إلى أبي مخنف! وأضاف المجلسي: هذا الخبر غير صحيح وكتبناه كما وجدناه! هذا ولم أجد غيره أي مصدر له (راجع بحار الأنوار ٤٢: ٢٥٩).

وجهه وكريمته، يميل تارة ويسكن أخرى.

وأجرم ابن ملجِم إجرامه في الظلام وخرج من المسجد الجامع مخترطاً سيفه، وخرج نافع بن عُقبة المنبهي أو رجل من همدان[١] من أهله إلى المسجد وانتهى إلى باب كندة منه فإذا هو بابن ملجِم خارجاً مخترطاً سيفه، فعلم بجرمه، وكان طيلسانه بيده أو قطيفة فضربها على وجهه وهجم عليه فانتزع السيف من يده، ثمّ قادوه إلى المسجد، وانصرف الناس من صلاتهم فتواثبوا إليه كأنّهم السباع ينادونه: يا عدوّ الله ما صنعت! لقد قتلت خير الناس وأهلكت الأُمّة! وهو ساكت لا ينطق بكلمة! والناس في ضوضاء يقولون: قتل أمير المؤمنين! حتّى أوقفوه بين يديه فقال عليه السلام: احبسوه، فإن أمُت من جراحتي هذه فهو في أيديكم، نفس بنفس فاقتلوه، وإن أعش وأبرأ أرى فيه رأيي[٢]!

وكما أُخذ ابن ملجِم أُخذ صاحبه الأشجعي التميمي شبيب بن بَجرة... فأتاه ابن عمّه وعلم بجرمه فمضى واشتمل على سيفه ودخل عليه فقتله[٣] وأفلت الثالث وردان التيمي فانسلّ بين الناس[٤].

ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة، وحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدورهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن عليه السلام ورأس أبيه في حجره، وقد شدّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء

(١) الارشاد ١: ٢١، وقيل:أخذه المغيرةبن الحرث بن عبد المطلب وهو صاحب القطيفة،(مقاتل الطالبيين: ٢١).
(٢) مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٣٧، الحديث ١٤ و ١٥ و ١٦، وأنساب الأشراف٢: ٣٩٧، الحديث ٥٦١.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٢١.
(٤) الارشاد ١: ٢١، وفي أنساب الأشراف ٢: ٣٩٤، الحديث ٥٥٣: أنّ وردان هو الذي قتله ابن عمّه عبد الله بن نجبة التيمي.

بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده والحسن يبكي، فقال له الإمام عليه السلام: يا بني ما هذا البكاء، يا بني لا روع على أبيك بعد اليوم؟ يا بني أتجزع على أبيك، وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً ويقتل أخوك بالسيف؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما؟ ثم أمر أن يحملوه إلى منزله فلما اقتربوا من منزل الإمام عليه السلام خرجت زينب فنظرت إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام محمول على الأكتاف فنادت: «وا أبتاه واعلياه»[1]

(١) للإطلاع على خبر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بالتفصيل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة٦: ١١٥ وج٢٠: ٢٨٤، والمناقب لإبن شهراشوب٣: ٣١٠، وج٤: ٩٣،روضة الواعظين:١٣٢، بحار الأنوار ٤٢: ٢٧٥، ب١٢٧.

الليلة العشرون

أدوار الإمام علي عليه السلام في الإسلام

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي ۞ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۞ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۞ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي»[2]

إنَّ من يتابع حركات التاريخ يجد بشكل واضح أنَّ لعلي عليه السلام أدواراً مهمَّة في نشر الإسلام وانتصاراته العظيمة، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تشبيهه بهارون، وتنزيله منه منزلة هارون من موسى يعكس بوضوح هذه الأدوار، فعلي عليه السلام وزير ومؤازر وناصر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشريكه في الدعوة إلى الله، وتبليغ الرسالة إلى الناس كافة،إلاَّ أنَّه ليس بنبي.

وتبدء أدوار الإمام علي عليه السلام ومواقفه من بداية البعثة النبوية حيث كان أول من آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته الخالدة وهو في العقد الأول من عمره، ثم مشاركته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنوات الثلاث من الدعوة السرية ومؤازرته له

(١) سورة طه: ٢٩-٣٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي،الكافي٨: ١٠٦، الإحتجاج١: ٥٠، شرح نهج البلاغة٢: ٢٦٤،بحارالأنوار٤٠: ٧٦-٩،ب٩١.

في العلنية منها التي بدأت بالأقربين في قصة يوم الإنذار المشهورة وحضوره عليه السلام معه صلى الله عليه وآله وسلم في شعب أبي طالب، وتنتهي أدواره عليه السلام في العهد المكي بمنامه عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسلم صلى الله عليه وآله وسلم من الأعداء.

وأما في العهد المدني فلا ريب أنَّ مشاركته الفاعلة في الغزوات والمواطن الخطرة التي قلَّ أن يثبت فيها أحد، وتعد الأبرز والأهم فكان يواجه تلك الأخطار التي ارتعدت منها الفرائص وخفقت عندها القلوب فأصبح المثل الأعلى في هذه الساحة التي لولاه لما استقام الدين الحنيف، وقد أسهمت تلك المواقف في ترسيخ أسس الحضارة الإسلامية وبناء هذا الكيان الرسالي الشامخ.

وبانتهاء العهد المدني بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يأتي عهد الخلفاء حيث عُرف الإمام خلاله بالمسالمة والصبر وفق ماتقتضيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، حيث يقول عليه السلام: «**أيّها الناس، لقد علمتم أنّي أحقّ بهذا الأمر من غيري، أما وقد انتهى الأمر إلى ما ترون، فوالله لأسالمنَّ ما سلمت أمور المسلمين ما لم يكن فيها جور إلاَّ عليَّ خاصَّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زُخرُفِهِ وزِبرِجه**»[1]، فرغم أن الإمام عليه السلام كان يرى محله من الخلافة محل القطب من الرحى ولكن سالم وصبر «**وفي العين قذى وفي الحلق شجى**»، على حد تعبيره[2] مدة ربع قرن، وفي هذه الفترة اجتهد الإمام عليه السلام في جمع القرآن الكريم مشعل هداية الأمة الإسلامية استمراراً لمهام الرسالة في تلك الظروف العصيبة، ولم يقف مكتوف اليد أمام التطورات المتسارعة التي كانت الأمة تشهدها بل ساهم في إدارة شؤونها بكل إخلاص، من هنا

(١) نهج البلاغة:٦٩ الخطبة ٧٣،من كلام للإمام لمَّا عزموا على بيعة عثمان، وفي بحار الأنوار ٢٩: ٦١٢.

(٢) في خطبته الشقشقية المعروفة في نهج البلاغة.

وقف علي عليه السلام ليدلي بآرائه الصائبة، موضّحاً قواعد الدين الصحيحة في كلّ موقف يستعصي على الخلفاء الماسكين بزمام إدارة الدولة، فكان عليّ عليه السلام ميزان الحق والرأي الصائب في إدارة شؤون الخلافة من قضاء، وحلول للمعضلات في عهد حكم الخلفاءالثلاثة، وقداعترفوا هم بأنّ عليّاً أعلم الصحابة وأقضاهم، وأنّه لولا عليّ; لهلكوا حتى صارت مقولة الخليفة عمرالخطاب مضرب الأمثال: لولا عليّ; لهلك عمر[1]،إلى أن حان الوقت لكي تعود الأمة إلى رشدها وتعرف إمامها فالتجأت إليه تسلِّم له زمام أمرها بعد تلك الخطوب الصعاب فحمل عبء الخلافة وقيادة الأمة بكل جدارة وحكمة خلال نصف عقد، حارب فيها الناكثين والقاسطين والمارقين وأقام العدل بين الناس وأحيا السنة وأعاد للإسلام عزته وشوكته ورسالته المحمدية الأصيلة، وفي وصف خلافته يقول صعصعة بن صوحان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بويع: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك، ولَهي إليك أحوج منها إليك[2].

وهكذا نسير مع تاريخ حياة هذا الإمام العظيم ودوره الرائد في الإسلام حتى ننتهي إلى شهادته يوم الواحد والعشرين من شهر رمضان من السنة الأربعين للهجرة حيث كان يصلي لربه في محراب مسجد الكوفة، فكفاه فضلاً وشرفاً أن يكون وليد الكعبة وشهيد المحراب وما بينهما حياة مملوءة بالمواقف المشرَّفة من البطولات والتضحيات في سبيل الله ونصرة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) شرح نهج البلاغة: ١: ٦، وتذكرة الخواص: ٨٧.

(٢) الصوارم المهرقة:٦.

ومن بين تلك الادوار والمواقف نركز الحديث علي ثلاثة منها من حيث الاهمية أوتناسب الموضوع في ليلة العشرين من شهر رمضان المبارك.

١-دور علي عليه السلام في الحفاظ على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢-دور الإمام علي عليه السلام في عزة الإسلام.

٣-دور الإمام علي عليه السلام في فتح مكة.

***

دور علي عليه السلام في الحفاظ على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إنَّ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت مستهدفة بشكل مباشر لمشركي قريش، ولقد قاموا بكل حيلة ووسيلة للنيل منه وقتله، لو لا حفاظ أبي طالب عليه السلام ومشاركة علي عليه السلام، فلقد كان علي عليه السلام متابعاً للنبي في كل حركاته، فما من زمان أو مكان يتواجد فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ وكان علي عليه السلام معه وفي إثره، فعندما خرج إلى الطائف ليدعو الناس إلى عبادة الله، سلط أهل الطائف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبيانهم وغلمانهم يرشقونه بالنار والحجارة وغير ذلك فكان علي عليه السلام يتلقى ذلك بظهره تارة وببطنه أخرى، ويهجم عليهم ليدفع الأذى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولما أراد النبي الهجرة إلى المدينة، كانت قريش قد انتخبت من كل قبيلة فارساً ليقتحموا دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويضربوه بالسيف ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين العرب، وينتهوا منه ومن دينه إلى الأبد، وكان قد أخبر الله تعالى نبيه بحيلتهم ومكرهم، وأمره بالخروج ليلاً إلى الغار، وأن يبيت علياً عليه السلام في فراشه ليوهم الفرسان بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال راقداً في فراشه، فأخبر النبي علياً بالأمر، فما كان من علي إلاّ أن فدى بنفسه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى

فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1]، واستمر الإمام عليه السلام في الدفاع عن شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المعارك التي خاضها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، ففي أحد بعد أن فرّ أكثر المسلمين كان علي عليه السلام يدافع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع الكتيبة تلو الكتيبة، حتى بلغت جراحاته مبلغاً عظيماً، وكذا في حنين، وسائر المعارك الأخرى، ومن هنا يصح لنا القول أن علياً عليه السلام كان الحارس الفدائي الذي جنّد نفسه لحماية شخص النبي عبر حياته صلى الله عليه وآله وسلم[2].

***

دور الإمام علي عليه السلام في عزة الإسلام

الإسلام ذلك النظام المتكامل الذي يضمن للبشرية السعادة المطلقة في الدنيا والآخرة، بأمسّ الحاجة إلى فرض الهيبة والعزة له، وكان ذلك بعلي ٨، ففي موقفه الصلب في غزوة بدر انهزم المشركون وانتصر المسلمون وفي غزوة الخندق، عندما اخترقه عمرو بن ود العامري، وأخذ يستهزئ بالإسلام والمسلمين، وينادي في جموعهم من يخرج لمبارزته، وكان يتغنى بشجاعته، وهو يقول: من يرغب في الذهاب إلى الجنة فيخرج إليّ لأقتله، والمسلمون دون حراك، حتى خرج إليه علي عليه السلام فصرعه فأرعب بقتله الأحزاب فهزموا عن بكرتهم، وأخذ بعد هذا يحسب للمسلمين ولهذا الدين حساباً، وكذلك عندما خرج إلى مكة ليبلغ المشركين براءة الله ورسوله من المشركين، على مرأى ومسمع من المشركين، لم يقف في وجهه أحد هيبة لدينه ولشخصه،

(١) سورة البقرة: ٢٠٧.

(٢) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣١٢، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤.

وفي حروب المسلمين مع اليهود، حيث دكدك علي عليه السلام حصونهم في خيبر، رجعوا وخافوا حتى أن يهود فدك خافوهم فصالحوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون الحرب والقتال[1].

وهكذا فقد صنع علي عليه السلام للإسلام والمسلمين العزة والهيبة، وكم أوسمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجليلاً لجهوده أوسمة تدل على دوره العظيم في إرساء هذه الخصوصية المهمة لانتشار الإسلام، فقال له في خيبر: «**لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه**»، وقال له في أحد: «**علي مني وأنا منه**»، وفي الخندق: «**برز الإيمان كله إلى الشرك كلّه**»، «**لضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة**»[2].

وأدوار علي ومواقفه في الإسلام كثيرة، ولكن حيث كانت الليلة العشرون من شهر رمضان المبارك مجمعاً لمناسبتين مهمتين في الإسلام، أولهما: فتح مكة، وثانيهما: الليلة الثانية لضربة ابن ملجم لعلي عليه السلام، فمن المناسب الحديث عن دور علي عليه السلام في فتح مكة ثمَّ الحديث حول حالاته مع أولاده وأهل بيته في تلك الليلة:

***

دور الإمام علي عليه السلام في فتح مكة

في العشرين من شهر رمضان المبارك السنة الثامنة للهجرة فتح الله تعالى على رسوله مكة، وكان فتحاً مبيناً، وقد أشار القرآن إلى هذا الفتح العظيم

(١) راجع المغازي للواقدي ٢: ٦٥١، وإمتاع الأسماع ١: ٢٩١.

(٢) راجع صحيح البخاري ٢: ١٢٦٨، شرح نهج البلاغة١٩: ٦١، وبحار الأنوار٢٠: ٢١٥،ب١٧.

بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] وقد كان للإمام علي عليه السلام الدور البارز في تحقيق هذا الفتح والنصر المؤزر، وفيما يلي نستعرض ثلاثة أدوار منها:

الدور الأول: الإمام علي عليه السلام ينتزع كتاب خيانة

بينما يتهيأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجيش المسلمين للمسير نحو مكة لفتحها تسرب الخبر مع حاطب فكتب كتاباً ثم طلب من امرأة مغنية أغراها بالمال، واتفقا على وضع الكتاب في ضفائرها، وما أن غادر المدينة حتى نزل الوحي وأخبر النبي بأمرها، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على علي عليه السلام يستدعيه على الفور، فقال له: إن أحد أصحابي كتب إلى أهل مكة يطلعهم على أخبارنا، وقد سألت ربي أن يعمي أخبارنا عنهم، وقد حملت الكتاب امرأة سوداء فهيا أدركها وانتزع الكتاب، ثم استدعى الزبير، وقال له: اذهب مع ابن خالك، فخرج علي عليه السلام ومعه الزبير وأدركها في ذي الحليفة، فتقدم منها الزبير فسألها عن الكتاب، فانكرت عليه التعرض لها من جهة، والسؤال عما لا يعنيه من جهة أخرى، وأنكرت عليه، اتهامه لها بهذه التهمة، فتردد الزبير في أمر الكتاب وأنه معها أم لا، فجاء إلى علي عليه السلام وطلب منه أن يرجعا إلى المدينة بحجة أن الكتاب ليس معها، ثم أخذت المرأة تبكي لهذا التعرض والهانة، وبدأت دموع التماسيح تنحدر على خديها فرقّ قلب الزبير لذلك، وقال لعلي عليه السلام لم أرَ معها كتاباً يا أبا الحسن، ولم يلتفت إلى أن هذا التصديق لها والتعاطف معها يعني تكذيب الوحي والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فما كاد علي عليه السلام يسمع كلام الزبير هذا حتى غضب وصاح: ويحك يا زبير! يخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّها تحمل كتاباً ويأمرني بأخذه منها ونأتي لذلك ثم تقول أنت: إنه لا يوجد معها كتاب! فتقدم علي عليه السلام نحوها،

(١) سورة الفتح: ١.

وقد اخترط سيفه، وقال لها: أما والله لتخرجنّ الكتاب أو لأضربن عنقك بسيفي هذا، فأخذت المرأة تحاول مع علي عليه السلام لعله يلين ويصدق مقالتها كما كان شأن صاحبه، فأخذت تراوغ وتتعاطف ولكنها رأت عناداً وإصراراً مما جعلها تتأكد من أن علياً ٨ متأكد من وجود الكتاب الذي تحمله، فدفعته إلى علي عليه السلام فجاء به علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن هذا التيقن والثبات في قلب علي عليه السلام بصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو الذي حفظ لجيش المسلمين هيبته، وهو الذي أسرع في تحقيق النصر فلو صدّق علي المرأة كما فعل الزبير، ووصلت الاخبار إلى صناديد قريش، لتهيئوا وأعدوا العتاد والعدة وخرجوا من مكة للقاء النبي في طريقه إليهم، ومعه لا ضمان للنصر، ولو كان فبعد سفك دماء الكثير من المسلمين.

الدور الثاني: الإمام علي عليه السلام يأخذ الراية من سعد

كان هدف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تجميع المسلمين والخروج بهم إلى مكة، والحذر من وصول الخبر إلى قريش، أن يباغتهم فلا يكون أمامهم أي وسيلة للدفاع عن أنفسهم سوى الدخول في الإسلام أو الفرار من القتال حذراً من أن تسفك الدماء في حرم الله الآمن، وفعلاً لمَّا علم أبو سفيان بخروجهم كانوا قد وصلوا إلى مقربة من مكة فخرج إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليساومه إلاَّ أنَّه دون جدوى فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عزم على فتحها،فلم يجد بدَّاً من أن يحمي نفسه باعتناقه الإسلام، فلمَّا وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أبواب مكة أخذت الحمية سعد بن عبادة الأنصاري وهو يمر أمام أبي سفيان فقال له: اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى أو(تستحل) الحرمة، فأخذ الكثير من المسلمين يردد ما قاله سعد وكان هذا الشعار من شأنه تهيج المشركين للقتال حتى لو أدى ذلك إلى قتلهم،

إذ العرب لا تتحمل دخول دارها فضلا عن ذلها بذلك، كما من شأنه تشجيع المسلمين للنيل من المشركين خصوصاً مسلمي مكة الذين ذاقوا ألوان العذاب والبلاء على أيدي قريش، وكل ذلك يتنافى مع غرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدم سفك الدماء في حرم الله الأمن، فوصل شعار سعد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لأمير المؤمنين: يا علي أدرك سعداً وخذ الراية منه وأدخل أنت بها مكة، فأدركه أمير المؤمنين، فأخذ الراية منه ودخل بها مكة، ولم يمتنع عليه سعد، بل دفعها إليه، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى علي أمير المؤمنين عليه السلام، ولما كان سعد يعرف أن علياً ٨ هو الرجل الثاني في الإسلام، سلّم الراية إليه بلا تنازع، فأخذ الإمام علي عليه السلام الراية ونادى: «**اليوم يوم المرحمة، اليوم تحمى الحرمة**»[1].

قال الشيخ المفيد: واعلم أنه لو رام ذلك غير علي، لامتنع عليه سعد، وكان في امتناعه فساد التدبير، واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين[2].

الدور الثالث: الإمام علي عليه السلام يحطّم أصنام الكعبة

بعدما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً ذاكراً مسبِّحاً مستغفراً شاكراً لله على فتحها سلميَّاً، كان لابدَّ من تحطيم كل المظاهر الصنمية الموجودة في الكعبة وفي جوارها، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة عندما فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة فمرَّ بها وجعل يطعنها بمخصرة في يده ويقول: «**جاء الحقّ وزهق الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقاً**»[3]، فجعلت تكب لوجهها، وفي رواية ابن شهر آشوب:

(١) شرح نهج البلاغة١٧: ٢٧٢.

(٢) الإرشاد ١: ٩٠.

(٣) بحار الأنوار ٣٩: ٦٧،ح٢٠.

إنَّ الإمام علي عليه السلام صعد على أكتاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمل الفأس بيده وكسَّر الأصنام الموجودة على ظهر الكعبة تكسيراً وبذلك تمَّ الإنتصار الحقيقي للإسلام في مكة بإزالة كل آثار الصنمية ومحوها من الوجود[1].

وهكذا فقد أوقف الإمام علي عليه السلام حياته عليه السلام في خدمة الإسلام وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستمر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعقب المجرمين، ويقطع أدبار المرتدين ويحارب الناكثين العهد في معركة الجمل والقاسطين في معركة صفين والمارقين الخوارج في النهروان حتى ضربه ابن ملجم الخارجي على أمِّ رأسه في الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان.

***

الإمام علي عليه السلام في الليلة العشرين

في الليلة العشرين من شهر رمضان كان أمير المؤمنين عليه السلام في داره بين أولاده وأهل بيته إلا أن الدماء كانت تنزف من رأسه الشريف، وفي هذه الليلة أحضر عنده عروة السكون وكان أعرف أهل زمانه بالطب فذبح شاة وأخرج منها عرقاً فأدخله في جراح الإمام ثم أخرجه وإذا عليه بياض الدماغ فقال الطبيب بعد أن استعبر وبكى: أعهد عهدك يا أمير المؤمنين فإنَّ الضربة وصلت إلى الدماغ[2]. وكأنّ الحاضرين حول الإمام عليه السلام لما سمعوا مقال الطبيب قالوا له: يا أمير المؤمنين، أُوصِ، فقال عليه السلام: اثنوا لي وسادة، فأثنوا له وسادته وأسندوه إليها فقال: **أما وصيّتي: فأن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئاً، ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم فلا تضيّعوا سنّته. أقيموا هذين العمودين**

(١) راجع شرح نهج البلاغة١٧: ٢٧٢، ذكرالخبرعن فتح مكة، بحار الأنوار ٣٩: ٦١،ح١٥.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٣.

وأوقدوا هذين المصباحين، .....أنا بالأمس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم، .....إن أبقَ فأنا وليّ دمي، وإن أفنَ فالفناء ميعادي، فإن أعفُ فالعفو لي قربة، ولكم حسنة، فاعفوا واصفحوا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]**؟....، ثمّ أقبل على الحسن عليه السلام فقال له: يا بني، ضربة مكان ضربة، ولا تأثم! يا بني، إذا أنا متّ فاقتل ابن ملجِم، ثمّ احفر له في الكناسة ثمّ ارم به فيه، فإنّه من أودية جهنم**[2]**!.**

وروى المفيد بسنده عن الأصبغ بن نُباتة المجاشعي التميمي قال: لمّا ضرب ابن ملجِم أمير المؤمنين عليه السلام غدونا عليه في نفر من أصحابنا: أنا والحارث بن عبد الله الهمْداني الأعور وسُويد بن غفلة ومعنا جماعة آخرون، وكان الباب مغلقاً (فيبدوا أنّه كان اليوم الثاني) فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء من الدار فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن علي عليهما السلام فقال لنا: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم فانصرف القوم غيري، واشتدّ البكاء في منزله فبكيت، فخرج الحسن عليه السلام فقال: ألم أقل لكم: انصرفوا! فقلت: لا والله يابن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين، وبكيت. فدخل الدار ولم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل. فدخلت على أمير المؤمنين فإذا هو مستند معصوب الرأس بعصابة صفراء قد نزف دمه واصفرّ وجهه، فما أدري وجهه أشدّ صفرة أم العصابة؟ فأكببت عليه فقبّلته وبكيت. فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة! فقلت له: جعلت فداك، إني

---

(١) النور: ٢٢.

(٢) أُصول الكافي ١: ٢٩٩ الحديث ٦ و ٧ عن العُقيلي ووصف هذا موضع قبر ابن ملجم على باب طاق المحامل موضع بايعي رؤوس الأغنام وأصحاب الشّواء. وذكر الخبر في نهج البلاغة الخطبة ١٤٩.

أعلم والله إنك تصير إلى الجنة، وإنما أبكي لفقداني إياك يا أمير المؤمنين[١].

وقال محمد بن الحنفية: فبينما نحن ليلة عشرين من شهر رمضان عند أبي وقد سرى السم في جميع بدنه الشريف وكان تلك الليلة يصلي من جلوس وهو يعزينا على نفسه ويوصينا بما هو أهله من فعل الخيرات واجتناب الشرور ويكثر من ذكر الله تعالى وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلما أصبحنا أقبل الناس يودعونه ويسلمون عليه.

ثم نظر الإمام إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزحف من النوح والبكاء، فجرت دموعه على خديه ممزوجة بدمه فقال عليه السلام: «**أتبكيان عليّ؟ ابكيا كثيراً وأضحكا قليلاً أمَّا أنت يا أبا محمد ستقتل مسموماً مظلوماً مضطهداً، وأمَّا أنت يا أبا عبد الله فشهيد هذه الأمة وسوف تذبح ذبح الشاة من قفاك وترض أعضاؤك بحوافر الخيل ويطاف برأسك في مماليك بني أمية وحريم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبى وإن لي ولهم موقفاً يوم القيامة**»[٢].

(١) أمالي المفيد: ٣٥١، الحديث ٣ م ٤٢، وعنه الطوسي في أماليه: ١٢٢، الحديث ١٩١م ٥، وللخبر تتمّة في الفضائل.

(٢) للإطلاع على خبر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة٦: ١١٥ وج٢٠: ٢٨٤، والمناقب لإبن شهراشوب٣: ٣١٠، وج٤: ٩٣،روضة الواعظين:١٣٢، بحار الأنوار ٤٢: ٢٧٥، ب١٢٧.

الليلة الواحدة والعشرون

وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محراب الشَّهادة

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1]

ومما جاء في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا علي! من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبك فقد سبني لأنك مني كنفسي، روحك من روحي وطينتك من طينتي، إن الله تبارك وتعالى خلقني وإياك، واصطفاني وإياك، واختارني للنبوة واختارك للإمامة فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي**».

***

الإمام علي عليه السلام وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الليلة الواحدة والعشرون من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة كانت شهادة الإمام علي عليه السلام، والتي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي في خطبته الشعبانية، وبكى على هذه الفاجعة أمام مرأى المسلمين، ثم عاد بعدها ليبين موقع الإمام علي منه ومن الشريعة الإسلامية، وهذا الحديث من الأحاديث التي تنص على خلافة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعله كنفسه وروحه وبدنه، وما يصيب

(١) آل عمران: ١٦٩

الإمام يصيب النبي ﷺ، فالقاتل لعلي هو قاتل النبي ﷺ، والمبغض لعلي مبغض للنبي ﷺ، والسابّ لعلي ساب للنبي ﷺ، لأن علياً نفسه من نفس النبي ﷺ، وروحه من روح النبي ﷺ، وطينته من طينة النبي ﷺ، وهذا موقعه بالنسبة من النبي ﷺ وعلى لسان النبي الأعظم ﷺ.

أما بيانه لموقع علي من الشريعة فيقول ﷺ: «**إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك، واصطفاني وإيّاك، واختارني للنبوة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي**»، فبيّن الخلافة بأنّها نص إلهي مقدس وقد اختار الله له ﷺ النبوة، ولعلي عليه السلام الإمامة، وجعل حلقة الإمامة امتداداً لسلسلة النبوة، فالذي ينكر الإمامة ينكر النبوة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكل نبي وصياً ووارثاً وإن علياً وصيي ووارثي**»، وقال ﷺ: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي**»، وقال ﷺ: «**من آذى علياً فقد آذاني**»، إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة والمتواترة تواتراً معنوياً في بيان عظمة علي عليه السلام وارتباط إمامته بنبوة النبي ﷺ، وقد استوعب علماء المذاهب هذه الأحاديث وأثبتوها في كتبهم[1].

ثم يقول ﷺ في خطبته الشعبانية: «**يا علي! أنت وصيي وأبو ولدي وزوج ابنتي وخليفتي من بعدي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري ونهيك نهيي**»، فعلي عليه السلام لم يكن تنصيبه للإمامة من قبل النبي ﷺ إلاّ بأمر من الله تعالى، وتطبيقاً لإرادته، ومن هنا كان النبي ﷺ لا يترك أي مناسبة للتصريح

(١) راجع صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي،الكافي٨: ١٠٦، الإحتجاج١: ٥٠، شرح نهج البلاغة٢: ٢٦٤،بحارالأنوار٤٠: ٧٦-٩،ب٩١.

بإمامة علي عليه السلام أمام المسلمين إما قولاً أو عملاً وسلوكاً، وفعلاً، فقد كانت تصريحات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإمامته تعكس وتكشف عن عمق المؤهلات التي كان يمتلكها أمير المؤمنين عليه السلام فقد كانت فترة حكمه وخلافته إشعاعاً يضيء الدرب للناس، وقد نعم المسلمون في هذه الفترة بالعدل ونظام الحقوق بأعلى مصاديقها، إلى أن انبعث أشقى الآخرين وضربه على أم رأسه، وبقي أمير المؤمنين عليه السلام طريح الفراش إلى ثلاثة أيّام، وفي ليلة الواحدة والعشرين جاء الطبيب ليرى حال جرح الإمام عليه السلام وبعد أن فحصه، قال يا أمير المؤمنين أعهد عهدك فإنَّك لا تشفى من هذه الضربة، فأخذ أمير المؤمنين يوصي أمَّته وأتباعه وأهله بوصايا خُلِّدت في تاريخ الإسلام.

***

من وصايا الإمام علي عليه السلام

في الليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان أخذ الأمام علي ٨ يوصي ابنه الحسن وأشهد عليه أهل بيته وجميع ولده ومنهم الحسين ومحمد، ورؤساء شيعته، وهي وصايا خالدة لكل أتباعه وشيعته عليه السلام، لقد روى الهلاليّ العامري في كتابه أنّه شهد الإمام عليه السلام حين فدفع إليه سلاحه وكتبه وقال له:يا بُنيّ، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أوصى إليَّ ودفع إليَّ كتبه وسلاحه، أمرني أن أُوصي إليك وأدفع كتبي وسلاحي إليك، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام.

وكان ممَّن حضر مع الحسين ابنه علي بن الحسين صغيراً فأقبل علي عليه السلام على الحسين وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا وأخذ بيد ابنه علي بن

الحسين، وقال له: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد، فاقرأه من رسول الله ومني السلام، ثمّ عاد إلى ابنه الحسن وقال له: يا بُنيّ، أنت وليّ الأمر ووليّ الدم بعدي، فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة مكان ضربة، ولا تمثّل به، ثمّ قال له: اكتب[1]: « **بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب: أوصى: أ نّه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله..... ثمّ أُوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**[2]، **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**[3] **فإنّي سمعت رسول الله** ﷺ يقول: **صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصوم، وإن البِغضة حالقة الدين وفساد ذات البين ولا قوة إلاّ بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصِلوهم يهوِّن الله علكيم الحساب.**

والله الله في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم، ولا تُضيعوا من بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله ﷺ **يقول: من عال يتيماً حتّى يستغني أوجب الله له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار.**

والله الله في القرآن لا يسبقْكم بالعمل به غيركم.

والله الله في جيرانكم، فإن رسول الله ﷺ **أوصى بهم.**

ولله الله في بيت ربّكم فلا يخلونَّ منكم ما بقيتم، فإنّه إن يُترك لم تُناظروا، وإنّ أدنى ما يرجع به من أَمه أن يُغفر له ما قد سلف.

---

(١) أملأ الوصية الإمام على الحاضرين وكتبها كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، (مقتل الإمام لابن أبي الدنيا: ٤٨، الحديث ٣١ عن الكلبي عن الباقر عليه السلام

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

والله الله في الصلاة فإنها خير العمل، وإنها عمود دينكم. والله الله في الزكاة فإنها تطفي غضب ربكم.

والله الله في شهر رمضان فإن صيامه جُنّة من النار.

الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معيشتكم.

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان: إمام هدى ومطيع له مقتد بهداه.

والله الله في ذريّة نبيّكم، فلا يُظلمنّ بين أظهركم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم! والله الله في أصحاب نبيّكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً! فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث!

والله الله في النساء وما ملكت أ يمانكم! ولا تخافنّ في الله لومة لائم فيكفيكم الله وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله. ولا تتركنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الله الأمر أشراركم فتدعون فلا يستجاب لكم!

يا بُنيّ، عليكم بالتواصل والتباذل والتبارّ، وإياكم والنفاق والتقاطع، والتدابر والتفرّق، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

حفظكم الله من (أهل بيت) وحفظ فيكم نبيّكم. أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»[2].

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس ٢: الحديث ٦٩، وفي نهج البلاغة ك ٤٧، وفي فروع الكافي ٧: ٥١ عن الإمام الكاظم عليه السلام كما عنه في بحار الأنوار ٤٢: ٢٤٨.

ولمّا حضرته الوفاة قال للحسن والحسين: إذا أنا متّ (فضعاني) على سريري واحملا مؤخّر السرير فإنكما تكفيان مقدّمه (حتّى تبلغا) بي الغريّين[١] فتريان صخرة بيضاء تلمع نوراً! فاحتفرا فيها، فإنكما تجدان فيها (خشبة) ساجة، فادفناني فيها[٢]. ثم عرق جبين الإمام عليه السلام وسكن أنينه، فقالت زينب: يا أبه أراك عرق جبينك، وسكن أنينك، قال عليه السلام: يا بنية سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت، ودنت وفاته عرق جبينه، وسكن أنينه، فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها، وقالت: يا أبه حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال عليه السلام: «يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، كأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبرا صبرا فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم...»[٣].

ثمَّ نظر إلى أولاده فرآهم تكاد تزهق أرواحهم من شدة البكاء والنحيب فقال لهم: «أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما وعدني فإذا أنا مت يا أبا محمد، فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم على مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، وصلي عليّ يا بني حسن وكبّر عليّ

(١) الغريّان تثنية الغريّ وهو فعيل بمعنى المفعول من الغري أي الطلاء والصبغ، وهما قبران قائمان لنديمي المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة المقتولين بأمره سكراناً، قبل الإسلام، في النجف بظهر الكوفة، معجم البلدان ٤: ١٩٨. والنسبة إليها: الغروي، واصطلح بها على أهل العلم منها، واصبح واشتهر الغري إسماً آخر للنجف الأشرف.

(٢) الإرشاد ١: ٢٣ ٢٤.

(٣) كامل الزيارات:٢٦٥ب٨٨، بحارالأنوار٢٨: ٦٠ب٢.

سبعاً واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت عليّ فنح السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً منقوباً، وساحة منقوبة، فضعني فيها ثم اشرج اللحد باللبن، وأهِلِ التراب عليّ، ثم غيّب قبري»[1].

***

شهادة الإمام عليه السلام في شهر الصيام[2]

أخذ الإمام عليه السلام في الليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان يودع أولاده الواحد بعد الآخر، ثم أغمي عليه ساعة وأفاق، وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمي حمزة وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون، ولما دنت وفاته قال يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأنكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هاهنا، وهاهنا فاصبرا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين، ثم قال يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته وقال استودعكم الله جميعاً، وحفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة.

ولم يزل أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الليلة يسبح الله ويذكره كثيراً، ثم استقبل القبلة وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رفقا بي ملائكة ربي»، ثم عرق جبينه وسكن أنينه،

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧: ٥، ٤٧.

(٢) للإطلاع على خبر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بالكامل راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة٦: ١١٥ وج٢٠: ٢٨٤، والمناقب لإبن شهراشوب٣: ٣١٠، وج٤: ٩٣،روضة الواعظين:١٣٢، بحار الأنوار ٤٢: ٢٧٥، ب١٢٧.

وغمض عينيه، ومد رجليه ويديه، وقضى نحبه شهيداً[١].

وأقبل الناس رجالاً ونساء نحو بيت الإمام عليه السلام، وهم ينادون وإمامنا، واعلياه، فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال محمد بن الحنيفة: ثم أخذنا بجهازه ليلاً، وكان الحسن عليه السلام يغسله، والحسين عليه السلام يصب الماء عليه، وكان لا يحتاج إلى من يقلبه، بل كان ينقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثم نادى الإمام الحسن عليه السلام أخته زينب وقال يا أختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم لفوه بخمسة أثواب ووضعوه على السرير، وأخذ الحسن عليه السلام يصلي على أبيه عليه السلام بالناس، وحمل السرير هو والحسين عليهما السلام وسائر بني هاشم، وتوجه به حسب وصية أمير المؤمنين حتى وصلوا إلى النجف، فوضع مقدم السرير، فوضع الحسنان مؤخره، ثم وجدوا حجراً كتب عليه: «**هذا ما ادخره آدم ونوح للعبد الصالح علي بن أبي طالب**» فلما كشفوا عن القبر وأرادوا إنزاله سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، وانتهى الدفن قبل الفجر وأخفوا قبره كما أوصى به، لأنه عليه السلام كان يعلم عداوة الخوارج والأعداء له، وكان القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وخواص شيعتهم إلى

(١) قال اليعقوبي : أقام الإمام علي عليه السلام بعد ضربته يومين، وتوفى في أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين ومن شهور العجم(اليوناني) في كانون الثاني، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وغسّله الحسن عليه السلام بيده، وصلّى عليه وكبّر سبعاً وقال: أمَّا إنّه لا يُكبّر (سبعاً) على أحد بعده، ودفن (بظهر) الكوفة في موضع يقال له الغريّ،(تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٢)، وقال ابن قتيبة:..، وصلّى عليه ابنه الحسن، وعمّى قبره مخافة أن تنبشه الخوارج، (الإمامة والسياسة ٢: ١٦١)، وروى الاصفهاني بسنده عن أبي مخنف: أنّه عليه السلام ودفن عندصلاة الصبح (مقاتل الطالبيين: ٢٥).

أيام هارون الرشيد[١].

وبلغ نعي الإمام عليه السلام في الشام إلى معاوية وهو متّكئ في مجلسه، فاستوى جالساً والتفت إلى مغنيّته وقال لها: يا جارية غنّيني فاليوم قرّت عيني، ولعلّ هذا أثار أبا الأسود الدؤلي البصري فقال معرّضاً به:

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتينا
قتلتم خير من ركب المطايا وأكرمهم ومن ركب السفينا

نعم قد قتلوا من كان خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أباً حنوناً لهذه الأمة[٢]، وقد فجعت وتيتمت هذه الأمة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام في شهر الصيام،فيحق لجميع المسلمين بالأخص الموالين لعلي عليه السلام أن يبكوا عليه، لأنَّهم فقدوا إماماً عادلاً صادقاً برَّاً تقياً:

ألا يا عين جودي فاسعدينا ألا فابكى أمير المؤمنينا
إمامٌ صادقٌ بَرٌّ تقيٌّ فقيهٌ قد حوى علماً ودينا
وكنا قبل مقتله بخير نرى المولى رسول الله فينا
فلا والله لا أنسى علياً وحسن صلاته في الراكعينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طُرَّاً أجمعينا
وتبكي أم كلثوم عليه بعبرتها وقد علت الحنينا

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٥،ح٥٨.

(٢) حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة» (عيون أخبار الرضا ٢:٨٥ب٢٢، كمال الدين ١:٢٦١ب٢٤).

الليلة الثانية والعشرون

التوبة أو الرجوع إلى الله

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[1].

ومما جاء في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم: «...**وتوبوا إلى الله من ذنوبكم**،...»

***

أنواع الذنوب وآثارها

الذَّنب في اللغة هُو الإثم والجرم والمعصية، وفي اصطلاح الشريعة الإسلامية، ارتكاب فعل منهي عنه، أو ترك فعل مأمور به، والذنوب تنقسم إلى ما يكون بين العبد وربه وتسمّى حقوق الله، كترك العبادات، وإلى ما بين العباد أنفسهم وتسمّى حقوق الناس، كقتل النفس والسرقة وغيرها، وبعض هذه الذنوب كبيرة وبعضها صغيرة، والمشهور عند العلماء أن الكبائر من الذنوب هي التي توعد الله مرتكبيها بالنار، فعن الإمام الصادق عليه السلام في

(١) التحريم: ٨.

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[١] قال: «**الكبائر التي أوجب الله عليها النار**»[٢]، وسئل عن الإمام الصادق عليه السلام عن الكبائر من الذنوب فقال: «**هي في كتاب علي عليه السلام سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزَّحف، والتَّعرب بعد الهجرة**»، قيل له: فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً اكبر أم ترك الصلاة؟ قال عليه السلام: ترك الصلاة قيل: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر، فقال عليه السلام: «أي شيء أوَّل ما قلت لك»؟ قال الكفر، قال عليه السلام: «**فانَّ تارك الصلاة كافر**»[٣].

والذنوب الصغيرة تكبر بالإصرار والاستهانة، ومعنى الإصرار أن يذنب العبد فلا يستغفر ولا يحدّث نفسه بتوبة، ومن نيته أن يقيم عليه، ومعنى الاستهانة: أن يقلل من أهمية الذنب فإن ذلك يوجب لإنقلابه كبيراً.

ومهما كانت الذنوب وبأي شكل من الأشكال، فهي في الواقع مخالفة لله، وخروج عن طاعته، وهي من الأمور التي يدرك العقل، وينطق الشرع بذمّها وقبحها لما تحمله من آثار وخيمة وتبعات جسيمة على الفرد والمجتمع، في الدنيا والآخرة ومن جميع الجهات منها:

الأول: تأثير الذنوب على روح الإنسان

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من عبدٍ مؤمن إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فإن أذنب، خرج من تلك النكتة نكة سواد، فإن تاب امحت، وإن تمادى في**

(١) النساء: ٣١.
(٢) أصول الكافي ٢: ٢٧٦.
(٣) أصول الكافي ٢: ٢٧٨.

الذنوب اتسع ذلك السَّواد حتَّى يغطي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خيرٍ أبداً»[١]، وهو قول الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما جفَّت الدموع إلاَّ لقسوة القلوب، وما قَسَت القلوب إلاّ لكثرة الذنوب**»[٣]، وعنه قال عليه السلام: «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب»[٤].

الثاني: تأثير الذنوب على عبادة الإنسان

إنَّ كثرة الذنوب تسلب التوفيق للطاعة، والعبادة والتلذذ بالدعاء، والمناجاة مع قاضي الحاجات، كما أنها تمنع الإجابة، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال الله تعالى: «**إنّ أدنى ما اصنع بالعبد، إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي**»[٥]، وروي عنه عليه السلام «**أنَّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم**»[٦]، وروي عنه عليه السلام: «**إنَّ الرجل ليكذب فيحرم بها صلاة الليل، فإذا حَرُم صلاة الليل حرم الرزق**»[٧]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنَّ العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله للملك: لا تقضي حاجته واحرمه إياها، فإنه**

---

(١) أصول الكافي٢: ٢٧٣، بحار الأنوار ٧٣: ٣٣٢.

(٢) سورة المطففين: ١٤.

(٣) علل الشرايع: ٨١، بحار الأنوار ٧: ٥٥، وسائل الشيعة ١١: ٣٣٧.

(٤) أصول الكافي ٢: ٢٧٥، بحار الأنوار ٧٣: ٢٤٢.

(٥) إحياء علوم الدين ٤: ٥٢.

(٦) أصول الكافي ٢: ٢٧٢، بحار الأنوار ٧٣: ٢٧٣.

(٧) التهذيب ٢: ١٢٢،ح ٤٦٣.

تعرض لسخطي واستوجب الحرمان منها»[١]، ولذا ورد في دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، ... فأسألك بعزتك أن لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي**».

الثالث: تأثير الذنوب في جلب المصائب وسلب النعم

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من بلية ولا نقص رزقٍ ولا عرقٍ يضرب ولا نكبة ولا صداعٍ ولا مرضٍ حتى الخدش والكبوة والمصيبة إلاّ بذنب**»، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٣]، ثم قال: «**وما يعفو الله عنه أكثر مما يؤاخذ به**»[٤]، وروي: «**أن من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال**»[٥].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنَّ الله قضى حتماً أن لا ينعم على العبد بنعمه فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة**»[٦]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا غضب الله على أمة، ولم ينزل بها العذاب، غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجّارها، ولم تزك ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلط عليها أشرارها**»[٧].

---

(١) أصول الكافي ٢: ٢٧١، بحار الأنوار ٧٣: ٣٢٩.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) سورة الشورى: ٣٠.

(٤) أصول الكافي ٢: ٢٦٩، بحار الأنوار ٧٣: ٣١٤ و٣٥٠.

(٥) بحار الأنوار ٥: ١٤٠.

(٦) أصول الكافي ٢: ٢٧٣.

(٧) أصول الكافي ٥: ٣١٧، بحار الأنوار ٥٨: ٣٣٤.

الرابع: تأثير الذنوب في الآخرة

يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[٢]، وروي: «**من أذنب وهو ضاحك، دخل النار وهو باكٍ**»[٣].

***

موقف الإسلام والمسلمين من المذنبين

يتجه الإسلام إلى معالجة المذنبين، والمنع من سراية هذا المرض إلى الآخرين، ومن أجل توفير الجو الاجتماعي اللازم للمعالجة يحذّر الإسلام تحذيراً شديداً من تعيير المذنب وملامته، بحيث يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: «**لا تعيرنَّ أحداً بالذنب**»[٤]، وحّذر الإسلام من ردود الفعل الناتجة عن التعيير، فقد جاء في قول الإمام علي عليه السلام: «**الإفراط في الملامة يشِبُّ نيران اللجاج**»[٥]، ولكن عدم تعيير المذنبين لا يعنى زوال سدود المناعة بين المذنب وأفراد المجتمع فلا بُدَّ من إيجاد الموانع، ومن تلك الموانع والحواجز النفسية التحذير عن مصاحبة المذنبين يقول الإمام علي عليه السلام: «**لا تصحب الشرير فإنَّ طبعك يسرق من طبعه شراً وأنت لا تعلم**»[٦].

(١) سورة البقرة: ٨١.

(٢) سورة الجن: ٢٣.

(٣) ثواب الأعمال: ٢٤٦، وسائل الشيعة ١١: ٢٤٠.

(٤) بحار الأنوار ٧٣: ٣٨٦.

(٥) تحف العقول: ٨، ماروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام.

(٦) شرح نهج البلاغة ٢: ٥٣٨.

ومن أجل خلق المناعة النفسية في ذات المسلم من التلوث بأمراض المذنبين، يأمر الإسلام أن تشمئز نفوسنا من الذنب ومرتكبه، فعن علي عليه السلام قال: «**أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نلقى المذنبين بوجوه مكفهرة**» وعن الصادق عليه السلام: «**أدنى الإنكار أن يلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة**»[1]، وروي أن عيسى عليه السلام قال: «**تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم**»[2].

وهناك موقفين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إزاء المذنبين نذكرهما، ثم نتطرق لحقيقة التوبة وفضلها وآثارها.

١ـ موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزاء المتخلفين عن الجهاد

في السنة التاسعة للهجرة بلغ نبأ انعقاد معاهدة بين قبائل شمال الجزيرة العربية وامبراطور الروم للهجوم على المدينة، فجهّز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً واتجه إلى تبوك، فتخلف عن تلك الحملة مجموعة من المنافقين وآخرون من المسلمين لأسباب مختلفة، وكان ممن تخلف كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، فلم يخرجوا معه، لا عن نفاق ولكن عن تهاون وتساهل، ثم ندموا.

ولما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة عائداً من الغزوة جاؤوا اليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر المسلمين أن لا يكلموهم، فهجرهم الناس حتى الصبيان، وجاءت نساؤهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلن له: يا رسول الله نعتزلهم؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم «لا، ولكن لا يقربوكن»، فضاقت عليهم الدنيا، فخرجوا إلى رؤوس

(١) التهذيب ٦: ١٧٦.

(٢) جامع السعادات ٣: ١٨٧.

الجبال، وكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد منهم، فهلاّ نتهاجر نحن أيضا؟! فتفرقوا، ولم يجتمع منهم اثنان، وبقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، فقبل الله تعالى توبتهم ونزلت الآية فيها إشارة إلى قبول توبتهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

٢ـ موقف النبي ﷺ: أزاء الشَّاب المذنب!

روى الشيخ الصدوق: أنه دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكياً، فسلم عليه فردَّ ﷺ ثم قال ﷺ: ما يبكيك يا معاذ؟! فقال: يا رسول الله إن بالباب شاباً طريّ الجسد نقي اللون حسن الصورة يبكي كبكاء الثكلى، يريد الدخول عليك، فقال النبي ﷺ أدخله عليّ، فأدخله عليه، فسلّم على الرسول، ثم قال له: «ما يبكيك يا شاب؟» قال الشاب: كيف لا أبكي وقد ارتكبت ذنوباً لو أخذني الله عز وجل ببعضها أدخلني نار جهنم، ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً.

قال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئاً؟

قال الشاب: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً.

قال النبي ﷺ: أقتلت النفس التي حرّم الله؟

قال الشاب: لا.

قال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي.

قال الشاب: فإنها أعظم من الجبال الرواسي.

---

(١) سورة التوبة: ١١٨.

قال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضيين السبع وبحارها، ورمالها وأشجارها، وما فيها من الخلق.

قال الشاب: فإنها أعظم من ذلك.

قال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي.

قال الشاب: فإنها أعظم من ذلك.

قال الراوي: فظهر النبي ﷺ كهيئة الغضبان، ثم قال: ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك؟!

فخّر الشاب لوجهه وهو يقول: سبحان الله ربي ما شيء أعظم من ربي، فقال النبي ﷺ: ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك.

قال الشاب: بلى أخبرك، إني كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها، وجن عليها الليل، أتيت قبرها، فنبشته، ثم استخرجتها، ونزعت ما كان عليها من أكفانها، وتركتها متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً، فأتاني الشيطان، وأقبل يزينها لي، ولم يزل يوسوس حتى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين، يوم يوقفني وإيَّاك كما تركتني عارية في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي، فويل لشبابك من النار... ثم قال: فما أظن أني أشم ريح الجنة أبداً، فما ترى لي يا رسول الله؟!

فقال النبي ﷺ: «تنح عني يا فاسق إني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار»!! ثم لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه بالخروج حتى خرج من بين يديه، فأتى المدينة فتزود منها، ثم أتى إلى بعض جبالها، فتعبَّد فيها ولبس مسحاً وغلَّ يديه جميعاً إلى عنقه، وأخذ يبكي ويدعو ويتضرع حتى بكى الوحش لبكائه وحنَّ الطير عليه فمضى عليه أربعون ليلة وهو بهذه الحالة، ثم رفع يديه بعدها إلى السماء وقال: اللهم ما فعلت في حاجتي؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلِّصني من فضيحة يوم القيامة، فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[1]، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويبتسم، فطلب من أصحابه أن يدلوه على مكان ذلك الشاب التائب، فذهب إليه مع أصحابه فإذا بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه، وقد اسودَّ وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء، فدنا منه رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه، وقال له: أبشِّرك فانَّك عتيق الله من النار، ثم قال ﷺ لأصحابه: «هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول الشاب»، ثم تلا عليه ما أنزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة[2].

***

(١) آل عمران: ١٣٥،١٣٦.

(٢) بحار الأنوار ٢٦: ٢٣.

التوبة والرجوع إلى الله تعالى

بما أن الإنسان العادي الذي عنده الغرائز والشهوات والطموحات، ويريد أن يحصل على الكثير من الملّذات الدنيوية، فهو معرض لمخالفة أوامر الله ونواهيه، عن عمدٍ أو سهوٍ أو قصور أو تقصير، فيرتكب أحياناً الذنوب والمعاصي من الصغائر أم من الكبائر، فلابد لمرتكب هذه الذنوب من طريق الرجوع والتخلص منها ليمحوا آثارها وينجوا من عقابها، والطريق الوحيد هو الاستغفار والتوبة، وهو الباب الذي فتحه الله لجميع عباده لطفاً ورحمة منه سبحانه وتعالى، ولو لا ذلك لم ينج أحد من العذاب ،فهي فرصة جديدة للإنسان التائب أن يبدأ بحياة جديدة، خالية من الذنوب.

***

ضرورة التوبة والتعجيل بها

والتوبة إلى الله والرجوع إليه واجب على جميع الناس، بحكم العقل والشرع، أما العقل فيحكم بوجوب الاحتراز عن الذنوب والأمراض المهلكة، والمفوتة للحياة السعيدة في الدارين، وأمّا حكم الشرع، فهناك آيات وروايات عديدة تأمر وتحث على لزوم التوبة، وتصرّح بأنَّ الله يقبل التوبة من عباده التائبين، ويحبهم ويسكنهم جناته، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[1]، والتوبة النصوح أن يتوب العاصي والمذنب، ويستقيم إلى آخر عمره، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا تاب العبد توبة**

(١) سورة التحريم: ٨.

نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة»[١]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، حيث يستفاد من كلمة جميعاً في الآية، أن المخاطبين هم جميع الناس، ومنهم الأنبياء والأولياء والصالحين، فكل البشر يحتاجون إلى التوبة بمعناها العام، وهُو الرجوع إلى الله سبحانه، ولكن كل إنسان حسب درجته ومنزلته، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب إلى الله ويستغفر الله، ويستغفر في كل يوم وليلة مئة مرة من غير ذنب، إنَّ الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب، فإن ذنب كل أحدٍ إنّما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله**»[٤]، ولذا قيل: «**حسنات الأبرار سيئات المقربين**»[٥].

وهناك الأخبار والروايات الكثيرة التي تؤكد على لزوم التوبة وفضلها وآثارها، تركناها للاختصار.

وبحكم العقل والشرع يجب التَّسريع والتعجيل في محو السيئة بالتوبة، لأنَّ من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف[٦] كان بين خطرين، أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ريناً وطبعاً، فلا يقبل المحو والتوبة

(١) أصول الكافي ٢: ٤٣٠.

(٢) إحياءعلوم الدين ٤: ٦.

(٣) سورة النور: الآية٣١.

(٤) أصول الكافي ٢: ٤٥٠.

(٥) بحار الأنوار ٧٠: ٣١٦، ب١٣٧.

(٦) بأن يقول: سوف أتوب في المستقيل.

أبداً والثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

***

شروط قبول التوبة

التوبة من العبد هي الندم من الذنوب، والرجوع إلى الصراط المستقيم بعد الانحراف عنه، وتتحقق ضمن دعائم وشروط حتى تصبح توبة نصوحاً، ودعائم التوبة كما جاء عن الإمام علي عليه السلام أربعة: «**ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزم على أن لا يعود**»[2]، وروي عنه عليه السلام أنه سمع رجلاً يقول: أستغفر الله فقال له: «ثكلتك أمك أو تدري ما الاستغفار؟! الاستغفار درجة العليين، وهُو اسم واقع على ست معان: الندم على ما مضى، والعزم على ترك العود إليه أبداً، وأن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس[3] ليس عليك تبعة، وأن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها، وأن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت[4] والمعاصي فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، وأن تذيق الجسم ألم

(١) سورة النساء: ١٧و١٨.

(٢) إرشاد القلوب ١: ٤٧.

(٣) شيء أملس أي: لا خشونة فيه، نزّل حقوق الناس، منزلة الخشونة، فمن أداها بتمامها فكأنما أزالها فصار أملس.

(٤) هو الحرام، ويسمى الحرام سحتاً لأنه يسحت مروؤة الإنسان أي: بتأصله.

الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، عند ذلك تقول: أستغفر الله»[1].

ونستنتج من هذا الحديث طريق التوبة، وكيفية التخلص من تبعات الذنوب، فإن للذنوب صوراً وجوانب مختلفة: منها ما يكون بين العبد وخالقه، وتسمى حقوق الله، وهي قسمان ترك الواجبات وفعل المحرمات، وطريق التوبة من ترك الواجبات بعد الندم والاستغفار هو الاجتهاد في قضائها وتلافيها، وأما فعل المحرمات فسبيل التوبة منها الندم على ارتكابها، والعزم الصادق على تركها، ومن الذنوب ما تكون بين العبد وأفراد المجتمع، وتسمى حقوق الناس، وهي أشدّها مسؤولية، كغصب الأموال، وقتل النفوس البريئة المحرمة، وغيرها، والتوبة منها بإرضاء أصحابها وأداء حقوقهم، فإن عجز عن ذلك فعليه بالاستغفار، والتضرع إلى الله عز وجل، بأن يرضيهم عنه بأعمال صالحة يهبها لهم تنفعهم في يوم الحساب، وبهذا تكون التوبة، صادقة ومقبولة، وينال بها التائب شرف الرضوان والمحبة من الله سبحانه حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

***

توبة قوم يونس على يد العالم

عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما ردَّ الله العذاب إلاّ عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإيمان فيأبون ذلك، فهمَّ أن يدعو عليهم وكان فيهم رجلان: عابد وعالم، وكان إسم أحدهما مليحا، والآخر روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٥٦، بحار الأنوار ٦: ٣٦ب ٢٠.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

ويقول: لا تدع عليهم، فإن الله يستجيب لك، ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا، في شهر كذا، في يوم كذا، فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيهم، فلما كان في ذلك اليوم الموعود نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم، فقالوا: كيف نصنع؟ قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة وفرّقوا بين النساء والأولاد، وبين الإبل ورضعانها، وبين البقر وفصيلها، وبين الغنم وسخالها، ثم ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا، فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب، وفرق العذاب على الجبال، وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس ينظر كيف أهلكهم الله فرأى الزارعون يزرعون في أرضهم، فقال لهم: ما فعل قوم يونس؟

فقالوا له ـ ولم يعرفوه: إن يونس دعا عليهم فاستجاب الله له، ونزل العذاب عليهم، فاجتمعوا وبكوا ودعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم، وفرّق العذاب على الجبال، فهم إذن يطلبون يونس ليؤمنوا به[1].

***

توبة رجل من بني إسرائيل

روي أنّه قحط بنو إسرائيل على عهد موسى فخرجوا للاستسقاء مرّات عدّة، فلم يستجب لهم، فرقى موسى الطور ليلة وبكى وقال: اللهمَّ إن كان خَلِقَ ـ أي بَلِيَ ـ جاهي عندك فإنّي أسألك بجاه النبيّ الأمي الذي وعدت

(١) بحار الأنوار١٤: ٣٨٠،ب ٢٦.

أن تبعثه آخرالزّمان أن تسقينا، فأوحى الله إليه أن يا موسى: جاهك عندي لم يخلق، وإنّك عندي لوجيه، ولكنّ بين أظهركم عبداً قد بارزني بالمعاصي أربعين سنة، فإن أخرجتموه من أظهركم سقيتكم.

فجعل موسى يتخلّل الصّفوف وينادي: أيُّها العبد العاصي ربَّه أربعين سنة اخرج عنَّا فإنَّ الله بك منعنا،ثمَّ أنَّ العاصي سمعه فعرف أنَّه المعنيُّ بذلك فقال في نفسه: ما أصنع ، إن مكثت بينهم منعهم الله لأجلي، وإن خرجت عنهم عرفوني وافتضحت في بني إسرائيل، ثمَّ إنَّه أدخل رأسه في قميصه، فقال: إلهي عصيتك بجهدي، وتجرّأت عليك بجهلي، وقد أتيتك تائباً نادماً فاقبلني، ولا تمنعهم من أجلي، فما استتمّ كلامه حتَّى جاءت غمامة بيضاء، فطبّقت الآفاق، وتفتَّقت بغزير الماء.

فقال موسى: إلهي إنّك سقيتنا ولم يخرج من بيننا أحد؟

فقال: يا موسى إنَّ الذي منعتكم من أجله سقيتكم به.

فقال: إلهي فدلَّني عليه.

فقال: يا موسى إنّي سترت عليه في حال المعصية، فكيف أفضحه في حال التوبة؟![1].

***

توبة الحُر الرياحي

لما وقف الحر في صف عمر بن سعد كانت ترتعد فرائصه، فقال له قرة: يا حر مالي أراك ترتعد خوفاً، ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك،

(١) من شواهد المبلغين: ٣٠٦،الشاهد رقم ٦٧.

فقال له: والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار والله لا أختار على الجنة شيئاً ثم ضرب لجام فرسه وأقبل نحو الحسين، منكّساً رمحه، قالباً ترسه، وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول، رافعاً صوته: قائلاً: اللهم إليك أنبت فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك ثم قال للحسين ٨: السلام عليك يا أبا عبد الله جعلت فداك أنا الذي حبستك عن الرجوع وجعجعت بك في هذا المكان وما ظننت أن القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، وأنا تائب إلى الله مما صنعت فهل ترى لي من توبة؟ فقال له الحسين عليه السلام: نعم يتوب الله عليك، ولم يكتف بذلك حتى استأذن الحسين عليه السلام في أن يكلّم القوم، فأذن له، فنادى بعسكر عبيد الله يعظهم ويبيّن لهم الحقّ، إلاّ أنّ القوم حملوا عليه بالنبل، حتّى نزل إلى ساحة المعركة يدافع عن الإمام الحقّ أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقتل من أعداء الله نيّفاً وأربعين، ثمّ شدّت عليه الرجّالة غدراً فصرعوه، فأبّنه الحسينُ عليه السلام، وحزن عليه؛ وقال: قتلة مثل قتلة النَّبيين وآل النَّبيين، ثمّ التفت إلى الحرّ ـ وكان به رمق فقال عليه السلام له ـ وهو يمسح الدم عنه: أنت الحرُّ كما سمَّتك أُمُّك، وأنت الحرُّ في الدنيا وسعيد الآخرة[1].

(١) نقلت قصة الحّر وتوبته الكثير من كتب التاريخ والمقاتل منها تاريخ الطبري، ومناقب آل أبي طالب.

الليلة الثالثة والعشرون

المهدي الموعود، والمصلح المنتظر[١]

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً فذلك هو المهدي**»[٣].

***

المهدي الموعود في الشَّرايع السماوية

من البحوث الإسلامية التي قد نالت الإهتمام الكثير من قبل علماء

(١) باعتبار أن أحد علائم ظهور المهدي عليه السلام الصيحة في السماء، وفي بعض الأخبار تحديدها في اليوم (٢٣) من شهر رمضان، فالمناسب تخصيص الكلام في هذا اليوم عن الإمام المهدي الموعود عليه السلام.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٦٣، منهاج السنّة لابن تيمية ٤: ٨٦.

الإسلام هو موضوع الإمام المنتظر المهدي الموعود عليه السلام فقد بُحث من جميع جوانبه على ضوء الكتاب والسنّة واالعقل، كما تطرق لبحثه غير واحد من رجالات العلم والمعرفة في الأديان والمذاهب السماوية الأخرى، لأنَّ الإيمان والاعتقاد بظهور المصلح العالمي المنتظر الذي يشكِّل ويُمثِّل جوهرة الفكرة المهدوية في الإسلام كما هو موجود في الإسلام موجود في تلك الأديان والمذاهب أيضاً.

والإيمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي وإنتظار ذلك الوعد الإلهي، يعبّر عن حاجة فطرية عامة للإنسان وتقوّم هذه الحاجة على تطلع الإنسان إلى الكمال، فهي فكرة قديمة وليست مقصورة على الإسلام، وقد تعرّض القرآن لهذه الفكرة والوعد الإلهي الذي جاء في الزبور وهو كتاب داوود، والذِّكر وهو التوراة، كتاب موسى عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[1]، والآية الأخرى التي تشير إلى هذا الوعد الإلهي، قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[2].

والآيتان المذكورتان تنصَّان وتؤكِّدان على ذلك الوعد اللإلهي المقدس بإستخلاف المستضعففين على الأرض من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعن التمكين لهؤلاء دينهم الذي ارتضاه تبارك وتعالى لهم وهو في الواقع تكريم لخط الإيمان والصلاح والتَّقوى بجزاء دنيوي فضلاً عن الجزاء الأُخروي،

(١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٢) سورة النور: ٥٥.

فالآيتان تتحدثان عن عصر ظهور المهدي # كما هو واضح لمن تدبَّر فيهما، وعلى القول المشهور، وقد ناقش العلامة الطباطبائي ﵀ في تفسيره الميزان[١] الأقوال الأخرى التي أوردها المفسرون وأثبت عدم انسجامها مع دلالات الآيات التي لا يمكن تفسيرها بغير عصر ظهور المهدي،،فلابدَّ أن يتحقق هذا الوعد الإلهي يوماً ما، ولو كان هذا اليوم هو آخر يوم من عمر الدنيا كما ورد عن رسول الله ﷺ: «**لو لم يبقَ من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً**»[٢].

إنّ أمثال هذه الآيات والروايات التي لم نذكر إلا نماذج منها، وغيرها من الآيات، شواهد على أنَّ قيادة العالم ستنتهي لعباد الله الصالحين، وهذا الأمر لا خلاف فيه بين الأديان والمذاهب، وهذه الحقيقة من شأنها أن تساعد على إسقاط وبطلان الشبهة القائلة بتفرّد الشيعة بالقول بالمهدوية، وبطلان الشبهة القائلة بأن منشأ هذه الفكرة اليهود، وبطلان القول بأنَّ المهدوية أسطورة، إذ ليست هناك أسطورة تحظى بإجماع الأديان السماوية ويتبناها العلماء والمفكرون والفلاسفة.

وأيضاً تساعد على بطلان قول القائل بأنَّ فكرة المهدوية وليدة الظروف السياسية الحرجة التي عاشها أتباع أهل البيت ﷺ، فما أكثر المظلومين والمضطهدين على مَرِّ التاريخ وعبر الزمن وفي شتى بقاع الأرض ومع ذلك لم يعرف عنهم هذا الاعتقاد، وما أكثر الأفراد والجماعات التي آمنت بهذه الفكرة بدون معاناة لظلم واضطهاد.

---

(١) راجع تفسير الميزان: ١٤: ٣٢٩، و١٥: ١٥١.

(٢) مسند ابن حنبل ١: ٣٧٨.

إذن الإيمان بحتمية ظهور المصلح الديني العالمي وإقامة الدولة الإلهية العادلة في كل الأرض من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الأديان والمذاهب، والاختلاف بينهم إنما هو في تحديد هوية ومصداق هذا المصلح العالمي الذي يحقق جميع أهداف الأنبياء والأوصياء، وسنبحث حول هوية هذا المنقذ والمصلح العالمي، وسوف نبرهن على أنّه قد ولد ولا زال موجوداً ولكن غاب عن الأنظار لمصلحة علمها عند الله سبحانه وتعالى، ويتطلب منّا بحثٌ كهذا الرجوع لمرويات الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمصادر التاريخية ليتَّضح للجميع أنَّ ذلك المصلح العالمي العظيم قد ولد في منتصف شعبان سنة، ٢٥٥ من الهجرة في سامراء وهو المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، من ولد فاطمة عليها السلام ومن ذرية الحسين عليه السلام وهو الإمام والخليفة الثاني عشر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وبهذا المعنى وردت روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام [1].

والمتتبع للأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي المنتظر # في كتب علماء أهل السنّة سيجدها تنسجم مع روايات علماء الشيعة وتؤكد حقيقة واحدة، وهي: أن نسب المهدي عليه السلام يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه من أهل البيت عليهم السلام ومن الأئمة الإثني عشر المعصومين، وهو آخرهم، وهو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، ولتوثيق ذلك نستعرض بعضاً من تلك الروايات التي تحدَّثت عن اسمه ونسبه ولقبه وخروجه آخر الزمان.

***

(١) إنَّ الأخبار الواردة حول المهدي عليه السلام يتمثل في مئات الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام فراجع معجم أحاديث الإمام المهدي وكتاب منتخب الأثر للصافي الكلبايكاني والكتب الأخرى التي أُلِّفت في هذا الموضوع.

المهدي الموعود # في روايات أهل السنّة

قال ابن خلكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ) في وفيات الأعيان: «أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله، ثاني عشر الأئمة الإثني عشر على اعتقاد الإمامية المعروف بالحجة... كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين»[١]

وقال أحمد بن حجر الهيثمي الشافعي (المتولد عام ٩٧٤ هـ) في كتابه (الصواعق المحرقة) في آخر الفصل الثالث من الباب الحادي عشر ما هذا نصّه: «أبو محمد الحسن الخالص،(وجعل ابن خلّكان هذا هو العسكري)، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين... مات بسُرَّ من رأى، ودفن عند أبيه وعمّه، وعمره ثمان وعشرون سنة، ويقال: إنّه سُمّ أيضاً، ولم يخلّف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن أتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل لأنّه سُتِرَ بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب»[٢]

وروي عن أمّ سلمةأنَّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المهدي من عترتي، من ولد فاطمة**»[٣]، وعن علي عليه السلام، عن النبي ﷺ: «**المهدي منّا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**»[٤].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر الزمان رجل من**

---

(١) وفيات الأعيان٤: ١٧٦و ٥٦٢

(٢) الصواعق المحرقة،الطبعة الثانية: ١٢٤ وط.الثالثة: ٣١٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٤١، الباب١١،الفصل١.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٦٣، الباب١١،الفصل١ ومسند أحمدابن حنبل ١: ٨٤.

ولدي، اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً فذلك هو المهدي»[١].

وعن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكّرنا بما هو كائن، ثم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله عزّ وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي» فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: يا رسول الله من أي ولدك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ولدي هذا**» وضرب بيده على الحسين عليه السلام[٢].

ونرى بأنَّه قد خرّج أحاديث المهدي جماعة كثيرة من أئمة الحديث من علماء أهل السنة،حيث يقولصاحب عون المعبود في شرح سنن أبي داوود: إعلم أن المشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار، أنه لابُدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت عليهم السلام يُؤيد الدين، ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلاميّة، ويُسمّى بالمهدي، ويكون خروج الدجال بعده، وإنّ عيسى عليه السلام ينزل بعد المهدي، أو ينزل معه فيساعده على قتل الدجال، ويأتمّ بالمهديّ في صلاته، وخرّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة منهم أبو داوود، والترمذي، وابن ماجه، والبزاز، والحاكم، والطبراني وأبو يعلى وإسناد أحاديث هؤلاء بين الصحيح والحسن والضعيف[٣].

***

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ٣٦٣، منهاج السنّة لابن تيمية ٤: ٨٦.

(٢) مسند ابن حنبل ١: ٣٧٨،ينابيع المودة ٣: ٦٣ ب ٩٣.

(٣) عون المعبود في شرح سنن أبي داوود: ١٨٣٢، كتاب المهدي.

الإمامة المبكرة للإمام المهدي

قبل وفاة الإمام العسكري عليه السلام بخمسة عشر يوماً، كتب الإمام رسائل عديدة لشيعته من أهالي المدائن وسلّم الرسائل إلى خادمه أبي الأديان، وقال له: «امضي بها ـ أي بالرسائل ـ إلى المدائن، فإنك ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى «سرّ من رأى» يوم الخامس عشر «أي من سفره»، وتسمع الواعية في داري[1] وتجدني على المغتسل».

قال: أبو الأديان: فقلت يا سيدي فإذا كان ذلك فمن الإمام بعدك؟

قال عليه السلام: «مَنْ طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي، ومن يُصلّى عليَّ فهو القائم بعدي، فقلت زدني؟ فقال عليه السلام: «مَن أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي».

ثم منعتني هيبة الإمام أن أسأله عما في الهميان، وخرجت بالكتب «الرسائل» إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت «سرّ مَن رأى» يوم الخامس عشر ـ كما ذكر لي عليه السلام ـ فإذا أنا بالواعية «الصراخ» في داره، وإذا به على المغتسل، وإذا بجعفر بن علي أخ الإمام العسكري بباب الدار، والشيعة من حوله يُعزّونه بوفاة الإمام عليه السلام ويهنئونه بالخلافة والإمامة، فقلت ـ في نفسي ـ إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، فتقدمت فعزّيت وهنأت، فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد «خادم الإمام العسكري» فقال: يا سيدي قد كُفِّن أخوك، فقم وصلّ عليه، فتقدّم جعفر بن علي ليُصلّي على أخيه، فلّما همّ بالتكبير خرج صبّي بوجهه سُمُرة، بشعره قطط[2] بأسنانه تفليج[3] فجذب رداء

(١) الواعية: الصراخ على الميّت.

(٢) أي: مجعّد.

(٣) أسنانه متوالية غير متراكبة بينها فواصل دقيقة.

جعفر بن علي وقال: «تأخّر يا عم، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»، فتأخر جعفر، وقد إربدّ وجهه واصفرّ، فتقدم الصبيُّ وصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه الهادي عليه السلام ثم قال الصبي: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت هذه بيّنتان بقي الهميان!!

بينما نحن جلوس، إذ قدم نفر «جماعة» من قم، فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فعرفوا موته: قالوا: فمَن الإمام بعده؟ فأشار الناس إلى جعفر، فسلّموا عليه، وعزّوه، وهنئوه، وقالوا: إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام جعفر ينفض أثوابه ويقول: وتُريدون منّا أن نعلم الغيب؟!

فخرج الخادم ـ أي: خادم الإمام المهدي عليه السلام ـ فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار، عشرة دنانير منها مطليّة «بالذهب». فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام..... إلى آخر الحديث».

وترى جعفراً يصرُّ على باطله ولا يتنازل عنه، وقد حمل إلى الخليفة المعتمد العباسي عشرين ألف دينار، لما توفي الحسن العسكري وقال له: يا أمير المؤمنين.... تجعل لي مرتبة أخي الحسن ومنزلته!!

فقال الخليفة: اعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا، إنّما كانت بالله عزّ وجلّ، ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله عزّوجلّ يأبى إلاّ أن يزيده رفعة، لما كان فيه من الصيانة والعلم والعبادة.

فإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك،لم نُغنِ عنك شيئاً[1].

(١) كمال الدين ٢: ٤٧٥.

نعم تولّى الإمام المهدي عليه السلام بعد وفاة أبيه عليه السلام إمامة المسلمين في صغر سنه، حيث كان عمره آنذاك خمس سنين، وهذه الإمامة المبكرة كانت ظاهرة لها واقعيتها في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، فالإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي تولّيا الإمامة في الثامنة، أو التاسعة من عمرهما، وحينئذٍ لم يعد هناك اعتراض فيما يخص الإمامة المبكرة للإمام المهدي عليه السلام، ويكفي دليلاً ومثالاً لظاهرة الإمامة المبكرة، قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ۝ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[2]، فإنّ الله الذي أعطى يحيى الحكم وهو صبيّ، وأعطى النبوة لعيسى وهو في المهد صبياً، قادر على إعطاء الإمامة لعدد من أوليائه، ومنهم الإمام المهدي عليه السلام، وهو في سن الصبا، وقد تحقق ذلك فعلاً، ولا حاجة لمزيد من الأدلّة لإثبات ذلك بعد ما ذكرنا من الكتاب الكريم من المصاديق المشابهة.

***

غيبة الإمام المهدي

لعل أهم بحث يرغب المسلم معرفته، ويتعطّش المؤمن لاستماعه وفهمه، هو البحث عن غيبة الإمام المنتظر عليه السلام، ومعرفة الأسباب التي دعت إلى هذه الغيبة، والعوامل الكامنة خلف احتجابه عن أنظار المسلمين، وعدم الحضور في المجتمع لممارسة مهامه كإمام وزعيم في الساحة الاجتماعية والسياسية وغيرها، كما يهم القرّاء والمستمعين معرفة معنى الغيبة وأسبابها وفوائدها،

(١) سورة مريم: ١٢.

(٢) سورة مريم: ٢٩، ٣٠.

ومعرفة توابع الغيبة من امتداد عمره الشريف إلى يومنا هذا، وعدم خضوع الإمام لظاهرة الشيخوخة وغيرها من المسائل المتعلقة بالغيبة والظهور، التي سوف نتحدث عنها باختصار.

فمعنى غيبة الإمام المنتظر اختفاؤه عن عيون الناس حسب إرادة الله، فلا تراه العيون مع كونه موجوداً، أو يراه البعض ولكن لا يعرفه، كما دلت على ذلك بعض الروايات، ولذا عند ظهوره يقول الكثير من الناس إني قد رأيته من قبل.

وقد اختلف العلماء والمحدثون حول بداية الغيبة الصغرى، هل أنّها بدأت من أوائل عمر الإمام المهدي ٨، وفي عهد والده الإمام العسكري ٨؟ أم بدأت بعد وفاة الإمام العسكري؟ المشهور هو القول الثاني، وعليه فتكون الغيبة الصغرى للإمام في سامراء من عام «٢٦٠هـ. ق» يوم وفاة أبيه الإمام العسكري إلى عام «٣٢٩ هـ. ق» الذي توفي فيه النائب الرابع للإمام المهدي، أبو الحسن علي بن محمد السَّمري، وحينئذ تكون الغيبة الصغرى ٦٩ عاماً.

وفي زمن الغيبة الصغرى لّما كان الإمام المهدي عليه السلام يرى ضرورة الارتباط بالأمّة، وحلّ مشاكلها بقدر المستطاع، وعلى الأخص في الجانب الفقهي والعقائدي رأى أن يعيّن نوّاباً عنه وأولى مهامهم ربط الأمّة به، ورفع كتبها التي من خلالها تسأل عمّا تريد، وعلى أيدي هؤلاء كانت ترد الأجوبة والحلول اللازمة في زمن الغيبة الصغرى، وهم أربعة أشخاص من كبار الشيعة كانوا يحظون بلقائه، وهكذا كانت الشيعة تأتي بالأموال الشرعية، ويسلمونها إلى النوّاب، ويأخذون توقيعات الإمام منهم.

وهؤلاء النوّاب الأربعة بحسب الترتيب الزمني كما يلي:

الأوّل: أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي «وكيل الإمام الهادي والعسكري».

الثاني: ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري، المتوفى سنة «٣٠٤ هـ. ق».

الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، المتوفى سنة «٣٢٦ هـ. ق».

الرابع: أبو الحسن علي بن محمد السَّمري، المتوفى سنة «٣٢٩ هـ. ق».

وقد كان من الواضح أن هناك وكلاء آخرون -غير هؤلاء الأربعة -في كثير من البلاد الإسلامية يقومون بدور كبير بين الإمام والسفراء، أو بين الإمام والناس أي: كان الوكلاء تارة يراجعون السفراء في القضايا والأسئلة الموجهة إليهم، وتارة يراسلون الإمام المهدي مباشرة، ومن بين هؤلاء الوكلاء علي بن مهزيار الأهوازي، وأحمد بن إسحاق بن سعيد بن مالك الأشعري القمي، وكان واسطة بين القميّين والأئمة الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام، وأدرك شطراً من غيبة الإمام المهدي # ، وهُو الذي عرَّف عليه الإمام العسكري ولده المهدي حينما سأله عن خليفته، وأراه إيّاه، وحدّثه ببعض ما يكون من أمره خلال غيبته الصغرى والكبرى.

وغير هؤلاء ممن أوكل إليهم الإمام المهدي عليه السلام بعض ما يهمّه من أمور المسلمين، وقبض الأخماس، وقضاء حوائج المؤمنين، وكانوا كما ذكرنا يتصلون بالإمام أحياناً عن طريق سفرائه الذين اعتمدهم لقضاء الحوائج وحل المشاكل، وأخرى عن طريق المراسلة.

وهكذا استمرت النيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام إلى عام «٣٢٩ هـ.

ق» الذي توفي فيه النائب الرابع، وهو أبو الحسن علي بن محمد السَّمري.

وابتدأت الغيبة الكبرى، ولا تزال مستمرة إلى الآن وبذلك انقطعت طرق الاتصالات بالإمام المهدي عليه السلام، وقد أرشد الإمام عليه السلام الشيعة لحلّ مشاكلهم وأخذ معالم دينهم بإرجاعهم إلى رواة العلماء والأحاديث في التوقيع الذي كتبه إلى أحد وجهاء الشيعة، وهو إسحاق بن يعقوب، بواسطة النائب الثاني محمد بن عثمان والذي جاء فيه: «... **وأمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليكم...**»[1].

وينقل المرحوم الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال ضمن حديثٍ: «**وأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه**»[2].

فقد فوض الإمام عليه السلام شؤون المسلمين في زمان الغيبة الكبرى إلى الولي الفقيه الجامع للشرائط، وصحيح أنَّ منصب الفتوى والقضاء كان قد جعل للفقهاء من قبل بواسطة الأئمة، وفي عهدهم عليهم السلام إلاّ أنَّ شرعية المرجعية، والزعامة والحكومة تبدأ من تاريخ الغيبة الكبرى، وهي مستمرة إلى ظهور الإمام صاحب الأمر والزمان، وعندما يظهر يكون هو المرجع والزعيم والحاكم إن شاء الله.

وفي ضوء الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام أثيرت بعض الشكوك،

---

(١) هذا نصّه في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، أما في كتاب (كمال الدين) ٢: ٤٨٤ فقد ورد الشطر الأخير ـ من الحديث ـ هكذا: «وأنا حجة الله عليهم» وفي كتاب (الاحتجاج) للطبرسي ٢: ٤٧٠ لا يوجد لفظ «عليهم» ولا «عليكم».

(٢) الاحتجاج، للطبرسي ٢: ٢٦٣، بحار الأنوار ٢: ٨٨.

والأوهام وتبادرت إلى أذهان الناس بعض التساؤلات،عن جدوى وجود الإمام المهدي عليه السلام حال غيبته الكبرى، وما فائدة الناس به، وما ينتفعون منه وكيف عمّر إلى هذا اليوم؟ وغيرها من الشبهات والتساؤلات، نطرح بعضها ونجيب عنها باختصار.

***

أسباب غيبة الإمام المنتظر # وفوائدها

لا شك أنَّ الغيبة هي من أسرار الله، وهو أعرف بأسبابها وفوائدها الحقيقية، ولكن هناك ثمة أسباب صرَّحت بها الأخبار والأحاديث، نذكر بعضها:

من تلك الأسباب أن حياة الإمام المهدي كانت مهددة بالقتل من قبل الحكّام العباسيين فكانوا يبحثون عنه في كل مكان حتى فتشوا دار الإمام العسكري، ولذا كان الإمام العسكري يحاول إخفاء ولادة الإمام عليه السلام عن عامّة الناس، تحفّظاً على حياة ولده من شر الحكّام العباسيين، وهكذا استمر الخطر عليه من قبل سائر الحكّام كالعثمانيين، وغيرهم ممّن حكموا بلاد الشرق، لأنهم علموا بأن المهدي هو الذي يزلزل كراسي الظالمين، ويدمِّر كيانهم، ولا زال الخطر محدقاً بالإمام، وهذا الأمر سبب طول غيبته، لذا شيعته دائماً يدعون له بالسلامة من الأعداء، والتعجيل في ظهوره وفرجه.

وثمة سبب آخر عُلّل به غيبة الإمام عليه السلام، وهو امتحان العباد واختبارهم، وتمحيصهم، ولذا كان انتظار الفرج والظهور من أفضل العبادات، كما صرحت بذلك الروايات.

وهنا يطرح سؤال وهو: ما الفائدة من وجود إمامٍ غائبٍ؟ وكيف ينتفع الناس به؟؟!

لقد وردت أحاديث متعددة تذكر فوائد وجود الإمام الغائب عليه السلام، ووجه الانتفاع به، وفيما يلي نذكر بعضها:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال عليه السلام: «**إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب**»[1]، فالشمس أمان للمجموعة الشمسيّة من الفناء والزوال، وفيها فائدة عظيمة للإنسان والحيوان والنبات، والهواء والماء والجماد، ومن الواضح أن السحاب لا يغير شيئاً من تأثير الشمس، وفوائدها، وإنّما يحجب الشمس عن الرؤية ـ في المنطقة التي يخيم عليها السحاب ـ فقط.

فالإمام المهدي الذي شُبِّه بالشمس وراء السحاب هو الذي بوجوده يتنعم البشر وتنتظم حياتهم وهو أمان لأهل الأرض، لأنّ الأرض لا تخلو من الحجة، ولو خلت لساخت بأهلها. وورد هذا المعنى في رسالة الإمام المهدي ٨ إلى إسحاق بن يعقوب: «... **وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء...**»[2].

وأيضاً قد أعلن الإمام عليه السلام عن فائدة وجوده وهو غائب عن الأنظار في إحدى رسائله للشيخ المفيد، حيث قال عليه السلام: «.. **إنّا غير مهملين**

(١) كمال الدين وإتمام النعمة ١: ٢٥٣.

(٢) كمال الدين وإتمام النعمة ٢: ٤٨٥ وكتاب الغيبة للطوسي: ١٧٧.

لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم[١] الأعداء..»[٢].

وبالإضافة إلى هذا فإنّ إمام العصر أرواحنا فداه يحضر في مواسم الحج كل عام، ويتردد على المجالس والمحافل، وما أكثر المشاكل التي يحلّها، بالواسطة أو من دون واسطة لبعض المؤمنين، ولعل الناس لا يرونه ولا يعرفونه، ولكن الإمام عليه السلام يراهم ويعرفهم، وقد ظفر كثير من الناس بلقائه خلال الغيبة الصغرى، والكبرى ورأوا الكثير من معاجزه وكراماته، وحُلّت على يديه مشاكل عدد من المؤمنين.

ويستفاد من الأحاديث والأخبار المتواترة بأن لقاءات الإمام المهدي لا تنحصر في عدد معين ومكانٍ معين، بل تشمل كل من له صلاحية هذا الالتقاء في كل عصرٍ، وفي أي مكان بالأخص الأماكن المقدسة والمشاهد المشرفة، فالأخبار الدالة على مشاهدته في الغيبة الكبرى كثيرة وعددها يفوق حد التواتر، بحيث نعلم لدى مراجعتها واستقرائها، عدم الكذب والخطأ فيها في الجملة[٣].

وتشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين بمختلف أقسامها المادية والمعنوية، كما تشتمل على توجيه الوصايا التربوية، وتوضيح غوامض المعارف

(١) اللأواء: الشدة، وإصطلمكم: استأصلكم (راجع القاموس ٤: ١٤٠)

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٨.

(٣) راجع بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي، وكتاب النّجم الثاقب للميرزا النوري، وكتاب تاريخ الغيبة الكبرى للسيّد الصدر وقد ناقش هؤلاء العلماء في كتبهم قضية الإلتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى، وعدم تعارضها مع أمر الإمام المهدي٨ في توقيعه للشيخ السَّمري بتكذيب مَنْ ادعى المشاهدة في الغيبة الكبرى وأثبتوا جواز الإلتقاء بالإمام في الغيبة الكبرى وذكروا بعض الحكايات وقصص الذين تشرفوا بلقاء الإمام عليه السلام.

الإلهية، أو التنبيه إلى الأحكام الشرعية الصحيحة، وغير ذلك من مهام الإمام في كل عصر.

وتحققت من هذه اللقاءات إضافة لذلك ثمار مهمة تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده عليه السلام، وإزالة التشكيكات الواردة حوله في كل عصر بما يعزز سيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره عليه السلام.

وهذه الكتب المؤلفة في أزمنة مختلفة، وبلاد متفاوتة ألّفها ثقات لا يعرف بعضهم بعضاً، وفيها من الحكايات الشاهدة لما ذكرنا من مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام، والتشرف بخدمته.

***

كيف عمّر الإمام المهدي ؟

إن الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار، واستمراره إلى حين يأذن الله تعالى له بالظهور، يستلزم عمراً طويلاً ومفتوحاً مع انفتاح الزمن كيف نعالج ونجيب على هذه المشكلة؟

قد عولجت هذه المشكلة بإجابات عديدة نذكر الملخَّص منها، وهي أنَّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلاّ أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان، وعلى هذا الضوء نتناول عمر الإمام المهدي عليه السلام، وما أحيط به من استفهام أو استغراب، فإنّ عمر المهدي قد سبق العلم نفسه، وليس ذلك هو المجال الوحيدالذي سبق فيه الإسلام حركة العلم.

ولكن لنفترض أنَّ العمر الطويل غير ممكن علمياً، فماذايعني ذلك؟ يعني

أنَّ إطالة عمر الإنسان كنوح والخضر ولقمان بقدرة الله وإرادته، وبخلاف القوانين الطبيعية والعلم، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، وقد عطل هذا القانون للحفاظ على إبراهيم، فقيل للنار حين ألقي فيها إبراهيم، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[1] فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء والأولياء، وهكذا يتضح أن العمر الطويل أمر ممكن علمياً، أو بنحو المعجزة، وقد تحقق ذلك بالنسبة إلى بعض الأنبياء والأولياء كما تحدَّث عنه القرآن الكريم.

وإذا نظرنا إلى موضوع العمر على ضوء القرآن، ومن الناحية العقائدية وجدناه أمراً عادياً جداً، لأنَّ كل مؤمن يعتقد أن الآجال بيد الله تعالى، فإذا قدّر الله تعالى لأحدٍ من عباده طول العمر فمن البديهي أن يهيّئ له الأسباب المادية، والطبيعية الموجبة لطول العمر، ومن الممكن أن يطوّل عمره بأمور ممّا وراء الطبيعة لا نعرفها، فهو قادر على كل شيء، فكما طوّل الله عمر آدم ونوح ولقمان وغيرهم من المعمرين، وطوّل عمر النبي الخضر الذي بقى حياً من عهد النبي موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، وطوَّل عمر النبي عيسى الذي عرج به إلى السماء وبقى حيّاً إلى يومنا هذا، وسوف ينزل من السَّماء عند قيام الإمام المنتظر ويصلّي خلفه، فهو قادرعلى أن يطوّل عمر الإمام المهدي إلى متى ما شاء.

وتتجلى القدرة الإلهية في تحقيق مشيئته وإرادته، وإخضاع الطبيعة، في قصّة النبي يونس عليه السلام الذي يحدث عنه القرآن بقوله: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] فالظاهر من هذه الآية

(١) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٢) الصافات: ١٤٢ ـ ١٤٤.

أن يونس لو لم يكن من المسبحين في بطن الحوت للبث حيّاً في بطنه إلى يوم القيامة، أليس الله بقادر على أن يحفظ وليّه من الموت، ويعمره الآف السنين ليظهره في الوقت المناسب، ليقوم بالإصلاح الشامل لجميع جوانب الحياة، فإنّه آخر مصلح عالمي إدّخره الله للبشر.

***

حقيقة الانتظار، وأهميته في عصر الغيبة

الانتظار عبارة عن: كيفية نفسانية وقلبية ينبعث منها التهيؤ لما ينتظر، وضده اليأس، فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ آكد، فالمؤمن المنتظر مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده في التهيؤ لذلك، بالورع والاجتهاد وتهذيب النفس عن الرذائل، والتحلي بالأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه، ومشاهدة جماله في زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين، ورواية أبي بصير دالة على توقف فوز المشاهدة والصحبة على ذلك، حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: «**من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل مَن أدركه...**»[1].

فالانتظار الحقيقي لفرج وظهور إمام العصر الذي يكون عبادة، بل أفضل الأعمال والعبادات، كما صرحت به الروايات[2] هو الانتظار البنّاء الباعث للتحرك والالتزام الديني، ولا يتحقق هذا الانتظار الحقيقي إلاّ ضمن الشروط التالية التي تعتبر من تكاليف المؤمنين الموالين للإمام المهدي المنتظر في

(١) مكيال المكارم ٢: ١٥٢.

(٢) كمال الدين: ٦٤٥، بحار الأنوار ٥٢: ٨٢٣.

زمن غيبته الكبرى.

هذا والإمام المهدي عليه السلام قد صرّح بحقيقة إنتظار فرج ظهوره في كتابه إلى الشيخ المفيد عليه السلام، بقوله: «**فليعمل كل امرء بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يُدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا يُنجيه من عقابنا ندم على حوبة**[1] **والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته**»[2].

ومن أهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة التي أكّدتها الأحاديث الشريفة، هو الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بالحفظ والسلامة من الأعداء، والتصدق عنه وتعجيل فرجه وظهوره والنصر على أعدائه، والمواظبة على زيارته، وغير ذلك مما ذكرته الروايات.

ومن أفضل الأدعية التي يندب بها الإمام الحجة لتعجيل ظهوره، هو دعاء الندبة المعروف الذي يستحب قرائته في صباح كل جمعة، وقد اعتاد شيعة الإمام ومحبوه ومنتظروه أن يقرأوا هذا الدعاء كل جمعة، في الأماكن المقدسة والمشاهد المشرّفة، وفي البيوت.

ومن تلك الأدعية المهمة المعروفة التي ينبغي لكل مؤمن منتظر أن يدعو بها في زمن الغيبة، دعاء الإمام الصادق عليه السلام الذي علّمه لزرارة، وقال له: إذا أدركت زمن غيبة القائم ادع بهذا الدعاء: «**اللهمّ عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهمّ عرفني نبيك فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك**

(١) الحوبة: الخطيئة والحوب: الإثم، راجع مجمع البحرين.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩٩.

ضللت عن ديني، اللهم لا تمِتني ميتة جاهلية...»[1].

ومن أفضل الزيارات التي يُزار بها الإمام الحجة زيارة آل ياسين، التي وردت من ناحيته المقدسة، وسنختم البحث بهذه الزيارة الشريفة إن شاء الله.

***

علائم ظهور الإمام المنتظر

يمكننا أن نقسم علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام حسب ما نستلخصه من الأحاديث، إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: العلائم العامة التي تحدث قبل الظهور بعشرات السنين، وهي التي تتحدث عن الانحرافات التي تنتشر في المجتمعات الإسلامية، وغيرها من الظلم والجور والفسق والفجور، وارتكاب الذنوب والمحرمات، فتتلوث بها المجتمعات البشرية، وقد تحقق الكثير من تلك العلامات.

القسم الثاني: العلائم التي تحدث قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام بسنوات قليلة، وهذه العلائم كثيرة نذكر بعضها:

منها: كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان المبارك، وخسوف القمر في آخره على خلاف القاعدة الطبيعية الفلكية التي يكون كسوف الشمس يحدث في أواخر الشهر، وخسوف القمر يحدث في أواسط الشهر القمري.

ومنها: ذهاب ثلث الناس، بسبب الجوع أو المرض أو القتل، ومن الممكن أن يحدث ذلك بوقوع الحرب العالمية الثالثة،أو ثورات ونزاعات داخلية في

(١) أصول الكافي ١: ٣٣٧، الغيبة للنعماني ٧: ١٦٦، كمال الدين ٢: ٣٤٢.

كثير من البلاد، أو كوارث طبيعية، كالزلزال والسيول، وغيرها من العوامل والأسباب.

ومنها: خروج الدجال الأعور من قرية بين الشام والعراق ويفتك بالمؤمنين، ويتبعه اليهود وينصبونه قائداً أعلى لهم، ونهاية هذا المجرم تكون على يدي الإمام المنتظر كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام[١].

ومنها: ظهور الرايات السُّود من خراسان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا رأيتم الرايات السُّود قد جاء ت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي**»[٢]، وأظنّ أنَّ الذي يرفع تلك الرايات هوذلك الهاشمي الحسني الذي يخرج هو واليماني بجيشهما لملاحقة جيش السفياني، وأخيراً ينتصران على جيش السفياني.

القسم الثالث: العلائم المحتومة لظهور الإمام المهدي ٨، وهي التي تحدث قطعاً، وتكون مقارنة لظهور الإمام، وهذه العلائم خمسة كما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «**قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني والسفياني، والصيحة**[٣]**، وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء**»[٤].

***

(١) منتخب الأثر: ٥٧٠،الفصل ٦، ب٧، وص:٦٠٢، الفصل٧، ب ٩.

(٢) كنز العمال ٧: ١٨٢.

(٣) تكون الصيحة السماوية بواسطة جبرائيل عليه السلام في شهر رمضان المبارك ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من الشهر.

(٤) كمال الدين وإتمام النعمة ٢: ٦٥٠.

ظهور وقيام الإمام المهدي عليه السلام

قد ورد في الأخبار أنّ بداية ظهور الإمام المهدي # وخروجه عن الاستتار يكون في المدينة المنورة، ويصل خبر ظهوره إلى السفياني وقد استولى على بلاد الشام فيرسل السفياني جيشاً إلى المدينة للقضاء على الإمام عليه السلام، ولكن الإمام يخرج من المدينة قاصداً مكة المكرمة للقيام من هناك، ويتوجه الجيش الذي أرسله السفياني للقبض على الإمام نحو مكة وقبل الوصول يخسف الله بهم الأرض جميعاً وتبلعهم في البيداء بين مكة والمدينة، ويصل المهدي عليه السلام إلى مكةو تمرّ الأيام القليلة ويعلن الإمام عليه السلام قيامه منها في يوم السبت يوم عاشوراء من الأعوام الفردية كماورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أو يوم الجمعة كما في بعض الروايات، ولعل الجمع بين التأريخيين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة وفيها يخطب خطبته في المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفة يوم السبت[1].

ويحضر الإمام المهدي عليه السلام في ذلك اليوم في المسجد الحرام ويُصلي ركعات عند مقام إبراهيم عليه السلام ويقف بين الركن والمقام ويخطب في الناس كراراً ويستنصرهم ويشير إلى مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وأوّل مَن يبايعه في مكة جبرئيل، ثم يبايعه صفوة أصحابه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (٣١٣) بعدد أصحاب أهل بدر،حيث جاءوا من شرق الأرض وغربها واجتمعوا في مكة، وهم أصحاب الألوية وحكّام الله في أرضه، وهؤلاء لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون كما عبّر عنهم الإمام الصادق عليه السلام، ثم يبايعه سائر الناس من أهل الحجاز واليمن وأصحاب رايات السُّود من إيران، و«الأبدال

(١)) راجع الإرشاد:٣٧٨، وكمال الدين٢: ٦٥٣وإعلام الورى:٤٣٠.

من الشام، والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق»[١] وغيرهم حتى يتم أنصاره عشرة آلاف،من مختلف أقطار العالم، ثم يسيرالإمام عليه السلام من مكة إلى المدينة، بعد أن ينصب فهيا والياً من قبله، وهناك في المدينة يقوم بأعمال وانجازات، ثم ينصب والياً من قبله ويتوجه من المدينة نحو العراق، ويستقر في الكوفة ويتَّخذها عاصمة لخلافته وحكومته إقتداءً بجدِّه الإمام علي عليه السلام كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام[٢].

ويلاحظ أن المسير الذي اختاره الإمام هو المسير الذي اختاره جده الإمام الحسين في نهضته الاستشهادية من مكة إلى الكوفة الذي منع جده عن الوصول إليها فيصل المهدي عليه السلام إليها ويحقق جميع الأهداف الإصلاحية التي سعى لها جدّه سيد الشهداء عليه السلام وعندما يدخل الكوفة يوحِّد الرَّايات، وفي الكوفة يلتحق السيد الحسني وجيشه بالإمام عليه السلام ويبايعونه، ثم الإمام المهدي عليه السلام وبعدما تستقيم له في الكوفة الأمور، يتوجه نحو الشام للقضاء على السفياني، ويصل الإمام المهدي عليه السلام بجيشه إلى فلسطين، عندها ينزل السيد المسيح عيسى عليه السلام من السماء ويقتدي به في الصلاة، وينصره في حربه مع جيش السفياني[٣].

***

دورالإيرانيين في نهضة المهدي عليه السلام

لقد كان للإيرانيين الدور البارز والمشهود في مساندة الرسالة المحمدية

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي ٣: ١٠٢،ح٦٤٥.

(٢) راجع غيبة الطوسي: ٢٧٤، وبحار الأنوار١٨٠:١٣.

(٣) راجع الإرشاد:٣٧٨، وإتمام النعمة كمال الدين٢: ٦٥٣.

من بداية عصر الرسالة إلى يومنا هذا، والروايات الواردة عن المعصومين والعلماء وتاريخ الإسلام يشهد لذلك ومن أراد الإطلاع على ذلك فاليراجع كتاب الإسلام وإيران للإستاذ الشهيد مرتضى مطهري.

وحسب الروايات والأحاديث الواردة سيكون للإيرانيين الدور المهم في التمهّد لظهور المهدي عليه السلام ومواكبة ومؤازرة المسيرة الإصلاحية لنهضة حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى النصر النهائي، وتشكيل دولته العالمية، ويمكن تلخيص تلك الأعمال البارزة التي سيقومون بها في ظل حركة الظهور المقدس وإقامة الدولة الكريمة، في ضمن الأمور التالية:

أولاً: وجود أنصار المهدي عليه السلام الخواص من إيران: إنَّ حضور عدد كبير من إيران بين أصحاب الإمام الخواص، هو خير دليل على الدور المهم الذي سيقوم به الإيرانيون في نهضة الإمام الحجة # ، وهؤلاء من مدن الأهواز وشيراز والدَّيلم وقزوين والرَّي وطوس وغيرها من المدن وأكثرهم عدداً من مدينتي قم وطالقان[1] وقد ذكرتهم الروايات منها الرواية المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام في دلائل الإمامة[2].

ولاشك إن لقم وأهلها، بحسب ما نستفيد من الأحاديث، دوراً كبيراً في التمهيد لظهور الإمام المنتظر # ، وسوف يكون لهم الدور الفعال في قيامه وتشكيل دولته العالة،لقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّما سمّيت قم؛ لأنّ أهلها يجتمعون مع قائم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه**»[3].

(١) من قم(١٨ رجلاً)، ومن طالقان (٢٤ رجلاً)، راجع أعيان الشيعة ١: ٨٤.

(٢) راجع دلائل الإمامة:٣٠٧.

(٣) ترجمة تاريخ قم: ١٠٠، وفي بحار الأنوار ٦٠: ٢١٦.

وأيضاً إنَّ وجود مسجد في قم ينسب إلى صاحب الأمر والزمان عليه السلام، والذي يقصده المسلمون من كلّ مكان، ويدعون لسلامة الإمام وتعجيل ظهوره، يدلّ على مدى أهميّة قم وأهلها كأحد القواعد الأساسية لقيام الإمام المنتظر # .

وبالنسبة إلى طالقان[1] لقد عبرَّت عن رجالها في الروايات «كنوز الطالقان»، فقد روى ابن اعثم الكوفي في كتاب الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**ويحاً للطالقان فإنَّ فيها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضَّة ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حقَّ معرفته وهم أيضاً أنصار المهدي في آخر الزمان**»[2].

ثانياً: خروج الرايات السود وأهل المشرق بقيادة الخراساني وشعيب بن صالح: من العلامات الحتمية التي وردت في سياق علامات الظهور، تلك الروايات التي تشير إلى رايات السود لقوم من المشرق ومن خراسان، يخرجون لنصرة المهدي ومؤازرته في قتال أعداء الدين، ولا شك أنَّ هؤلاء القوم من أهل إيران، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتطريدا وتشريدا حتى يأتي قوم من نحو المشرق أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها عدلا كما ملأوها ظلما فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبوا على الثلج فإنه المهدي**»[3]، وفي رواية أخرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم تصرِّح بأنَّ هؤلاء

(١) طالقان،منطقة واسعة تشمل مجموعة مدن وقرى،تقع بين طهران وقزوين.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٨٧ ب ١، وراجع أعيان الشيعة ١: ٨٤.

(٣) بحارالأنوار٥١: ٨٢ ب ١.

الناس من المشرق، هم من أهل خرسان: «**إذا رأيتم الرايات السُّود قد جاءت من قبل خراسان فاستقبلوها مشياً على أقدامكم، لأنَّ فيها خليفة الله المهدي #** »[1].

***

إيران الإسلام تُمهِّد لظهور الحجة

إنَّ وقوع نهضة الشعب الإيراني وانتصار ثورته الإسلامية المباركة في عصرنا هذا التي بدأت من قم بقيادة الإمام الخميني ﷺ،[2] وأثمرت بتشكيل الحكومة الإسلامية والتي لا زالت تواصل الإثمار والعطاء بقوةٍ بقيادة الإمام الخامنئي حفظه الله هو دليل آخر على مكانة إيران والإيرانيين ودورهم في التمهيد لظهور الحجة المنتظر # كما تشير إلى ذلك الرواية التالية الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام، حيث يقول عليه السلام: «**رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ قُمْ يَدْعُو النّاسَ إلى الْحَقِّ، يَجْتَمِعُ مَعَهُ قَوْمٌ كَزُبُرِ الْحَديدِ، لا تُزِلُّهُمُ الرّياحُ الْعَواصِفُ، وَلا يَمَلُّونَ**

(١) بحارالأنوار٥١: ٨٢ ب ١.

(٢) الإمام الخميني ﷺ: هو أبرز شخصية علمية سياسية، اجتماعية، في العالم الإسلامي المعاصر، ولد في مدينة خمين التابعة لمحافظة أراك وذلك في العشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٢٠هـ ذكرى ولادة جدته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وقد نشأ وترعرع ودرس في مدينة قم المقدسة، وانطلق بثورته الإسلامية المعروفة منها إلى أن انتصرت في (٢٢ /بهمن /١٣٥٧هـ. ش= ١١/ شباط/١٩٧٩م) وبعد ١١ سنة من عمر الثورة الإسلامية توفي في اليوم (١٤/ خرداد/ ١٣٦٨هـ. ش = ٤/ حزيران/ ١٩٨٩م)، ودفن بجوار الشهداء في مقبرة بهشت زهراء عليها السلام (جنة الزهراء) بطهران، ودفن بعد ذلك بجانبه ابنه السيد أحمد رحمه الله، ويعلو مرقده ﷺ قبة رئيسية تحيطها أربعة قباب، وهذه القباب الخمسة ترمز إلى أصحاب الكساء الخمس حيث كان الإمام الراحل عليه السلام متمسِّكاً بهم وبنهجهم القويم، والمرقد يقع في بداية أتوستراد طهران ـ قم، ولذا فإنّ أغلب المسافرين الذين يمرون عليه يذكرون الإمام ﷺ بالخير ويقرأون على روحه سورة الفاتحة، فسلام عليه يوم ولد، ويوم أدَّى ماعليه، ويوم مات، ويوم يبعث حيّاً.

مِنَ الْحَرْبِ، وَلا يُجْبُنُونَ، وَعَلَى اللهِ يَتَوَكَّلُونَ، وَالْعاقِبَة لِلْمُتَّقينَ»[١]، وفي رواية أخرى عن أبيه الإمام الصادق عليه السلام: «**كأني بقومٍ خرجوا من المشرق يطلبون الحق..... ولا يدفعونها إلاَّ إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إني لو أدرك ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر**»[٢].

إنَّ ماتقوم به الجمهورية الإسلامية في عصرنا هذا من التَّصدي لأعداء الدِّين والدَّعوة إلى الإسلام المحمدي الأصيل في قبال الإسلام الأمريكي الذي يُروِّجه الغرب، والدِّفاع عن الشعوب المستضعفة ودعم حركات التحرير في العالم، ومساندة المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها من البلدان تجاه الإستكبار العالمي،كلّه في الواقع يشكِّل التَّمهيد العام لظهورالإمام الحجة المنتظر # ، وسيصبح هذا النظام الإسلامي بشعبه وحكومته من القوائد الأساسية لتشكيل دولة ذلك المصلح العالمي إن شاءالله.

***

دولة المستضعفين والمحرومين

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[٣]

هذه الآية وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم على زمام الأمور بعد تخلصهم من قبضة الفراعنة، ولكن هذا التعبير (ونريد) يشير إلى إرادة إلهية مستمرة، ولذلك طبقت الآية في الكثير من الروايات على زمن

(١) ترجمة تاريخ قم:١٠٠

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٤٣،علامات ظهوره.

(٣) سورة القصص: ٥.

ظهور المهدي عليه السلام[١].

ويتمثَّل هذا الإستخلاف والتَّمكين بإشادة دولة الحق العالمية العادلة في الكرة الأرضية، وذلك في آخر الدهر ونهاية مسيرة الإنسان في هذه الحياة، وهي دولة الإمام المهدي عليه السلام والذي عبَّر عنها في الروايات، بدولة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الأدعية بالدولة الكريمة، وستكون هذه الدَّولة آخر الدُّول كما أخبر بذالك الإمام الصادق حيث قال عليه السلام: «**لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر**»[٢].

وكما أخبر بذالك الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «**إنّ دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجل وَالْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**»[٣].

وطالمادعونا وسندعوا لتحقق هذه الدولة الكريمة التي فيها عزَّةُ الإسلام وأهله: اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدُعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة[٤].

وتتكون هذه الدولة الكريمة التي طالما انتظرها المستضعفون في الأرض، بعد ما يظهر المهدي عليه السلام ويقوم بالأمر من مكة المكرمة ويسير نحو المدينة

(١) الغيبة للطوسي: ١٨٤.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ١٤٣،ح٣٠.
(٣) بحار الأنوار ١٣: ١٨٩.
(٤) فقرات من دعاء الإفتتاح(مفاتيح الجنان، أعمال ليالي رمضان).

ثم يتوجه نحو العراق ويستقر في الكوفة، ويتخذها مركزاً وعاصمة لخلافته ودولته العادلة، ثم يفتح الإمام عليه السلام شرق العالم وغربه ويبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها ولاة من قبله في الأمصار المهمة[1]

وينشر الإمام عليه السلام الإسلام في جميع أرجاء العالم، ويسير ويحكم ويطبق الإسلام حسب كتاب الله وسنّة نبيه وجده أمير المؤمنين عليه السلام ويحكم بين الناس بعلم الإمامة ولاينتظر شهادة الشهود ولا إقامة البينة من المدّعي،يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استبطنوه**»[2].

وتنص الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام يسير بسيرة جده صلى الله عليه وآله، ولكن ثمة فروقاً بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها، كما في سياساته العسكرية والإدارية والقضائية فالإمام يحكم بين الناس بعلمه إذا لم تك بينة كما اشار جدِّه الإمام الصادق عليه السلام في الحديث السابق، وهي من خصوصيات الإمام عليه السلام، فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتيهما واحدة.

***

إنجازات الدولة الكريمة و بركاتها

لا شك انَّ عصر الإمام المهدي عليه السلام، يصبح من أفضل العصور منذ خلق الله آدم عليه السلام، ومن الصحيح أن نسمي عصر الإمام بعصر النور وعصرالعلم والثقافة لأنّ في عصره تتكامل العقول والعلوم للبشرية الإسلامية وغيرها من

(١) راجع بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٦.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٩.

العلوم الطبيعية والتجريبية و... وتنعم البشرية في دولة المهدي عليه السلام بالأمن والرخاء والعدالة والحرية وجميع مستلزمات الحياة الكريمة.

وخلال حكمه تظهر الأرض بركاتها وتزداد الثروة وينعدم الفقر ويعيش البشر حياة سعيدة في أمن وأمان، لا فقر ولا حرمان ولذلك يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء كما أخبر عن ذلك جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**تنعم أمتي زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولاتدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته والمال كَدُس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول خذ**»[1].

والشيعة الذين كانوا في عصر الغيبة يتعرضون للظلم والاضطهاد من قبل الأمويّين والعباسيّين والعثمانيّين وأمثالهم من حكّام الجور، فإنّ في دولة المهدي عليه السلام سوف تنتعش وسيبلغون قمة العزة والقدرة كما جاء هذا المعنى في حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**يكون في شيعتنا في دولة القائم عليه السلام سنام الأرض وحكّامها يعطى كل رجل منهم قوة أربعين رجلاً**»[2].

وهكذا يسود الإسلام والسلام في كافة بقاع الأرض، وترى الشعوب والحكومات تدخل في دين الإسلام أفواجاً، وينعم جميع البشر في ظلِّ هذه الدَّولة الكريمة.

وتستمر حكومة الإمام المهدي عليه السلام حوالي عشرين سنة حسب ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام منها قول الإمام الصادق عليه السلام « **يملك**

(١) الفصول المهمة: ٢٨٨ فصل ١٢، ودلائل الإمامة:٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٧٢.

القائمعليه السلام **تسع عشرة سنة وأشهراً**»[١] وهناك أقوال أخرى[٢] حول مدة حكومته، ثمَّ يدرك الإمام المهدي عليه السلام الموت الذي لا بُدَّ منه ويستشهد إمّا بالسَّم أو بالقَتل كأجداده الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم إن من جملة معتقدات الإمامية استحباب زيارة الأئمة عليهم السلام، ويتأكد هذا الاستحباب في حق مولانا صاحب الزمان، لأنه إمام عصرنا وسيد زماننا، فنزوره بالزيارة الجامعة الكبيرة، ونتأمل في معانيها خصوصاً في: «مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم»، لأنه يعكس الحالة النفسية للانتظار المشروع، وكذا ينبغي زيارته بالزيارات الأخرى الواردة في كتب الأدعية والزيارات خصوصاً زيارة آل ياسين،[٣] والتي أراد الإمام المهدي ٨ من شيعته أن يزوره بها، ثم يدعو له عقيبها بما يأتي من الدعاء بعدها، الذي فيه الدعاء له بالتعجيل في الظهور، والنصر له على الأعداء، وممّا جاء في تلك الزيارة:

«سَلامٌ عَلى آلِ يس، السَّلامُ عَلَيْكَ يا داعِيَ الله وَرَبَّانِيّ آياتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بابَ اللهِ وَدَيَّانَ دِينِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا خَلِيفَةَ اللهِ وَناصِرَ حَقِّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَدَلِيلَ إِرادَتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا تالِيَ كِتابِ اللهِ وَتَرْجُمانَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ فِي آناءِ لَيْلِكَ وَأَطْرافِ نَهارِكَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مِيثاقَ اللهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللهِ الَّذِي

(١) الغيبة للنعماني، باب ٢٦، ح ٢.

(٢) راجع كتاب منتخب الأثر: ٤٩٢.

(٣) وردت هذه الزيارة بكاملها مع الدعاء المبارك للمهدي في كتاب الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩١، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري انّه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدسة، حيث قال عليه السلام: إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا، فقولوا كما قال الله تعالى: «سلام على آل يس».

ضَمِنَهُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أيّها الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ السَّلامُ وَالْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْواسِعَة وَعْداً غَيْرَ مَكْذوبٍ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصْبِحُ وَتُمْسِي...»[1].

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٥٩١.

الليلة الرابعة والعشرون

حقوق الطفل في الإسلام

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾[1]

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة ويزوِّجه إذا بلغ**»[2].

لقد اهتمَّ الإسلام بالطفل كثيراً، وجعل له نظاماً خاصاً، بدءاً من إختيارالرجل المرأة الصالحة حتى تكون أمَّاً للطفل، وبلعكس إختيارالرجل الصالح ليكون أباً صالحاً للطفل، ثمَّ ضرورة انعقاد نطفته من حلال وفي احسن زمان وافضل مكان، وبعد انعقادها ضرورة رعاية آداب الأكل والشرب والنوم والطهارة من قبل الأم لشدة تأثير ذالك علي الطفل،ثمَّ إجراء مراسيم الولادة عليه وهي مجموعة من الآداب والسنن المؤكدة، ثمَّ الإهتمام بتغذيته

(١) سورة غافر: ٦٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٢، وفي بحارالأنوار ٧١: ٨٠، ب٢.

كمَّاً وكيفاً، والأهم من كل ذالك هو المعاملة الحسنة معه وتربيته وتعليمه، وقد أولى مسؤولية تطبيق هذا النظام على الأسرة في جوانب معينة، وعلى المجتمع في جوانب أخرى، ولنبدء بموضوع ضرورة إختيارالرجل الزوجة الصالحة وبلعكس ليكون للطفل الأبوين الصالحين القادرين على أداء حقوق أطفالهما:

***

إختيارالرجل الزوجة الصالحة وبلعكس

١ ـ إختيار الزوجة: يؤكِّد الإسلام على إختيار الزوجة من الأُسر التي تحمل الصفات النبيلة، لتأثير الوراثة على المرأة وعلى تكوين الطفل الذي تلده، وقد جاءت بعض تلك التعاليم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: «**إختاروا لنطفِكم فإنَّ الخال أحد الضجيعين**»[1] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**تخيروا لنطفكم فإنَّ العِرق دسَّاس**»[2]، وكانت سيرته صلى الله عليه وآله وسلم قائمة على هذا الأساس، فاختار خديجة عليها السلام فأنجبت له أفضل النساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وتبعه في هذه السيرة أهل البيت عليهم السلام فاختاروا زوجاتهم من الأُسر الكريمة، وإلى جانب الإنتقاء على أسس الوراثة، أكَّد الإسلام على إختيار الزوجة من المحيط الاجتماعي الصالح الذي أكتسبت منه الصلاح وحسن السلوك، وحذَّر إختيار الزوجة من البيئة غير الصالحة الذي تعيشه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إيَّاكم وخضراء الدِّمن**» قيل وما خضراء الدِّمن يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**المرأة الحسناء في**

(١) الكافي، للكليني ٥: ٣٣٢ / ٢ باب اختيار الزوجة.

(٢) المحجة البيضاء، للفيض الكاشاني ٣: ٩٣.

منبت السوء» [١]. وحذَّر الإمام الباقر **د** من الزَّواج من المرأة المجنونة خوفاً من انتقال الصفات منها إلى الطفل[٢]. وحذر الإمام علي عليه السلام من الزَّواج بالحمقاء لعدم قدرتها على تربية الطفل والخوف من إنتقال هذه الصفة إليه فقال عليه السلام: «**إيَّاكم وتزويج الحمقاء فإنَّ صحبتها بلاء وولدها ضياع**»[٣].

وأكَّدت الروايات على أن يكون التَّدين مقياساً لإختيار الزَّوجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشجع على ذلك، فقد أتاه رجل يسترشده في الزواج فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليك بذات الدين تربت يداك**»[٤]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا تزوَّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وكِّل إلى ذلك وإذا تزوَّجها لدينها رزقه الله الجمال والمال**»[٥].

ولاشك أنَّ المرأة التي تكون من سلالة صالحة ومن أسرة صالحة، وكان التَّدين صفة ملازمة لها، فهي الأصلح لكي تكون زوجة للرجل وأمَّاً للطفل.

٢ ـ انتقاء الزَّوج: لقد أكَّد الإسلام على إختيارالمرءَة الزوجَ من الأُسر التي يحمل الصفات النبيلة، والصالحة، لأنَّه القدوة الذي يقتدي به الأطفال وتنعكس صفاته وأخلاقه عليهم، وقد أكَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اختيار الزوج الكفؤ وهو الذي ينحدر من سلالة صالحة وذو دين وخلق سامٍ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار**»[٦]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا جاءكم**

---

(١) مكارم الأخلاق، للطبرسي: ٣٠٤.

(٢) وسائل الشيعة، للحر العاملي ٢٠: ٨٥ / ١ باب ٣٤.

(٣) الكافي ٥: ٣٥٤ / ١ باب كراهية تزويج الحمقاء.

(٤) الكافي ٥: ٣٣٢ / باب فضل من تزوج ذات دين.

(٥) الكافي ٥: ٣٣٣ / ٣ باب فضل من تزوج ذات دين.

(٦) الكافي ٥: ٣٤٧ / ١ باب الكفؤ.

من ترضون خلقه ودينه فزوجوه»[١]. ونهى الإسلام عن تزويج غير المتدين والمنحرف في سلوكه عن منهج الإسلام في الحياة، لتحصين العائلة والأطفال من الانحراف السلوكي، فحذَّر الإمام الصادق عليه السلام من تزويج شارب الخمر فقال: «**من زوَّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها**»[٢]. وحرَّم الإسلام كما هو مشهور من تزويج غير المسلم حفاظاً على سلامة الأطفال وسلامة العائلة من جميع الجوانب، في العقيدة والسلوك، وفي الظواهر الروحية والنفسية لتأثر الزَّوجة والأطفال بعقيدة الزوج وسلوكه في الحياة.

وقد كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام قائمة على أساس اختيار الأكفاء لأبنائهم وبناتهم، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزوج فاطمة لكبار الصحابة، وكان جوابه لهم انه ينتظر بها نزول القضاء، ثمَّ زوجها بأمر من الله تعالى إلى علي بن أبي طالب [٣]. وشجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحدى المسلمات وهي: (الذلفاء) المعروفة بانتسابها إلى أسرة عريقة، والمتصفة بالجمال الفائق من الإقتران بأحد المسلمين وهو جويبر الذي لا يملك مالاً ولا جمالاً إلا التَّدين[٤].

وبعد عملية إختيار الزوج على الأسس والموازين الشرعية والعقلية،أمر الإسلام بمجموعة من الآداب يقوم بها الزوجين عند زواجهما، لكي لا تكون العلاقة بينهما علاقة جسدية فقط، وأول هذه الآداب هي استحباب صلاة ركعتين لكل منهما في ليلة الزفاف، ثم الدعاء بالمأثور[٥]. والعمل بذلك يخلق

(١) الكافي ٥: ٣٤٧ ح٢، ٣.

(٢) وسائل الشيعة ٢٠: ٧٩، الكافي ٥: ٣٤٧ باب ٢٩.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ٢٠٤، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠٨.

(٤) الكافي ٥: ٣٤٢،باب ان المؤمن كفؤ المؤمنة.

(٥) مكارم الأخلاق: ٢٠٨.

جوَّاً من الاطمئنان والاستقرار والهدوء في أوَّل خطوات اللقاء، فتكون ليلة الزفاف ليلة أنس وحب ومودَّة. ويستمر الدعاء عند الخطوة الثانية وهي مرحلة المباشرة، فيستحب أن يقول: (اللهم ارزقني ولداً واجعله تقيَّاً ذكياً ليس في خلقه زيادة ولا نقصان واجعل عاقبته إلى خير)، وأفضل الذكر في أول المباشرة (بسم الله الرحمن الرحيم) [1].

وقد حذَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام من المباشرة مع الزوجة في أوقات معينة، ويوشك أن تنعقد النطفة في تلك الأوقات،فتسبب الإنعكاسات السلبية على سلامة الجنين وصحته الجسدية والنفسية، وقد تؤدي إلى إصابة الطفل بالجذام والحمق والجنون وغيرها من الأمراض، ومن هذه الأوقات: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن مغيب الشمس إلى مغيب الشفق، وفي أول الشهر ووسطه وآخره، وفي الأوقات التي ينخسف فيها القمر، وتنكسف فيها الشمس، و..... وقدشجع صلى الله عليه وآله وسلم على غير هذه الأوقات، فراجعها في كتب الأخلاق والآداب[2]. ولاشك أنَّ القيام بهذه الآداب من قبل الزوجين له التأثير الإيجابي المهم في تكوين شخصية الطفل.

***

الطفل في مرحلة الحمل

وفي مرحلة انعقاد الجنين وحمله في بطن الأم وضع الإسلام برنامجاً سهلاً يسيراً لا كلفة فيه وذلك من أجل سلامة الجنين الجسدية والنفسية، حيث أنَّ رحم الأم هو المحيط الأول الذي ينشأ به الجنين، ولهذا المحيط تأثيراته

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٩.

(٢) الكافي ٥: ٤٩٨ باب الأوقات التي يكره فيها الباه، مكارم الأخلاق: ٢٠٨.

الايجابية والسلبية على الجنين، ويعتبر الجنين جزءاً من الأم، فتنعكس عليه جميع الظروف التي تعيشها الأم، من عوامل ايجابية أو سلبية. وقد أكَّد الإسلام على هذه الحقيقة قبل أن يكتشفها علماء النفس في عصرنا هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الشقي من شقى في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه**»[1]. والمقصود من الشقاء والسعادة في بطن الأم، هو تلك الانعكاسات التي تطرأ على الجنين تأثرا بالحالة الجسدية والنفسية للأم، فتولد فيه استعدادا للشقاء أو للسعادة.

وقد اتَّخذ الإسلام الإجراءات الوقائية الكثيرة والمتنوعة لإبعاد الجنين عن الظواهر السلبية على الطفل والإهتمام بالأمور المؤثرة في نموه الجسدي والنفسي،التي ينبغي أن تهيئ للمرأة الحامل من الأجواء المعنوية والمادية، والراحة النفسية والجسدية في النوم والمسكن والملبس والغذاء، وحيث لايسع المجال للحديث حول جميع هذه الأمور فنكتفي هنا بذكر دورغذاء الأم على صحة الجنين حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام جدولاً متكاملاً في أنواع الأغذية المفيدة للحامل، كما ورد في كتاب الأطعمة والأشربة من الكتب الفقهية والحديثية، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنع الزوجة في أسبوعها الأول من أكل الخل والكزبرة والتفاح الحامض، وغيرها من المأكولات أو المشروبات لتأثير هذه المواد على تأخر الانجاب واضطرابه وعسر الولادة، والإصابة ببعض الأمراض[2]، والتي تؤثر سلبياً على الحمل وعلى الوليد، وأوصى الحامل أن تأكل السفرجل والرّمان والتين، والعنب، والزبيب، وبعض البقول، وكذلك اللحم

(١) بحار الأنوار ٣: ٤٤.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٠٩.

والهريسة والخضروات، قال رسول الله ﷺ: «**كلوا السفرجل فإنه يجلو البصر وينبت المودة في القلب، وأطعموه حبالاكم فإنه يحسن أولادكم**»[١].

وقال ﷺ: «**اطعموا نساءكم الحوامل اللبان، فإنه يزيد في عقل الصبي**»[٢]. وقال ﷺ: «**أطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فان ولدها يكون حليماً نقياً**»[٣].

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «**أطعموا حبالاكم اللبان، فان يكن في بطنهن غلام خرج ذكي القلب عالماً شجاعاً، وان يكن جارية حسن خلقها وخلقها وعظمت عجيزتها وحظيت عند زوجها**»[٤].

***

إبرة الأمّ الحامل

ذكروا أنّ صبياً للشريف الرضيّ كان يتتبع الذي يحمل الماء الى منزله فيأتي من خلفه ويغرز إبرة في سقائه فيتسبب في سيلان الماء منه على السلّم وأرض القاعة وانزلاق أقدام المشاة، فإذا رأى ذلك الشريف قال للساقي: ويحك هلاَّ استبدلت بسقائك هذا المخرق سقاءاً جديداً ونحن نعطيك ثمنه؟

فقال: يا مولاي، إنّه جديد، ولكنّ صبيّاً لكم إذا دخلت عليكم يتبعني ويغرز إبرة فيه هنا وهناك.

فذهب الشريف الرضيّ لأم الصبيّ وقال: هل أصبتِ طعاماً حراماً لما

(١) مكارم الأخلاق: ١٧٢.
(٢) مكارم الأخلاق: ١٩٤.
(٣) مكارم الأخلاق: ١٦٩.
(٤) مكارم الأخلاق: ١٩٤.

كنتِ حاملاً به؟

فتفكّرت ثم قالت: نعم، طلبنا رمّاناً من البستانيّ فلان لنشتريه منه، فاستنزفنا ماءه بغرز الإبر فيه، ثمّ أعدناه على صاحبه بأنّه غير جيّد.

قال: وأين الإبرة التي استنزفت بها ماء الرمّان؟

فبحثت عنها وإذا هي الإبرة التي كان ابنها يخرّق السقّاء بها.

فدفع الشريف الثمن للبستاني فارتدع الصبيّ عن ذلك [1].

***

أثر الرّضاعة بطهارة

قيل لوالدة الشيخ الانصاري: انّ ولدك بلغ درجة عالية من العلم والتقوى، ونال رتبة الزعامة الدينية العليا للشيعة في العالم.

فقالت: لا عجب فقد كنتُ أتمنى له درجة أعلى من ذلك، لانني ما رضعتُه مرّة إلا وأنا على وضوء، حتى في تلك الليالي والأيام الباردة القارسة أقوم أسبغ الوضوء ثم أرضعه وأنا على الطهارة. فلماذا لا يصبح اليوم (الشيخ الانصاري)؟!

ولقد بكى المرجع الكبير أية الله العظمى الشيخ الأنصاري كثيراً عند وفاة أمه الصالحة حتى جاءه بعض أصحابه يحاولون منعه من البكاء الشديد، بل ربما لامَهُ بعض منهم، فقال له الشيخ: «ان بكائي واسفي ليس لأني فقدت أمي، انما لافتقادي نعمة عظيمة مثل هذه المخدّرة الصالحة إذ بوجودها المبارك كان الله يدفع به البلاء عنّا».

(١) شواهد المبلغين:٢٥٦،الشاهد ٥٨.

وهكذا لا يأخذك العجب أيها القارىء كما أخذ بعضاً من مقرّبي هذا المرجع الكبير الذي امتدت زعامته الدينية أقصى بلاد المسلمين، فأينما كانت الشيعة، كانت زعامته ومرجعيّته لهم سائدة، فقد كان يأتي (كل اسبوع) الى قبر أمّه المومنة (رحمة الله عليها)، فيجهش بالبكاء، فيقول له مرافقوه أيها المرجع: لا يجدر بك هذا البكاء على أمّك، وأنت صاحب مقام كبير عند الناس؟!

فيقول لهم: ان كان لي مقام كبير كما تقولون، فإنني حصلتُ عليه بفضل تربية أمّي، هذه المومنة بالله، الصابرة التي سهرت الليالي من أجلي ومستقبلي[1].

وهكذا يستمر الإسلام في التدَّرج مع الطفل ويضع لكل خطوة من حياته عملاً يقوم به الوالدين لينشأ الطفل نشأة سليمة، حتى يصل إلى مرحلة الولادة فتبدأ الحقوق الأساسية للطفل نتعرض لها بإختصارضمن العناوين التالية،بدأ من إجراء المراسم الخاصة بالولادة:

***

حقوق الطفل في الإسلام

لقد أقرَّ الإسلام جميع حقوق الطفل قبل أربعة عشر قرناً، والتي ينادي به العالم اليوم في القانون الدُّولي[2]، ونستطيع أن نلخِّص تلك الحقوق في الأمور التالية:

---

(١) قصص وخواطر:١٥٥.

(٢) يعاني الطفل في العالم من العنف والحروب والانفصال من الوالدين، والفقر والاستغلال في العمل، او الجنس والتميز العنصري لذا فقد وضعت الأمم المتحدة يوماً خاصاً للطفل وهواليوم ٢٠ من شهر تشرين الثاني (١٩٨٩/١١/٢٠) للتذكير بأهميته وبحقوقه الأساسيةمثل الغذاء، المعالجة الطبية، المسكن، التعليم وحمايته من كافة أشكال الأذى، وإلزام المجتمعات بتكريمه كإنسان المستقبل.

أولاً- إجراء مراسيم الولادة على الطفل

جاء الشارع المقدس بمجموعة من الاعمال التي يستحب ان تجري علي المولود وهي سنة مؤكَّدة، فأوَّل ما يولد الطفل يستحب أن يُلف في خرقة بيضاء ثمَّ يؤذَّن في أُذنه اليُمنى، ويُقام في اليُسرى وفي الخبر: «أنَّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم»، وبعد سبعة أيام على ولادته يعقَّ عنه كبشاً، وهي سنة ومن المستحبات الأكيدة، ثم بعد ذلك حلق الرأس إذا كان ذكراً، والتَّصدق بوزنه فضة على المساكين وطلي رأسه بالخلوق، وهو طيب مركب من زعفران وغيره، على خلاف العادة في الجاهلية حيث كانوا يطلون رأس الصبي بالدَّم، وفي اليوم السابع أيضاً يجري عليه الختان ويختار له الإسم الحسن والجميل، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة ويزوِّجه إذا بلغ**»[1].

***

اختيار الإسم الجميل للطفل

من المظاهر المهمة لدي كل انسان اسمه واسم عشيرته، فكما أن صورة كل شخص سبب لاستحضاره في أذهان الناس، كذلك اسمه فإنه يحكي عن صاحبه ويعطي صورة عنه وكما أن الإنسان يلتذ من صورته الجميلة، ويتألم ان كانت قبيحة، كذلك يستر من الاسم الجميل ويتأذي من الأسم القبيح له أو لعشيرته في حين أن الصورة القبيحة يمكن تمزيقها ومحوها بكل سهولة أما تغيير الأسم واللقب فهو صعب جداً، ولذا جعل الإسلام من الحقوق الدينية للأولاد علي الآباء أن يختاروا لهم أسماء جميلة غير مستهجنة وقد ورد الحث

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٢، وفي بحارالأنوار ٧١: ٨٠، ب٢.

علي هذا في الروايات فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أول ما ينحل أحدكم ولده الاسم الحسن فليحسن أحدكم اسم ولده**»[١].

إنَّ الذين يمتازون باسماء جميلة أو ينتمون الي عشيرة ذات اسم جميل يفتخرون بذلك ويذكرونه بكل ارتياح وطلاقة دون شعور بالحقارة، ولربما تفأل السامع وذكر بالمناسبة كلاماً يليق ويتلاءم مع جمال الأسم، ومثل ذلك نجده في القصة التالية:

لقد فقد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمه في أيام رضاعه، ولم يقبل ثدي مرضعة قط، وكان هذا مبعث حزن وألم في البيت الهاشمي... إلى أن جاءت حليمة السعدية فعرضت ثديها عليه فقبله وتكفَّلت برضاعه، عندئذ عمَّ البيت السرور والفرح الي أقصى حد فقال عبدالمطلب مخاطباً إيَّاها: بخ بخ، خُلقان حسنتان سعدٌ وحلم[٢].

***

التسمية بالقادة العظماء

لقد سمِّيت بعض المدن الكبيرة باسم الرجال العظماة في بعض الدول كما سمِّيت ساحات وشوارع باسم الشخصيات البارزة لتخليد أسمائهم لما قدَّموه لوطنهم وأمَّتهم من خدمات.

ولقد أوصى أئمة الإسلام أتباعهم بتسمية أولادهم بأسماء القادة الإلهيين العظماء، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَن**

(١) مستدرك الوسائل ١٥: ١٢٧.

(٢) بحارالأنوار ٦: ٩١.

وُلد له أربعة أولاد ولم يسمِّ أحدهم باسمي فقد جفاني»[١]، فمن وسائل تخليد اسم النبي العظيم والأئمة عليهم السلام تسمية المسلمين أولادهم بأسمائهم، فالآباء والأمهات الذين يهتمون بهذا الأمر ويسمّون أطفالهم بأسماء القادة الإلهيين قد أدّوا حق اولادهم في انتخاب الاسم الحسن لهم، وقد أظهروا بذلك ولاءهم لقادتهم، ويستحقون الأجر بذلك من الله بلا ريب، وقد ورد في حديث يسأل الراوي الإمام الصادق عليه السلام: إنَّا نسمِّي بأسمائكم وأسماء آبائكم، فينفعنا ذلك؟ فقال: «إي والله»[٢].

***

قبح الإسم والمنظر

كان شريك بن الأعور سيداً في قومه وكبيراً عليهم، عاصر معاوية... وفي أحد الأيام دخل مجلس معاوية فأراد هذا أن يحتقره ويسخر به لقبح اسمه واسم أبيه وللنقص الذي فيه فقال له:

والله إنَّك لشريك وليس لله من شريك، وأنك ابن الأعور والصحيح خير من الأعور، وإنك لدميم والوسيم خير من الدميم، فبِمَ سوّدك قومك؟!

فقال له شريك: والله إنَّك لمعاوية وليست معاوية إلاَّ كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية، وإنَّك ابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنَّك ابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنَّك ابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فسميت أمية، فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فقال له معاوية: أقسمت عليك إلا ما خرجت عني[٣]

(١) بحارالانوار ٢٣: ١٢.

(٢) بحارالانوار ٢٣: ١٢.

(٣) ثمرات الأوراق لابن حجة الحموى ١: ٥٩، وعنه في كتاب الطفل بين الوراثة والتربية،للفلسفي٢: ١٦٩.

ثانياً ـ احترام شخصية الطفل

لقد اهتمَّ أئمة الإسلام بهذا الأمر التربوي العظيم وأوصوا المسلمين بإرشادات مهمة في هذا الصدد، فقال رسول الله ﷺ: «**أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم**»[1]، وإكرام الطفل يتمثَّل في عدَّة أمور:

منها: ردِّ السَّلام على الأطفال، فإذا سلم الطفل علي الكبار فعليهم أن يردّوا تحيته بمنتهي اللين ويحترموا شخصيته أما إذا لم يعتنوا به ولم يردّوا سلامه فإنّهم يكونون قد أهانوه واحتقروه، ولقد تجاوز الرسول الأعظم ﷺ في سبيل تكريم الأطفال حد رد السلام فكان هو يبدأ السلام معهم علي ما هو عليه من عظم الشخصية، وبذلك كان يحترم شخصيتهم.

ومن موارد تكريم الطفل وإحياء شخصيته، اللعب معه وهو من الامور المهمة بالنسبة الي الطفل ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**دع ابنك يلعب سبع سنين**»[2]، وقد دعانا قادة الإسلام ان نشارك اطفالنا في العابهم فعن الأصبغ بن نباته قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: من كان له ولد صبا»[3].

إنَّ اللعب مع الأطفال من الأمور المستحبة في الشريعة الإسلامية، وقد أورد علماء الحديث نصوصاً كثيراً في كتبهم تحت عنوان: (استحباب التصابي مع الولد وملاعبته)،فعندما يتنازل الوالد أو الوالدة إلى مشاركة الطفل في لعبه، ومساعدته في أعماله، يطفح قلب الصغير بالفرح والبشر، ويحس في باطنه بأن أفعاله الصبيانية مهمة الي درجة أنها تدعو الوالدين الي المساهمة معه.

---

(١) بحارالانوار ١٠١: ٩٥،ب٢، وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٣.

(٢) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٢، وسائل الشيعة ٥: ١٢٦.

انَّ المناهج التربوية الحديثة تهتم مشاركة الكبار مع الأطفال في العابهم اهتماماً بالغاً، فإنَّ علماء النفس يرون في ذلك واجباً من الواجبات التربوية للوالدين، ويؤكدّون علي هذا الأمر في كتبهم.

***

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأطفال

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقصر اهتمامه علي اطفاله فقط، بل كان يهتم بأطفال الآخرين أيضاً لقد عمل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مضافاً إلى توصية أتباعه في الإهتمام بالأطفال وبذل العناية البالغة بإحياء الشخصية فيهم، قدر المستطاع وعلي سبيل الشاهد نذكر نموذج من سلوكه صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع اطفال الناس كماروا ه العلامة المجلسي: «وكان صلى الله عليه وآله وسلم يؤتي بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسمّيه، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزرموا بالصبي فيدعه حتي يقضي بوله»، ثم يفرغ من دعائه أو تسميته،فيبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنَّه يتأذي ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه»[1].

وفي هذا الحديث ثلاث نقاط جديرة بالملاحظة:

الأولى: أنَّ الرسول الأعظم كان يستغل جميع الأساليب والوسائل لاحترام المسلمين وتكريمهم، ومن ذلك تكريم الأطفال وأوليائهم.

الثانية: ان الطفل يبول طبقاً الحاجته الطبيعية وأداءً لعمل فطري، ولا يدرك في عمله هذا استحسان المجتمع أو استياءه. ولا شك في أن إجبار

(١) بحارالأنوار ٦: ١٥٣.

الطفل علي إمساك ما تبقي من بوله يخالف القواعد الصحية.

الثالثة: إن خشونة الوالدين وغلظتهما تؤدي إلى تحقير الطفل وإيذاءه وإنَّ الإنهيار النفسي للطفل يؤدي إلى نتائج سيئة طيلة أيام العمر[١].

ثالثاً: حق الطفل في التربية والتعليم

١ــ تربية الطفل: ليس تحبيب الإسلام لطلب الولد لمجرد إشباع غريزة الأب والأم في أن يكون لهما ولد، بل صدر هذا التحبيب من الشارع المقدس ليكون الولد استمراراً لبقاء جنس الإنسان على الأرض، وليكون خليفة له فيها، ومن الواضح للجميع أن هذا الاستخلاف لا يحقق معناه إلا إذا كان الإنسان متخلقاً بالأخلاق الحميدة، وسالكاً المسالك السليمة، وهذه الأخلاق لا تتكيّف في طبع الإنسان إلا بتربيته عليها من صغره، وترسيخها منذ نعومة أظفاره، إذ الولد كالوعاء ما وضعت فيه أخذ، وكان الإمام السجاد عليه السلام يدعو الله أن يعينه تربية أولاده: «... **وأعني على تربيتهم وبرهم**»[٢]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن خير ما ورَّث الأباء لأبنائهم الأدب لا المال**»[٣]، وقال رجلٌ: يا رسول الله ما حق ابني هذا؟ قال: «**تحسن اسمه وأدبه، وتضعه موضعاً حسناً**»[٤]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تضربه واهجره ولا تطل**»[٥]، وعن الإمام علي عليه السلام: «**لا أدب مع غضب**»[٦] وعنه عليه السلام: «**ولدك ريحانتك سبعاً**

(١) الطفل بين الوراثة والتربية،للفلسفي٢:٨٦

(٢) الصحيفة السجادية: ١٤٥.

(٣) الكافي ٨: ١٥٠.

(٤) مكارم الاخلاق: ١١٤.

(٥) بحار الأنوار ١٠٤: ٩٩.

(٦) غرر الحكم: ح١٠٥٢٩.

وخادمك سبعاً ثم هو عدوك أو صديقك»[١].

***

تنمية الإيمان في الطفل

من واجبات الوالدين في القيام بالمهمة التربوية تنمية المشاعر الايمانية والخلقية في نفس الطفل، وقد وردت روايات كثيرة في هذا الصدد فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين**»[٢].

ويقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وإنَّك مسؤول عما ولّيته به من حسن الأدب والدلالة علي ربه**»[٣].

وقدً جعل الله تعالى ميراث المؤمن أن يترك ولداً عابداً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ميراث الله من عبده المؤمن ولد يعبده من بعده**»[٤].

إنَّ الطفل الذي يتربي علي أساس الإيمان بالله منذ البداية يمتاز بارادة قوية، تظهر عليه أمارات الشهامة والنبل منذ الصغر، وكمثل علي ذلك نأخذ قصة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مع مرضعته حليمة السعدية، تقول حليمة: لما بلغ محمد صلى الله عليه وآله وسلم الثالثة من عمره قال لي: أماه، أين يذهب إخوتي نهار كل يوم؟ فأجبته: يخرجون الي الصحراء لرعي الأغنام.

قال: لماذا لا يصحبوني معهم؟

فقلت له: هل ترغب في الذهاب معهم؟

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٤٣.

(٢) بحار الأنوار ١٠٤: ٢٦٨.

(٣) تحف العقول: ٢٦٣.

(٤) بحار الأنوار ١٠٤: ١٠١،ح٨٥.

فلما أصبح دهنّته وكحّلته وعلّقت في عنقه خيطاً فيه جزَع يمانية، فنزعها ثم قال لي: «مهلاً يا أماه، فإن معي من يحفظني»[١].

***

٢ـ حق الطفل في التعليم

من حق الولد على والديه، وعلى مجتمعه أيضاً أن يقوموا بتثقيفه وتعليمه، خصوصاً تعليمه الكتابة والقران والعلوم والمعارف الدينية والانسانية وكذالك العلوم المتطورة في عصره، كالكمبيوتر والإنترنت في عصرنا الحاضر، والالعاب الرياضية بالاخص السباحة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة ويزوِّجه إذا بلغ**»[٢]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**علموا أولادكم السباحة والرماية**»[٣]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن المعلم إذا قال للصبي بسم الله كتب الله له وللصبي ولوالديه براءة من النار**»[٤]، وقال الإمام علي عليه السلام: «**حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ويعلمه القرآن**»[٥]، عنه عليه السلام: «**مروا أولادكم بطلب العلم**»[٦]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**علموا صبيانكم من علمنا**»[٧].

***

(١) بحارالأنوار ٦: ٩٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٢، وفي بحارالأنوار ٧١: ٨٠، ب٢.

(٣) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٥، ٨٣.

(٤) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٥.

(٥) شرح نهج البلاغة١٩: ٣٦٥.

(٦) ميزان الحكمة: ح٢٢٧٢١.

(٧) وسائل الشيعة ٢١: ٤٧٨.

رابعاً- حقوق الطفل المالية

ان الإسلام اقر حق الوليد في الميراث وهوجنين قبل ان يولد بحيث لوتوفي الزوج وكان هناك جنين في بطن امه فان التركة لا توزع الا بعد ولادته والتاكد من نوعه ذكرا ام انثي،قال تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾[1].

فالطفل بامكانه ان يملك الا انه لايحق له التصرف بملكه الا بعد بلوغه ورشده ولا شك ان الإسلام قد راعي مصلحته بهذا الحكم. والوكيل الشرعي والقانوني له حق التصرف بملك الطفل بحسب ماتقتضيه مصلحة الطفل. لان في الإسلام اذا حرم الطفل من الرعاية الابوية وجبت كفالته ويكون من يكفله بمثابة الوالدين ويكون ثواب من يصنع ذالك في الجنة مع رسول الله ﷺ فيما جاء في حديثه الشريف:انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة.

***

خامساً: التعامل مع الطفل بالعدل والاحسان

من الواجبات المهمة التي لا بد أن يلتزم بها أولياء الأطفال في سبيل تربيتهم تربية صالحة مراعاة التوازن والمساواة بينهم، علي الآباء والأمهات الذين يملكون عدة أطفال أن يسلكوا مع كل منهم سلوكاً لا يغفل شأن الباقين... عليهم أن ينظروا إليهم جميعاً بعين واحدة ويعاملوهم بالعدالة والمساواة.

من شدة تأكيد الإسلام على رعاية الأطفال، أمر رب الأسرة أن يعدل بينهم في المأكل والمشرب والملبس، بل حتى في توزيع الابتسامات والقبلات

(١) سورة النساء: ١١

والمزاح، لقد نظر النبي ﷺ إلى رجل له ابنان، فقبَّل أحدهما وترك الآخر، فقال النبي النبي ﷺ: فهلاَّ ساويت بينهما؟»[١] وقال ﷺ: «**إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل**»[٢]، وعنه ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البـر واللطف**»[٣].

ومن الآثار السيئة في الاختلاف في معاملة الأطفال بالحب والحنان، ظهور عقدة الحقارة في نفوسهم. ان الأطفال الذين يشاهدون أحد إخوتهم يعامَل في الأسرة بحب وحنان يفوقان ما يعاملون به يتألمون كثيراً ويحسون بالحقارة والضعة في نفوسهم، والأثر الآخر من الآثار السيئة للاختلاف في معاملة الأطفال بالحب والحنان، إثارة الحسد وحب الانتقام في نفوس الأطفال المهملين تجاه الطفل المستأجر بحنان الوالدين دونهم. هؤلاء الأطفال الذين نالوا حظّاً أدني من عواطف الوالدين يتألمون، ويجدون أن العامل الوحيد لحرمانهم هو وجود أخيهم المدلل، فيحسدونه علي ذلك الحب، وينظرون اليه بنظر العداوة والحقد... ولأجل أن يتأثروا لكرامتهم وينتقموا منه فيجبروا بذلك حرمانهم، يحاولون إيذاءه والانتقاص منه في كل فرصة يحصلون عليها. في بعض الأحيان يكون تأثير اختصاص الوالدين أحد أولادهما بالعطف والمحبة في زرع بذور الحقد والحسد في نفوس الآخرين شديداً إلى درجة تحملهم علي التفكير في انتقام مخطط ومدّبر.

وقد يمتاز أحد الأطفال في الأسرة بجمال مفرط وخصائص فطرية

(١) مكارم الاخلاق: ١١٣.

(٢) كنز العمال:ح ٤٥٣٤٦.

(٣) بحار الأنوار ١٠٤: ٩٢.

ومنح إلهية أكثر من الباقين... في هذه الحالة مهما حاول الوالدان مراعاة العدالة والمساواة بينهم، فإن ذلك الطفل لا يسلم من حسد الآخرين، لأنهم بمشاهدتهم للامتيازات الظاهرية والنفسية التي يختص بها أخوهم يحسون بالحقارة والنقص في أنفسهم... يشعرون بأنهم دونه في المستوي والمنزلة... ولذلك فهم يحاولون إيذاءه والإنتقام منه، وهذه الظاهرة نلمسها بوضوح في (يوسف الصديق) وإخوته الأحد عشر. لا ريب في أن النبي يعقوب لم يكن شخصاً يخص بعض أولاده بالعطف والمحبة اكثرل من الآخرين، مضافاً إلى أنه كان يوصي ولده (يوسف) بالنصائح اللازمة لعدم إثارة حوافز الحسد والحقد في نفوس إخوته، فمثلاً عندما رأي الرؤيا التي تبشر بعظمته ورقيه أوصاه بأن لا يقص رؤياه علي إخوته فيكيدوا له كيداً... مع هذا كله فإن الأخوة تذرعوا بحب أبيهم ليوسف اكثر من حبه لهم، وزجُّوا بأخيهم الصغير في خضم من المشاكل والمصائب المؤلمة[1].

***

التوازن في محبّة الاطفال

إنَّ المحبة ضرورية لنمو روح الطفل كالغذاء الظروري لنمو جسمه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أحبوا الصبيان وارحموهم**»[2]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده**»[3]، ولكن ينبغي أن يكون هناك توازناً واعتدالاً في المحبة، وإن اهمية التوازن الصحيح في كمّ المحبة وكيفها وأسلوب إظهارها لا تقل عن أهمية المحبة ذاتها، وكما أن لكل من التقليل من الغذاء،

(١) الطفل بين الوراثة والتربية،للفلسفي١٧٨:٢

(٢) الكافي ٦: ٤٩.

(٣) الكافي ٦: ٥٠.

والإكثار منه، أثراً في بدن الطفل، كذلك لكل من التقليل من المحبة، والإكثار منها، آثاراً مشومة في روح الطفل وتسبب له مشاكل كثيرة.

وكما أنَّ جسم الطفل يقوي نتيجة للمراقبة الصحية، والتوازن في أكله ونومه وحركته ورياضته، ويستطيع من مقاومة البرد والحر، والجوع والعطش، والمرض علي أحسن وجه، فكذلك روحه فإنها تنمو قوية في ظل الصحة الروحية والتعاليم الخلقية، والتوازن بين أساليب العطف والحنان والشدة والخشونة... وبذلك يتمكن من الصمود أمام المصائب والمشاكل[1].

***

أطفال الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

روي علي بن عيسي الا ربلي عن كمال الدين ان الامام الحسين عليه السلام كان له عشر أولاد،ستة أبناء وأربع بنات، والأ بناء هم: علي الأكبر،علي الأوسط (زين العابدين)، علي الأصغر،محمد، عبدالله وجعفر.

والبنات هنّ: زينب،سكينة وفاطمة. وهذا القول مشهور. وبقي نسل الإمام الحسين من علي بن الحسين الأوسط (زين العابدين)، ولم يذكر كمال الدين اسم احدي بنات الإمام الحسين عليه السلام، وقد تكون رقية[2].

***

(١) راجع الطفل بين الوراثة والتربية ٢:١٨٠.

(٢) كشف الغمة في معرفةالأئمه ٢: ٢١٤.

عبدالله الرضيع[١]

كان عبدالله طفلاً رضيعاً من أولاد الإمام الحسين عليه السلام وأُمه رباب بنت امرء القيس، ومشهور انّه في كربلاءكان يبلغ من العمر ستة أشهر، وعلى هذا فإنّه ولد في المدينة، وحينما وقعت المصائب على الإمام الحسين عليه السلام واستشهد جميع أبنائه وإخوته وأقربائه وأصحابه، ولم يبقى إلاّ النساء والأطفال، سمعت النساء صوت استغاثه الإمام وهو يقول:«هل من ذابٍّ يذبُّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مُغيث يرجوالله في اغاثتنا؟ هل من معين يرجوما عندالله في إعانتنا؟»، فارتفعت أصوات النساء بالبكاء، ولمّا سمع الإمام بكاءهن ذهب إلى الخيم وقام بتهدأتهن ثم قال:«ناولوني ابني الطِّفل حتّى أودِّعه»، فأعطينه عبدالله الرضيع فأخذه الإمام ووضعه في صدره وقال:«ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدّك محمد المصطفي خصمهم»،ثمّ قبّله وودّعه، وحين أراد أن يعطيه إلى اخته ام كلثوم، قالت له: يا أخي، هذا الطفل عطشان فاسقه جرعة ماء، فحمل الإمام الحسين عليه السلام عبدالله الرضيع في صدره وذهب نحو العدو ووقف أمامهم وقال: «**يا قوم ان لم ترحموني فارحموا هذا الطفل أما ترونه كيف يتلظّى عطشاً**»، فرماه حرملةبن كاهل الأسدي بسهم وذبحه[٢].

---

(١) بحث تاريخي: يري بعض المؤرخين كالمرحوم الشيخ عّباس القمي في كتابه(نفس المهموم)، ان الطفل الرضيع الشهيد في كربلاء هو عبدالله، ويرى بعض آخر ان الطفل الرضيع هو علي الأصغر، فقيل بشأن علي الأصغر ان امه كانت تسمى ام اسحاق وقد ولد في كربلاء في ظهر يوم عاشوراء وبعد ساعة من الولادة استشهد في حجر أبيه بسهم رماه عبدالله بن عقبةالغنوي أو هاني بن ثبيت الحضرمي، وقيل بشأن عبدالله ان امه كانت الرباب بنت امرء القيس وقد ولد في المدينة والمشهور انّه كان يبلغ من العمر في يوم عاشوراء ستة أشهر وقتل وهو في يد أبيه بسهم رماه حرملة بن كاهل الأسدي، وبناء علي هذا يدل اختلاف الاسم والام والسنّ ومحل الولادة، علي استشهاد طفلين رضيعين في كربلاء في يوم عاشوراءوالله هو العالم.

(٢) راجع تذكرة الخواص:٢٥٢. المقتل للخوارزمي ٢: ٢٣، بحارالانوار ٤٥:٤٦.

وعلي يدي ذبحوا فطيمى ظامياً وبقتلهم إيَّـــاه قـد فجعوني
هل كان طفلاً قبل حين فطامهِ في حجر والـده قضى كجنيني

فأسرع الإمام عليه السلام إلى الخيمة وأخرج السهم من نحر إبنه عبدالله الرضيع وأعطاه إلى اخته زينب ثم ملأ يديه من دم نحره ورماه نحو السماء، وقال: «اللهم أُحكم بيننا وبين القوم دعونا لينصرونا فقتلونا»، وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**لم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض**»[١].

وذكر السيد ابن طاووس في (اللهوف): بعد أن رمى الإمام الحسين عليه السلام دم الطفل الرضيع نحو السماء قال: «. . . **هوّن عليَّ ما نزل بي انّه بعين الله** . . .»[٢] ثم نزل الإمام الحسين عليه السلام من على ظهر فرسه وحفر قبراً بغمد سيفه وصلّى عليه ودفنه[٣].

(١) اللهوف:٦٦، مثير الأحزان لابن نما:٣٦،نفس المهموم: ٢١٦.
(٢) اللهوف:٦٦.
(٣) المقتل للخوارزمي ٢: ٣٢.

الليلة الخامسة والعشرون

مكانة الشباب في الإسلام

قال تعالى:

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[1]

من وصايا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري: «**يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك....**»[2].

***

الإسلام والشباب

تضع الدول والحكومات البرامج والمشاريع بهدف إعطاء الشبيبة دورها وحمايتها من الضياع، وقد خصَّصت الأمم المتحدة يوماً خاصَّاً بالشباب، أعلنته باسم (اليوم العالمي للشباب)، يحتفل فيه العالم بتاريخ ١٢ آب من كل سنة، ليتذكَّروا أن الشباب هم المستقبل.

---

(١) سورة الكهف: ١٣

(٢) وسائل الشيعة ١: ١١٤.

ولا نغالي إذا قلنا أنه لم يهتم دين من الأديان ولا شريعة من الشرائع بالشباب، كما اهتمَّ بهم الإسلام، في مختلف الجوانب: الروحية والأخلاقية والفكرية والجسدية، فقد أكَّدت التعاليم الإسلامية على ضرورة حفظ وصيانة القيم والمفاهيم الإسلامية في الشباب، وترسيخها لتكون أساساً يستند إليه المجتمع الإسلامي في مراحله المختلفة، حيث جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة**»[1]، وكانت من الفئات المنحرفة عن الإسلام في المجتمع آنذاك.

***

مراحل عمر الانسان

قد قسَّم العلماء مراحل عمر الإنسان إلى أربعة مراحل، مرحلة الطفولة وتبدأ من الولادة إلى البلوغ وهو سنّ الرابع عشر من عمره تقريباً، وسنتحدث عن هذه المرحلة في الليلة الآتية انشاء الله، ثمَّ تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الشباب من سن الخامسة عشرة وتكون نهاية مرحلة الشباب سنّ الحادية والعشرين، وبعدها تبدأ المرحلةالثالثة وهي مرحلة الكهولةوتكون نهايتها سن الأربعين، ثمَّ تبدأ المرحلة الرابعة وهي مرحلة النقصان مع ظهور الضعف في الجسم وبداية سن الشيخوخة.

والإنسان يتخطَّى هذه المراحل الأربعة من عمره إلى أن يصل الى أرذل العمر وهو الضعف الذي منه بدأ الحياة لكنه في هبوط وقد أشار القران الكريم الى هذه المراحل في قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ**

(١) التهذيب ٨: ١١.

ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[٣].

***

خصوصيات مرحلة الشباب

قال رسول الله ﷺ: «ألولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين»[٤]، إنَّ السنوات السبع الثالثة من العمر تبدأ من سن الخامسة عشرة حيث مرحلة البلوغ والشباب، وفي هذه المرحلة تظهر تحولات ملحوظة في الجسم والنفس تتغير أفكار الولد، وتزول مميزات الطفولة، وتظهر معالم الشباب بوضوح، وقد وصف الرسول الاكرم ﷺ هذه المرحلة بكلمة (وزير)، حيث إن الابن لن يكون كما في المرحلة الأُولى سيداً على الوالدين، ولا في المرحلة الثانية عبداً لهما، وإنما يقوم بدور الوزير في دولة الأُسرة، و(الوزارة) بمعنى المساعدة والتعاون فكرياً في التدبير وفي رعاية المصالح، فعلى الشاب أن يكون معاوناً للوالدين في محيط الأُسرة، يتشاور معهما ويبادلهما الرأي، فيساعد والديه في تدبير أمور الحياة.

ومن كلمة (وزير) نفهم ونرى بوضوح محدودية حرية الشباب، لأن (الوزارة) بمعني المساعدة والتعاون، فالإبن الشاب، رغم أنه وصل إلى مقام

(١) الروم:٥٤.

(٢) سورة غافر: ٦٧.

(٣) يس:٦٨.

(٤) مكارم الاخلاق: ١١٥.

الوزارة في دولة العائلة، تحترم شخصيته إلا أنه يجب أن لا ينسي أنه (وزير) أي مساعد ومعاون للوالدين، وهولا يملك الاستقلال والحرية الكاملة، فالشاب له حق إبداء الرأي في المسائل العائلية، وأن يساعد الوالدين، ولكن التصميم النهائي في شؤون العائلة، يتعلق بالوالدين، وعليه فإنه في مدرسة الإسلام التربوية يكون الاستقلال محدوداً ولا يمكن أن يكون مطلقاً بدون قيد أو شرط.

***

تعامل الأبوين مع شبابهم

إنَّ الرسول الأكرم ﷺ باستخدامه كلمة (وزير) في حديثه الشريف، شَّخص من جهة حالة بروز الشخصية والاستقلال لديه وعزمه كوزير مسؤول في محيط الدولة الصغيرة (الأُسرة)، ومن جهة أُخري أفهم الوالدين أن لا يتصرفا مع شابّ اليوم تصرفهم مع طفل الأمس، ولا يتحدثا إليه بإصدار الأوامر بعنف ولا يحتقرا شخصيته، فطفل الأمس كان عبداً مطيعاً أما شاب اليوم فهو وزير ومشاورٌ لهما.

ومع وصول مرحلةالشباب، تبدأ أيام بناء شخصية الشاب، والوالدان اللذان يدركان واجبهما تماماً ويعملان طبق أوامر الرسول الأكرم ﷺ، يحترمان أولادهما ويعتبرانهم وزراء ومشاورين لهما وبذلك يجعلان منهم أصدقاء حميمين ورفقاء وزملاء لهما.

وأما الوالدان الجاهلان فإنهما يقضيان على الحقوق الطبيعية والشرعية لأبنائهما الشبان، كما يدمران عزّة النفس والشخصية لديهم بالإهانة والتحقير

والأعمال غير الصحيحة، وبهذه التصرفات السيئة ينثران بذور العداوة والبعضاء في قلوبهم، ويجعلان منهم أعداء لهما، قال الإمام علي عليه السلام: «**ولدك ريحانتك سبعاً وخادمك سبعاً ثم هو عدوك أو صديقك**»[١].

إن الوالدين اللَّذين يربيان أبناء هما بشكل صحيح، تشملهم الرحمة الإلهية، لأنَّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم دعا لهم بالرحمة، في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رحم الله والدين أعانا ولدهما على برِّهما**»[٢]، وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رحم الله من أعان ولده على بره وهو يعفو عن سيئته ويدعو له فيما بينه وبين الله**»[٣].

أما الوالدان اللذان يربيان أولادهما تربية سيئة، فإنهما يدفعان بهم إلى الخطيئة والعدوان فتشملهم لعنة الله عزوجل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عليُّ لعن اللهُ والدين حملا ولدهما على عقوقهما**»[٤].

***

إغتنموا فرصة الشباب

لا يخفى على أحد أهمية مرحلة الشباب في حياة الإنسان، إذ فيها تنمو وتزيد قدراته، وهو ما ميّز هذه المرحلة عن سابقتها (مرحلة الطفولة) ولاحقتها (مرحلة الكهولة والشيخوخة)ولذلك كانت، ولا زالت، فئة الشباب هي جوهر حركة وازدهار أي مجتمع .

الشباب هو الربيع الوحيد الذي يجرب مرة واحدة في ممر حياة الإنسان

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣٤٣.
(٢) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٦٢٥.
(٣) بحار الأنوار ١٠٤:٩٨.
(٤) بحار الأنوار ١٧: ١٨.

ووراء ربيع العمر هذا خريف فلابدّ أن نعرف قدر هذه المرحلة ومنزلتها ودورها في نمو الإنسان وحركته نحو الكمال، ومن أجل ذلك جاءت الروايات لتؤكد على أهمية هذه الفترة من عمر الإنسان وكيفية اغتنامها فمن وصايا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري: «**يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك و.....**»[1]، وقال مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «**شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية**»[2]، وفيما يلي نستعرض اهمية هذه المرحلة من العمر وكيفية إغتنامها تحت العناوين التالية:

الشباب وطلب العلم

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالتين إما عالماً أو متعلماً فإن لم يفعل فرَط وضيَّع، فإن ضيَّع أثم، . . .**»[3]، والحث علي طلب العلم في هذا الحديث عام يشمل كل العلوم ومنها العلوم العصريه وفي حديث اخر يحث الامام الشباب ان يتفقهوا في الدين فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لو أتيت شاباً من شبان الشيعة لا يتفقه لأدبته**»[4].

ان أحد أسباب ابتعاد الشاب عن الدين والالتزام بأحكامه، عدم معرفته لها بالشكل الصحيح، ومن هنا ينبغي التركيز على تعليم الشباب معالم دينهم، ومقاصد الشرع وآثار العبادات وحكمها، لنسدّ بذلك الطريق أمام أعداء الإسلام في بث أفكارهم المغرضة.

---

(١) وسائل الشيعة ١: ١١٤.

(٢) غرر الحكم:ح ٣٢٤.

(٣) بحار الأنوار ١: ١٧٠.

(٤) بحار الأنوار ١: ٢١٤.

الشباب والصداقة

في مرحلة الشباب يرغب الشاب أن يصادق أقرانه ويبني لنفسه علاقات مع من في مثل سنه، يفهمونه ويفهمهم، وبتأثير هذا الاتجاه قد يقع الشاب في أشراك من لا يريد له الخير، بل ويسعون لتخريبه فكرياً، وأخلاقياً ولذلك كان من الضروري، اختيار الصديق وفق معايير خاصة أشارت إليها أحاديث المعصومين عليهم السلام، ومما ينبغي أن يتوفر في الصديق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وحسن الخلق، والعقل السليم فإن هذه الأوصاف من شأنها أن تنعكس على صديقه بكثرة المخالطة والمجالسة، فإن من طبع الإنسان أنه إذا أنس بشخص أنس بأفعاله وسيرته وأخلاقه وسجاياه، ومن هنا أكدت الروايات على هذه الخصوصية، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له وزيراً صالحاً، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه**»[1]، وعن الإمام علي عليه السلام: «**المعين على الطاعة خير الأصحاب**»[2]، وعنه عليه السلام: «**صاحب العاقل وجالس العلماء، واغلب الهوى ترافق الملأ الأعلى**»[3].

الشباب واختيار العمل

إن قضية انتخاب العمل في حياة الشباب من أهم المسائل الصعبة، لأنه يجب أن يكون العمل موافقاً لرغبة الشاب، وليس أن يكون مفروضاً عليه، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى إن أغلب الشبان، ونتيجة عدم تجربتهم، لا يطمئنون لأنفسهم ولا يجرئون على انتخاب عمل بتصميم وعزم من أنفسهم،

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٤ ح٢.
(٢) غرار الحكم:ح ١١٤٢.
(٣) غرار الحكم:ح ٥٨٣٧.

لأن انتخاب عمل يعني قبول مسؤولية اجتماعية، ولكن أكثر الشباب يخافون قبول المسؤولية، وينظرون إلى مستقبل الحياة بقلق واضطراب، ويشعرون بعدم ارتياح لمستقبلهم، ويخشون الفشل والهزيمة من أن لا يتمكنوا من مواجهة المستقبل ومواكبة المجتمع والحصول على المزايا الإجتماعية.

ولكي لا ينحرف الشبان ويضرّوا حياتهم ويفقدوا سعادتهم نتيجة التخطيط الخاطيء عليهم أن يتركوا الغرور والتعصب، وأن يستفيدوا من أفكار وتجارب الكبار، وباستشارتهم يعيّنون خطَّ مسيرهم، وبذالك يمهدون الطريق للنجاح والفلاح.

ولقد أوجب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على الآباء أن يساعدوا أبناءهم الشبان في انتخاب العمل الحسن اللائق بهم، وجعل صلى الله عليه وآله وسلم هذا الواجب المقدس من حقوق الأبناء: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عليُّ حقُّ الولد على والده أن يحسن اسمهُ وأدبهُ ويضعهُ موضِعاً صالحاً**»[1].

وعن أبي الحسن موسي الكاظم عليه السلام قال: «**جاءَ رجلٌ إلى النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **فقال: يا رسول الله ما حقُّ ابني هذا ؟ قال** صلى الله عليه وآله وسلم: **تحسن اسمه وأدبه وتضعه موضعاً حسناً**»[2].

***

الشباب ومسألة الزواج

من منطلق وضع العلاقة الجنسية في إطارها الصحيح والقضاء على أية

(١) بحار الانوار ١٧: ١٨.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ١٢٦، كتاب النكاح.

علاقات تسبب مشاكل في حياة الفرد والمجتمع حث الإسلام على الزواج ورغب به في صور متعددة، فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ويجب على أن نقتدي بهداهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[1]، وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب فطرتي فليتسنن بسنتي، ومن سنتي النكاح»[2] وتارة يذكره في معرض الرزق فيقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، ولذا يقول الإمام الصادق [4] «**من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾**»، وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**التمسوا الرزق بالنكاح**»[5].

وتارة يصرِّح الإسلام بأنَّ الزواج عبادة يستكمل بها الإنسان نصف دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من تزوج أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر**»، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يمنع المرء من أن يتخذ أهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلا الله»، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**رذال موتاكم العزاب**»، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين، ركعة يصليها أعزب**»[6].

***

(١) الرعد: الآية ٣٨.

(٢) مكارم الأخلاق: ١٩٦.

(٣) النور: الآية ٣٢.

(٤) مكارم الأخلاق: ١٩٧.

(٥) مكارم الأخلاق: ١٩٦.

(٦) راجع الأحاديث في وسائل الشيعة ٢١: كتاب النكاح.

عقبات أمام زواج الشباب

تُشير بعض الإحصائيات إلى انخفاض نسبة الزواج بين أوساط الشباب الذين تقدّمت بهم السن حتى فقدوا فيه عنفوان الشباب وحيويته في المناطق الكبيرة التي تُعتبر أقرب من غيرها إلى المدنية والحضارة، وبالطبع فان هنالك بعض العناصر التي أدّت إلى هذا الوضع، يمكن ايجاز أهمها في ما يلي:

١ـ طول مدّة الدراسة.

٢ـ سهولة اقامة العلاقات اللامشروعة.

٣ـ انعدام الثقة بين الفتيان والفتيات.

٤ـ التكاليف الباهضة للزواج وعدم امكانية تلبية المتطلبات المعاشية.

لقد تحول المهر في المجتمع الإسلامي من كونه هدية من الزوج إلى زوجته، وأنه دليل إخلاصه ومحبته لها إلى ثمن يخضع للزيادة والنقصان، ولقد لعب تزايد المهور وغلاؤها دوراً مهماً في التقليل من انتشار الزواج بشكل مبكر ومع الأسف، فأولياء الأمر من الآباء والأمهات لا يتفهمون هذه المحنة، ظناً منهم أن هذا يعزز من مكانة البنت، ويعلي جاهها وسمعتها، بينما الإسلام ينادي إلى تقليل المهور، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلّهن مهراً**»[1] وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يمن المرأة تيسير نكاحها، وتيسير رحمها**»[2]، إلى غير ذلك من الأخبار.

وبينما نرى أنَّه يطلب من الشاب في أيامنا هذه عندما يتقدم للزواج شهادات عليا جامعية، ومبالغ طائلة لشراء الملابس للزوجة، وغرفة النوم،

(١) الكافي ٥: ٣٢٤.

(٢) مستدرك الوسائل ١٤: ٢١٦، ب ٣٨.

وحلي الخطوبة والعرس والخدمة العسكرية للزوج فهذه المتطلَّبات قد أخرَّت الزواج إلى عدة سنوات؟

هذا ورسول الله ﷺ يقول: «**إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه**»[1]، وقال الإمام الرضا عليه السلام: «**إن خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوجه، ولا يمنعك فقره وفاقته؛ قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾**»[2].

***

التسريع في زواج الشباب

إنَّ الزواج تلبية لطلب الطبيعة ونداء الفطرة، وزمن زواج الشباب محدد عندما تظهر الرغبات الجنسية، نتيجة البلوغ، لدى الشباب، ويريد الذكور زوجات، والأُناث أزواجاً، عندئذ يجب عليهم أن يتزوجوا فيلبوا بذلك حاجتهم الطبيعية.

إنَّ النبي الأكرم ﷺ أكَّد علي المسلمين أن يسرعوا في أمر الزواج واغتنام أقرب فرصة لإقامة هذه العلاقة المقدسة، وقد جعل النبي ﷺ زواج الإبن إذا بلغ من حق الولد علي والده فقال ﷺ: «**من حق الولد علي والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ**»[3].

كما بيّن ﷺ أن تنفيذ هذه السُّنة المقدسة وتلبية الحاجة الطبيعية يؤديان إلى إكمال دين الشباب، فعن علي عليه السلام أنه قال: «**لم يكن أحد من أصحاب**

(١) الكافي ٥: ٣٤٧.

(٢) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٧٢، والآية٣٢ من سورة النور.

(٣) وسائل الشيعة ٥١٥:٥.

الرسول ﷺ يتزوج إلّا قال رسول الله ﷺ: كمل دينه»[1].

إن تأخير الزواج يدفع بالأشخاص العفيفين إلى كبت وقمع غرائزهم الجنسية، وبالتالي يصابون بعوارض سيئة نتيجة هذا العمل غير الطبيعي. وأما الأشخاص غير العفيفين فإنهم يرتكبون المعاصي والأعمال المنافية للعفة والأخلاق، وتكون النتيجة السيئة لهم، والأضرار للمجتمع.

ونشاهد أن الزواج بين الشباب في العالم أخذ يتأخر، وقد لا يتم، وهذا سبب من أسباب انتشار الفحشاء، وانسياق الشباب بسرعة إلى الفساد والضياع.

ومن الامور التي تهم الشباب في مسالة الزواج، أن يتعرف الآباء والأُمهات علي رغبات أبنائهم ويأخذوها بعين الاعتبار وليعلموا أن هؤلاء الأبناء والبنات هم الذين ينبغي ان ينتخبوا شريك الحياة لبناء الحياة المشتركة، وهم الذين يجب أن يطلبوا الزوج المناسب الذي يريدونه لكي يعيشوا العمر معاً بمحبة ويستمر الزواج، فعن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له إني أريد أن أتزوج امرأةً وإن أبويَّ أرادا غيرها»، قال عليه السلام: «**تزوج التي هويت، ودع التي يهوى أبواك**»[2].

وفي زمن ما قبل الإسلام لم يكن يحق للفتيات إبداء رأيهن في مسألة الزواج، بل كانت الأُمور بيد الأب الذي يختار الرجل ومقابل مبلغ مالي يزوجه ابنته، وهكذا نري في الحقيقة أن البنات كن كالبضاعة تسلم للمشتري مقابل مبلغ من المال، وقد وقف النبي الأكرم ﷺ بوجه هذه العادة الظالمة

(١) مستدرك الوسائل ٢٠:٥٣٠.
(٢) الكافي ٥: ٤٠١.

وحرر المرأة من أغلال الأسر، وبني الزواج علي أساس رضا ورغبة المرأة والرجل، ورضا المرأة كرضا الرجل ركن أساسي من أركان الزواج.

***

نماذج من الشباب القدوَة

لقد قدَّم لنا التاريخ الإسلامي نماذج رائعة لشباب استفادوا من فرصة العمر وسطروا أروع الأمثلة في مختلف المجالات واصبحوا قدوة للآخرين وبالأخص للشباب، ولا يسع المجال لذكرها هنا ونكتفي بذكر بعضها:

الشاب حارثة بن مالك

عن أبي عبد الله٨ قال: «استقبل رسول الله الشاب حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال ﷺ له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال لكل شيء حقيقة، فما حقيقة قولك؟ فقال يا رسول الله ﷺ عزفت نفس عن الدنيا فأسهرت ليلي، واظمأت هواجري (نصف النهار)، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة، وكأني أسمع أهل النار في النار، فقال له رسول الله ﷺ: عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فأثبت، فقال الشاب: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني الشهادة معك، فقال ﷺ: **اللهم ارزق حارثة الشهادة**. فلم يلبث إلاّ أيّاماً حتى بعث رسول الله سريّة فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ـ ثم قتل، وفي رواية أنه استشهد مع جعفر بن أبي طالب في مؤتة»[1].

***

(١) الكافي ٢: ٥٤، المحاسن ١: ٢٤٦،ب٢٩،بحار الانوار ٦٤: ٢٨٨،ب١٤.

الإمام الخامنئي قدس سره يذكرنا أيام شبابه

كنت كثير المطالعة في مرحلة الشباب، فبالإضافة إلى الكتب الدراسية كنت أقرأ الكتب التاريخية، الأدبية، فنون الشعر والنثر، القصص والروايات، كنت أحب الروايات القصصية كثيراً وقد قرأت أغلب الروايات القصصية المشهورة آنذاك، وقد شغفت بالأحاديث النبوية إثر إجادتي للغة العربية بفضل دراستي ومتابعتي للدروس العربية.

أما حول دخولي ساحة الجهاد والمعترك السياسي، كان لي من العمر ربما خمس عشرة أو ست عشرة سنة، حين قدم المرحوم نواب صفوي لمشهد وأخذ يلقي خطاباته، الأمر الذي جعله ينفذ إلى أعماق قلبي، ولم أكن في ذلك بدعاً من سائر الشباب الذين تعاطفوا معه وكان لهم مثل هذا العمر....

كانت لي إبان نشاطي السياسي محاضرات في التفسير كنت القيها على أسماع الشباب سيما من الطلبة الجامعيين، وذات يوم خلال طرحي لآيات بني إسرائيل، تحدَّثت حول أوضاع اليهود، فلم يمر وقت طويل حتى ألقي القبض عليّ وأودعوني السجن كان أول سؤال وجهوه إليّ في التحقيق، لماذا تحدثت ضد اليهود وبني إسرائيل؟

***

من شباب كربلاء، علي الأكبر عليه السلام

كان علي الأكبر عليه السلام يتمتع بأعلى مستويات الوعي، فقد جرى حوار بين الإمام الحسين عليه السلام وابنه الأكبر، وذلك بعد أن علم الحسين وصحبه ما جرى على مسلم بن عقيل في الكوفة.

سمع الأكبر أباه الحسين يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، فسأله عن سبب استرجاعه، فقال له الحسين عليه السلام: إني خفقت برأسي فعنَّ لي فارس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا.

فقال علي الأكبر: لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ فقال الحسين: بلى والذي إليه مرجع العباد. فقال علي عليه السلام: إذن لا نبالي أن نموت محقين، فقال الحسين: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده[1].

ولمّا لَم يَبْقَ مع الحسين إلاّ أهلُ بيتِه، عَزَمُوا على مُلاقاةِ الحُتُوفِ، ببأْسٍ شَديدٍ،... وأقبَل بعضُهم يودِّعُ بعضاً، وأوَّلُ مَنْ تقدَّم عليٌّ الأكبر، وعمرُه سبع وعشرون سنة، وكان مِرْآةَ الجَمالِ النبوي، ومِثالَ خُلُقِه السامي، فاستَأذَنَ أباهُ، وَبَرَزَ مُرْتَجِزاً مُعَرِّفاً بنفسِه قائلاً[2]:

أنـا عليٌّ بنُ الحسينِ بنِ علي نحنُ وَرَبِّ البَيْتِ أولى بالنَبِيَّ
تَاللهِ لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَعي أَضْرِبُ بالسيفِ أُحامي عن أبي

ضَـــرْبَ غُـــلامٍ هـاشِـــمِـيٍّ قُـرَشـــي[3]

فلم يَزَلْ يُقاتِلُ حتّى ضَجّ أهلُ الكوفةِ لِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَ مِنْهم، ولمّا اشتدَّ به العَطَشُ، رَجَعَ إلى أبيه يَستَريحُ، ويذكر ما أجْهَدَه مِن العَطش، فبكى الحسينُ عليه السلام، وقال: «وا غوثاه، ما أسرع المُلتقى بجدِّك، فيَسْقيك بكأسِه شربةً لا تظمأ

(١) مقاتل الطالبيين: ٨٠، وراجع أعيان الشيعة ٨: ٢٠٦.
(٢) مقتل الخوارزمي ٢:٢٦.
(٣) الإرشاد للمفيد:٢٣٨.

بعدَها»، وَرَجَعَ (عليٌّ) إلى الميدانِ فأكثرَ القتلى في أهلِ الكوفةِ، فقال مُرَّةُ بنُ مُنْقِذِ العَبْدي: عليّ آثامُ العربِ إنْ لَمْ أَثْكِلْ أباه به، فطَعَنه بالرُّمْحِ في ظَهْرِهِ، وَضَرَبه بالسيفِ على رأسِه، فَفَلَقَ هامَتَه، واعْتَنَقَ فَرَسَه فاحْتَمَلَهُ إلى مُعَسْكَرِ الأعداءِ، وأحاطُوا به حتّى قَطَّعُوه بِسيوفِهم إرْباً إرْباً[1]، ونادى رافعاً صَوْتَه: «عليك مِنّي السلامُ يا أبا عبدِ الله، هذا جدّي قد سَقاني بكأسِه شربةً لا أظْمأُ بعدَها»[2]، فأتاه الحسينُ عليه السلام وانكبَّ عليهِ واضِعاً خَدَّه على خَدِّه، وهو يقول: على الدنيا بَعْدَكَ العَفا[3].

يا كوكباً ما كان أقصر عُمْرَهُ وكذا تكون كواكب الأسحارِ

(١) تاريخ الطبري ٣:٣٣١.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢:٣١.

(٣) العفاء مصدر بمعنى التراب، الهلاك،(راجع المنجد).

الليلة السادسة والعشرون

نظرة إلى الحياة الأبديَّة

قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾[1]

قال أمير المؤمنين: «**ماخير بخيرٍ بعده النَّار، وماشرّ بشرٍّ بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاءٍ دون النَّار عافية**»[2].

نقل الشهيد مطهري قدس سره[3] عن بعض من أحصى آيات القرآن التي تتكلم عن المعاد فكانت (١٤٠٠) آية، مما يكشف عن أن القرآن الكريم لم يول أي موضوع مثل ما أولاه للمعاد ولأجل هذا التأكيد البليغ على حتميته ووقوعه، اعتبر المسلمون، بل جميع من يؤمن بالأديان السماوية أن الإيمان بالمعاد من

(١) سورة النساء: ١٢٢.

(٢) الكافي٨: ٢٢، شرح نهج البلاغة١٩: ٣٣٥، بحار الأنوار ٨: ١٩٩،ب٢٣.

(٣) كتاب المعاد: ١٥، وهومجموعة محاضرات ومناظرات للشهيد مطهري.

ضروريات الإيمان بالتوحيد والنبوة، كما أن من أنكره عُد من الكافرين الخارجين عن الدين، ولهذا كان المعاد أصلاً من أصول الأديان، ونحن سنتكلم في هذا الأصل عن حقيقته وضرورة الإيمان به، وأدلة ثبوته ونبدء بالبحث حول الموت حيث هوبوابة الخروج من عالم الدنيا والدخول في عالم البرزخ ومن ثم اللإنتظار حتي قيام الساعة ويوم الحساب للدخول في الحياة الأبدية.

***

الموت، بوابة الحياة الأخروية

إنَّ أوَّل منزل من منازل الحياة الاخروية هو الموت، الذي عبارة عن انفصال الروح عن البدن وهو في الواقع انتقال من مرحلة من الحياة إلى مرحلة أخري كمثل الطفل الذي يعيش جنيناً في بطن أمه، ثم يولد فينتقل إلى الدنيا،فهذا حقيقة الموت وقد شبه في بعض الروايات بالنوم، فسئل محمد بن علي الجواد عليه السلام ما الموت؟ فقال عليه السلام: «**هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة... فاستعِّدوا له**»[1].

وكذلك فقد يكون الموت أول منازل العقاب لبعض، كما قد يكون أول الخيرات ومواقع السعادة لبعض آخر، فعن الصادق عليه السلام حين قال له قائل: صف لنا الموت، فقال عليه السلام: «**هو للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينتعش بطيبه فينقطع التعب والألم كله، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أوأشدُّ**»[2]، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ما الموت؟ فقال عليه السلام: «**للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفك قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب**

(١) بحارالأنوار٦: ١٥٥،ب٦.

(٢) بحارالأنوار٦: ١٥٢،ب٦.

وأطيبها روائح وأوطإ المراكب وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب»[1].

و يعتبرالموت مرحلة من مراحل السير التكاملي للإنسان نحو الآخرة، وهو الرجوع إلى الله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، حيث أن الاستقرار النهائي عند الله، والراحة الأبدية عند لقائه، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾[3].

ومن هنا يطرح السؤال المهم التالي، فإذن لماذا الناس يخافون من الموت؟!

***

أسباب الخوف من الموت

أوَّلاً ــ عدم التعرف علي حقيقة الموت: يخاف الإنسان من العدم والفناء، ويبغضه بفطرته ويريد الحياة الأبدية، وسبب خوف بعض الناس من الموت أنهم يعتبرونه فناء، أما لو اعتبروا الموت ولادة أخري، كولادة الطفل من رحم أمه، واعتبروه عبوراً من عالم ضيقٍ إلى عالم أوسع وأكمل، وحياة أحسن وأفضل، فسيعلمون أن الموت في هذه الدنيا هو مقدمة لتلك الحياة الأفضل الأبدية، ولسوف ينتظرونه ويرتقبونه، ولايخافونه، إذا استعدوا له بالأعمال الصالحة، ليدخلوا في الحياة الأبدية التي لا موت فيها قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[4].

---

(١) بحارالأنوار٦: ١٥٥،ب٦.

(٢) سورة البقرة:١٥٦.

(٣) سورة القيامة:١٢.

(٤) سورة الدخان:٥٦.

وسُئل الإمام الجواد عليه السلام: «ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟» قال عليه السلام: «**لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزوجل لأحبوه، ولعلموا أنَّ الآخرة خير لهم من الدنيا...**»[1] فأولياء الله كانوا يحبون الموت ويأنسون به، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطِّفل بثدي أمِّه، ومن الرَّجل بأخيه وعمِّه**»[2]، وإذا طلبوا الدنيا وطول البقاء فيها فهو لأجل الازدياد من الحسنات والطاعات لنيل الدرجات، فهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو ويناجي ربه: «إلهي إن كان عمري بِذلة في طاعتك فعمّرني وإن كان مرتعاً للشيطان فاقبضني»[3].

ثانياً- الخوف من الأعمال الفاسدة: هناك جماعة من الناس يخافون من الموت لا لأنهم يعتبرونه فناء، بل لأنهم قد ارتكبوا المعاصي والمحرمات الكثيرة، وعلموا أن الله تعالى يعذبهم علي ذلك عذاباً أليماً، فلذلك خافوا من الموت، ففي قوم من اليهود الذين ارتكبوا بعض المعاصي ادعوا أنهم المقربون والمحبّون لله سبحانه، فنزلت الآيات التالية من سورة الجمعة لتكنبهم وتقول لهم: لو كان حقاً ما تقولون لتمنيتم الموت، واشتقتم إلى لقاء الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5].

---

(١) بحارالأنوار٦: ١٥٦،ب٦،سكرات الموت وشدائده.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ١٣، وبحارالأنوار٢٨: ٢٨،ب٤.

(٣) من أدعيته في الصحيفة السَّجَّادية.

(٤) سورة الجمعة: ٦،٧.

(٥) سورة البقرة:٩٥.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: لِأَنَّكُمْ عَمَرْتُمُ الدُّنْيَا وَ أَخْرَبْتُمُ الْآخِرَةَ فَتَكْرَهُونَ أَنْ تُنْقَلُوا مِنْ عُمْرَانٍ إِلَى خَرَابٍ فَقَالَ لَهُ فَكَيْفَ تَرَى قُدُومَنَا عَلَى اللهِ فَقَالَ أَمَّا الْمُحْسِنُ مِنْكُمْ فَكَالْغَائِبِ يَقْدِمُ عَلَى أَهْلِهِ وَ أَمَّا الْمُسِيءُ مِنْكُمْ فَكَالْآبِقِ يُرَدُّ عَلَى مَوْلَاهُ...[1]

ثالثاً ـ التعلق بالدنيا: إنَّ أحد أسباب الخوف من الموت التعلق بالدنيا، وعندما يوجد الإنسان في نفسه محبة شديدة للدنيا وزينتها من الأموال والأولاد والأرقاب بعيداً عن الله تعالى فإنه يصعب عليه تركها، أما لو ترك الإنسان التعلق بالدنيا للفوز بالجنة والرضوان من الله، فسيكون الإعراض عن هذه العلائق والتوجه إلى المحبوب الحقيقي سهلاً جدَّاً، فحينئذٍ يسهل عليه الموت، بل يختار الموت بنفسه لينال السعادة الأخروية، لأنَّ الموت بالنسبة للمؤمن سعادة كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «**إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما**»[2]، وينسب للإمام الحسين أنَّه قد أنشد الأبيات التالية يوم عاشوراء:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أبقى وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أنشأت ... فقتل امري بالسيف في الله أفضل

***

الإنسان في سكرة الموت

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[3]، وهي عقبة

(١) الكافي٢: ٤٥٣، باب محاسبة العمل.

(٢) تحف العقول:٢٢٥، وبحار الأنوار ٤٤: ١٩٢،ب ٢٦.

(٣) سورة ق: ١٩.

صعبة جدَّاً حيث تحمل الشدائد على المحتضر من جميع الجهات، فشدة آلام المرض، واحتباس اللسان، وزوال القوى من الجسد، وبكاء الأهل وتوديعهم، وهموم يتم الأطفال، والانفصال من المال، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**يتذكر أموالاً جمعها... ، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون بها، فيكون المهنأ لغيره، والعبء على ظهره**»[1]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أهوال الدخول إلى نشأة غير نشأة الدنيا التي تعوَّد وتأقلم عليها، ورؤية ما لم تكن تراه عينه قبل هذا: ...﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2].

وعند سكرات الموت يسعى الشيطان عند المحتضر ليشككه بعقيدته ليخرجه عن دينه، وعدوله عن الحق إلى الباطل ولهذا فينبغي أن يقوم الإنسان بأعمال في الدنيا تدرأ عنه العديلة عند الموت، منها:المواظبة على أوقات الصلاة، ومنها: تعظيم حقوق الله: فقد جاء عن الصادق عليه السلام أنه كتب إلى بعض أصحابه: «**إذا أردت أن يختم عملك بخير: فتقبض روحك وأنت في أفضل الأعمال، فعظّم حقوق الله بأن لا تصرف نعمه في معاصيه، ولا يغرَّنك حلمه عليك، وأكرم من ذكرنا أو ادَّعى حبَّنا ومودَّتنا...**»[3].

ومنها:أن يقرأ عقيب كل فريضة: «**رضيت بالله ربَّاً، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلةً، وبعلي عليه السلام ولياً وإماماً، وبالحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن (صلوات الله عليهم) أئمةً،**

(١) شر نهج البلاغة٧: ٢٠٠، وبحار الأنوار ٦: ١٦٤،ب٦.

(٢) سورة ق: ٢٢.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ٣٠٣.

اللهم إني رضيت بهم أئمةً فأرضني لهم، إنك على كل شيء قدير»[١]، فقد ورد أن محمد بن سليمان قال للصادق عليه السلام ما تقوله الشيعة أن الإيمان على قسمين: ثابت مستقر ومؤتمن زائل، فعلمني دعاء أقرأه يكمل به إيماني ولا يزول فعلَّمه الصادق عليه السلام الدعاء المذكور يقرأه عقيب كل صلاة فريضة[٢].

***

منزل القبر وبعض عقباته

إنَّ القبر من المنازل المهولة الموحشة في السفر إلى يوم القيامة وهو الذي يقول كل يوم: «**أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود**»[٣]، ولهذا المنزل عقبات صعبة جدَّاً ومواقف مهولة وكان الإمام زين العابدين يتذكر ذلك المنزل ويبكي ويناجي ربَّه ويقول: «... **فما لي لا أبكي، أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي علي ظهري...**»[٤].

العقبة الأولى ــ وحشة القبر: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تمر على الميت ساعة أشد من ليلة القبر الأولى، فترحموا على موتاكم بالصدقة..**»[٥]، ومما يخفف من الوحشة في القبر، صلاة ليلة الدفن وهي ركعتان يصليها الانسان ويهديهما إلى الميت من اخوانه أو ارحامه ليلة دفنه وذكر لها صيغتان، الاولى: أن يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى آية الكرسي، وفي الركعة الثانية القدر

(١) مفاتيح الجنان: الباب الأول، الفصل الأول: في التعقيبات العامة.

(٢) منازل الآخرة، للشيخ عباس القمي: ١٢.

(٣) بحار الأنوار ٦: ٢١٨.

(٤) من دعاء ابى حمزة الثمالى للإمام السَّجاد عليه السلام

(٥) سفينة البحار ٢: ٤٧.

عشر مرات، ثم يقول: اللهم صلِّ على محمد وآله محمد وابعث ثوابها إلى قبر فلان[١]، والثانية: أن يقرأ بعد الحمد في الاولى التوحيد مرتين وفي الثانية التكاثر عشر مرات ويقرأ الدعاء السابق[٢].

ومما يخفف من الوحشة في القبر حب علي عليه السلام وأتباعه، وفي هذا يروى عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: «**يا علي أبشر فإنه لا حسرة لشيعتك عند الموت، ولا وحشة لهم في القبور، ولا خشية يوم النشور**»[٣].

العقبة الثانية ــ ضغطة القبر: فعن الصادق عليه السلام لما سئل: هل يفلت أحد من ضغطة القبر، فقال: «نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر»[٤]، وسببها عدم الاحتراز من البول وقوفاً، والنميمة والغيبة، وأذية الرجل أهله، وخشونته في التحدث معهم[٥].

العقبة الثالثة ــ سؤال الملكان: بعد شرج القبر يأتي الملكان، ويسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه وحجته، ولذا يستحب أن يلقَّن الميت بالتلقين المعروف فقد ورد أنَّه إذ لُقِّن الميت: «يقول منكر لنكير، دعنا نعود، فقد لقنوه تلقين الحجة ولا يحتاج إلى سؤال فيتركان السؤال ويعودان»[٦]، وبعدها تبدأ الحياة البرزخية لروح الميت وهي المرحلة الأولى للدخول في الحياة الأبدية.

***

(١) وسائل الشيعة ٥: ٢٨٥، ح ٢.
(٢) وسائل الشيعة ٥: ح ٣.
(٣) بحار الأنوار ٧: ١٦٨.
(٤) بحار الأنوار ٦: ٢٦١.
(٥) بحار الأنوار ٦: ٢٢٢.
(٦) بحار الأنوار ٦: ٢٢.

الحياة البرزخية لروح الميت

بعد إتمام السؤال من قبل الملكين تبدأ حياة البرزخ لروح الميت قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، وهي حياة ما بين الدنيا والآخرة، وهي إما في سعادة ونعيم، وإما في عذاب وشقاء والمؤثِّر على الحياة البرزخية بنعيمها أو شقائها هوالعمل الصالح، فقد روي أن قيس بن عاصم جاء مع رهط من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلبوا منه أن يعظهم موعظة، فقال عليه السلام: «**يا قيس! لابدَّ لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً يكرمك، وإن كان لئيماً يهملك، ولا تحشر إلا معه، ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحاً لأنَّه إن كان صالحاً تأنس به وتستأنس معه، وإن كان فاسداً لا تستوحش إلا منه، وذلك عملك**» ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسَّان بن ثابت أن ينظمها شعراً فقال حسَّان:

تخير خليطاً من فعالك إنَّما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا بينهم ثم يرحل

***

الأرواح في عالم البرزخ

عن حمّادبن عثمان عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: أنَّه ذكر الأرواح ـ أرواحَ المؤمنين ـ فقال عليه السلام: «يلتقون» قلتُ: يلتقون؟! قال عليه السلام: «نعم،

(١) سورة المؤمنون: ١٠٠.

ويتساءلون، ويتعارفون حتي إذا رأيتَه قلتَ: فلان»[1]،أي:ببدنهم المثالي، ويسلّط الشهيد آية الله دستغيب الضوء علي ماهية هذا البدن المثالي في كتابه (أصول الدين) بالقول: «وجسدك أيضاً يكون جسداً مثالياً في عالم البرزخ، يعني أنّه نفس هذا الجسد من حيث الشكل، لكنه لا يكون مادياً، بل يكون لطيفاً وألطف من الهواء، بحيث لا يمنعه أي مانع ، فأينما يكون يمكنه أن يري كلّ شيء فلا يقف الحائط مثلاً حائلاً أمام الرؤية، فلو أنَّك رأيت أباك في المنام فإنك تراه بنفس ذلك الجسد الدنيوي، لكنَّ الجسم المادي له في القبر، فهو الصورة والبدن المثالي له».

وأمّا بشأن مكان الأرواح ومقرّها بعد الموت فقد دلَّت بعض الأخبار علي أنَّ مكان الأرواح السعيدة هو (وادي السلام) في النجف الأشرف، ومكان الأرواح الشقية هو صحراء (برهوت) في اليمن، قال امير المومنين ٨ «ما من مؤمنٍ يموت في بقعةٍ من بقاع الأرض الاّ قيل لروحه: إلحقي بوادي السلام، وإنَّها لبقعة من جنّة عدن»[2].

***

انتفاع الميت بالخيرات

لا شك أن الاعمال الصالحة التي يأتي بها الانسان في الدار الدنيا، يمكن أن يهدي ثوابها إلى الاموات فيصلهم هذا الثواب بإذن الله تعالى، وينتفعوا بها في حياتهم البرزخية، سواء كانت هذه الاعمال صلاة أو صوماً أو حجَّاً أو صدقةً أو قراءةً للقرآن أو ذكراً للّه تعالى أو أي عمل صالح غير ذلك، وقد ورد

(١) بحارالأنوار: ٦، ب: ٨، ح ٤٨.

(٢) الكافى ٣: ٢٤٣،كتاب الجنائز.

في ذلك نصوص متعددة، قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم(المؤمن) انقطع عَملُه إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعُو لَهُ**»[1]، ولذا ورد التأكيد على إستحباب زيارة القبور، فعن رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلاّ استأنس به وردَّ عليه حتي يقوم**»[2].

***

فلسفة زيارة الأموات

فيما يتعلق بمسألة زيارة الأموات وفلسفتها ينبغي الإلتقات الى امرين مهمين.

الأول: إنَّ الإنسان المومن بعدالموت يحصل على حياة افضل واكمل بسبب اتصاله بعالم الملكوت وانسه وحشره بالجواهر القدسية كالملائكة فيكون آثار وجوده وهو في عالم البرزخ اوسع واقوى مما كان عليه في الحياة الدنيا، كما أن الإنسان في حالة النوم يتمتع بدرجة ضعيفة من الشعور والاحساس وكأنه نصف حي وعند الاستيقاظ تكمتل حياته، كذالك حياته في عالم البرزخ بالنسبة إلى الحياة في الدنيا.

الأمر الثاني: إنَّ روح الميت الموجودة في عالم البرزخ لها ارتباط وعلاقة مع جسدها المدفون في القبر وهذا الإرتباط بالنسبة لأولياءالله هو اقوي من غيرهم ولذا نري بأن اجسام هؤلاء لاتبلى وامّا الأرواح الضعيفة لأنّها مشغولة بنفسها ومصائبها فلذا نري بأن اجسام هذه الأرواح تبلي بسرعة، وقد اشارت

(١) عوالي اللئالي١: ٩٧، بحار الأنوار ٢: ٢٢ب٢.

(٢) سنن الترمذى: ٣: ٦٦٠،ح ١٣٧٦.

الروايات العديدة وكلمات العلماء والفلاسفة إلى هذا المعني ولايسع المجال لذكرها[١]، فاذا كان المزور من اولياء الله فتكون زيارته تعظيماً له وسبباً لرفع درجاته، وبذلك يستفيد الزائر من دعاء المزور ويكون ذلك سبباً لتقرب الزائر الي الله، واذا كان المزور من عامة قبور المسلمين والمؤمنين فيكون زيارة قبره تكفيراً لذنوبه وازدياداً لحسناته، وعبرة وتذكرة للزائر، وعلى اساس هذا المفهوم والمعنى للزيارة وآثارها الدنيوته والأخروية جاءَت الروايات العديدة لتأكد علي فوائد وآثار زيارة القبور خصوصاً زيارة قبور الأنبياء والأولياء لاسيما زيارة النبي الأكرم واهل بيته الطاهرين ومنها واهمها زيارة قبر مولانا وسيدنا ابي عبدالله الحسين عليه السلام.

***

صلاة الهدية للأموات

صلاة الهدية هي أن يأتي الانسان بالصلاة هدية لاهل البيت عليهم السلام، أو لوالديه أو سائرأرحامه، أو لاخوانه المؤمنين، فقد نقل المحدِّث القمي أنَّه ورد في الحديث أنَّ الامام الصادق عليه السلام كان يصلّي عن والديه كل يوم ركعتين يقرأ في الاولى بعد الفاتحة القدر وفي الثانية بعدها الكوثر، كما ورد عن النبي أنَّه كان يصلّي عن ولده اسماعيل في كل ليلة ركعتين أيضاً، وأنَّ الميت يفرح بالدعاء والاستغفار كما يفرح الحي بالهدية، وأنَّه يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبرّ والدعاء ويكتب أجره للذي يفعله وللميت[٢].

(١) من اراد الإطلاع على ذلك فاليراجع ابواب الزيارة في مجامع الحديثته وكتب الفلسفة والعرفان منها: رسائل ابن سينا، وتعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس للأمام الخميني (قدس سر).

(٢) مفاتيح الجنان،كتاب الباقيات الصالحات، وهناك صلاة الولد لوالديه ذكرها المحدِّث القمي في مفاتيحه.

القيامة الكبري والدخول في الحياة الابدية

القيامةالكبري هي من أهول المنازل للميت وأشدها وأعظمها، ومن هنا سميت بالفزع الأكبر والواقعةالكبرى... والى غيرها من الأسماء التي تكشف عن هولها وصعوبتها حتى أن جبرائيل كان يخاف من ذكر اسمها، فقد سأله عيسى: متى تقوم القيامة؟ فارتعش جبرائيل بسماعه اسم القيامة ارتعاشاً شديداً بحيث سقط على الأرض مغشيا عليه، ولما صحا قال: يا روح الله ليس المسؤول بأعلم من السائل عن أمر القيامة[1].

ويخبر القرآن عن ثقل يوم القيامة وإتيانها بغتةً في قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[2]. وبعد قيام السَّاعةومحاسبة الإنسان على ما عمله في الدنيا يدفع به روحاً وجسداً إمَّا إلى الجنة منعَّماً أوإلى جهنَّم معذَّباً كلّ بحسب عمله فإنَّه يوم جزاء الأعمال الصالحة والطَّالحة.

***

عودة الأرواح إلى الأجساد

إنَّ ما اتَّفقت عليه كلمة علماء الإسلام، وتواترت فيه الروايات أنَّ معنى المعاد هو عودة الأرواح إلى الأجساد التي كانت عليها قبل الموت، وسوقهم إلى ساحة المحشر ليجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، فالمعاد هو الحشر بالروح والجسد ونفس الخصائص الشخصية التي كان عليها في الدنيا، قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۞ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۞ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۞ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[3].

(١) بحار الأنوار ٦: ٣١٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٣) سورة القيامة: ١ـ ٦.

وقد تعرض القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى الاستدلال على عود الأرواح إلى نفس الأجساد التي كانت عليها في الدنيا ولعل ذلك يعود إلى أنه قضية غير ممكنة الإدراك لكثير من البشر، كما أنها مورد لتشكيك المشككين، وفي هذا السياق عرض القرآن الكريم لإثبات المعاد مجموعة من القصص نذكر بعضها:

***

قصة العاص بن وائل

ورد في مجمع البيان[1] أنَّ العاص بن وائل دخل المسجد وبيده عظام انسان بالية وهو يفت بها، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس مع جماعة من بني هاشم قال: يا محمد! تظن ان ربك يحيي هذه بعد موتها؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ان ربي قادر على كل شيء**»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

***

قصة عزير النبي عليه السلام

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ

(١) مجمع البيان٤: ٦٧٦.

(٢) سورة يس:٧٨، ٧٩.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، هذه الآية تتحدث عن قصة نبي الله عزير، وتعالج استبعاد المعاد لتثبته بشكل قاطع يروى أن عزيراً النبي عليه السلام خرج من منزله يريد سفراً بعيداً وفي طريقه مرَّ على قرية أصابتها الحوادث الطبيعية بالهدم والخراب فتلاشت وذهب أهلها، وأصبحوا عظاما ورميماً، بعد أن تفرقت أجسادهم، وقدتأخر عزير في القرية برهة من الزمن، وأخذ يفكر ويتأمل الوضع المؤسف الذي عليه القرية، ثم انقدح في ذهنه هذا السؤال، إذ قال بتعجب: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ﴾، فإذا به يموت مع حماره، ومضت السنوات تلو السنوات، فلما كملت المئة بعثه الله مرة أخرى، وسأله: كم لبثت؟ فقال: لبثت يوماً أو بعض يوم فجاءه الجواب: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾،فلما نظر عزير إلى حماره كيف يحيا بعد مئة عام من موته، قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وواضح أن هذه القصة تؤكد على أن عودة الأرواح إلى نفس البدن الذي كان قبل الموت، وبقدرة الله تعالى تُجمع العظام ويستعاد نفس اللحم والعروق والدماء، وبتلك الكيفية الدنيوية لا غيرها[2].

***

قصة النبي إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٧: ٣٤.

بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وتتحدث هذه الآية عن طلب إبراهيم من ربِّه أن يريه كيفية إحياء الموتى، ولم يكن طلبه هذا لعدم إيمانه بالمعاد الجسماني بدليل قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾، فالإيمان عند إبراهيم تام وكامل، ولكن يرغب في رؤية ذلك عملياً، ليزداد إيماناً وليطمئنَّ قلبه، فأمره الله تعالى أن يحضر أربعة من الطيور المختلفة في نوعها، ثم يقطعها أجزاءً صغيرة ويضعها على كل جبل جزءا ثم يناديها فتأتي إليه وكأنه لم يحدث شيء، وفعلاً فعل إبراهيم ما أمره الله به فقطّع أربعة من الطيور المختلفة ثم خلط لحمها، وفرقه على الجبال، فلما دعاهن أجابته، فرأى إبراهيم كيف يجتمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه، ثم يرفرفن بين يديه[2].

***

قصة أبي بن كعب

كان أبي بن كعب رجلاً عنيداً يحاول دائماً الاستهزاء والسخرية بعقائد المسلمين، ويستخف بها، وقد جاء يوماً إلى رسول الله ﷺ وبيده عظم بالٍ متفتتٍ، ففركه بين يدي رسول الله ﷺ ورمى بذراته في الهواء، وقال: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذه؟!، فقال عليه السلام: نعم، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٢) بحار الأنوار ٧: ٣٦.

(٣) يس: ٧٨، ٧٩.

وهكذا في كثير من آيات القرآن وسوره يستعرض المولى عزّ اسمه مجموعة من القصص لتكون آيات على المعاد الجسماني، منها قصة أصحاب الكهف الذين ناموا ثلاثمئة عام ثم عادوا إلى الحياة، وإحياء الأرض بعد موتها وإزهار النباتات بعد جفافها... وغير ذلك كثير ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[1].

***

يوم الحساب والجزاء

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]، وفي يوم القيامة يحاسب الذنسان عن كل صغيرة وكبيرة،بحيث يقول: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾[3]، كما أن الله تعالى يأتي بالشهود على الإنسان فيشهدون على ما قدم وأخَّر فيشهد الله عليه قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾[4]، وتشهد الملائكة عليه قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[5]، كما تشهد عليه الأرض قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[6]، وأعجب ما في الأمر أن جوارحه تشهد عليه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[7]، ومن الشهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام.

---

(١) الذاريات: ٢٠.

(٢) الزلزلة: ٦،٨.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) آل عمران: ٩٨.

(٥) سورة ق: ٢١.

(٦) الزلزلة: ٤.

(٧) النور: ٨.

وعندما ينتهي محاسبة الإنسان على عمله في الدنيا يدفع به روحاً وجسداً إمَّا إلى الجنة منعَّماً خالداً فيها،فهي داربقاء وحياة أبدية، أو يدفع به روحاً وجسداً إلى جهنَّم معذَّباً خالداً فيها أو موقَّتاً.

***

الحياة الأبدية في الجنة

إنّ عالم الآخرة عالمٌ آخر يتّسم بخصوصيات أخرى تختلف ـ بصورة كلية ـ عن هذه الدنيا، وعلينا أن نستفيد لتعريفها ووصفها من آيات القرآن، وأحاديث المعصومين ومن جملة هذه الأمور «الجنّة ونعيمها» ولدينا آيات كثيرة حولها، وبكلمة واحدة: يوجد للمؤمن في الجنة كل ما يحبّ ويشتهي:] وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ[(١)، بل إنّ هناك نعماً لم تخطر لهم ببال أصلاً ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ والأهم من ذلك رضوان الله ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢)

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام (الشيخ الصدوق): «اعتقادنا في الجنّة أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موت فيها ولا هرم، ولا سقم ولا مرض، ولا آفة ولا زمانة، ولا غمّ ولا همّ، ولا حاجة ولا فقر، وأنّها دار الغناء والسعادة، ودار المقامة والكرامة، لا يمسّ أهلها فيها نصبٌ ولا لُغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وهم فيها خالدون. وأنها دارٌ أهلها جيران الله وأولياؤه وأحبّاؤه، وأهل كرامته، وهم أنواعٌ على مراتب: منهم المتنعّمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة من ملائكته، ومنهم

(١) الزخرف: ٧١.

(٢) التوبة: ٧٢.

المتمتّعون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك والحور العين واستخدام الولدان المخلّدين والجلوس على النمارق والزرابيّ ولباس السندس والحرير، وكلٌّ منهم إنّما يتلذذ بما يشتهي ويريد»[1].

***

الحياة في جهنّم

جهنّم هو المكان الذي أعدّ ليكون مثوى الكفار والظالمين والمنافقين والمسيئين في عالم الآخرة، فهم سينتقلون في يوم القيامة بعد محاسبة أعمالهم إلى ذلك المكان، فيعذّب فيه ساكنوه بألوان العذاب والأذى، لينالوا بذلك جزاء أعمالهم السيئة، والبعض منهم يخلَّدون في جهنَّم كالكفَّار والمشركين والبعض منهم يعاقب بحسب ما قرِّرله.

إنّ وضع جهنّم وأنواع العذاب الذي يعانيه أهل النار ليس معروفاً لنا في هذا العالم جيّداً، بل وليس قابلاً للتصوّر بصورة صحيحة وحقيقية، ولكنّنا نعلم إجمالاً أنّ ذلك المكان مكانٌ سيئٌ ومؤلم جداً، ولبيان أوصاف جهنّم وألوان العذاب فيها علينا مراجعة القران الكريم لنذكر نماذج من آياته في هذا الموضوع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3].

وخلاصة القول ما ذكر بشأن جهنم مانستفيد من آيات الذكر الحكيم

(١) بحار الأنوار ٨: ٢٠٠.

(٢) سورة طه: ٧٤.

(٣) سورة التحريم: ٦.

هو:

ـ أنّ لباس أهل جهنم من نار وهم يوضعون في السلاسل والأغلال.

ـ أنّ جلود أهل جهنم تشوى في جهنم ولكنّها سرعان ما تتجدد حتى يذوقوا العذاب.

ـ أنّ طعام أهل جهنم من شجرة اسمها الزقّوم، وتغلي في بطونهم مثل الماء الحارّ.

ـ أنّ لجهنّم دركات ومراتب مختلفة، وكلّ فريق يوضع في الدرك الّذي يناسبه.

ـ أنّ أهل جهنم يطلبون الموت من شدّة العذاب الّذي يعانون منه، ولكن لا موت هناك.

إنَّ الأمور المذكورة هي نماذج من خصائص العذاب الّذي يعذَّب به المسيئون في جهنّم، هذا مضافاً إلى أنّ جهنّم وصفت في القرآن الكريم، بأنها عذابٌ مهين، عذابٌ أليم، عذابٌ شديد، عذابٌ عظيم، عذابٌ مقيم، عذاب غليظ، عذابُ الهون (الذِّلة)، عذابُ الحريق، بئس المصير، بئس مثوى الظالمين، بئس المهاد،، وما يشابهها من الأوصاف والنعوت الّتي يوصف بها عذاب جهنّم، إنّ لكل هذه الأوصاف والتعاريف حقيقة، والهدف منها هو بيان شدّة العذاب الأخرويّ، وصعوبته، ومن هذه الشواهد وأمثالها يستفاد أن عذاب جهنّم هو أشدّ وأصعب مما نتصوّر، أعاذنا الله وجميع المؤمنين منه.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**ماخير بخيرٍ بعده النَّار، وماشرّ بشرٍّ بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاءٍ دون النَّار عافية**»[1].

(١) الكافي٨: ٢٢، شرح نهج البلاغة١٩: ٣٣٥، بحار الأنوار ٨: ١٩٩،ب٢٣.

الليلة السابعة والعشرين

مكانة العلم والعلماء في الاسلام[١]

قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ**»[٣].

***

نظرة الإسلام لطلب العلم

لا شك أنَّ الدين الإسلامي كان له السبق في نشر العلم ومحاربة الجهل، وكان من أولى أهدافه الدعوة إلى طلب العلم في المجتمعات الجاهلية، ومما يؤكد ذلك بجلاء أنَّ أول ما نزل من القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة إلى العلم والتعلم، وبدأ هو بتعليم الإنسان في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى

(١) لأهمية موضوع العلم وضرورة البحث عنه في احدى ليالي شهر رمضان المبارك وبمناسبة وفاة العالم الجليل العلامة المجلسي في اليوم السابع والعشرين من هذا الشهر اخترنا ليلة هذا اليوم للبحث عن فضل العلم والعلماء سائلين المولى ان يوفقنا لنشر العلم وخدمة العلماء.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣)) الكافي ١: ٣٠،باب فرض العلم ووجوب طلبه،بحار الأنوار ١: ١٧٧، ب١، وج٢: ٣١،ب ٩.

خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[2] وقد أقسم تعالى بالقلم لأهميته ودوره في إنتقال العلم بقوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[3]، وقد جعل القرآن الكريم طلب العلم من ضمن أدعية المؤمنين التي خصها بالذكر: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[4]، وقد رفع الله درجة العلماء فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾[5].

وقد رفع النبي الأكرم ﷺ شعاررفعة العلم عالياً، واعتبره مبدأً من مبادئ الإسلام العليا، وهدفاً من أهدافه الكبرى، وجعله فريضة عامَّة من فرائض الدِّين فقال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[6]، وقد طلب من أسارى بدر، أن من يعلِّم عشرة من المسلمين يكون ذلك لقاء حريته،[7]، وقد جعل النبي ﷺ النظر إلى وجه العالم عبادة، فقال: «**النظر إلى وجه العالم عبادة**»[8].

***

لَذّة العُلماء الحَقيقيّة

يُذكرأنَّ العالم الفاضل الشيخ نصيرالدين الطوسي كان شديد العلاقة

(١) سورة العلق:١-٥.

(٢) سورة الرحمن:١-٤.

(٣) سورة القلم:١.

(٤) سورة طه: ١١٤.

(٥) سورة المجادلة: ١١.

(٦)) الكافي ١: ٣٠،باب فرض العلم ووجوب طلبه،بحار الأنوار ١: ١٧٧، ب١، وج٢: ٣١،ب ٩.

(٧) مسند أحمد ١: ٢٤٧.

(٨) بحار الأنوار ١: ١٩٥.

بطلب العلم والتوغّل في الحقائق العلمية، العقلية منها والدينية، فكان يفرش حوله الكتب المتنوعة، فيطالعها على حساب ساعات نومه، ولما كان يملّ من كتاب، يتناول كتاباً آخر في موضوع آخر، وكان يجعل بجانبه إناء فيه ماء يرشّ به على وجهه بين حين وآخر لكي يتغلّب على نعاسه عند منتصف الليل.

وكم حدث له ان اكتشف معلومة دقيقة في أثناء بحثه ومطالعاته فقام من مكانه منبسطاً ينادي فرحاً: «أين الملوك وابناء الملوك من هذه اللّذّة»،فكان يتحدَّ بلذة طلب العلم لذّات اهل الدنيا من ملوك وأمراء وجهلاء، وهكذا كانت لذّة العلماء الحقيقية [1].

***

الإسلام يوصي بالعلم

يقول الشهد مطهري:«ليس هناك أدني شك في كون الأسلام يؤكد علي العلم ويوصي به،بحيث إننا قد لانجد موضوعاً أوصي به الإسلام وأكده أكثر من طلب العلم،ففي أقدم الكتب الإسلامية المدونة نجد أن أهم وصية يوصي بها الرسول الكريم في سبيل العلم هو الخبر الثابت صحته لدي جميع المسلمين، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[2] فطلب العلم واجب علي جميع المسلمين، ولا يختص بطبقة دون أخري، ولا بجنس دون آخر، كل من كان مسلماً عليه أن يواصل طلب العلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «**اطلبُوا العِلم ولو بالصّين**»[3] أي أن العلم لايختص

(١) قصص وخواطرص:٣٠٧.

(٢) الكافي ١: ٣٠،باب فرض العلم ووجوب طلبه،بحار الأنوار ١: ١٧٧، ب١، وج٢: ٣١،ب ٩.

(٣) بحار الأنوار ١: ١٧٧، ب١، وج٢: ٣٢،ب ٩، وسائل ٢٧: ٢٧، ب ٤.

بمكان معين، فحيثما يوجد علم عليكم بالسفر في طلبه، وقال ﷺ أيضاً: «**كلمة الحِكْمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهُو أحقُّ بها**»[1].

***

ما العلم الذي يقصده الإسلام؟

يقول الشهد مطهري: «إن العارف بالإسلام ومنطقه لا يمكن أن يقول إن نظرة الإسلام إلى العلم تنحصر بالعلوم الدينية فقط، إن هذا الاحتمال قد ينسجم مع أسلوب عمل المسلمين في القرون المتأخرة، حيث ضيقوا من دائرة العلم والمعرفة وحددوها. وإلا فإنَّ قوله: العلم ضالة المؤمن، عليه أن يأخذه حيثما وجده ولو عند المشرك يصبح لا معني له اذا كان المقصود بلعلم هو الدين فاي دين هذا الذي يأخذه المؤمن من المشرك؟ وكذلك الحديث «اطلبوا العِلم ولو بالصّين» فقد جيء بالصين علي اعتبار أنها أبعد مكان معروف في العالم يومئذٍ، أو علي اعتبار أنها كانت معروفة بأنها مركز من مراكز العلم والصناعة في العالم، ولكن الصين لم تكن قديماً ولا حديثاً مركزاً من مراكز العلوم الدينية.

ومن المعلوم أَن المسلمين في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجري قد تعرفوا علي علوم الدنيا عن طريق ترجمتها عن اليونانية والهندية والفارسية، كل هذه قرائن تدل جميعها علي ان نظرة الإسلام لاتنحصر في العلوم الدينية.

ويقول الغزالي: «كان المتكلمون يقولون إن قصد الرسول ﷺ من قوله

(١) بحار الأنوار ٢: ٩٩، ب١٤.

«طلب العلم فريضة على كل مسلم» هو علم الكلام، لأن علم الكلام هو علم أصول الدين وقال علماء الأخلاق إن المقصود هو علم الأخلاق الذي يرشد الإنسان إلى ما هو المنجي وما هو المهلك، وقال الفقهاء إن المقصودهوعلم الاحكام الذي يفترض ان يكون الانسان اما مجتهداً او مقلداً لمجتهد. وقال المفسرون إنه علم التفسير، لأن التفسير هو العلم بكتاب الله. وقال المحدثون إن المقصود هو علم الحديث وا لرواية وذلك لأنه ينبغي معرفة كل شيء، وحتي القرآن عن طريق الأحاديث. وقال المتصوفة إن المقصود هو علي سير النفس وسلوكها ومقاماتها». وهكذا، ثم يقول هو نفسه كلاماً، وإن لم يكن جامعاً، إلا أنَّه أجمع من غيره، وخلاصة قوله هو أن قصد الرسول الأكرم ﷺ من قوله ذلك لاينحصر بأيٍّ من تلك العلوم حصراً. إذ لو كان يقصد واحداً من تلك العلوم بعينه لذكره بإسمه، علم الكلام، أو علم الأخلاق، أو علم التفسير، أو الفقه أو الحديث. لذلك ينبغي أن نعرف ما هو العلم الواجب وجوباً عينياً أو كفائيا، وإذا ظهر أن تحقيق ذلك التكليف يستوجب طلب العلم والتعلم عندئذٍ يكون طلب ذلك العلم واجباً وفريضة».

«ولكن لا شك إن بعض العلوم هدف بذاته، كالمعارف الربوبية، ومعرفة الله وما يتعلق بذلك، كمعرفة النفس والمعاد، فإذا تجاوزنا هذه، تكون العلوم الأخري وسائل لا أهدافاً، أي أن العلوم الدينية،كعلم الأخلاق، والفقه والحديث، تدخل في ذلك المعني، أي أنها كلها وسائل، وليست أهدافاً، ناهيك عن العلوم الأدبية والمنطق التي تدرس في المدارس الدينية كمقدمات»[1].

***

(١) نقلاً من كتاب محاضرات في الدِّين والإجتماع للإستاذ الشهيد مرتضى المطهري:١٠١.

المرأة وطلب العلم

يقول الشهد مطهري: «لقد توَّهم الناس من حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم»أنَّه منحصر بالرجل فقط، بينما بعض روايات الشيعة تضيف كلمة (ومسلمة) إلى آخر الحديث، ثم إنَّ تعابير من هذا القبيل لا تفيد التخصيص، بل إنَّ التعميم هو المنظور في جميع الموارد المشابهة، كالحديث القائل «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» إذ من البديهي أنه لايشمل الرجل فحسب، بل المرأة كذلك، أو حديث «المسلم أخ المسلم» فلا يجوز القول بأنَّ هذه القاعدة تشمل الرجال دون النساء، لكونه لم يقل «المسلمة أخت المسلمة» أيضاً،فإنَّ كلمة مسلم تشمل الأنثي مثلما تشمل الذكر، ولكن من الواضح أنَّ موضوع الجنس ليس هو المنظور هنا، وإضافة على ذلك فإنَّ الإسلام يري أنَّ العلم نور والجهل ظلام، وأنَّ النور بصيرة والجهل عمي يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[1]، فإذا قيل «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» فيعني أن هذا العلم الذي هو نور وبصيرة فرض علي كل مسلم»[2].

نعم، يدعو الإسلام المرأة إلى طلب العلم والفنون الجائزة على مستوياته المختلفة ويؤكد صيانة المرأة بالحجاب والعفة والوقار ضمن طلب العلوم والفنون، والذي نجده اليوم في مجتمعاتنا أن الأنظمة الداعية إلى التحلل والسفور، هدفها بطريقة وأخرى التفكيك بين العلم والدين، ويحاولون جاهدين إقناع المجتمعات التي يصنفونها من الدرجة الثالثة وبالعالم الثالث،

(١) سورة الرعد:١٦.

(٢) نقلاً من كتاب محاضرات في الدِّين والإجتماع للإستاذ الشهيد مرتضى المطهري:٢١٦.

بأنَّ طلب العلم والتطور الفكري لدى المرأة لا يمكن أن يتحقق مع العفة والحجاب والتدين، فعلى المرأة التي تريد أن تدخل في نطاق العلم والفكر أن تترك الحجاب والتدين وبذلك تنسلخ عن عفتها وكرامتها.

لا شك في أن الفن بعنوانه العام الذي يعبَّر عن الجمال الإلهي لم يحرمه الدين على أحد سواءٌ أرجلاً كان أم امرأة، بل أكده وحث على طلبه واستخدامه لإظهار الجمال والكمالات الإنسانية المودعة في البشر، وقد مارس المسلمون الفن في عصورهم الغابرة، بل يمكن نسبة الكثير من الفنون إلى المسلمين، وقد أخذها عنهم غيرهم، كفّن الخط والمعمار والرسم والثياب وغيرها.

إنَّ الإسلام يصنف الفنون إلى ما هو جائز كالتي ذكرناها، وما هو محرم كالغناء والضرب في الآلات الموسيقية، وفن بعض الألعاب، ولم يكن ليحرمها جزافاً، بل حرّمها لما تؤول إليه من الضلال والانحراف والانحطاط، فحرّم على المرأة الغناء في غير الأعراس، لأن الطرب وأخذ الصوت وترجيعه إسكار للروح وسلبها حالتها الطبيعية فتعود به منساقة نحو غرائزها ورغباتها، فلا تفكر بما يكمّلها ويطوّرها نحو هدف خلقها، وكذا الأمر بالنسبة إلى الرجل؛ حيث حرم عليه بعض هذه الفنون أيضاً كالغناء والموسيقى لما فيه من الضرر النفسي والاجتماعي وغيره من الأضرار.

حينما لم يمنع الإسلام المرأة من ممارسة الفنون التي تعبر عن جمالية الخلقة مما لا يترتب عليه أثر محرم، كفن الخط والخزف والرسم في ضمن إطاره الشرعي والرياضة العامة وغير ذلك من العلوم والفنون.

***

مكانة العلماء في الاسلام

يقول الله لرسوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ويجيب هوتعالى على هذا السؤال بقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2]، وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**ياكميل، هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة**»[3].

وقد أعرب أهل البيت عليهم السلام عن جلالة العلماء، وضرورة توقيرهم، قولاً وعملاً، حتي قرروا أن النظر إليهم عبادة، وأن بغضهم مدعاة للهلاك، كما شهد بذلك الحديث الشريف: فعن موسي بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: **النظر في وجه العالم حباً له عبادة**[4]، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **أغد عالماً أو متعلماً، أو أحِبَّ العلماء، ولا تكون رابعاً فتهلك ببغضهم**[5].

وحيث كان علماء الدِّين، قد أوقفوا أنفسهم علي خدمة الشريعة الإسلامية، ونشر مبادئها وأحكامها، وهداية الناس... فجدير بالمسلمين أن يستهدوا بهم، ليكونوا علي بصيرة من عقيدتهم وشريعتهم، وجاء في حديث الرضا عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مجالسة العلماء عبادة**»[6]،

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) شرح نهج البلاغه١٨: ٣٤٦، بحار الأنوار ١: ١٨٧، ب ٢.

(٤) بحار الأنوار ١: ٦٤، عن نوادر الراوندى.

(٥) بحار الأنوار ١: ٥٩، عن خصال الصدوق.

(٦) بحار الأنوار ١: ٦٤، عن كشف الغمة.

وقال لقمان لابنه : يابني! جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الارض بوابل السماء[١]، فكما ان حياة الارض بالمطر وحياة الجسد بالطعام والشراب فكذلك حياة القلب بالعلم والحكمة،لذا قال الشاعر:

وقدر كل امريء ماكان يحسنه والجاهلون لاهل العلم أعداء

الناس موتى وأهل العلم أحياء

***

مكانة المعلم في الإسلام[٢]

لم يحض أحد بالتكريم في الإسلام مثلما حظي به المعلم من تكريم وتفضيل بل وتقديس، وكان رسول الله هو المعلم الاول للمسلمين حيث يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٣]، وعنه ﷺ: «**بالتعليم أرسلت**»[٤]، ففي قصة مشهورة؛ من أنه ﷺ دخل المسجد ورأى حلقتين من الناس إحداهما مشغولة بالعبادة والأخرى مشغولة بالتعليم، فقال كلاهما على خير، ولكن بالتعليم أرسلت ثم اقبل نحو الحلقة المشتغلة بالتعليم والتعلم وجلس فيها.

---

(١) بحار الأنوار ١: ٦٤، عن روضة الواعظين.

(٢) الخامس من أكتوبر من كل عام يحتفل العالم بيوم المعلم العالمي، حيث جعلت منظمة الأمم المتحدة اليونسكو هذا التاريخ يوماً يُحتفل به للمعلمين في دول العالم وعين في الجمهورية الإسلامية الإيرانية يوم شهادة الأستاذ مطهري (١٢من شهراردبيهشت من كل عام) يوم المعلم تخليداً لإسمه وتقديراً لجهوده التعليمية والتربوية التي قدمها لإيران والعالم الإسلامي.

(٣) سورة الجمعة: ٢.

(٤) بحار الأنوار ١: ٣٠٦.

وفي مسند أحمد: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يُعلموا أولاد الأنصار الكتابة»[١].

ويأتي تكريم وتفضيل المعلم، في الإسلام من تكريم وتقديس وتفضيل العلم، فالعلم في الواقع هو ميزة الإنسانية وشرفها، وبها نال الإنسان درجة الخلافة في الأرض.

أن المعلم بالعلم النافع، يكتسب درجة عظيمة في الاسلام، حيث يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال في معلم الخير: «**إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير**»[٢].

لذلك كان للمعلم وللأساتذة علي تلاميذهم وطلابهم حقوق جديرة بالرعاية والاهتمام، وأول حقوقهم علي الطلاب، أن يوقروهم ويحترموهم احترام الآباء، مكافأة لهم علي تأديبهم، وتنويرهم بالعلم،

وقد روى الصدوق في الخصال في مجال خصوصية العالم في العلاقة الاجتماعية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**من حق العالم ألاّ تكثر عليه السؤال، ولا تسبقه في الجواب، ولا تلح إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كسل، ولا تشر إليه بيدك، ولا تغمز بعينك، ولا تساره في مجلسه، ولا تطلب عوراته، وألاّ تقول: قال فلان خلاف قولك، ولا تفشي له سراً، ولاتغتاب عنده أحداً، وأن تحفظ له شاهداً وغائباً، وأن تعم القوم بالسلام وتخصه بالتحية، وتجلس بين يديه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، ولا تمل من طول صحبته، فإنما هو مثل النخلة فانتظر متى تسقط**

(١) مسند أحمد ١: ٢٤٧.

(٢) عوالي اللئآلي ١: ٣٥٩.

عليك منه منفعته. والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة لا تسد إلى يوم القيامة، وإن طالب العلم ليشيعه سبعون ألف ملك من مقربي السماء»[1].

وأبلغ وأجمع ما أثر في حقوق العلماء والمعلمين، قول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «**فحقوق أئمتك ثلاثة، أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم حق سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك**»[2]، إلى أن يقول عليه السلام: «**وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والاقبال عليه، وألاّ ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته، وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس**»[3].

***

العلماء وصلاة الليل

زار آية الله السيد محمد الحسيني الميلاني، المرجع المرحوم السيد عبد الإعلى السبزواري في النجف الاشرف عام (١٣٩٨ هـ) فلما انفرد به طلب منه أن يذكر له بعض حالاته الروحية وما شاهده بنفسه في العلماء السابقين؟

---

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٥١، أبواب أحكام العشرة، ب ١٢٣، ح٢.

(٢) رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام، وسائل الشيعة ١١: ١٣١، أبواب جهاد النفس، ب٣.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ١٣٤، أبواب جهاد النفس، ب٣، ح١.

فقال له السيد: شاهدت بنفسي في حرم أميرالمؤمنين في سالف الأيام أربعين مجتهداً يصلون صلاة الليل وهم يقرؤون في قنوت صلاة الوتر دعاء أبي حمزة الثمالي الوارد عن الامام زين العابدين.

وأضاف السيد السبزواري: ولقد ذهب اولئك الأبرار فآل وضع حوزة النجف اليوم الى ماتراه من الضعف نتيجة ظهور المادّيات، ولا يعود الوضع الرفيع الاّ بالعودة الى المعنويّات.

أقول: وبهذه المناسبة يجدر ذكر ابيات ابن عباس التي قال فيها:

اذا كثُر الطعامُ فحذِّروني فإنّ القلبَ يُفسِده الطعامُ

اذا كثُر المنامُ فنبِّهوني فإنّ العمرَ يُنقِصُه المنامُ

اذا كثُر الكلامُ فسكِّتوني فإنّ الدينَ يَهدِمه الكلامُ

***

امتحانٌ لِعالِمين

خرج العالمان الكبيران (الشيخ البهائي العاملي) و(السيد مير محمد باقر الداماد) في موكب الشاه عباس الصفوي الى رحلة للصيد والاستراحة. والمعروف ان العالمين المذكورين كانا ممن يستعين بهما الحكم الصفوي في ايران لتطبيق احكام الشريعة الاسلامية.

كان (السيد مير محمد) بديناً، وكان جواده يمشي متباطئاً. بينما كان (الشيخ البهائي) نحيفاً، وكان الجواد الذي يركبه يمشي مسرعاً وموجفاً!

أراد الشاه عباس ان يمتحن علاقة هذين العالمين القلبية ببعضهما، لأن

المعروف بين الناس أن العلماء (يتحاسدون) فيما بينهم!!

فاقترب الشاه من السيد وقال له:

انظر الى جواد الشيخ انه ليس من الأدب والوقار ان يقود الشيخ جواده بهذه الطريقة!

فقال له السيد مير محمد: (كلامك صحيح، ولكن الجواد الذي يركبه سماحة الشيخ البهائي يفعل ذلك لسروره بالشيخ، لأنه يحمل علماً كبيراً على ظهره)!

وبعد قليل دنا الشاه من الشيخ البهائي وقال له:

(انظر ليس من المفروض ان يكون العالم سمينا يعجز الجواد عن حمله)!

فردّ عليه الشيخ: (أجل، السمنة ليس شيئاً جيداً، ولكن بطء حركة جواد السيد مير محمد ليس من سمنة السيد، انما لثقل علم السيد)!

يقال: نزل الشاه عباس من جواده فوراً، وسجد لله سجدة الشكر، لكونه يعاصر عالمين في هذه الدرجة من الاخوة وصفاء القلب[1].

***

مزاح بين الإستاذ وتلامذته

المزاح شيء مباح ولعله انقلب مستحباً ذا ثواب عندالله اذا اقترن بهدف جميل كإدخال السرور في قلب المؤمن، وفي هذا الموضوع نُقل أنَّ تلاميذ المرحوم آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري قرّروا بين أنفسهم أن يمازحوا

(١) خزينة الجواهر في زينة المنابر:٢٩٥.

استاذهم يوم عطلة، فقالوا للشيخ الحائري: نحن لا نريد تعطيل الدرس غداً.

فلما وجدهم الشيخ مصرّين على ذلك قال: لابأس سوف القي لكم الدرس.

ففي صباح اليوم التالي أرسل الشيخ الحائري خادمه (كربلائي علي شاه) ليأتي بخبر حضور التلاميذ فعلاً أم لا!

عاد الخادم وأخبر الشيخ انهم حاضرون ومنتظروك. فتحرك اليهم الشيخ وارتقى منبر الدرس، فما أن شرع في الكلمة الأولى حتى قام التلاميذ وخرجوا الى ساحة المدرسة وهم يضحكون!

عَلِمَ الشيخ مقلَبَهُم فضحك ونزل من المنبر وجاء بينهم في الساحة وأخذ يقول: ان الهدف أن نتعلم وتدرس، ولقد مزحتم وضحكتم، فالآن ما دمنا كلّنا حاضرون فلننتهز الفرصة ونعُد الى الدرس.

وافق الجميع وعادوا الى أماكنهم فارتقى الشيخ الحائري المنبر ونظر اليهم ولما شاهدهم قد أعدّ كلّ منهم قلمه ودفتره وهم ينتظرون من الشيخ أن يبدأ في القاء الدرس، فاجأهم بالنزول من المنبر، فودّعهم ضاحكاً عليهم وهو يقول: مرّة انا أكون بلا تلاميذ، ومرّة أنتم تكونوا بلا معلِّم، واحدة بواحدة!، وهكذا ضحكوا جميعاً وكان يوم سرور وعطلة واستراحة.[1]

***

عندما يَترُك العداء مكانَه للمحبة

قال أحد المؤمنين: رأيت المجتهد الكبير السيد محسن أمين العاملي ـ

(١) مردان علم در ميدان عمل (بالفارسية): ٤٦٤.

المتوفى سنة (١٣٧١هـ) يمشي خلف جنازة أحد كبار علماء السنة في سوق الحميدية بالشام، فدنوت منه مسلِّماً ومقبِّلاً يده الشريفة. ومشيت بجنبه حتى وصلنا الى المسجد الأموي، وكان المسجد مليئاً بالناس، فصلى السيد العاملي صلاة الميت على الجنازة، وبعد اتمام الصلاة أقبل الناس يُقبِّلون يده.

أخذت أتأمل المشهد وأقول في نفسي: هؤلاء الناس من السُنّة كيف صاروا يقبّلون يد عالم شيعي وبلهفة ومحبّة؟ سئلت السيد نفسه بعد ذلك، فقال لي: هذه ثمرة حسن معاشرتي معهم لمدة عشر سنوات، وانني لما قَدِمتُ الى الشام حرّض بعضُ الجهلة اشدَّ الأعداء عليّ، فكان اطفالهم يرمونني بالحجارة، واحياناً يجرّوا عمامتي من الخلف، ولكني صبرت على الأذى وعاملتُهم بحسن وطيب. وشاركتُ في تشييع جنائزهم، وعُدتُ مرضاهم، وتفقّدتُ أحوالهم، وكنت ابتسم معهم دائماً واظهر لهم عطفي وحناني، الى أن استبدلوا العداء معي بالمحبّة[1].

***

الكتب بساتين العلماء

حظي العلم بشكل عام، والكتاب بشكل خاص، باهتمام كبير في التعاليم الإسلامية، حيث أقسم تعالى بالقلم في سورة خص اسمها به يقول تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قيدوا العلم بالكتابة**»[3]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا**»[4]، وقال

(١) قصص وخواطر: ٣٧١.

(٢) سورة القلم: الآية ١.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ١٤١.

(٤) الكافي ١: ٥٢.

الإمام علي عليه السلام: «**الكتب بساتين العلماء**»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات**»[٢]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات وميراثه الدفاتر والمحابر وجبت له الجنة**»[٣].

وإتباعاً لتعاليم القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فقد نشطت حركة التأليف والترجمة بين المسلمين، وازداد اهتمامهم بالمكتبات فانتشرت المكتبات العامة والخاصة وتوسعت، حتى أصبح الكتاب ضرورياً كالماء والهواء بالنسبة إليهم، وقد قدم التاريخ الإسلامي نماذج لذلك الاهتمام، حيث يذكر السيد محسن الأمين إن أول من ألف الكتاب في الإسلام من العلماء هم علماء الشيعة إذ يقول:«... بل الصحيح أن أول من صنف في الإسلام أمير المؤمنين عليه السلام ثم سلمان الفارسي ثم أبو ذر ثم الأصبغ بن نباتة ثم عبد الله بن أبي رافع ثم الصحيفة الكاملة...»[٤].

وهكذا استمر علمائنا في الكتابة والتاليف الي يومنا هذا وممن كثرت تاليفاته وتنوعت هو العلامة المجلسي صاحب المناسبة في هذه الليلة البارکة التي تعد من ليالي القدر بحسب بعض الروايات وليلة وفاتةوارتحاله الي عالم الملكوت.

***

(١) غرر الحكم: ٤٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٧.

(٣) إرشاد القلوب ١: ١٧٦.

(٤) أعيان الشيعة ١: ١٢٢.

العلاّمة محمدباقر المجلسي[١]

العلاّمة محمدباقر المجلسي صاحب موسوعة (بحارالانوار) المعروفة قال نقلاً عن والده الشيخ محمد تقي: في احدى الليالي بعد فراغي من صلاة الليل، اعترتني حالة من الخشوع شعرت فيها بأنّ الله تعالى يجيبني اذا دعوته.

فبينما كنت افكّر فيمَ اطلب من الله في هذه الساعة، واذا بولدي محمد باقر كان يبكي في مهده، فطلبتُ من الله تعالى واقسمت عليه بحق محمد وأهل بيته ان يجعل ولدي هذا عالماً يروّج الدين وينشر احكام الاسلام[٢].

(١) العلاّمةالمجلسي عليه السلام: صاحب موسوعة (بحارالانوار) توفي في٢٧ من شهر رمضان سنة١١١٠هـ ودفن في بقعة بجوار مسجد الجمعة التّاريخي، جنب والده الملاّ محمد تقي(المتوفى ١٠٧٠هـ) ودفن جنبهماأيضاً إبنه الملاّ أحمد، ومزارهم مشهور بإصفهان.

(٢) (الفوائد الرضوية: ٤١٢.

الليلة الثامنة والعشرون

الأخلاق والآداب الاسلامية

قال تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]

ومما جاء في خطبته ﷺ: «**أيّها الناس..... وقِّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصِلوا أرحامكم... ومن حسَّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان لـه جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام...**».

الاخلاق يحتل في النظرية الإسلامية موقعاً مهمَّاً، وهو القاعدة التي يقوم عليها خلال النظرية الإسلامية في قضية المجتمع الإسلامي، فالنظرية الأسلامية ترى بأن المجتمع إنما يكون قوياً ومحكماً وقادراً على الاستمرار والبقاء والثبات، إذا قام على أساسين رئيسين:

الأساس الأول: هو (العقيدة) التي تتمثل في نظر الإسلام بعقيدة التوحيد، وكل متفرعاتها من النبوة، وامتدادها في الإمامة، والإيمان بالدار الآخرة والحساب والجزاء، وامتداد الإيمان بالدار الآخرة، الإيمان بقضية

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

العدل الذي يوصف به الله سبحانه وتعالى.

والأساس الثاني: هو (الأخلاق) الذي يعبر عنه بالقيم والمثل في حركة الإنسان نحو الكمال وهومن أهمِّ أهداف بعثة النَّبي حيث قال: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**إنَّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»[2].

***

الأخلاق في العلاقات الإجتماعية

خلق الله الإنسان مفطوراً على حب الاجتماع، فتجده يألف الآخرين ويميل إلى لقائهم، وينفر من الوحدة والانفراد، وترجع هذه الرغبة إلى أسباب حياتية ونفسية وغيرها، لا يهمنا التعرض لها، إلاّ أن المهم أن نتعرف على أن لهذا الاجتماع والتآلف حقوقاً على كل فرد من أفراده، وأن صونها يوجب صون المجتمع عن الفساد والانحراف، كما أن التقصير في تحصيلها يوجب تردي المجتمع، وفساده وانحرافه، ومن هنا كان كل إنسان مكلفاً من جهته بالقيام بالأعمال التي من شأنها النهوض بالمجتمع إلى أرقى، وأطور ما يمكن أن يصل إليه.

ومن هذا المنطلق أكَّد الإسلام على حسن العلاقة والمعاشرة بدءاً بالأقرباء من الناس من ذوي الأرحام، خصوصاً الوالدين، ثم أفراد الأسرة كالزوجة والأولاد وغيرهم من الأقرباء ثم بعد ذلك الاهتمام بحسن العلاقة والمعاشرة مع جميع الناس حتى غير المسلمين، ووضع لهذه العلاقة حدوداً وشروطاً،

(١) مكارم الأخلاق: ٨، بحار الأنوار ١٦:٢١٠،ب٩.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٠٣، أبواب أحكام العشرة، ب١٠٤، ح١.

وأحكاماً على أساس الحب، والتعاون المتبادل، وذلك لسلامة وسعادة الفرد والأسرة والمجتمع

وعلي هذا الضوء خاطب رسول الله ﷺ الناس قبيل شهر رمضان المبارك واوصاهم وحثهم بالمعاملة مع الاخرين بالاخلاق الحسنة ومما جاء فيها:..... وقِّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم... ومن حسَّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام...»، وفي ما يلي بيان وتوضيح لتلك المفردات الاخلاقية التي أمربها رسول الله وينبغي لكل مسلم ان يتحلَّي بهادائماً خاصةً في شهرر رمضان المبارك.

***

أيَّها النَّاس...وقِّروا كباركم

لاشك أنَّ المقصود من الكبار في خطبته ﷺ الشريفة اعم من الانسان المسِن فهو يشمل كل انسان كبير في اهله وقومه ودينه، ومن أبرز مصاديقه الشيخ الكبير،الوالدين، الأستاذ والمعلم وفيما يلي بيان مختصرلبعض تلك المصاديق:

أوَّلاً- توقير الإنسان المسِّن

من الواضح أن من يعيش يكبر، ومن يكبر يهرم، والهرم في البشر يفقدهم الكثير من كمالات الجسد، إذ تخور قواه حتى تصبح عند البعض أقل قدرة من الطفل، كما تتنازل مقدراته الفكرية والعقلية، فيبتلي بالنسيان والغفلة وعدم الالتفات، وهذا كله يجعل من التعامل معه وضعاً خاصاً، وطريقة فريدة،

فيحتاج الى الكثير من الاحترام والتوقير، وإلى مزيد من الرعاية، والى فيض من الحنان، حتى لا يشعر بثقله في المجتمع، وبتهميش أفراده له، فالمجتمع الذي يعزل العُجّز عن الحياة العملية، بسبب عدم تأقلم قدراتهم معها، لا يدرك أنه يدخل إلى هذا الهرم أقسى وآلم حدث في حياته، إذ يشعره بنهايته، وخلاص فائدته، وأنه لم يعد صالحاً، إلا لانتظار أجله، فمن هنا لابد وأن يعوّضه بما يمنع هذا التفكير ويحول بينه وبين أهاجيسه، وذلك بالاحترام والتقدير والرفق والرعاية، وفيض الحنان، والعطف، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**من لم يرحم صغيرنا، ولم يعزّز كبيرنا فليس منا**»[1]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقِّر كبيرنا**»[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام قبيل شهادته: «**وارحم من أهلك الصغير ووقِّر منهم الكبير**»[3].

ثانياً ـ احترام وتوقير الوالدين

لقد أولى الإسلام اهتماماً بالغاً للوالدين، ففرض على الفرد احترامهما وتقديرهماوتوقيدهما وبرهما، ومنع من إيذائهما وعقوقهما، وقد تواترت النصوص من الآيات والروايات على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[5]، حيث جعل الله في هذه الآية شكره مقروناً بشكر الوالدين، ولذا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «**إن الله عز**

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٨٢،ح٤٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٢: ١٣٧.

(٣) بحار الأنوار ٧٢: ١٣٧.

(٤) سورة الأحقاف: ١٥.

(٥) سورة لقمان: ١٤.

وجل أمر بالشكر لـه وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله»[١]، وقد أعطى الله في هذه الآية خصوصية معينة للأم لتحملها الشدائد والصعاب من أجل أولادها، ولذا ورد التأكيد على برِّها أكثر من الأب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال صلى الله عليه وآله: أمك، قال: ثم من؟ قال صلى الله عليه وآله: أمك، قال: ثم من؟ قال صلى الله عليه وآله: أمك، قال: ثم من؟ قال صلى الله عليه وآله: أباك»[٢]، ولقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**بر الوالدين أكبر فريضة**»[٣].

ولم يقتصر الإسلام على برهما في حال حياتهما، بل فرض برهما بعد وفاتهما أيضاً، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**سيد الأبرار يوم القيامة رجل برّ والديه بعد موتهما**»[٤]، وفي بيان كيفية برهما بعد وفاتهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل باراً**»[٥].

وفي قبال ذلك نهى عن عقوقهما، وجعله من أكبر الكبائر الّتي توعد الله عليه النار، وقد رتب على العقوق عقوبات متعددة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) الخصال ١: ١٥٦، ح١٩٦.
(٢) الكافي ٢: ١٥٩.
(٣) غرر الحكم: ح ٤٤٢٣.
(٤) بحار الأنوار ٧٤: ٧٢.
(٥) الكافي ٢: ١٦٣.

يقال للعاقّ، اعمل ما شئت فإنّي لا أغفر لك[١]، وعن الصادق عليه السلام: «**عقوق الوالدين من الكبائر**»[٢]، ومعنى العقوق، إيذاء الوالدين وعدم تلبية طلبهما ـ إذا كان جائزاً ـ وعدم احترامهما وتعنيفهما بالقول أو العمل، والنظر الماقت لهما، وعدم الانفاق عليهما، وقد حدد القرآن الكريم أصغر العقوق وهو «أف» ليعلّم الفرد أن كل ما كان فوقه كان عقوقاً من باب أولى، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٣]، وفي تفسيرها عن الصادق عليه السلام: «أدنى العقوق «أف» ولو علم الله عز وجل أهون منه لنهى عنه»[٤].

***

حدود طاعة الوالدين

المستفاد من الآيات والروايات أنّه لا حدود لطاعة الوالدين عدا ما إذا أمرا بمعصية الله أو الشرك به، فعند ذلك يسقط حق الطاعة لهما، ولكن يبقى برهما قائماً، فلا يجوز عقوقهما وإن كانا فاسقين أو حتى كافرين، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾[٥]، وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا

(١) بحار الأنوار ٧٤: ٨٠.
(٢) علل الشرائع ٢: ٤٧٩.
(٣) سورة الإسراء: ٢٣، ٢٤.
(٤) الكافي ٢: ١٤٨ ح١.
(٥) سورة لقمان: ١٥.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[1]، أما في ما عدا ذلك فحق الطاعة قائم لهما، فعن الصادق عليه السلام قال لبعض أصحابه: «**ووالداك فأطعهما وبرهما حيين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، فإن ذلك من الإيمان**»[2].

***

قصتان حول عقوق الوالدين

القصة الأولى: قال الشيخ عبد الزهراء الكعبيّ: سمعت ضوضاء عند دارنا فخرجت وإذا ولد ووالد والنّاس حولهما ينظرون إلى ما يتهاتران فتقدم الولد وصفع والده، قال: لما رأيت ذلك هجمت على الولد أريد تأديبه فهرب، فجئت إلى الوالد أسلّيه بأنّه شاب مغرور، وأنَّ هذه عادات الشباب المغرورين.

قال الشيخ: فلمّا انصرف النّاس أخذ الوالد يبكي فقلت له ممّ بكاؤك؟

قال: لا أبكي من صفع ولدي لي وإنّما بكائي لأنّ هذا جزائي الذي تلقّيته، ولا أعلم أنّ الله غفرلي أم لا؟ إنّي صفعت أبي في هذا المكان نفسه قبل أربعين سنة وهذا الصفع من ولدي جزاء ذلك الصفع.

القصة الثانية: قال الشيخ عبد الزهراء الكعبي: مررت في طريقي ببستان فرأيت النّاعور الذي يربط بحمار أو بغل أو فرس مربوطاً برجل مسن يدور حتّى يمنح الماء إلى الساقية، فتأثرت لهذا المنظر تأثراً بالغاً، وأخذت أصيح

(١) سورة العنكبوت: ٨.

(٢) الكافي ٢: ١٥٨، ح ٢.

من في البستان، وإذا شاب جاء وقال: ما تريد؟

قلت: من هذا ومن تكون له؟

قال: إنّي ابن هذا الرجل.

قال: فتقدّمت من الولد أريد تأديبه، لكنّ الولد هرب، وفككت رباط الوالد عن النّاعور، وجلست معه أسلّيه، وأخذت أهاجم الولد.

فقال الوالد: ياشيخ عبد الزهراء ـ وكان يعرفني ـ إنّ هذا جزائي العادل، فإنّي ربطت والدي بهذا النّاعور نفسه عندما كنت شاباً وكان والدي مسنّاً، وقد توفي والدي منذ مدةً فورثت البستان وكبر هذا الولد، وأخذ يفعل بي الفعلة التي كنت أفعلها مع والدي. / ممارسة التغيير.

ثالثاً ـ احترام وتوقير المعلم والاستاذ

يأتي تكريم وتفضيل المعلم، والأستاذ في الإسلام من تكريم وتقديس وتفضيل العلم والعلماء فالعلم في الواقع هو ميزة الإنسانية وشرفها، وبها نال الإنسان درجة الخلافة في الأرض، وأنَّ المعلم بالعلم النافع، يكتسب درجة عظيمة في الاسلام، حيث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في معلم الخير: «**إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير**»[1]، لذلك كان للمعلم وللأساتذة علي تلاميذهم وطلابهم حقوق جديرة بالرعاية والاهتمام، وأول حقوقهم علي الطلاب، أن يوقروهم ويحترموهم احترام الآباء، مكافأة لهم علي تأديبهم، وتنويرهم بالعلم، وتوجيههم وجهة الخير والصلاح. كما قيل للإسكندر: إنك تعظّم

(١) عوالي اللئآلي ١: ٣٥٩.

معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك! فقال: لأنَّ أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي سبب الحياة الباقية.

وأبلغ وأجمع ما أثر في حقوق الأساتذة المربين، قول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «**وحق سايسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتي يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداَ، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه. ولا تجالس له عدواً، ولا تعاد له ولياً، فإذا فعلت ذلك، شهد لك ملائكة الله بأنَّك قصدته، وتعلّمت علمه لله جل اسمه، لا للناس**»[1].

***

من أخلاق العلماء

عندما ألَّف الشيخ مهدي النراقي (المتوفى في سنة ١٢٠٩ هـ)كتابه (جامع السعادات) في علم الاخلاق وتزكية النفس بعث نسخة منه قبل طباعته الى المرحوم آية الله العظمى السيد مهدي بحرالعلوم، ذلك المثل الأعلى في التقوى المعروف بلقاءاته مع الامام الحجة # ، ليستنير من ملاحظاته القيّمة حول الكتاب. وبعد فترة من إرساله الكتاب انطلق الشيخ من بلدته في ايران متجهاً الى النجف الاشرف للقاء بالسيد بحرالعلوم وتقصّى آرائه حول الكتاب. فانتشر خبر مجيئه وجاء العلماء للقاء به والسلام عليه ما عدا السيد بحرالعلوم!

(١) رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام.

مرّت ايام والشيخ بين مَن يدخل عليه ومَن يخرج مِن عنده، حتى قلّت لقاءاته، فقام بنفسه لزيارة السيد بحرالعلوم.. دخل عليه وسلّم وجلس متواضعاً ولكنه لم يحصل على ودّ السيد واحترامه وترحيبه كما هو المتوقَّع. جلس قليلاً ثم خرج، وعاد بعد ايام، كذلك لم يُعِر له بالاً، وكأنه لا يعرفه أبداً.

وقرّر في المرة الثالثة ان يدخل على السيد بحرالعلوم بشكل طبيعي تماماً من دون ان يفكرانه ضيف وان السيد ينبغي له أن يأتيه، أو انه لماذا دخل على السيد مرّتين ولم يرحّب به كما هو المفترض اخلاقياً.

وهكذا جاء وطرق الشيخ الباب، عرف السيد بأن الشيخ وراء الباب فقام بنفسه حافياً واحتضن الشيخ بحرارة وبالغ في احترامه له بكل ترحيب ومحبّة، وبعد أن سأله عن حاله قال: «لقد ألّفتَ كتاباً حول الاخلاق وتزكية النفس، وبعثتَ بنسخة منه اليّ، وانا قرأته من أوله الى آخره بدقة، حقاً انه كتاب رائع في الاخلاق ونادر في تربية الذات، واما السبب في انني ما جئتك، ولما جئتني لم أُعِر لك أهمّية فلأجل ان اختبر مدى التزامك بما كتبتَه في الاخلاق وضبط النفس والصبر والحلم وكظم الغيظ!

كنت اقصد من تصرّفي معك كيف تكبح هواك وتسيطر على غضبك! هل انت مثل الذين يكتبون ما لا يعلمون ويقولون ما لا يفعلون؟

لكن ثبت الآن انك لست منهم، وقد نلتَ في الاخلاق وتزكية النفس درجة عالية، فأنتَ بنفسكَ كتاب أخلاق، تهدي الآخرين بأخلاقك، وليس بكتابك فحسب»[1].

***

(١) مردان علم در ميدان عمل (بالفارسية):١٨٨.

أيَّها الناس...إرحموا صغاركم

يتجلي مدي إهتمام الرَّسول الأعظم صلي الله عليه وآله بتكريم الاطفال من الرواية التالية. يقول الراوي: «دعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى صلاة والحسن متعلق به، فوضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقابل جنبه وصلى. فلما سجد أطال السجود، فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسن علي كتف رسول الله صلّي الله عليه وآله، فلما سلم قال له القوم: يا رسول الله، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، كأنما يوحي إليك. فقال: لم يوح إلي، ولكن ابني كان علي كتفي، فكرهت أن اعجله حتي نزل»[1].

وروي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب ـ مرضعة الحسين عليه السلام ـ قالت: «أخذ مني رسول الله صلّي الله عليه وآله حسيناً أيام رضاعه فحمله، فأراق ماءً علي ثوبه، فأخذته بعنف حتي بكي. فقال صلّي الله عليه وآله: مهلاً يا أم الفضل، إن هذه الاراقة الماءُ يطهرها، فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين؟».

«وكان صلى الله عليه وآله وسلم يؤتي بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسمّيه. فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله. فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال. فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: لا تزرموا بالصبي فيدعه حتي يقضي بوله، ثم يفرغ من دعائه أو تسميته. فيبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنه يتأذي ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه»[2].

لقد كان أطفال الناس أيضاً يحوزون احتراماً وتكريماً من قائد الإسلام

---

(١) بحارالأنوار ٨٢:١٠.

(٢))راجع بحارالأنوار ٦: ١٥٣.

العظيم، وكان يبذل لهم من العناية بمشاعرهم الروحية وعواطفهم ما يبذله لأولاده. فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس الظهر فخفف في الركعتين الأخرتين، فلما انصرف قال له الناس: هل حدث في الصلاة حدثٌ؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: خفّفت في الركعتين الأخرتين، فقال لهم: أما سمعتم صراخ الصبي؟!»[1].

وبعد هذا كله نستطيع أن ندرك ونفهم بعمق مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رحمة الأولاد والصغار بقوله: «وارحموا صغاركم».

***

أيها الناس...صِلوا أرحامكم

من الحقوق الّتي أولى الإسلام لها أهمية كبيرة، الرحم، ونقصد به العلاقة النسبية بين بعض أفراد المجتمع كالوالدين والأخوة والأخوات وأبنائهم، والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم، والأجداد والجدات، وكل من يتفرع عنهم، فهؤلاء أرحام الإنسان، وقد فرض الإسلام صلتهم ودعا إليها. ولا يقصد الإسلام من صلة الرحم التزاور والسلام عليه وتحيته والسؤال عن حاله فحسب، وإن كان هذا العمل محبوباً لله تبارك وتعالى، وقد ورد الكثير في فضل التزاور والتحابب، ولكن لصلة الرحم معنى أعمق، وهو كف الأذى عنهم، وعيادة مريضهم، وتوديع مسافرهم واستقبال غريبهم، وإعطاء فقيرهم، ومواساة مكروبهم، والوقوف معهم عند مصائبهم ونزول البلاء بهم، وقضاء حوائجهم، وتقديم العون لهم، وأعظم أنواع الصلة تقديم

(١) الكافي ٤٨:٦.

الهداية لهم وتحبيبهم إلى الإيمان، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وفيما يلي بعض النصوص الدالة على وجوب صلة الرحم:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[1]؛ أي اتقوا الأرحام، وتقواها يعني المحافظة عليها وصلتها وصونها، فعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية يقول: «**هي أرحام الناس إن الله عز وجل أمر بصلتها وعظّمها، ألا ترى أنه جعلها منه**»[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[3]، ففي تفسير الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من ذلك صلة الرحم وغاية تأويلها صلتك إيّانا**»[4]، وفي قبال ذلك حرّم قطيعة الرحم، بل في بعض الأخبار أنها من الكبائر الّتي توعد عليها النار، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[5]، وقد ذكر لها في الروايات عقوبات كثيرة كالتعجيل بالفناء، وحلول النقمة، وأن الرحمة لا تنزل على قاطع رحم، وأن عقوبته معجلة في الدنيا قبل الآخرة إلى غير ذلك.

آثار صلة الرحم: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر**»[6]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**صلة الأرحام تزكي الأعمال،**

(١) سورة النساء: ١.

(٢) الكافي ٢: ١٥٠.

(٣) سورة الرعد: ٢١.

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ٩٨،ح٤٠.

(٥) سورة محمد: ٢٢،٢٣.

(٦) بحار الأنوار ٧٤: ٨٨،ح٢٢.

وتنمي الأموال، وتدفع البلوى وتيسّر الحساب، وتنسئ في الأجل»[1]، وعن الإمام الهادي عليه السلام: «فيما كلّم الله تعالى به موسى عليه السلام قال موسى: ما جزاء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى أنسئ له أجله، وأهوّن عليه سكرات الموت»[2]. إلى غير ذلك من الآثار المهمّة، والتي يرغب في تحصيلها المؤمن والفاسق، والمسلم والكافر.

***

أيها الناس... حسِّنوا اخلاقكم

دعا الإسلام إلى سيادة الحب والمودة والتآلف والأخلاق الحسنة بين أفراد المجتمع عامة وبين أفراد الأسرة خاصَّة، وأن يجتنبوا عن كل ما يعكِّر صفو الحياة والعيش، وفيما يتعلق بالأسرة فعلى المرأة والزوجة أن تحوّل البيت إلى روضة من رياض الجنة وذلك إذا قامت بواجبها ورعت ما عليها من الآداب والأخلاق البيتية من إحترام الزوج وإطاعته ووظائفها في المنزل، وكذلك على الزوج احترام زوجته وتقديرجهودها، فإذا شاع الاحترام بينهما فسيتعلم الأولاد الاحترام والتقدير للوالدين وللآخرين وبهذا يسود بين أفرادالمجتمع الحب والإحترام والأخلاق المتبادل وفيمايلي عرض لبعض النصوص من الآيات والروايات التي تبين وجهة نظر الإسلام في مسألة الأخلاق والآداب بين أفراد المجتمع ، ونبدأ بالأسرة حيث هي اللبنة الأساسية للمجتمع .

أ ـ أخلاق الأب في الأسرة

المعاملة الحسنة مع أفراد العائلة والمعاشرة بالمعروف مع الزوجة من

(١) الكافي ٢: ١٥٧،ح٣٠.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٣،ح٨.

قبل الاب هو ما اوصت به الشريعة الاسلامية من خلال الايات والروايات التالية:قال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله**»[2]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله من اعتكاف في مسجدي هذا**»[3]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من سعادة المرء أن يضع معروفه عند أهله**»[4]، لأنّ أفراد العائلة هم أولى الناس بالمعروف، فمن الإجحاف أن يقدم الإنسان معروفه إلى الآخرين، ولا يقدمه إلى أقاربه وأفراد عائلته، والمثل المشهور يقول: (الأقربون أولى بالمعروف).

لقد طلب الإسلام من الزوج أن يقوم برعاية زوجته ويشترك معها في شؤون المنزل، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشارك نسائه في خدمة البيت ويقول: «خدمتك زوجتك صدقة»، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يتعاون مع الصديقة الزهراء عليها السلام في تدبير شؤون المنزل وإدارته، ومن الطبيعي أن هذا العمل يخلق في نفوس الأبناء روح التعاون والإحترام المتقابل.

ب ـ أخلاق الزوجة والأم

إنَّ شخصاً جاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت ما يهمك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله هماً، فقال له رسول

(١) سورة النساء: الآية ١٩.
(٢) بحار الأنوار ٧١: ٣٨٧.
(٣) مجموعة ورَّام٢: ١٢١.
(٤) غرر الحكم: ٤٠٥.

الله ﷺ: «**بشرها بالجنة، وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله**»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**سعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله**»[٢]، وقال الامام علي عليه السلام: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**»[٣].

ج ـ أخلاق الناس بعضهم مع بعض

ومما جاء في خطبته ﷺ: «**أيها الناس..... ومن حسّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام...**».

نظّم الإسلام العلاقات الاجتماعية العامة، اي: أخلاق الناس بعضهم مع بعضإلى أصناف كثيرة، فقد نظّم علاقة الجيران فيما بينهم، ونظم العلائق بين المعلّم والتلميذ، والعامل والمستأجر، والمؤمن مع أخيه، وجميع هذه العلائق تعرض لها الإمام زين العابدين في رسالته القيمة «رسالة الحقوق»، ونحن سنقتصر هنا على بيان وتوضيح بعض العلائق ا لمهمةوهي:

الأولى: علاقة الجار بالجار

من الحقوق الّتي ركز عليها الإسلام حق الجار، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾[٤]، ومن عظمة حق الجار أن تأكيد النبي عليه أوجب أن يظن المسلمون أنه ﷺ سيورثه، أي سيجعل له نصيباًمن

(١) مكارم الأخلاق ١: ٢٢٩.

(٢) كنز الفوائد ١: ١٥٠.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

الميراث، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**الله الله في جيرانكم فإنَّهم وصيَّة نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم**»[1] بل جعل تمام الإيمان بالله واليوم الآخر عدم أذية الجار[2].

وتتلخص حقوق الجيران بعدة أمور:

أ ـ كف الأذى عنه: يرون أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: يا رسول الله، إني اشتريت داراً من بني فلان، وإن أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شره، قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وسلمان وأبا ذر وثالثاً لعله المقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم؛ بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً[3]، كما أن من يؤذي الجار يخرج عن الانتساب لأهل البيت عليهم السلام، قال الإمام الرضا عليه السلام: «**ليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه**»[4].

ب ـ تحمل الأذى منه: صحيح أن دفع الأذى عن الجار هو الحق القائم له، ولكن لو كان الجار مؤذياً فلا يبرر ذلك أن تردَّ الأذى عليه، بل الصبر على تحمل الأذى منه، من الحقوق عليك، قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى**»[5].

ج ـ تفقد الجار: من حقوق الجار التفقد لأحواله، وكما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن استغاثك أغثته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن

(١) نهج البلاغة: كتاب رقم ٤٧.
(٢) الكافي ٢: ٦٦٧ ح٦.
(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٧،ح١.
(٤) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٤،ح٢.
(٥) الكافي ٢: ٦٦٧ ح٩.

أصابته مصيبة عزّيته، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عدته، وإن مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح إلاّ بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا تخرج بها ولدك تغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قدرك إلاّ أن تغرف له منها»[١].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**أما حق جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بنيك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة**»[٢].

وأهم ما أكدت عليه النصوص أن لا تبيت شبعاناً وجارك جائع، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع**»[٣]، وعن رسول الله في حقوق الجار: «**إن استغاثك أغثه، وإن استقرضك أقرضه، وإن افتقر عدت إليه، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عدته، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإن مات تبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلاَّ بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهدها له، وإن لم تفعل فادخلها سرّاً، ولا يخرج بها ولدك يغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قِدرك إلاَّ أن تغرف له منها**»[٤].

---

(١) مسكن الفؤاد: ١٠٥.

(٢) الخصال: ٥٦٩.

(٣) الكافي ٢: ٤٦٦٨،ح١٤.

(٤) بحار الأنوار ٧٩: ٩٣،ب ١٦.

الثانية: علاقة المسلم بأخيه المسلم

الاحسان الي المسلمين هومن أهمِّ ما ينبغي أن يقوم به الإنسان المسلم في علاقته مع أخيه المسلم،من دون أن يكون هناك علاقة خاصة بين المحسِن والمحسَن إليه، كما هو الحال في مثل الاعمال العامة التي يقوم بها المحسنون، كإصلاح الطرق، وحفر الابار، وبناء أماكن نزول الضيوف والزوار، وإيجاد الاوقاف العامة التي تبذل في إطعام الطعام، أو مساعدة الفقراء والضعفاء، أو بناء المدارس العلمية، والمؤسسات التعليمية والصحية والثقافية، وأمثال ذلك من أمور المعروف، والتي تعبّر عن الاهتمام بأمور المسلمين عامة، والتي ينطبق عليها عنوان «في سبيل الله»، وهذا النوع من الاحسان يعبّر عن القاعدة والركن الاساس الذي تستحكم به العلاقات الاجتماعية، فعن أبي عبدالله٨ قال: «اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس من أهله، فإن لم يكن هو أهله فكن أنت من أهله»[1].

الثالثة: علاقة المسلم بغير المسلمين

قسّم الإسلام الكفار إلى قسمين، كافر حربي؛ وهو الّذي نصب الحرب والعداء للإسلام وأهله، وهدفه هدم النظام الإسلامي، واقتحام دار المسلمين، وسفك دمائهم وذلهم ـ وكافر ذمي ـ أهل الذمة، وهو من تعاقد مع أهل الإسلام على أن يعيش معهم بسلام له ما لهم وعليه ما عليهم، لا يغير عليهم، ولا يغيروا عليه، ولا يعين على المسلمين، أحداً ولو كان من أهل ملته.

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٥٢٨، أبواب فعل المعروف، ب ٣، ح ١، ويمكن أن نجد الحث على هذه الاعمال والثواب المترتب عليها، وآثارها من كتاب وسائل الشيعة في الابواب الأخرى(١٦ و١٨ و١٩ و٢٠) من الجزء الحادي عشر من أبواب المعروف، وكذلك في ابواب الصدقات والزراعة والوقف.

والكافر الحربي لم يضمن له الإسلام أي حق في بلاد المسلمين، لأنه أراد الشر بأهل الإسلام، فهذا موجب لسلب حقوقه، كما جرت عادة الدول في الماضي والحاضر من سلب الحقوق المدنية من كل من يريد الشر بالدولة والنظام أو أهله، ولعلّ هذا ما وافق عليه العقلاء في كل زمان ومكان، بمعنى: أن العقلاء وبدافع من عقولهم سلبوا الحقوق العامة عن كل من ينصب العداء للدولة أو النظام، فلم يأت الإسلام بجديد.

أما أهل الذمة فقد احترمهم الإسلام وصانهم وصان عرضهم ومالهم، يعيشون ويحيون بين المسلمين وفي بلادهم لهم مالهم، وعليهم ما عليهم، وينعمون بحمى الإسلام، وينتصف لهم الحاكم من كل من ظلمهم، ولم يمنع عنهم السلام، ولا حرّم على المسلمين الاختلاط بهم، وهذا ما أدب به النبي وأهل بيته الكرام المسلمين، من صون حقوقهم وعدم التعدي عليهم، وكما أن الإنسان المسلم محترم لشخصه كذلك الانسان يحترم لشخصه، إلاّ أن يسقطه بما يضمره من سوء كما في الكافر الحربي، كذلك أهل الذمة يحترمون بشخصهم وإنسانيتهم وآدميتهم.

وكما أن الإسلام الذي جعل الايمان إطاراً للعلاقة الاجتماعية بين المسلمين لم يغفل في نفس الوقت الجانب الانساني العام في هذه العلاقة أي علاقة الانسان بنظيره الانسان الاخر وأخذها بنظر الاعتبار في مجمل تصوّره النظري؛ كما يمكن أن يفهم ذلك من قول الامام علي عليه السلام في عهده لمالك الاشتر المروي بطريق معتبر: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سيفاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**»[1].

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، شرح نهج البلاغة١٧: ٣٢،الكتاب ٥٣،تحف العقول:١٣٨.

وهذا أمر واضح من خلال ما ورد من الحث على المجاملة العامة وحسن الخلق مع الناس جميعاً، مما يعني أن الاصل هو الاحتفاظ بالعلاقة الاجتماعية على المستوى الانساني ما لم تطرأ أوضاع استثنائية تفرض موقفاً آخر كالبراءة أو القطيعة، عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**مجاملة الناس ثلث العقل**»[1].

وعن أبي بصير عن أبي جعفر «أبي عبدالله عليه السلام» قال: «**إن أعرابياً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أوصني، فكان مما أوصاه: تحبّب إلى الناس يحبّوك**»[2].

ومن هنا كان أهل البيت عليهم السلام قد استوعبوا كل الناس بأخلاقهم وجميل صنيعهم، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يأتي إلى الكوفة مع يهودي ولما يبلغ الكوفة، يستمر علي عليه السلام في السير معه، فيقوله اليهودي: ألم تقل أنك تريد الكوفة، فقال علي عليه السلام: نعم، فقال له اليهودي، فلماذا تمشي معي في طريق يبعدك منها، فيقول عليه السلام أشايعك، فقال له: ما هذه الأخلاق الّتي لم نعهدها، فقال عليه السلام: «هكذا علمنا نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله»، وبهذا الخلق العظيم استوعبوا كل الناس مسلمهم وكافرهم، حرهم وعبدهم.

***

الأخلاق عند أهل البيت عليهم السلام

قد ورد عن أهل البيت عليهم السلام في بيان أهمية السلوك العملي ودوره في العلاقات الاجتماعية، عندما أوصوا شيعتهم بالالتزام به، كما نلاحظ في

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٤، ب٣٠، ح١.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٣٣، ح١.

الاحاديث التالية: قال الإمام علي عليه السلام في وصيّة لأبنائه: «**عاشروا الناس بالمعروف معاشرة إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم**»[١]، حيث دعا الإمام في هذه الكلمات إلى الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية البناءة ومعاشرة الناس بأحسن وجه.

وعن كثير بن علقمة قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: «أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله، والورع والعبادة، وطول السجود، وأداء الامانة، وصدق الحديث، وحسن الجوار؛ فبهذا جاءنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، صلوا في عشائركم، وعودوا مرضاكم، واشهدوا جنائزكم، وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شينا. حبّبونا إلى الناس، ولا تبغّضونا إليهم. فجرّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل شرّ»[٢]، وعنه عليه السلام قال: «**كونوا دعاة للناس بالخير بغير السنتكم. ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع**».

وعن أبي عبدالله الصادق قال عليه السلام: «**إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم**»[٣] وقال عليه السلام: «**أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً**»[٤].

وقال عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله**»[٥].

وجاء التأكيد في حديث أهل البيت عليهم السلام أن يحب الانسان لاخيه المسلم أو للناس ما يحب لنفسه، ففي وصية لأمير المؤمنين لولده الحسن عليهما السلام:

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٧٧.
(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٠١، ب١، ح٨.
(٣) وسائل الشيعة ٨: ح٤.
(٤) وسائل الشيعة ٨: ح٩.
(٥) وسائل الشيعة ٨: ٥،ح١٥.

«**فأحبب لغيرك، ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها**»[١].

ولا شك أن الخطوة الاولى المهمة في طريق السلوك الأخلاقي وكسب محبة الناس هو التودد والمجاملة ومداراتهم حيث تُعدّ تعبيراً عن الحب، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد هذا المضمون، فعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن أعرابياً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أوصني، فكان مما أوصاه: تحبّب إلى الناس يحبّوك»[٢].

ومن هنا كان أهل البيت عليهم السلام قد استوعبوا كل الناس بأخلاقهم وجميل صنيعهم وسلوكهم العملي، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يأتي إلى الكوفة مع يهودي ولما يبلغ الكوفة، يستمر علي عليه السلام في السير معه، فيقوله اليهودي: ألم تقل أنك تريد الكوفة، فقال علي عليه السلام: نعم، فقال له اليهودي، فلماذا تمشي معي في طريق يبعدك منها، فيقول عليه السلام أشايعك، فقال له: ما هذه الأخلاق الّتي لم نعهدها، فقال عليه السلام: «هكذا علمنا نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم»، وبهذا الخلق العظيم استوعبوا كل الناس مسلمهم وكافرهم، حرهم وعبدهم، وأما من لم يتفاعل معهم عليهم السلام وأخلاقهم فذلك حقداً منهم على الإسلام وأهله، فهؤلاء الّذين خرجوا لحرب الحسين عليه السلام يعرفون موقعه في الإسلام، لكن كان في قلوبهم أحقاد بدرية وحنينية، فأرادوا أن يجعلوا في معركتهم مع الحسين٨ وأهله طلباً لثأرهم من الإسلام وعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا أنشد يزيد بعد ما أدخل الرأس الشريف إلى الشام: «فلقد قضيت من النبي ديوني»

(١) نهج البلاغة،: كتاب رقم ٣١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣، ب ٢٩، ح١.

الليلة التاسعة والعشرون

معرفة اللّه تعالى وحُبّه

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مَا مَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَتَّعَ اللهُ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ونَعِيمِهَا وكَانَتْ دُنْيَاهُمْ أَقَلَّ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطَئُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ ولَنُعِّمُوا بِمَعْرِفَةِ اللهِ جَلَّ وعَزَّ وتَلَذَّذُوا بِهَا تَلَذُّذَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي رَوْضَاتِ الْجِنَانِ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللهِ إِنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ أُنسٌ مِنْ كُلِّ وَحْشَةٍ وصَاحِبٌ مِنْ كُلِّ وَحْدَةٍ ونُورٌ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ وقُوَّةٌ مِنْ كُلِّ ضَعْفٍ وشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُقْمٍ»[3].

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) الكافي ٨: ٢٤٧.

لاشك إنَّ الهدف الحقيقي والنهائي الذي من أجله خلق الله تعالى الإنسان هو الوصول إلى معرفته، بحيث يستحق أن يكون خليفة الله في أرضه، يتخلّق بأخلاقه ويحكم بحكمه، وقد سنَّ الله تعالى لـه سننا وشرَّع لـه شرائع من خلالها يصل إلى ذالك الهدف السامي والمقدس، ولاشك ان الانسان السَّالك يحتاج الي من يدله ويؤخذ بيده ويوصله الي تلك المعرفة، وإنَّ أفضل معلم وخير قدوة في هذا السلوك الإلهي هم الأنبياء والأولياء، والأوصياء، لاسيما خاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرون معدن العلم والمعرفة، ثم العلماء الربانيون الذين سلكوا هذا الطريق بأنفسهم.

وللوصول إلى معرفة الله والقرب الإلهيـ كما جاء في الآيات والروايات وكلام العرفاء ـ طريقان وسلوكان معروفان:الأول: السيروالسلوك الآفاقي وهو ما يسمّى بالعرفان النظري، وهو طريق العقل والفكر والإستدلال، والطَّريق الثاني: السيروالسلوك الأنفسي وهو ما يسمّى بالعرفان العملي، وهو طريق القلب وتهذيب النفس بالرياضة والعبادة، والآية التالية تشير إلى هذين الطَّريقين، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

والطريق الذي نصبه الله لـلوصول إلى معرفته هو العبادة بتمام معانيها وأنواعها وأشكالها حيث هي اساس خلق الجنَّ والإنس كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، أي: ليعرفون، فإذا أراد الإنسان أن يحصل على المعرفة الحقيقية لله تعالى فلا بدَّ من التَّعرف على مفهوم الحقيقي للعبادة والقيام بها في طوال حياته الفردية والإجتماعية.

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة الذَّاريات: ٥٦.

مفهوم الحقيقي للعبادة

إنَّ العبادة جاءت في الإسلام شاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية الشخصية والاجتماعية،الاقتصادية والسياسية، بل دعا الإسلام أن يكون جميع سلوك الانسان عبادياً حتى في المأكل والمشرب واللَّذات والشهوات التي يحبها ويهواها، وفتح الباب أمام قصد القربة إلى الله وتأكيد الارتباط به في جميع أفعال الانسان ونشاطاته، فلا حصر ولا تحديد لنوع العبادة من الافكار أو الأقوال، أو الأعمال، فالتفكّر في خلق الله وطلب العلم والمعرفة من أفضل العبادات، وخدمة الناس والعدل بينهم والتعامل معهم بإحسان وأداء أمانتهم عبادة، والتجارة والكسب ومقاطعة الرِّبا والإحتكار ومحاربة الظلم والدفاع عن الحق، واصلاح الفساد وإعمار الأرض و....إلخ كلُّها تعتر عبادة إذا قصد فيها الإنسان التَّقرب إلى الله تعالى.

وانطلاقاً من هذا التعريف العام لمفهوم العبادة نعلم أنَّ العبادة في الإسلام ليست محددة بمجموعة من التكاليف والأعمال وإنما تتسع لتشمل كل ما يصدر عن الإنسان بدافع القربة الي الله، وإنَّا لنجد في النصوص من الآيات والروايات ما يوضِّح هذا المفهوم الإسلامي، ويشخِّص أبعاده الواسعة الشاملة، لقدروي عن الإمام رضا عليه السلام: «**ليس العبادة كثرة الصلاة والصيام، وإنَّما التفكّر في أمر الله عزّوجلّ**»[1]، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نظر الولد الي والديه حباً لهما عبادة»[2]، وجاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة له عبادة**»[3]، وورد

(١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول، مواعظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول، ما روي عن علي بن الحسين عليه السلام.

عن الامام الباقر عليه السلام: «**أفضل العبادة عفَّة البطن والفرج**»[١].

ولكن من بين تلك العبادات التفكر في الله ومخلوقاته من أهمِّ المظاهر التي يعبِّر بها الإنسان عن عبوديته لله سبحانه وهومايعبَّر عنه بالعبادة العقلية وهو أرقى الممارسات العبادية في الإسلام، وأكثرها قدرة على ربط الإنسان بخالقه، وقدعرض القرآن نموذجاً للإنسان المفكر الذي يستخدم عقله في الوصول الي الحقيقة واستجلاء أبعادها فقال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾[٢] وجاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «**تفكر ساعة خير من عبادة سنة**»[٣]، وروي عنه عليه السلام: «**أفضل العبادة التفكّر في الله عزّوجلّ وفي قدرته**»[٤]، وروي أنَّه كان أكثر عبادة أبى ذر الغفاري التفكّر في الله.

وهذه العبادة الفكرية توصل الإنسان إلى الحبِّ والمعرفة الإلهية التي على أساسها يكون السير والسّلوك العملي

فتصبح العبادة لاخوفاً من النَّار ولاطمعاً في الجنة بل لأجل إستحقاف المعبود عزَّوجلَّ.

***

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ما روي عن الباقر عليه السلام.

(٢) آل عمران:١٩١.

(٣) بحار الأنوار ٦٨: ٣٢٨،ب٨٠، عن تفسير العياشي.

(٤) تحف العقول، ما روي عن الامام الصادق عليه السلام.

عبادة الله على اساس الحبِّ والمعرفة

كما نجد في القرآن والروايات محركات للعبد نحو الطاعة، من الخوف من النار أو الطَّمع في الجنة، كذلك توجد آيات وروايات كثيرة تجعل المحرِّك للطاعة أنَّ الله تعالى مستحق لها، فحتى لو لم يكن هناك جنَّة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب، فهناك دواعي للطاعة، وهي أنَّ الله بذاته مستحق لها، وأهل لها، وعلى سبيل المثال نذكر بعض الآيات والرويات في ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، فهذه الآية وما ماثلها، تجعل استحقاق الله للعبادة لا لأجل الخوف من النار، ولا الطمع بالجنة، ولكن لأجل أنَّه الخالق، ومن الواضح أنَّ العقل يدرك استحقاق الخالق للعبادة، لأنَّه لا يوجد إله للناس غيره يستحق العبادة، ومن هنا كان الإمام علي عليه السلام يعبد الله، لأنَّه وجده أهلاً للعبادة لاغير، ولذا كان عليه السلام يقول: «**إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنَّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»[2]، وأطلق على من يعبد الله تعالى لأنَّه وجد فيه الأهلية والاستحقاق، بأنه العابد الحر الّذي لا يقيده مصلحة، ويقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إنَّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة الأحرار**»[3]، وهذا النمط من العبادة وبهذا الهدف والغاية هو ما يحقق الكمال الّذي من أجله خلق الإنسان، وبه يصبح خليفة الله في الأرض، وهومن أفضل الطرق للارتباط مع الله، ومن هنا كانت أعلى درجات العباد، المحبين لله، فقد ورد في صحيفة إدريس: «**طوبى لقوم**

(١) سورة البقرة: ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٧٠: ١٨٦،ح١.

(٣) بحار الانوار: ٤١: ١٤،ح٤.

عبدوني حبَّاً، واتخذوني إلهاً وربَّاً، سهروا الليل ودأبوا النهار طلباً لوجهي من غير رهبة ولا رغبة ولا لنار ولا جنة، بل للمحبة...»[1].

***

محبَّة الله وطريق الوصول إليها

من غير الخفي على أحد أنَّ أساس الحب هو الجمال، لإن الإنسان مفطور على حب الجمال، وبمجرد أن يدركه ينجذب ويميل إليه ويحبه بل يعشقه، ولهذا فما يعشق الإنسان شيئاً إلاّ لأنه يجد فيه لوناً من الجمال، وحيث أن لله الجمال المطلق، كما جاء في دعاء السحر: «**أللهم إني أسألك بجمالك كله**»، وكل جمال يرجع إلى جماله، فبمجرد أن يدرك العبد جماليته يحبه ويعشقه، وإدراك جماله عبر التفكير بأفعاله وخلقه، وآثار صنعه، لأن الجمال المطلق لا يصدر منه إلاّ ما هو جميل، ولهذا ورد التركيز البليغ على التفكير في آثار صنع الله تعالى، قال تبارك وتعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ** ﴾[2].

ولقد تواتر في الأخبار أن: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»، فبمقدار ما يتعلق قلب المؤمن بالدنيا يبتعد عن الله، والعكس بالعكس فبمقدار ما يبتعد الإنسان عن الدنيا يقترب من الله، وفي هذا الصدد، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلب أبداً**»[3]، وقال علي عليه السلام: «**كيف يدّعي**

(١) بحار الأنوار ٩٥: ٤٦٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

(٣) غرر الحكم: ٢: ٧٠٠، ح٧٢١٩.

حب الله من سكن قلبه حب الدنيا. . . . كما أن الشمس والليل لا يجتمعان كذلك حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان»[١]، ومن هنا كان من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «**سيدي أخرج حب الدنيا من قلبي**»، فإن إخراج حب الدنيا كفيل في أن يتحقق حب الله تعالى.

أوحى الله تعالى إلى داوود: يا داوود كذب من ادَّعى محبّتي، وإذا جنَّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحب الخلوة بحبيبه؟. . . ، أبلغ أهل أرضي أنّي حبيب من أحبَّني، وجليس من جالسني، ومونس لمن أنس ذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، ومطيع لمن أطاعني[٢].

***

آثار محبة الله تعالى

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل، فردَّ الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فردَّ عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردَّ الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك، قال إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله «جل جلاله» إليه: أما إذا كان هكذا، فمن أجل هذا، سأخدمك كليمي موسى بن عمران[٣].

وأوحى الله تعالى إلى بعض الصدّيقين: «إنَّ لي عباداً من عبادي يحبُّونني

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٧.

(٢) بحار الأنوار ٦٧: ١٤،ب٤٣، باب حبُّ الله تعالى، وسائل الشيعة ٧: ٧٧،ب٣٠.

(٣) علل الشرائع: ٥٧،ح١.

وأحبُّهم، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكروننني وأذكرهم، فإن أخذت طريقتهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتُّك.

فقال: يا ربّ وما علامتهم؟

قال: يراعون الظّلال بالنَّهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنُّون إلى غروب الشمس، كما تحنُّ الطير إلى أوكارها عند الغروب، فإذا جنَّهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسرَّة، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه، نصبوا إليَّ أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملّقوني بإنعامي، ما بين صارخ وباك، وما بين متأوّه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحمّلون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبّي، أقلُّ ما أعطيهم ثلاثاً:

الأوَّل: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم.

والثّاني: لو كانت السموات والأرضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالث: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه، يعلم ما أريد أن أعطيه؟[1]

***

أهل البيت عليهم السلام ومحبة الله تعالى

من موارد تحقق حب الله تعالى، حب أهل البيت عليهم السلام، ذلك أن الله تعالى الكمال المطلق، ويستحيل لأي أحد أن يدرك كنه كماله، وحقيقة جماله، وعزته

(١) مسكن الفؤاد: ١٨، بحار الأنوار ٦٧: ٢٦، ب٤٣.

وجلاله، لأن المخلوق محدود بحدود خلقته، ولا يمكن للمحدود أن يدرك اللا محدود، كما هو واضح، وعلى هذا فمهما حاول العباد إدراك ربهم بالعلم وبالمعرفة فلا يمكن لهم إلاّ معرفة الأثر، ولكن جعل الله ممن خلق من تظهر عليه أعظم صفات الكمال البشري، بحيث يكونون مظهراً من مظاهر الحق ونوراً من نوره المقدس، فخلق الأنبياء وخلق النَّبي محمد وأهل بيته عليهم السلام وجعلهم في هذا المقام العظيم بحيث يظهرون أخلاق الله وجماله وكماله، ولهذا فكل ما في أهل البيت عليهم السلام من علم وخلق وقداسة تعكس صفات الله جلّ وعلا، ومن هنا ورد التأكيد على محبة أهل البيت عليهم السلام، واتباعهم والولاء لهم، فقد جاء في الزيارة الجامعة: «من أراد الله بدأ بكم... ومن أحبَّكم فقد أحبَّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله»، ومما تواتر بين المسلمين قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أدِّبوا أولادكم على حب آل محمد** صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

و أهل البيت عليهم السلام هم قد سلكوا طريق الحب لله تعالى، فكانوا متفانين في حبِّه،، فهذا علي بن الحسين يطلب من الله أن يسكن قلبه حبَّه، ويحبب إليه أحباؤه، فيدعو عليه السلام: «**اللهم اجعلني أحبك وأحب من يحبك وأحب كل عمل يوصلني إليك**»، وفي دعاء كميل يدعو أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «**واجعل قلبي بحبك متيَّماً**»، وهكذا نرى كيف كان الإمام علي عليه السلام وفاطمةالزهراء وولديهما الحسن والحسين عليهم السلام يطعمون الطعام على حبّ الله مسكيناً ويتيماً وأسيراً، ثلاثة أيام متوالية وهم صائمون وبأمسِّ الحاجة إلى الطعام، حتى نزلت الآية تمدحهم بهذا العمل العبادي بقوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا**﴾[2].

(١) بحار الأنوار ٣٨: ٧.

(٢) سورة الإنسان: ٨،٩.

وهذا أبو عبد الله الحسين عليه السلام في عرصات كربلاء على الرغم من المصائب الّتي مرَّت عليه من قتل الأصحاب، والأهل والعطش، وحرارة الشمس، وتكالب الناس على قتاله، كان يقول أو لسان حاله:

إلهي تركت الخلق طرَّاً في هواك وأيتمت العيال لكي أراك

فلو قطعتني في الحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواك

الليلة الثلاثون

صوموا...لعلكم تتقون

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]

ومما جاء في خطبته صلى الله عليه وآله وسلم الشعبانية: «... **أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل**».

***

معنى التقوى لغةً واصطلاحاً

التقوى لغةً مأخوذ من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب، ولها مراتب بحيث كلما كان الحذر والاجتناب أكثر كانت التقوى أكمل، ولكن مجرد الحذر والاجتناب عن شيء ليس معناه التقوى المطلوبة في الإسلام، وإنّما التقوى التي دعا إليها الإسلام وأكد عليها القرآن الكريم: عبارة عن قوة روحية نفسية تتولد في الإنسان بسبب التمرين على العمل الذي يحصل منه الحذر والاجتناب من الذنوب[2].

(١) سورة البقرة: ٢١.

(٢) راجع كتاب (في رحاب نهج البلاغة)، للشهيد مطهري.

وأما التقوى في الاصطلاح الإسلامي هو: اجتناب ما حرّم الله وإتيان ما أوجبه على العبد، كما جاء هذا المعنى في كثير من الآيات والروايات، وإذا ترك الإنسان المحرمات والمكروهات وحتى المشتبهات وعمل بالمستحبات فهذا هو الورع الذي دعا إليه النبي ﷺ في خطبته الشعبانية، وعبّر عنه بأفضل الأعمال في شهر رمضان المبارك.

***

التقوى في القرآن الكريم

أكد القرآن الكريم في مجمل آياته على التقوى، وقد جعل لها قيمة عظيمة، وموقعاً متميزاً على سائر الصفات الأخرى، ونجده قد أكد أن أهم أهداف بعثة الأنبياء والمرسلين الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، ومن الواضح أن الله تعالى لا يأمر بالعبادة لحاجة منه إليها، أو لنقص فيه يريد أن يستكمله بعبادتنا، إذ الله تعالى غني مطلق، بل كمال العبادة وفائدتها تعود أولاً وأخيراً إلى نفع الإنسان وكماله وترقيه.

ومن جهة أخرى نجد أن القرآن الكريم لم يجعل العبادة هي الغاية النهائية لخلق الإنسان، بل العبادة هي الغاية المتوسطة، ويترتب عليها غايات أخرى، فمن هذه الغايات التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2] فالتقوى هي الغاية والهدف من العبادة التي

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٢١.

خلق الإنسان لأجلها، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١]، وهذا يعني أن الكمال المطلوب لله، والذي يراد من الإنسان الوصول إليه هو التقوى، وأن الأرضية التي تهيّئ للوصول إلى هذا الكمال هو العبادة، ومن أهمِّ العبادات التي توصل الإنسان إلى هذه الملكة الفاضلة هوالصيام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

***

التقوى في نهج البلاغة

يقول الشهيد مرتضى المطهري[٣]: «إن كلمة التقوى من أكثر كلمات نهج البلاغة استعمالاً، فليس هناك في نهج البلاغة مفهوم أو معنى أعتني به أكثر من التقوى، كما أنه ليس هناك كتاب ـ بعد القرآن الكريم ـ يركز فيه على التقوى أكثر من نهج البلاغة، غير أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يطرح التقوى على أنه مفهوم يرادف الحذر والاجتناب، وفق ما يذكره أهل اللغة، بل التقوى في نهج البلاغة عبارة عن قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب، وعليه فالحذر المعقول والمنطقي يكون مقدمةً للحصول على هذه المرتبة الروحية العالية، فليست التقوى في منظور نهج البلاغة عبارة عن الحذر والاجتناب الذي يؤدي بالانسان إلى اعتزال المجتمع والحياة العامة خوفاً من الوقوع بالمعصية، وفوات التقوى، بل التقوى في مفهومه قوة يخلقها الحذر إلى أن تصل إلى درجة الملكة فلا يضطر

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة البقرة: ١٨٣

(٣) في كتابه (في رحاب نهج البلاغة).

صاحبها إلى ترك المجتمع والاعتزال، إذ هو يحفظ نفسه من دون أن يخرجها عن المجتمع، فمن كانت تقواه بمعنى الحذر الذي يمنعه من مخالطة مجتمعه، ويحدو به إلى الانزواء، كان كمن يأوي إلى جبل ليعصمه من المرض المعدي، أما من كانت تقواه بالمعنى الصحيح وأعني الوصول إلى درجة الملكة والقوة المانعة عن الذنوب، كان كمن يقي نفسه من المرض المعدي بالتلقيح ضده، فلا يضطر ٨ إلى أن يخرج من البلد أو إلى أن يجتنب الناس، بل يسعى إلى مساعدة المرضى كي ينقذهم مما هم فيه من الألم والمرض.

يقول سعدي الشيرازي واصفاً التقوى بالمعنى الأول:

رأيت يوماً عابداً في الجبال ... مقتنعاً عن دهره بالرمال

فقلت هل تنزل يوماً لكي ... ترى البلاد والمنى والمنال

فقال لي لا إن فيها لمن ... بنات حوّا كل ذات جمال

وحينما يكثر وحل الطريق ... يزلق فيه الفيل قبل الرجال

إذن، فالتقوى في منظومة نهج البلاغة، قوة معنوية وروحية تحصل على أثر التمرين والممارسة، ولها آثار ونتائج منها تيسير الحذر من الذنوب لا أنها هي بنفسها الحذر، قال الإمام علي عليه السلام: «**إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم...**»[1]، وإنَّ التقوى دواء للقلو المرضى قال عليه السلام: «**إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم و....**»[2].

***

(١) نهج البلاغة:١٣٢، الخطبة رقم١١٣.

(٢) راجع كتاب (في رحاب نهج البلاغة)، للشهيد مطهري.

آثار التقوى في الدنيا وآخرة

إن للتقوى آثاراً عظيمةً جدّاً تعود فوائدها إلى الفرد والمجتمع، وقد ذكر القرآن الكريم آثاراً كثيرة وجمة وإليك بعضها:

١ ـ بالتقوى خروج من الضيق

الإنسان في هذه الدنيا غالباً ما يتطوق بالمصائب والابتلاءات، وهذه الابتلاءات على نوعين، فمنها ما يتمكن الإنسان من حلها، ورفع مشاكلها، وهي قليلة جداً، ومنها ما لا يتمكن من حلها، ويقف عاجزاً أمام هذا النمط منها، وليس لـه أدنى حول، إلاّ أن يغيثه الله تبارك وتعالى، ويخرجه من هذا الضيق، وبالتقوى يخرج المتقون من هذا الضيق، وتحل مصائبهم ومشاكلهم بعدما كانت مبرمة، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1]، أي من الضيق، لمصائبه ومحنه، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، وعن أمير المؤمنين عليه السلام لأبي ذر: «... **ولو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله لـه منهما مخرجاً...**»[2].

٢ ـ بالتقوى تُدَّر الأرزاق

إن من أكثر ما يشغل بال الفرد في المجتمع الرزق، وكم يسعى لتحصيله، وكم ينفق من عمره في سبيل تحصيل قوته وقوت عياله، ويمكننا القول بأن حركة المجتمعات البشرية في معظم الأوقات تفرغ في سبيل تحصيل الرزق والقوت، مع أن هناك طريقاً سهلاً قويماً يحقق للإنسان رزقه وما يكفيه، وهو التقوى، فبالتقوى تدر الأرزاق، وبالتقوى تحصل الأقوات، قال تعالى: ﴿وَمَن

(١) سورة الطلاق: ٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٤١١، ح٣٠.

﴿يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١].

٣ ـ بالتقوى تُقبَل الأعمال

لا شكَّ أنَّ أهم ما يهتم به المؤمن أن يقبل الله أعماله التي يقوم بها من الطَّاعات كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وكثير من الأعمال الحسنة والخيرات.

ودائماً يخاف الإنسان من أن لا تكون هذه الجهود من عباداته موضع قبول الله تعالى، والطريق الذي رسمه الله تعالى لقبول الأعمال هو التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢]، فالتقوى سبب من أسباب القبول، بل هي السبب الوحيد بدلالة إفادة (إنَّما) على الحصر، وقد وردت هذه الآية في قصة هابيل وقابيل ابني آدم حيث اختلفا في أمر فحكّما فيه أباهما آدم، فأشار عليهما أن يقدِّما قرباناً إلى الله فمن يتقبل الله قربانه يكون هو الصائب، فقدم قابيل عنزاً، وقدم هابيل كبشاً عظيماً وسنابل قمح، وكانت علامة القبول، أن يضعا القربانين على جبل فإذا نزلت النار وأكلت قربان أحدهما دل ذلك على قبول الله له، وفعلاً نزلت النار على قربان هابيل وتركت سنابل القمح، فتعجب قابيل، واستغرب من قبول الله السنابل والكبش، فقال له أخوه هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣]، فعظمة العمل وكثرته لا تعدوا شيئاً عند الله إلاّ بالتقوى، ومن هنا قال علي عليه السلام: «**لا يقِّل عمل مع التقوى، وكيف يقل ما يتقبل**»[٤]، ومما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباذر، قال: «**يا أباذر كن للعمل بالتقوى أشدّ اهتماماً منك بالعمل**»[٥].

---

(١) سورة الطلاق: ٢،٣.

(٢) المائدة: ٢٧.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) بحار الأنوار ٦: ٣٨ ح٦٢.

(٥) كنز العمال: ٨٥١.

٤. بالتقوى تُنال كرامة الله ورحمته

لقد خلق الله تعالى الإنسان كريماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١]، وهذه الكرامة أعطاها ووهبها لجميع البشر على نمط واحد، وإنّما يذِّل الإنسان ويهان بالمعاصي والذنوب، وبامكان كل فرد من البشر أن يصبح أكرم من غيره وذلك بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]، وبالتقوى تنال رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٣].

٥. بالتقوى يَنال الإنسان الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[٤]، وقال عز من قائل: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

وهناك آثار أخرى عزفنا عن ذكرها مراعاة للاختصار، ولعل أعظم الآثار للتقوى تعكسها خطبة المتقين لأمير المؤمنين عليه السلام:

كلام أمير المؤمنين في صفات المتقين[٦]

رُوِيَ أَنَّ صَاحِباً لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ له هَمَّامٌ[٧] كَانَ رَجُلاً عَابِداً

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) الحجر: ٤٥.

(٥) النحل: ٣١.

(٦) نهج البلاغة: من خطبة له يصف فيها المتقين، وراجع شرح نهج البلاغة١٠: ١٣٢، وبحار الأنوار٦٤: ٣١٥،ب١٤.

(٧) همام بن عبادة، صاحب أمير المؤمنين، ومن خواص شيعته الخلّص، وكان عابداً ناسكاً مجتهداً، ومما يدل على

فَقَالَ لـه يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ فَتَثَاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا هَمَّامُ، اتَّقِ اللهَ وأَحْسِنْ فَإِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، وصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ولَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، ووَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، ومَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ، ومَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، ولَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً، أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ، يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا،

أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، ويَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا

عظمته وجلالة شأنه وزهده وتقواه، أنه صعق ووقع صريعاً بمجرد ما سمع من مولاه هذه الخطبة، شوقاً إلى الثواب والرضوان، وخوفاً من العقاب والنار،فهو اسم على المسمّى: أي ذا همّة عالية، ولهذا نرى بأنّه لم يقنع من مولاه الجواب الموجز، وأصرّ عليه بالتفصيل..والإمام كان يخاف على همّام لذا قال في آخر الخطبة: أما والله لقد كنت أخافها عليه.

طَمَعاً، وتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ، أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ؛ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِمْ ورُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ،

وأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ، بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ، فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى ومَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، ويَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا ولَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ ولَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، ومِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَه فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ورَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، واجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»قَالَ فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ٨:«واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ «أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا»، فَقَالَ لَه قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ ٨ «وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ»[1]

ولا شك في ذلك فإن المفرغ لهذا الكلام هو سيد المتقين وضياء المتهجدين ونور العارفين أمير المؤمنين، وهل يوجد شخصية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتصف بهذه الأوصاف غير علي عليه السلام وأهل بيته، فكان ما قاله لهمام نابعاً من ذلك القلب السليم، فأثّر ما أفرغه منه في الضمائر الحية والقلوب السالكة إلى الله

(١) لا يخفى أن تأثير المواعظ تتقّدر بمقدار حال المتعظ، وحيث كان همام من المتعظين، أثّرت فيه المواعظ، وأمّا عروض موته فإنه تقدير إلهي بحلول أجله في ذلك الوقت، ثمّ إنّ هذه الصفات لها مراتب ودرجات يمكن الوصول إليها في الجملة، واللازم بذل الجهد لإدراك أعلى مراتبها.

تعالى، ولقد كانت سيرتهم من أولها إلى آخرها تعكس هذه الصفات.

ولقد أراد الله منَّا في هذا الشهر الفضيل أن نحصل على تلك الصفات بسبب الصوم حيث هو الطريق الأفضل والأسرع للحصول على التقوى، فالصائم الذي يكف نفسه عن الشهوات والمشتهيات المباحة كالأكل والشرب وغيرها طوال شهر رمضان فهو يتدرب على إتّقاء المحرمات واجتنابها، ومن أجاب الله وأطاعه في المباحات فهو في المحرمات والمعاصي أسمع وأطوع، وبذلك يحصل على مغفرة الله ورضوانه ويتحلىَّ بملكة التقوى التي هي خلاصة أعماله ونتيجة صيامه وقيامه في هذا الشهر، وهي الجائزة الكبرى التي يعطيها الله للصائمين في آخر يوم من شهر رمضان المبارك، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام «**عباد الله إن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟!**»[1].

(١) الأمالي للصدوق: ١٠٠، المجلس ٢١، مجموعة ورَّام ٢: ١٥٧، بحار الأنوار ٩٢: ٣٦١، الباب ٣٦.

الملحق الأول

يوم القدس العالمي

قال تعالى:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾[1]

***

التطبيقات المطروحة للوعد

لم يختلف العلماء في فهم وتفسير آيات الوعد القرآني الخاصة لبني إسرائيل، وإنما وقع الاختلاف بينهم في تطبيق هذا الوعد القرآني على تاريخ بني إسرائيل، وعلى المبعوثين لمعاقبتهم في الافسادين.

(١) سورة الإسراء: ٤-٨.

وفي تطبيقات الأحداث التاريخية للنص القرآني على الواقع، سنقتصر في تسليط الأضواء على التطبيق الأهم، والمشهور وهو للأكثرية من مفسري الشيعة والسنة، وخلاصته: إن الإفسادين والعقوبة عليهما في هذا الوعد القرآني قد تحققتا في تاريخ بني إسرائيل قبل مجيء الإسلام، ومستند هذا الرأي ما جاء عن الصحابة والتابعين من روايات كثيرة في تطبيق هذا الوعد على تاريخ بني إسرائيل ونكتفي هنا بذكر البعض من تلك الروايات:لقد أخرج ابن عساكر في تاريخه، عن علي بن أبي طالب قي قوله ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ قال: «الأولى: قتل زكريا عليه الصلاة والسلام والأخرى قتل يحيى عليه السلام»، وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية العروفي في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ قال: «أفسدوا المرة الأولى فبعث عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام فبعث الله عليهم بخت نصّر»، واخرج ابن أبي حاتم، عن الضحاك في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾، قال: «كانت الرحمة التي وعدهم: بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[1]

والمتأمل في سياق آيات الافسادين يقطع بحتمية وقوع معركتين بين بني إسرائيل وأعدائهم المبعوثين لمعاقبتهم على الافسادين، وستقع في المستقبل معركة ثالثة تكون فيها هلاكهم.

المعركة الأولى: أشير إليها بقوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾[2].

(١) الدر المنثور ٥: ٢٣٨.

(٢) الإسراء: ٥،٦

والمعركة الثانية: أشير إليها في قوله تعالى ...﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[1].

والمعركة الثالثة والأخيرة ماأشير إليها في قوله تعالى ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[2].

***

اليوم الموعود لزوال اليهود

إنَّ المعركة الاخيرة هي التي يخوضها المسلمون، والمؤمنون ضد اليهود، لزوال فسادهم وكيانهم الغاصب هو ما أشير إليها في قوله تعالى ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[3]، وتستمرهذه المعركة حتى ظهور ذلك المصلح العالمي الذي سيطهّر الأرض من المفسدين بالأخص اليهود الصهاينة الغاصبين، وتقضي على كيانهم المفسد في الأرض، وتستأصله من الوجود في المرحلة الأخيرة من تاريخ صراع الحضارات التي ستشهد فيها البشرية إنتصار المستضعفين على المستكبرين تحقيقاً للوعد الإلهي: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[4]، وكما نصت على ذلك بعض الروايات التي سنشير إليها، ولكن وحتى ذلك اليوم الموعود لا بد من التمهيد الفكري والعسكري، وهذا ما قام به الإمام الخميني قدس سره من قبل انتصار الثورة في إيران وبعدها بإعلان يوم القدس العالمي الذي حث فيه

(١) الإسراء: ٧.

(٢) الإسراء: ٨.

(٣) الإسراء: ٨.

(٤) القصص: ٥.

على أن تستيقظ الأمة الإسلامية، وتتوحد لتحرير القدس من أيدي الصهاينة، وقد أعطى الإمام الخميني رؤية فكرية، وأطروحة خاصة في أسلوب الصراع مع إسرائيل، ولو عملت الأمة الإسلامية دولاً وشعوباً بأقوال الإمام لما كان لإسرائيل في عصرنا هذا كياناً، ولكن لعله شاء الله أن تكون إزالة إسرائيل من الوجود بيد المؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام، والممهدين لظهور قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام المهدي # ، كما صرحت بذالك بعض الروايات، فعن الإمام علي عليه السلام قال: «**يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته بالمشرق، يتوجه إلى بيت المقدس**»[1].

إن تسليط الأضواء من الروايات، وهكذا آيات الإسراء على بيت المقدس، والمسجد الأقصى يعتبر هدفاً مهماً، ومحوراً إستراتيجياً في معارك المجاهدين، وفيه دلالة على أن هذا المكان المقدس هو محور الصراع السياسي والعسكري بين اليهود والمسلمين، ومن أهم أهدافهم الجهادية هو محاولة الوصول إلى المسجد الأقصى أولى قبلتي المسلمين، وسوف يتحقق ذلك بعون الله تعالى، وذلك بالإلتزام بخط الإسلام المحمدي الأصيل المتمثل بكتاب الله، وأهل بيت رسوله، وبنهج الإمام الخميني الراحل الذي أعلن بأن آخر جمعة من شهر رمضان المبارك هو يوم القدس العالمي، وأمر بتشكيل الجيش العشرين مليون لتحرير فلسطين، وبيت المقدس، وسماه جيش القدس.

***

(١) كنز العمال ١٤: ح٣٩٦٦٩.

اهمية يوم القدس العالمي

من إحدى أساليب التربوية في الإسلام، أن جعل للمسلمين مواسم معينة في أوقات محدّدة، مواسم عبادية تعمل على تذكيرهم وتنشيطهم، وشحذ هممهم الإيمانية، على مدار الأيام لأجل أن تبقى شعلة الإيمان متّقدة وحيّة، ولأجل التذكير الدائم بحقائق إيمانية عقائدية، وأيضاً بحقائق دنيوية في سبيل نهضة المجتمع الإسلامي، لأن الإسلام لم يأت بمعزلٍ عن الدنيا، والمجتمع الدنيوي، فجعل هذه المناسبات محطاً ليجدد الهمم ويشحذ الطاقات من جديد، قال تعالى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾[1]،فجعل شهر رمضان مثلاً في كل عام موسماً عبادياً روحياً بالإضافة إلى أنه مذكر بفقراء المجتمع ومعوزيه، وجعل إجتماع الجمعة لسماع خطبة الإمام وصلاة الجماعة، فرضاً من الفروض، ولعل هذا الفرض الأساسي من خلال اجتماع أسبوعي هو ما دعا إلى المحافظة على قوة الإسلام في الصدور، وترسيخ قواعده الفكرية، والروحية بقوة في المجتمع الإنساني.

وقد جعل الإسلام للقدس مكانتها الروحية والمعنوية الكبرى، إذ ذكرت في آيات عظام من كتاب الله تعالى، وجعلت أرضا للمعراج النبوي، وكلام رسول الله محمد ﷺ عنها كثير، يؤكد حرص الإسلام عليها. وعلى التذكير بها، وجعلها علماً من أعلام المسلمين، وفي ذلك حكمة ربانية كبرى، فهذه القدس تعبر بشكل واقعي عن حيوية المسلمين، ومدى فاعليتهم التاريخية.

لقداحتلت القدس من قبل الصليبين من قبل، ولكن حيوية المسلمين حينها كانت متميزة وفاعليتهم كانت مؤكدة، فتحررت القدس على أيدي

(١) سورة إبراهيم: ٥.

المجاهدين في ذلك الزمن، وبقيت تلك الأرض المباركة والمحررة حسرة في نفوس العنصريين في العالم المسيحي، وعند اليهود أصحاب العُقد والنفوس المنحرفة.

والأحتلال الأخير للقدس اغتصابها كان من قبل اليهود الصهاينة بمساندة الاستعمار الغربي عنوانا لمرحلة جديدة عالمية تاريخية، وتعبيراً جلياً عما وصل إليه المسلمون من ضعف وإنحطاط.

وقدأعلن الإمام الخميني«رضوان الله عليه» اليوم الجمعة الأخيرة من أيام شهر رمضان يوماً عالمياً للقدس لتذكير الأمة، وشعوبها بالقدس الجريحة، وبالأقصى المبارك المغتصبين من قبل اليهود والصهاينة مفسدي العالم، وقد سلك الإمام من خلال طرحه هذا مسلك القرآن والإسلام في تربيته للمجتمع الإسلامي للوقوف ضدَّ الظلم والعدوان، وعدم الإكتفاء بالشعارات والهتافات، ولأجل أن تتحد الشعوب والدول الإسلامية أكثر من أي وقت مضى لتستعد للجهاد لأخذ حق الشعب الفلسطيني، وإلحاق الهزيمة بالعدو الصهيوني.

إن يوم القدس هو يوم التعبئة المستمرة للجماهير وإزالة هذه البقعة السوداء من خارطة العالم الإسلامي وإحياء يوم القدس لا يتناسب إطلاقاً مع الاعتراف بالكيان الصهيوني والسكوت على جرائمه، ولا يستطيع أن يعلن هذه الدعوة أولئك الذين هادنوا الكيان الصهيوني الغاصب للقدس، وتركوا خط الجهاد الدامي، واتجهوا نحو استرضاء أمريكا ولا يستطيعون دون شك أن يرفعوا عقيدتهم باسم القدس وفلسطين عرباً كانوا أو غير عرب، حتى ولو كانوا فلسطينيين.

لقد أعلن الإمام الخميني ﷺ آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك «يوماً للقدس»، لأن قضية فلسطين، وقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم الإسلامي تعيش في قلبه ووجدانه، لقد عاشت فلسطين ومقدساتها في قلبه الكبير، وكانت معه في محطات حياته كلها، وكان «رضوان الله عليه» يؤكد بأقواله وأفعاله ومواقفه العلاقة الشرعية بين الجمهورية الإسلامية في إيران وفلسطين، كبلدين إسلاميين، وشعبين مسلمين، وكانت أمنيته أن ترجع فلسطين إلى مكانها في العالم الإسلامي وتأخذ موقعية قلب الأمة القدس، وكان أمله الصلاة في مسجدها الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، لذلك سعى جاهداً لتحريض المسلمين في كل مكان وتوعيتهم للقضاء على الصهيونية لتحرير فلسطين، ولهذا فمن أولى واجباتنا كمسلمين أن نعمل ونخطط، ونتعاون ونتحد لإنقاذ القدس من براثن الصهيونية، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من تلبية نداء الإمام الخميني «قده» لإحياء يوم القدس العالمي، ولا بد من الالتزام بدعوة الإمام لبناء جيش العشرين مليون الذي أطلق عليه «جيش القدس».

وفي هذا المعنى نختم مقولتنا هذه بقول الإمام رضوان الله عليه، «لتبقى القدس في ذاكرة المسلمين، لشحذ الهمم، والتعبئة والاستعداد، لتطهيرها من رجس الصهاينة، والمستوطنين»، وقوله ﷺ: «الذين لا يشاركون في يوم القدس مخالفون للإسلام وموافقون لإسرائيل»، وقوله ﷺ: «ينبغي إحياء يوم القدس بين المسلمين».

الملحق الثاني

مفهوم العيد في الإسلام

قال تعالى:

﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1]

وعن الإمام علي عليه السلام: «**إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه، وشكر قيامه.. وكل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد**»[2].

***

معنى العيد لغةً واصطلاحاً

العيد في اللغة،[3] مأخوذ من عاد بمعنى العود أي عاد إليه، فهو كل يوم يحتفل فيه بذكرى كريمة أو حبيبة، وفي الاصطلاح الإسلامي: هو الذكرى الّتي يجتمع المسلمون فيها ويبرزون إلى الله تعالى فيحمدونه على ما منّ عليهم من الرحمة فيه والمغفرة، وليس العيد في الإسلام للعب والتلهي، وارتداء أفخر

(١) سورة المائدة: ١١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٣.

(٣) معجم الوسيط: ٦٣٥، ولسان العرب: مادة عيد.

الثياب وأغلاها ثمناً، والتلذذ بأصناف الطعام، وألوان الشراب، وعدم المبالاة بالأحكام والحدود الشرعية، كما درج على ذلك الناس في هذه الأزمنة، فالعيد في التشريع المقدس وإن كان لا يمنع من فرح المؤمن فيه، بل يدعو إليه، ولا يمنع من ارتداء الجديد، وأكل الطيبات، لكن لا يعني ذلك أن يرضى بجعل الطعام واللباس والسرور في العيد إلى درجة التفاخر والتباهي وبذل المال الكثير في تحصيله، بل لعل هذا العمل بداية لانحراف الكثير من الفقراء الّذين لا يتمكنون من جلب ما تراه أطفالهم من الطعام والثياب عند أطفال الأغنياء، فيقدم رب الأسرة لما يداخله من رحمة بأطفاله ـ على جلب المال ولو من غير حلّه، أو إذا كان كثير التحفظ والتدين، فيقترض مبلغاً لعله يرهقه وفاؤه ويوجب التقصير على بيته وعياله، وقد لا يتمكن من وفائه، ويتنازع مع صاحبه فتفسد العلاقات الاجتماعية، ويمنع الإحسان ويسود التفكك في المجتمع الإسلامي.

علينا جميعاً السعي لفهم المعنى الحقيقي للعيد، وما هي الواجبات الملقاة علينا تجاهه؟ وما هي أعياد الدين الإسلامي وفلسفتها؟ وقبل ذلك كله ينبغي أن نتعرف على مشروعية الأعياد في الإسلام، فنقول:

***

العيد حكم تشريعي خاص

ذكر العلماء المحققون أن الأحكام الإلهية لا يجوز الزيادة فيها أو النقيصة، فمثلاً الصلاة فرضها الله تعالى بالكيفية الّتي نعرفها، فلا يجوز أن نضيف عليها شيئاً، وإن كان مستحسناً، إذا كان ذلك الشيء الّذي تضيفه مما يخلّ بالهيئة التشريعية للصلاة، كإضافة ركعة إليها، فمثلاً أصلي الظهر خمسة ركعات،

أو أضيف في كل ركعة ركوعين أو غير ذلك مما يخل بالكيفية المشروعة، نعم إذا كانت الاضافات غير مخلة بها فلا يضر، كما لو أكثرت الدعاء فيها، أو أطلت في سجودها وركوعها وقيامها على نحو لا يخلّ بالكيفية المشروعة، إذاً فالزيادة أو النقيصة في الأحكام الإلهية إذا كانت فهي غير جائزة، وهذا ما يصطلح عليه في عرف الفقهاء: أن الصلاة توقيفية، بمعنى أن تشريعها، بأجزائها وشرائطها وموانعها ومقدماتها موقوفٌ على إذن الشارع المقدس، فما لم يأذن به لا يجوز الادخال فيها أو الاخراج، وما نريد أن نعرفه الآن هو هل أن الأعياد توقيفية؟ أو أن كل إنسان أو مجتمع، أو قبيلة، يمكنهم تشريع العيد في يوم أو أيام يختارونها؟ ظاهر الفقهاء العظام أن الأعياد في التشريع الإسلامي توقيفي، بمعنى لا يحق لأحد أن يؤسس للمسلمين عيداً، وينسبه إلى الإسلام إلاّ أن يأذن به الشارع المقدس، مهما كان ذلك اليوم عظيماً عند الناس، نعم لو اعتبر عيداً باسم الوطن، أو المجتمع كيوم الانتصار، أو يوم أعد تكريماً لعظيم كالأم أو العالم الفلاني، أو ما شاكل ذلك، فلا يضر، ولكن لا يمكننا تحميله على الإسلام، بأن ينسب إلى الإسلام، ويعتبر من ضمن طقوسه، وممارساته، واختياراته. وهذه المسألة على مقدار من الأهمية ينبغي أن يلتفت إليها المجتمع المسلم، إذ كثيراً ما نجد تأثير هذه الأعياد الّتي لم ينص عليها الإسلام إلى درجة، قد يتغافل عن مناسبة إسلامية تتعارض مع ذلك اليوم، لشدة شيوع عيد ذلك اليوم في مجتمع ما، فكم رأينا بعض المسلمين في مجتمع ما يحتفلون بيوم على أنه عيد متعارف عليه، في حين يعتبر ذلك اليوم ذكرى محزنة في الإسلام، وينبغي للمؤمن المسلم اظهار الحزن فيه لا الفرح والسرور.

***

الأعياد الإسلامية الأربعة

يستفاد من النصوص الإسلامية، أن أعياد المسلمين أربعة لا غير، وهي يوم الفطر، وهو اليوم الأول من شوال، وهو عيد الافطار، وحلية الطعام والشراب في النهار، بعدما كان محظوراً في أيام شهر رمضان، ويوم النحر، المسمى بعيد الأضحى، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة بعد ما يقضي الحاج من المزدلفة إلى منى، ويوم الجمعة في كل اسبوع، وعيد الغدير، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يوم نصب أمير المؤمنين عليه السلام إماماً للمسلمين.

وقد وردت الروايات الكثيرة في إثبات هذه الأعياد، أما الفطر والأضحى فهما محل إجماع واتفاق بين المسلمين جميعاً، وأما الجمعة، فقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام «عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أن جبرئيل أتاني بمرآة في وسطها كالنكتة السوداء، فقلت له: يا جبرئيل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة، قال: قلت، وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قال: قلت، وما الخير الكثير؟ فقال: تكون لك عيداً ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: قلت وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله مسألة فيها وهي له قسم في الدنيا إلاّ أعطاها، وإن لم يكن له قسم في الدنيا ادُّخِرت له في الآخرة أفضل منها، وأن تعوّذ بالله من شرّ ما هو عليه مكتوب صرف الله عنه ما هو أعظم منه»[1].

وأما مشروعية عيد الغدير، فقد ورد في جملة من النصوص ما يدل عليه، نذكر منها رواية واحدة فقط، فقد سئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام: هل

(١) جامع الأحاديث: ١٤٦.

للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال عليه السلام: «**نعم أعظمها حرمة**»، قلت: وأي عيد هو جعلت فداك؟ قال: «**اليوم الّذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه**، قلت: وأي يوم هو؟ قال: **وما تصنع باليوم إنّ السنة تدور ولكنّه يوم ثامن عشر من ذي الحجة**، فقلت: وما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟ قال: **تذكرون الله عز وجل فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمد وآل محمد، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتخذ ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الانبياء عليهم السلام تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيداً**»[1].

***

فلسفة الأعياد الإسلامية

بعدما عرفنا أن أعياد المسلمين أربعة: الفطر والأضحى والغدير والجمعة، ينبغي لنا أن نتعرف على معنى العيد في هذه الأيام، حيث أن العيد في الإسلام يحمل عناوين متعددة في حالات معينة، وهي كالآتي:

١. العيد فرح بقبول الأعمال وغفران الذنوب

لا شك في أن جميع الأعياد الأربعة لابد وأن تعبر عن فرح وسرور لكل فرد مسلم، ولكن ليس المراد بفرحة العيد لذات العيد، بل ما يحمله العيد من معان ومفاهيم عظيمة في الإسلام، فعيد الفطر يعني أن يفرح الإنسان الصائم القائم برضا الله عنه وقبوله لأعماله، لأن ذلك إن تحقق فيحقق للمؤمن فرحة ليس

(١) الكافي ٤: ١٤٩ ح ٣.

بعدها ولا قبلها فرحة، فهو ينعم بحنان الله عليه، أن لم يضيع لـه ما قدّمه في ذلك الشهر من الصيام والقيام والدعاء والمناجاة والصلاة، فعن علي عليه السلام أنه قال في بعض الأعياد: «**إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه، وشكر قيامه**»[1]، فالفرح بغفران الله تعالى هو عيد الصائم القائم، وليس الفرح بالزينة والثياب وحلّ الطعام والشراب، يروى أنَّ سويد بن غفلة دخل على أمير المؤمنين عليه السلام في يوم عيد فإذا عنده خوان عليه خبز السمراء ـ أي الحنطة ـ وصحيفة فيها خطيفة وملبنة، فقال له: يا أمير المؤمنين يوم عيد وخطيفة؟! فقال عليه السلام: «**هذا عيد من غفر لـه**»[2]، لقد كان يظن سويد أنه لا تناسب بين الخطيفة وهي اللبن الّذي يطبخ ويختطف بالملاعق بسرعة وبين العيد، حيث إن معنى العيد كما يفهمه الناس توفير الطعام الجيد والثياب الفاخرة الجديدة، فأفصح الإمام عليه السلام عن مكنون العيد وحقيقته، وأنه عيد المغفرة والقبول، لا عيد اللبس والطعام والشراب، وكما أن هذا المعنى قد سجلته النصوص في عيد الفطر، كذلك في عيد الأضحى، فهو عيد غفران ذنوب الحاج، وقبول حجه وسعيه، وقبول الرضا عليه.

فاللعب واللهو والانشغال في اللذائذ يفقد العيد قدسيته وعظمته ووقاره، ولهذا يروى أنه مرّ الإمام الحسن عليه السلام في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون، فوقف على رؤوسهم، فقال: «**إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه، فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من ضاحكٍ لاعب في اليوم الّذي يثاب**

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٣.

(٢) بحار الأنوار ٤٠: ٣٢٦،ح ٧.

فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، وأيم الله لو كشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغول بإحسانه، والمسيئ مشغول بإساءته، ثم مضى»[1].

وأما عيد الغدير فهو عيد البيعة، عيد إكمال الدين وإتمام النعمة، وقبول الإسلام ديناً خالداً، كما ورد ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

٢. العيد هو العودة إلى الله تعالى

ومن المعاني العميقة الّتي يحملها العيد أنه يعبّر عن تحقق العودة إلى الله تبارك وتعالى، وأن أهل اللغة يقولون بأن معنى العيد من عاد ويعود، وهو ما يتناسب مع العودة إلى الله تعالى والرجوع إليه ذلك أن العابد إنما يقوم بطقوسه العبادية من الصيام والصلاة والدعاء والمناجاة لكي يعود إلى ربه ويرجع إليه بعد أن كان هارباً منه تاركاً لمراضيه، عازفاً عن الطاعة، ففي شهر رمضان يبدأ العبد بتطهير نفسه وقلبه وعقله حتى يرفع تمام الحجب المظلمة الّتي صنعها لنفسه مع ربه، وبالعيد يتحقق العود إلى الله والرجوع إليه، وكذا الحاج، فإنه بما يقوم به من فروض الطاعة من الاحرام والطواف والسعي والوقوف في عرفات والمزدلفة... يرجع ويعود إلى ربه تبارك وتعالى، ليعود الله عليه بالرحمة والمغفرة.

٣. يوم العيد تذكار ليوم القيامة

فقد ورد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خطب في يوم

(١) تحف العقول: ٢٣٦.

(٢) سورة المائدة: ٣.

الفطربعد صلاة العيد فقال: «**أيّها الناس، إنّ يومكم هذا يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وهو أشبه بيوم قيامكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاّكم خروجكم من الأجداث إلى ربّكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاّكم وقوفكم بين يديّ ربّكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة، . . .عباد الله إن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟!**»[1].

وعلى العموم فإن العيد في الإسلام يعتبر شعاراً من شعائر الله تعالى، فالفرح والسرور للتوفيق في العبادة، ولغفران الله تعالى الذنوب، ومن هذا المنطلق يعطي أمير المؤمنين بعداً عميقاً للعيد، فيعتبر أن الفرحة ليست منحصرة بالأعياد الأربعة، بل يمكن أن يحصل ذلك في كل يوم لا يعصى الله فيه، قال الإمام علي عليه السلام: . . .«**وكل يوم لا نعصي الله فيه فهو عيد**»[2].

***

صلاة العيد

من جملة أعمال يوم عيد الفطر وكذلك عيد الأضحى هو إقامة صلاة العيد يقول الإمام الخميني في تحرير الوسيلة: (صلاة عيد) الفطر والأضحى واجبة مع حضور الإمام عليه السلام، وبسط يده وإجتماع سائر الشروط، ومستحبة في زمن الغيبة، والأحوط إتيانها فرادى في ذلك العصر، ولابأس بإتيانها جماعة

(١) الأمالي للصدوق:١٠٠، المجلس ٢١،مجموعة ورّام٢: ١٥٧، بحار الأنوار ٩٢: ٣٦١،الباب٣٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٧٣، وسائل الشيعة ١٤: ٤٦٠ باب ٤٩.

رجاءً لا يقصد الورود، ووقتها من طلوع الشمس إلى الزوال، ولاقضاء لها لوفاتت، وهي ركعتان في كل منها يقرأ الحمد وسورة، والأفضل أن يقرأ في الأولى سورة الشمس وفي الثانية سورة الغاشية، أو في الأولى سورة الأعلى وفي الثانية سورة الشمس، وبعدالسورة الأولى خمس تكبيرات وخمسة قنوتات بعد كل تكبيرة قنوت، ويجزي في القنوت كل ذكرودعاء كسائر الصلوات، ولوأتى بما هو المعروف رجاء الثواب لابأس به وكان حسناً، وهو: «اللهم أهل الكبرياء والعظمة،.....إلى آخر الدعاء[1].

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) للتعرف على كيفية إقامة صلاة العيد وأحكامها تفصيلاً راجع تحرير الوسيلة١: ٢٤١، كتاب الصلاة.

كلمة الختام

لقد تطرَّقنا في موسوعة الليالي والأيام التي تحتوي على ثلاثة أجزاء إلى المواضيع والمعارف الإسلامية التي تعين المبلغ الديني في أداء رسالته التبليغية، في نشر العلوم والثقافة الإسلامية، ففي الجزء الأول تجد مجموعة من البحوث والنصوص التي تناسب شهري محرم الحرام وصفر ومماحتواه الجزء الثاني مجموعة من البحوث الأخلاقية في شرح الخطبة الشعبانية النبوية والمناسبات الرمضانية، وفي الجزء الثالث من الموسوعة تطرَّقنا إلى المناسبات الإسلامية في بقية أشهر السنة القمرية وبعض المناسبات الشمسية والميلادية، وقد أدمجنا بعض المناسبات في بعضها لوحدة الموضوع وغناه،ولكي يتسنى للقارئ التركيز في طلب المعلومات والإستفادة منها.

ولعلَّه هناك مناسبات أخرى حسب التَّقويم الهجري القمري أو الشمسي أوالميلادي لم نتطرق إليها في الموسوعة حيثلا يحتفل بها غالباً في مجالس العامة ولا تذكر وتبحث بصورة مستقلَّة في مواسم التبليغ فتركنا ذكرها للإختصار، فلله الحمد على إتمام تأليف هذه الموسوعة بعد ثلاث سنين من الجهد المتواصل،فمنه التوفيق وعليه التكلان.

وأخيراً أشكر كل من ساهم في هذا الإنجاز من إبداء فكر ومراجعة أو إخراج وطباعة وأسأل الله ان يجعله ذخراً لاخرتهم، وأخصُّ بالذكر فضيلة العلامة اليوسفي الغروي على ما بذله من جهد في مراجعة هذه الموسوعة وتقويمها.

هذا وأرجو من الله العزيز أن يتقبَّل بكرمه ولطفه ماقدَّمناه في هذه الموسوعة وأن يجعله مصداقاً للحديث النبوي الشريف المشهور: «**إذا مات ابن آدم(المؤمن) انقطع عَملُه إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعُو لَهُ**»[1]، فيكون ـ إن شاء الله تعالى ـ علماً ينتفع به المسلمون وأنتفع به أنا: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2]، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

٢١ شهر رمضان المبارك سنة ١٤٣١ هـ

ذكرى شهادة مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام

قم المقدسة ــ أيوب الحائري

(١) عوالي اللئالي ١: ٩٧، بحار الأنوار ٢: ٢٢ب٢.

(٢)) الشعراء: الآيتين ٨٨،٨٩.

فهرس مصادر الموسوعة

ـ القران الكريم.

ـ نهج البلاغة / جمع الشريف الرضي، تحقيق مؤسسة نهج البلاغة، ط. الثانية ١٤١٦هـ.

ـ الصحيفة السَّجادية / مجموعة أدعية الإمام السَّجاد.

ـ مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي.

ـ الغيبة / النعماني، مكتبة الصدوق، طهران١٣٩٧ هـ.

ـ كشف الغمة / علي بن عيسى الإربلي، مكتبة بني هاشم، ايران ١٣٨١ هـ.

ـ الاحتجاج / أحمد بن علي الطبرسي إنتشارات إسوة، ايران.

ـ وفيات الأعيان / إبن خلكان، دار الفكر،بيروت ١٤٢١ هـ.

ـ منتخب الأثر / الصَّافي الكلبايكاني، مؤسسة الوفاء،بيروت.

ـ الصواعق المحرقة / ابن حجرالعسقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ.

بحار الأنوار / العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط. الرابعة، بيروت ١٤٠٤هـ.

ـ دلائل الإمامة / محمد بن جرير الطبري،دارالذخائر للمطبوعات،قم.

ـ الغيبة / الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط.الأولى، قم.

ـ إعلام الورى / أمين الإسلام الشيخ الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، ط.الثالثة، قم.

ـ أصول الكافي / الشيخ الكليني، دار الكتب الإسلامية، ط.الرابعة، طهران.

ـ صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

ـ كمال الدين وتمام النعمة / الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية،ط الثالثة، قم.

ـ منهاج السنة النبوية / ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض١٤٠٦ هـ.

ـ منتهى الآمال / الشيخ عباس القمّي، الدَّار الإسلامية، بيروت١٩٩٤م.

ـ الإرشاد / الشيخ المفيد،سعيد بن جبير،ط. الأولى، قم ١٤٢عليه السلام هـ.

ـ علل الشَّرايع / الشيخ الصدوق، إنتشارات مكتبة الداوري، قم.

ـ كنجينه آثار قم / الشيخ عبَّاس فيض، مهر استوار، ط. الأولى، إيران ١٣٥٠ هـ.

ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق، ذوي القربى، ط الأولى، قم ١٤٢٧هـ.

ـ ترجمة تاريخ قم / الحسن بن علي القمي، إنتشارات زائر، ط. الثانية، قم ١٤٣٠ هـ.

ـ أعلام الهداية / لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط. الأولى، قم ١٤٢٢هـ.

ـ منتخب التَّواريخ / محمد هاشم الخراساني، إنتسارات إسلامية، ط. السادسة، طهران ١٤٢٥هـ.

ـ موسوعة التَّاريخ الإسلامي / اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي، ط. الأولى قم ١٤٣١ هـ.

ـ جغرافياى تاريخى هجرت امام رضا عليه السلام (بالفارسية) / جليل عرفان منش، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، ط. الثانية، مشهد ١٤٢٠هـ.

ـ أصل الشيعة وأصولها / آل كاشف الغطاء ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٣.

ـ مسند أحمد / أحمد ابن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٩م.

ـ لسان العرب / محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر ط. الأولى، بيروت ١٩٩٠م.

ـ الغدير / العلاَّمة الأميني، دار الكتاب الإسلامية، طهران ١٣٧١ هـ.

ـ وسائل الشيعة / الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ١٤٢٦ هـ.

ـ تحرير الوسيلة / الإمام الخميني، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ١٩٩٨م.

ـ معجم رجال الحديث / السيد أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء، بيروت ت١٤١٣هـ

ـ الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية / الشهيد الثاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

ـ الميزان / محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة إسماعيليان، إيران، قم ط.الرابعة، ١٤١٣هـ.

ـ الذريعة / آقا بزرك الطهراني، المكتبة الإسلامية، طهران، ط.الأولى، قم ١٣٧٤ هـ.

ـ التفسير الكبير / الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (بـت)

ـ صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العلمية، ط.الأولى بيروت، ١٩٩٥م.

ـ كنز العمال / المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

ـ شرائع الإسلام / المحقق الحلي، الاستقلال، ط.الرابعة، قم١٤٠٣هـ.

ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة ـ بيروت ١٩٩٢م.

ـ نظام حقوق زن در اسلام(بالفارسية) / مرتضى مطهري، انتشارات صدرا، قم.

ـ جواهر الكلام / محمد حسن النجفي، مؤسسة التاريخ العربي، ط. السابعة، بيروت

ـ سنن النسائي / النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، طالأولى، ١٩٩٥م.

ـ مجمع البيان / أمين الإسلام الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٩٥.

ـ الفقه على المذاهب الخمسة / الشيخ جواد مغنية، مؤسسة الصادق، ط.الخامسة، طهران١٩٩٨م.

ـ الحقائق في محاسن الأخلاق / الفيض الكاشاني، دار الكتاب الإسلامي، قم١٤٠٩هـ.

ـ المراقبات / الملكي التبريزي، إنتشارات الإمام المهدي، قم ١٤٠٤هـ.

ـ آداب النفس / الموسوي الياموئي، منشورات المكتبة المرتضوية، قم١٣٨٠هـ.

ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق / مسكويه الرازي، إنتشارات بيدار، ط.الثانية، قم١٤١٠هـ.

ـ سّر الصلوة / الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ط.الأولى، طهران ١٩٩٥م.

ـ مصباح الشريعة / المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، إنتشارات قلم، ط. الأولى، قم ١٤١٤ هـ.

ـ مكارم الأخلاق / الحسن بن الفضل الطبرسي، نشر حبيب، ط.الأولى، قم ١٤٢٠هـ.

ـ منهاج النجاة / الفيض الكاشاني، مؤسسة البعثة، ط.الأولى، طهران ١٤٠٧هـ.

ـ من شواهد المبلغين / الشيخ أكرم جزيني، مؤسسة الفكر الإسلامي،

ط٣، بيروت ٢٠٠٢م.

ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم / جعفر مرتضى العاملي، دارالسيرة، بيروت.

ـ عدة الدَّاعي / احمد بن فهد الحلي، دارالكتاب الإسلامي، قم ١٤٠٧هـ.

ـ ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق، دارالرضي، قم١٤٠٦هـ.

ـ معاني الأخبار / الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم١٤٠٣هـ.

ـ مستدرك الوسائل / المحدِّث النوري، مؤسسة آل البيت، قم١٤٠٨هـ.

ـ غرر الحكم / عبد الواحد التميمي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم١٤٠٨هـ.

ـ من لايحضره الفقيه / الشيخ الصدوق، مؤسسةالنشر الإسلامي، قم١٤١٣هـ.

ـ البداية والنهاية / ابن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، ط. الأولى، بيروت ١٩٨٨م.

ـ أنساب الأشراف / أحمدبن يحيى البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٧٤م.

ـ سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٩٣م.

ـ الإصابة / ابن حجر العسقلاني، دارالكتب العلمية، بيروت ط. الأولى،

١٩٩٥م.

ـ ذخائر العقبى / محبّ الدين الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦هـ.

ـ الدُّرالمنثور / جلال الدين السيوطي، دارالفكر، بيروت (ب.ت).

ـ العباس بن علي / عبدالرزاق المقرم، دارالأضواء، ط. الأولى، بيروت ٢٠٠١م.

ـ تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب الإصفهاني، دارصادر، بيروت (ب.ت).

ـ جامع السعادات / محمد مهدي النراقي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف (ب.ت).

ـ بشارة المصطفى / عماد الدِّين الطبري، المكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٣هـ.

ـ أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت.

ـ عوالي اللئالي / ابن أبي جمهور الأحسائي، دارسيد الشهداء، قم ١٤٠٥هـ.

ـ أمالي الصدوق / الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف ١٤٠٤هـ.

ـ الخصال / الشيخ الصدوق، مؤسسةالنشر الإسلامي، قم١٤٠٣هـ.

ـ تحف العقول / ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم١٤٠٤هـ.

ـ تفسير القمي / علي بن ابراهيم القمي، دارالكتاب الإسلامي، قم ١٤٠٤هـ.

ـ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديدالمعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ١٤٠٤هـ.

ـ شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم١٤١١هـ.

ـ مجموعة ورَّام / ورَّام بن أبي فراس، مكتبة الفقيه، قم، (ب.ت).

ـ مناقب آل أبي طالب / إبن شهر آشوب، مؤسسة العلامة للنشر، قم ١٣٧٩هـ.

ـ الصوارم المهرقة / نور الله التستري، مطبعة النهضة، طهران ١٣٦٧هـ.

ـ أجوبة الإستفتاءات / الإمام الخامنئي، دارالنبأ، ط.الأولى، بيروت ١٩٩٥م.

ـ مصباح الشريعة / منسوب للإمام الصادق، مؤسسة الأعلمي، ط. الأولى، بيروت١٩٨٠م.

ـ الخرائج والجرائح / قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم،(ب.ت).

ـ إمتاع الإسماع / أحمدبن علي المقريزي، دارالكتب العلمية، ط.الأولى، بيروت ١٩٩٩م.

ـ مهج الدعوات / السيد بن طاووس الحلي، أنوار الهدى، ط الخامسة، قم ١٤٢٩هـ.

ـ جامع آحاديث الشيعة / الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم ١٣٩٩هـ.

ـ الكامل في التاريخ / إبن الأثير، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

ـ بارقة من سماء كربلاء / المصباح اليزدي، دار التعارف للمطبوعات، ط.١، بيروت٢٠٠٤م.

ـ مقتل الحسين / عبدالرزاق المقرم،منشورات بصيرتي، ط.الخامسة، قم ١٢٩٤هـ.

ـ اللهوف / ابن طاووس (علي بن موسى)، الأنوار الهدى، قم، (ب.ت).

ـ إقبال الأعمال / ابن طاووس، مكتب الإعلام الإسلامي، ط.الأولى، قم ١٤١٤هـ.

ـ مثير الأحران / ابن نما الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف١٩٥٠م.

ـ بلاغات النساء / ابن طيفورالبغدادي، إنتشارات الشريف الرضي، قم.

ـ الإمامة والسياسة / ابن قتيبة الدينوري، إنتشارات الشريف الرضي، ط.١، قم١٤١٣هـ.

ـ السيرة النبوية / ابن هشام الحميري، مكتبة محمد علي واولاده، مصر ١٩٦٣م.

ـ روضة الواعظين / الشهيد الفتال النيشابوري، دار الرضي قم.

ـ ميزان الحكمة / محمدالري شهري، دار الحديث، قم ١٤١٧هـ.

ـ كتاب سليم بن قيس/ سليم بن قيس الهلالي، دارالهادي، قم١٤١٥هـ.

ـ وقعة صفين/ نصربن مزاحم المنقري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ١٤٠٣هـ.

ـ تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي، دارالكتب العلمية، بيروت، (ب.ت).

ـ رجال النجاشي/ النجاشي الأسدي، مؤسسةالنشر الإسلامي،قم(ب.ت).

ـ المصباح / الكفعمي، مؤسسة الأعلمي، ط. الثالثة، بيروت١٩٨٣م.

ـ تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي، منشورات ذوي القربى، ط.الأولى، قم١٤٢٧هـ.

ـ في رحاب نهج البلاغة / الشهيد مرتضى المطهري، الدار الإسلامية، ط.الأولى، بيروت١٩٩٢.

ـ وقعة الطف/ أبومخنف بتحقيق الشيخ اليوسفي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط.١،قم ١٤٠٩.

ـ مقاتل الطالبيين / أبو فرج الإصفهاني، منشورات الرضي،ط.الثانية، قم ١٤٠٥هـ.

الأقراص الكمبيوترية (CD)

١ـ جامع الأحاديث: (٤٤٢ مجلد في ١٨٧ عنوان من ٩٠ مؤلف)، إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الثاني.

٢ـ جامع التفاسير: إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم ـ الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الأول.

٣ـ مكتبة أهل البيت عليهم السلام: (٤٤٦٧ مجلد): إصدار مركز المعجم الفقهي للمرجع الديني آية الله السيد الكلبايكاني، الإصدار الأول.

صدر للمؤلف

- الغدير
- الأمَّة الواحدة
- المناسبات النَّبوية
- المناسبات العلوية
- المسلم ومعتقداته
- ذكريَّات شهري الحج
- قبسات من نهج البلاغة
- الإسلام والمشكلة الجنسية
- بلاد الشَّام، أرض المقدَّسات
- مزارات أهل البيت عليهم السلام في إيران
- الإمام علي عليه السلام أدوار ومواقف
- ثلاثون سؤالاً وشبهة حول المرأة
- عشرون سؤالاً وشبهة حول المرأة
- دليل الأماكن المقدَّسة في سورية
- الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر
- التَّبليغ الدِّيني على ضوء الكتاب والسُّنة

- موسوعة المناسبات الإسلامية والعالمية
- الزَّواج لمؤقت في شريعة سيدنا محمد
- أفضل الليالي (ثلاثون ليلة في ضيافة الرحمن)
- ماذا حدث في الثامن عشر من ذي الحجة السنة العاشرة للهجرة
- لمحات من حياة الإمام الرضا عليه السلام وأخته فاطمة المعصومة عليها السلام
- حديث عاشوراء(مقتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام

سيصدر للمؤلف:

- مشكاة الأنوار(قبسات من أنوار النبي وأهل بيته عليهم السلام)

بعض المصطلحات

١ ـ الربع: موضع في عرفات، يتوقف به ويطمأن.

٢ ـ العرصات: الساحات.

٣ ـ الثفنات: علامات في الجبهة من كثرة السجود.

٤ ـ وَقَبرٌ بأرض الجوزجانِ: هو قبريحيى بن زيد الشهيد، وهناك ثلاث مراقد تذكرله، إحداها في مدينة جوزجان في أفغانستان وهو أقرب للصواب كما جاء في قصيدة دعبل، والأخرى في ميامي تبعد عن مدينة مشهد حوالي(٦٠ كم)، والمرقد الثالث في مدينة جرجان(القديمة) والتي لم يبق منها سوى الأطلال وهي قرب مدينة كنبد كاووس في شمال إيران.

٥ ـ فخ: موقع بمكة وقعت فيه حادثة فخ حيث استشهد جمع من بني هاشم على يدي أعوان بني العباس.

٦ ـ باخمرى: مكان بين الكوفة والواسط في العراق، فيه قبر القاسم أخ الإمام الرضا عليه السلام.

٧ ـ الغرفات: غرف الجنة.

٨ ـ الزّفرات: تتابع الأنفاس من شدة الغم والحزن.

٩ ـ أي: إن كان لك من الدين حظّ اربع واجلس بطوس على قبر الرضا عليه السلام.

١٠ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٠، ب ٦٥، ح٢، وراجع أخبارشعراء

الشيعة، للمرزباني:٩٣.

١١ ـ مقاتل الطالبين: ٢٨٠.

١٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٨٠، ب ٦٥،ح١، وقوله مرموس أي: مدفون.

١٣ ـ راجع مقتل الحسين، للمقرم: ٣٣٩ ـ ٣٣٤.

١٤ ـ ديوان أبي طالب: ٣٣، تاريخ ابن عساكر ١: ٢٦٩.

١٥ ـ مثير الأحزان لابن نما: ٧٢.

١٦ ـ شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٨٣.

١٧ ـ البداية والنهاية ٨: ١٩٢. ومقاتل الطالبيين: ٨٠.

١٨ ـ شذرات الذهب ١: ٦٩.

١٩ ـ المناقب لابن شهر آشوب ج٤ ص١١٠.

٢٠ ـ ديوان صفي الدين الحلي حرف الدال.

٢١ ـ هنا زيادة كلمة: أُشدد، وهي زيادة على الوزن الشعري وليس من الضروري، بل هي مضمرة مقدّرة.

٢٢ ـ تاريخ الطبري ٥: ١٥٠، وفي ديوانه: ٣٢، أنساب الأشراف ٢: ٤٠٩، الحديث ٥٩٢.

٢٣ ـ من قصيدة تنسب إلى الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام (تاريخ الطبري ٥: ١٥٠، أنساب الأشراف ٢: ٤٠٩، الحديث ٥٩٢).

٢٤ ـ بحار الأنوار ٧٤: ١١١.

٢٥ ـ مجموعة ورَّام ١: ١٧٥.

٢٦ ـ قصص وخواطر:٢٧٣.

الفهرس

الفهرس الإجمالي للموضوعات ٥
مقدمة الناشر ٩
مقدمة المؤلف ١١
الخطبة النبوية الشعبانية ١٥
الليلة الأولى **١٩**
شهر الضيافة الإلهية ١٩
شهر رمضان المبارك ٢٠
شهر الله المبارك ٢٠
شهر الرحمة والمغفرة ٢١
التهيؤ لإستقبال شهر الله تعالى ٢٢
ثلاثون ليلة في ضيا فة الرحمن ٢٣
انواع الضيافة الإلهية ٢٤
أهل البيت عليهم السلام وشهر رمضان ٢٦
الدعاء عند دخول شهر رمضان ٢٦
الليلة الثانية **٢٨**

إدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٢٨
حقيقة الدعاء وفوائده ٢٩
شروط استجابة الدعاء ٢٩
موانع إستجابة الدعاء ٣١
دعاء برخ في حق بني إسرائيل ٣١
موانع استجابة الدعاء عند أمير البلغاء ٣٢
ملاحظات حول الدعاء ٣٣
١ـ الدعاء لا يعوِّض عن العمل ٣٣
٢ـ لا مصلحة في الإستجابة ٣٤
٣ـ تناقض دعوتين ٣٥
٤ـ قد يستجاب الدعاء متأخراً ٣٥
٥ـ مناقضة الدعاء للحكمة ٣٦
مستحبات وآداب الدعاء ٣٦
أهل البيت عليهم السلام والدعاء ٤٢
الليلة الثالثة **٤٤**
طهارة القلب وصدق النية ٤٤
انواع القلوب وحالاتها ٤٤
العقل في الإنسان ٤٥
الروح والنفس في الإنسان ٤٦
مراتب النفس ودرجاتها ٤٨
القلوب المريضة وعلاجها ٥٠

مِن أجل إصلاح القلوب ٥١
القلوب القاسية ٥٢
القلوب القاسية في كربلاء ٥٣
الليلة الرابعة **٥٤**
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ ٥٤
علة تشريع الصوم ٥٥
فوائد الصوم وآثاره ٥٧
درجات الصوم والصائمين ٦٠
أنواع الصوم ٦٠
صوم المستحب وعلة تشريعه ٦١
أهل البيت عليهم السلام والصيام ٦٣
الليلة الخامسة **٦٥**
القرآن في القرآن ٦٦
لا تحريف في القرآن ٦٧
القرآن المعجزة الخالدة ٦٨
نزول القرآن في شهر رمضان ٦٩
وظيفتنا تجاه القرآن الكريم ٧٠
الآداب الظاهرية لتلاوة القرآن ٧٢
بشر الحافي والقرآن ٧٣
الآداب الباطنية لتلاوة القرآن ٧٣
القرآن وأهل البيت عليهم السلام ٧٥

الليلة السادسة ٧٧
الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد ٧٧
قبس من شخصية الإمام الرضا عليه السلام ٧٨
من خصائص الإمام الرِّضا عليه السلام وصفاته ٨٠
الإمام الرضا عليه السلام في طريقه إلى مرو ٨١
الإمام الرضا عليه السلام ومسألة ولاية العهد ٨٦
الدَّوافع السياسية لولاية العهد ٨٩
أسباب قبول الإمام بولاية العهد ٩٢
الإمام الرضا عليه السلام ودعبل الخزاعي ٩٤
مقتطفات من قصيدة دعبل التائية ٩٧
شهادة الإمام الرضا عليه السلام في طوس ٩٨
الليلة السابعة ١٠٣
مفهوم العبادة وحقيقة العبودية ١٠٣
مفهوم العبادة في الاسلام ١٠٤
التفكر في الله ومخلوقاته ١٠٦
الفرائض والنوافل من العبادات ١٠٩
مكانةالصلاة في الاديان ١١٠
وجوه أهمية الصلاة ١١١
فوائد الصلاة وآثارها ١١٣
عدم الاهتمام بالصلاة أو تركها ١١٨
آداب الصلاة وأسرارها ١٢٠

حضور القلب في الصلاة ١٢٠
معاني وأسرار الصلاة ١٢٢
تعقيبات الصلاة ١٢٥
الصلاة الواجبة والمستحبة ١٢٧
صَلاةُ اللّيل ١٢٧
أهل البيت عليهم السلام والصلاة ١٢٨
الليلة الثامنة ١٣٠
التكافل الإجتماعي في الإسلام ١٣٠
القضاء على الفقر في الإسلام ١٣٠
الصدقات في الاسلام ١٣٢
الصدقات الواجبة(الزكاة) ١٣٣
موارد مصرف الزكاة ١٣٤
عاقبة البُخل وعدم اعطاء الزكاة ١٣٥
الصدقات المستحبة (التطوعية) ١٣٧
لا صدقة وذو رحم محتاج ١٣٨
فوائد الصدقة وآثارها ١٤٠
أولاً: الحصول على الأجر والثواب الكبير ١٤٠
ثانياً: الصدقة تنفي الفقر و تنمي المال وتحفظه ١٤٠
ثالثاً: الصدقة تدفع البلاء وميتة السوء ١٤١
رابعاً: الصدقة تردّ القضاء المبرم ١٤٢
التصّدق والتحنّن على اليتيم ١٤٢

الليلة التاسعة **١٤٥**
مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام ١٤٥
المرأة قبل الإسلام ١٤٦
حقوق المرأة في الإسلام ١٤٧
المرأة في نهج البلاغة ١٥١
المحتوى والمفهوم العام للنصوص ١٥٣
تمهيد لابدَّ منه ١٥٤
ما معنى نقصان عقل المرأة؟ ١٥٥
نقصان الذَّاكرة والتجربة ١٥٦
تأثير العاطفة على العقل ١٥٧
لماذا إرث المرأة نصف إرث الرجل؟ ١٥٩
دفاع الزهراء عن إرثها ١٦٢
علي يطبِّق وصايا الزهراء ١٦٣
الليلة العاشرة **١٦٦**
خديجة وأين مثل خديجة عليها السلام ١٦٦
آسيا مثل ضربه الله للمؤمنين ١٦٧
مريم بنت عمران أسوة المؤمنين ١٦٨
فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين ١٧٠
خديجة الكبرى أم المؤمنين ١٧٢
النبي يتاجر بأموال خديجة ١٧٣
زواج خديجة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٧٤

مايقال في زواج خديجة ١٧٦
ثمرة الزّواج الميمون ١٧٧
الحب والإحترام المتبادل ١٧٧
وفاة خديجة الكبرى أم المؤمنين عليها السلام ١٧٩
زيارة أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام ١٨٢
الليلة الحادية عشر ١٨٣
الإسلام والحياة الزوجية ١٨٣
الحلول المطروحة للمشكلة الجنسية ١٨٤
الحل الأول ـ الدعوة إلى كبت الشهوة: ١٨٤
الحل الثاني ـ الدعوة إلى الإباحية الجنسية: ١٨٥
الحل الثالث ـ الزواج المدني: ١٨٥
الحل الرابع ـ الزَّواج المسيار: ١٨٦
نظرة الإسلام إلى الجنس ١٨٧
الزواج الدائم والترغيب فيه ١٨٨
الزواج من عمياء خرساء صماء ١٩٠
تعدد الزَّوجات في الإسلام ١٩١
الزَّواج المؤقت في الإسلام ١٩٣
الحقوق الزوجية في الإسلام ١٩٦
حقوق الزوجة في الاسلام ١٩٦
حقوق الزوج في الإسلام ١٩٨
إنّ الله تعالى قد غفر لك ولأبيكِ ١٩٩

أمُّ البنين، الزوجة النموذجية ٢٠١
الليلة الثانية عشر **٢٠٥**
الصداقة والأخوة في الإسلام ٢٠٥
أ ـ الصداقةفي الاسلام ٢٠٦
إختبار الصديق ٢٠٩
آثار الصداقة في الدنيا والآخرة ٢١٠
ب ـ الأخوة في الإسلام ٢١١
أنواع الأخوة في الإسلام ٢١٣
حقوق الأخوة ٢١٤
مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين ٢١٥
مصيبة فقدالأخ ٢١٧
وقوف الحسين عليه السلام علي مصرع أخوته ٢١٨
الليلة الثالثة عشر **٢١٩**
أبو طالب كافل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وناصره ٢١٩
أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووالد علي عليه السلام ٢٢٠
فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب ٢٢١
مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي طالب ٢٢٢
إيمان أبي طالب في كلام أهل البيت عليهم السلام ٢٢٤
إيمان أبي طالب في كلام الصحابة ٢٢٤
من ضلَّ في الدِّين فإني مُهتدي ٢٢٥
الليلة الرابعة عشر **٢٢٧**

اهمية النية واثرها ٢٤٠
من أحب قوماً حشر معهم ٢٤١
الليلة الخامسة عشر **٢٤٢**
قبسات من سيرة الإمام الحسن عليه السلام ٢٤٢
ميلاد الحسن عليه السلام وإجراء السنن ٢٤٢
ملامح الحسن عليه السلام وصفاته ٢٤٤
الإمام الحسن في عهد أبيه عليهما السلام ٢٤٦
صلح الحسن عليه السلام مع معاوية ٢٤٦
شروط الصلح وبنودها ٢٥٠
الليلة السادسة عشر **٢٥٢**
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٢
ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٣
معنى المعروف والمنكر ٢٥٤
شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٥
مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٦
حبيب النجار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٧
مؤمن آل فرعون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٨
كاشف الغطاءوالامر بالمعروف ٢٥٨
الامام الحسين عليه السلام والأمربالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥٩
الليلة السابعة عشر **٢٦١**
الإمام علي عليه السلام وغزوة بدر الكبرى ٢٦١

ثلاثة آلاف منقبة لعلي عليه السلام ٢٦٤
المعركة المصيرية في خضمها ٢٦٦
نتائج غزوة البدر ٢٦٧
دروس وعبر من غزوة بدر ٢٦٧
بين بدر وكربلاء ٢٦٩
الليلة الثامنة عشر ٢٧١
قبسات من نهج البلاغة ٢٧١
مجموعة نهج البلاغة ٢٧٢
مصادر نهج البلاغة ٢٧٤
نهج البلاغة عند الأدباء والعلماء ٢٧٤
مميزات كلمات الإمام علي عليه السلام ٢٧٦
١ـ الفصاحة والجمال والنفوذ والتأثير ٢٧٧
٢ـ الشمول والأبعاد المتعددة في كلام الإمام ٢٧٨
أهم مواضيع وبحوث نهج البلاغة ٢٧٨
جهاد النفس في نهج البلاغة ٢٨٠
جهاد النفس وإصلاحها ٢٨١
النبي عيسى عليه السلام وصاحبه ٢٨٥
تأديب الجوارح وترويضها ٢٨٥
الإمام علي عليه السلام وجهاد النفس ٢٨٧
الليلة التاسعة عشر ٢٨٩
في رحاب ليالي القدر المباركة ٢٨٩

فضل ليلة القدر ٢٨٩
تعيين ليلة القدر ٢٩١
أعمال ليالي القدر ٢٩٢
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر بشهادة الإم علي عليه السلام ٢٩٤
الليلة التي وعدني بها رسول الله ٢٩٦
فزت ورب الكعبة ٣٠٠
الليلة العشرون ٣٠٣
أدوار الإمام علي عليه السلام في الإسلام ٣٠٣
دور علي عليه السلام في الحفاظ على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٦
دور الإمام علي عليه السلام في عزة الإسلام ٣٠٧
دور الإمام علي عليه السلام في فتح مكة ٣٠٨
الدور الأول: الإمام علي عليه السلام ينتزع كتاب خيانة ٣٠٩
الدور الثاني: الإمام علي عليه السلام يأخذ الراية من سعد ٣١٠
الدور الثالث: الإمام علي عليه السلام يحطِّم أصنام الكعبة ٣١١
الإمام علي عليه السلام في الليلة العشرين ٣١٢
الليلة الواحدة والعشرون ٣١٥
وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محراب الشَّهادة ٣١٥
الإمام علي عليه السلام وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٣١٥
من وصايا الإمام علي عليه السلام ٣١٧
شهادة الإمام عليه السلام في شهر الصيام ٣٢١

الليلة الثانية والعشرون ٣٢٤
التوبة أو الرجوع إلى الله ٣٢٤
أنواع الذنوب وآثارها ٣٢٤
موقف الإسلام والمسلمين من المذنبين ٣٢٨
١ـ موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزاء المتخلفين عن الجهاد ٣٢٩
٢ـ موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أزاء الشَّاب المذنب! ٣٣٠
التوبة والرجوع إلى الله تعالى ٣٣٣
ضرورة التوبة والتعجيل بها ٣٣٣
توبة قوم يونس على يد العالم ٣٣٦
توبة رجل من بني إسرائيل ٣٣٧
توبة الحُّر الرياحي ٣٣٨
الليلة الثالثة والعشرون ٣٤٠
المهدي الموعود، والمصلح المنتظر ٣٤٠
المهدي الموعود في الشَّرايع السماوية ٣٤٠
المهدي الموعود # في روايات أهل السنّة ٣٤٤
الإمامة المبكرة للإمام المهدي # ٣٤٦
غيبة الإمام المهدي # ٣٤٨
أسباب غيبة الإمام المنتظر عليه السلام وفوائدها ٣٥٢
كيف عمّر الإمام المهدي ؟ ٣٥٥
حقيقة ا لانتظار، وأهميته في عصر الغيبة ٣٥٧
علائم ظهور الإمام المنتظر # ٣٥٩

ظهور وقيام الإمام المهدي عليه السلام ٣٦١
دورالإيرانيين في نهضة المهدي عليه السلام ٣٦٢
إيران الإسلام تُمهِّد لظهور الحجة # ٣٦٥
دولة المستضعفين والمحرومين ٣٦٦
إنجازات الدولة الكريمةو بركاتها ٣٦٨
الليلة الرابعة والعشرون ٣٧٢
حقوق الطفل في الإسلام ٣٧٢
إختيارالرجل الزوجة الصالحة وبلعكس ٣٧٣
الطفل في مرحلة الحمل ٣٧٦
إبرة الأمّ الحامل ٣٧٨
أثر الرّضاعة بطهارة ٣٧٩
حقوق الطفل في الإسلام ٣٨٠
أولاً ـ إجراء مراسيم الولادة على الطفل ٣٨١
اختيارالإسم الجميل للطفل ٣٨١
التسمية بالقادة العظماء ٣٨٢
قبح الإسم والمنظر ٣٨٣
ثانياً ـ احترام شخصية الطفل ٣٨٤
الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأطفال ٣٨٥
تنمية الإيمان في الطفل ٣٨٧
حق الطفل في التعليم ٣٨٨
حقوق الطفل المالية ٣٨٩

التعامل مع الطفل بالعدل والاحسان ٣٨٩
التوازن في محبّة الاطفال ٣٩١
أطفال الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ٣٩٢
عبدالله الرضيع ٣٩٣
الليلة الخامسة والعشرون ٣٩٥
مكانة الشباب في الإسلام ٣٩٥
الإسلام والشباب ٣٩٥
مراحل عمر الانسان ٣٩٦
خصوصيات مرحلة الشباب ٣٩٧
تعامل الأبوين مع شبابهم ٣٩٨
إغتنموا فرصة الشباب ٣٩٩
الشباب وطلب العلم ٤٠٠
الشباب والصداقة ٤٠١
الشباب واختيار العمل ٤٠١
الشباب ومسألة الزواج ٤٠٢
عقبات أمام زواج الشباب ٤٠٤
التسريع في زواج الشباب ٤٠٥
نماذج من الشباب القدوَة ٤٠٧
الشاب حارثة بن مالك ٤٠٧
الإمام الخامنئي دام ظله يذكرلنا أيام شبابه ٤٠٨
من شباب كربلاء، علي الأكبر عليه السلام ٤٠٨

الليلة السادسة والعشرون ٤١١
نظرة إلى الحياة الأبديَّة ٤١١
الموت، بوابة الحياة الأخروية ٤١٢
الإنسان في سكرة الموت ٤١٥
منزل القبر وبعض عقباته ٤١٧
الحياة البرزخية لروح الميت ٤١٩
الأرواح في عالم البرزخ ٤١٩
انتفاع الميت بالخيرات ٤٢٠
فلسفة زيارة الأموات ٤٢١
صلاة الهدية للأموات ٤٢٢
عودة الأرواح إلى الأجساد ٤٢٣
قصة العاص بن وائل ٤٢٤
قصة عزير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤٢٤
قصةالنبي إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ٤٢٥
قصة أبي بن كعب ٤٢٦
يوم الحساب والجزاء ٤٢٧
الحياة الأبدية في الجنة ٤٢٨
الحياة في جهنّم ٤٢٩
الليلةالسابعة والعشرين ٤٣١
مكانة العلم والعلماءفي الاسلام ٤٣١
نظرة الإسلام لطلب العلم ٤٣١

لَذّة العُلماء الحَقيقيّة ٤٣٢
الإسلام يوصي بالعلم ٤٣٣
ما العلم الذي يقصده الإسلام؟ ٤٣٤
المرأة وطلب العلم ٤٣٦
مكانة العلماءفي الاسلام ٤٣٨
مكانة المعلم في الإسلام ٤٣٩
العلماء وصلاة الليل ٤٤١
امتحانٌ لِعالِمين ٤٤٢
مزاح بين الإستاذ وتلامذته ٤٤٣
عندما يَترُك العداء مكانَه للمحبة ٤٤٤
الكتب بساتين العلماء ٤٤٥
العلاّمة محمدباقر المجلسي ٤٤٧
الليلة الثامنة والعشرون **٤٤٨**
الأخلاق والآداب الاسلامية ٤٤٨
الأخلاق في العلاقات الإجتماعية ٤٤٩
أيَّها النَّاس... وقِّروا كباركم ٤٥٠
أوَّلاً ـ توقير الإنسان المسِّن ٤٥٠
ثانياً ـ احترام وتوقير الوالدين ٤٥١
حدود طاعة الوالدين ٤٥٣
قصتان حول عقوق الوالدين ٤٥٤
ثالثاً ـ احترام وتوقيرالمعلم والاستاذ ٤٥٥

من أخلاق العلماء ٤٥٦
أيَّها الناس...إرحموا صغاركم ٤٥٨
أيها الناس...صِلوا أرحامكم ٤٥٩
أيها الناس... حسِّنوا اخلاقكم ٤٦١
ألف ـ أخلاق الأب في الأسرة ٤٦١
ب ـ أخلاق الزوجة و الأم ٤٦٢
ج ـ أخلاق الناس بعضهم مع بعض ٤٦٣
الأولى: علاقة الجار بالجار ٤٦٣
الثانية: علاقة المسلم بأخيه المسلم ٤٦٦
الثالثة: علاقة المسلم بغير المسلمين ٤٦٦
الأخلاق عند أهل البيت عليهم السلام ٤٦٨
الليلة التاسعة والعشرون ٤٧١
معرفة الله تعالى وحُبِّه ٤٧١
مفهوم الحقيقي للعبادة ٤٧٣
عبادة الله على اساس الحبِّ والمعرفة ٤٧٥
محبَّة الله وطريق الوصول إليها ٤٧٦
آثار محبة الله تعالى ٤٧٧
أهل البيت عليهم السلام ومحبة الله تعالى ٤٧٨
الليلة الثلاثون ٤٨١
صوموا...لعلكم تتقون ٤٨١
معنى التقوى لغةً واصطلاحاً ٤٨١

التقوى في القرآن الكريم ٤٨٢
التقوى في نهج البلاغة ٤٨٣
آثار التقوى في الدنيا وآخرة ٤٨٥
١ ـ بالتقوى خروج من الضيق ٤٨٥
٢ ـ بالتقوى تُدَّر الأرزاق ٤٨٥
٣ ـ بالتقوى تُقبَل الأعمال ٤٨٦
٤ـ بالتقوى تُنال كرامة الله ورحمته ٤٨٧
٥ـ بالتقوى يَنال الإنسان الجنة ٤٨٧
كلام أمير المؤمنين في صفات المتقين ٤٨٧
الملحق الأول **٤٩١**
يوم القدس العالمي ٤٩١
التطبيقات المطروحة للوعد ٤٩١
اليوم الموعود لزوال اليهود ٤٩٣
اهميةيوم القدس العالمي ٤٩٥
الملحق الثاني **٤٩٨**
مفهوم العيد في الإسلام ٤٩٨
معنى العيد لغةً واصطلاحاً ٤٩٨
العيد حكم تشريعي خاص ٤٩٩
الأعياد الإسلامية الأربعة ٥٠١
فلسفة الأعياد الإسلامية ٥٠٢
١ـ العيدفرح بقبول الأعمال وغفران الذنوب ٥٠٢

٢ـ العيد هو العودة إلى الله تعالى ٥٠٤
٣ـ يوم العيدتذكار ليوم القيامة ٥٠٤
صلاة العيد ٥٠٥
كلمة الختام ٥٠٧
فهرس مصادر الموسوعة ٥٠٩
الأقراص الكمبيوترية (CD) ٥١٩
صدر للمؤلف ٥٢١
بعض المصطلحات ٥٢٣
الفهرس ٥٢٥